

THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

VAR- 6221. al- Bitār
(vol. 2).

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق



حلية البشر

بروى

في

تاريخ القرن الثالث عشر

تأليف

الشيخ عبد الرزاق البيطار

١٢٥٣ - ١٣٣٥ هـ

الجزء الثاني

حققه ونسقه وعلق عليه حفيده

محمد بهجة البيطار

من أعضاء المجمع العلمي العربي

١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق



حلية البشر

بروى

في

تاريخ القرن الثالث عشر

تأليف

الشيخ عبد الرزاق البيطار

١٢٥٣ - ١٣٣٥ هـ

الجزء الثاني

حققه ونسقه وعلق عليه حفيده

محمد بهجة البيطار

من أعضاء المجمع العلمي العربي

١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م

893.791
B165
v.2

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين .

حرف الراء المهملة

راشد بن سعيد الرواحي من أذكياء أدباء البحرين وعُمَان

قد ترجمه أحمد بن محمد بن علي بن ابراهيم الأنصاري بقوله :
روح جثمان الأدب ، ونور عين الفضل والحسب ، الشاعر المجيد ، البليغ الوحيد ، فمن لطائفه قوله :

إني لقيت من الهوى وفنونه أمراً عجيباً واقفاً في بالي
من ذات خال غضة ميادة تصمي قلوباً للورى بالخال
تصمي الليوث بلحظها إن أرسلت سهماً مصيباً من عيون غزال

وقوله :

إن ظني في سيدي لجميل ورجائي فيه عريض طويل
واليه قد تبت من كل ذنب ومتابي إلى رضاه سبيل
وإذا نلت بالمتاب رضاه فرضاه على النجاة دليل
واليه فوضت كل أموري وهو نعم المولى ونعم الوكيل

وله في الأدب باع ما أطولها ، ويراع لنظم عقود اللالىء ما أجلها وأجملها ، وفكرة ما أعلاها ، وأحقها بالمديح وأولاها ، توفي رحمه الله سنة الف ومائتين ونيف وعشرين .

الشيخ الفاضل راشد بن علي النعامي الحنبلي من آل جريس

عالم ناقد ، متتبع ماجد ، ذو يد طولى في علم القرآن والحديث ، مقتد بالسلف الصالح في كل أمر قديم وحديث ، معتصم بالسنة الصحيحة والقرآن ، عامل بما فيهما مذعن لهما كمال الإذعان ، وله في ذلك كتب ورسائل ، دالة على أنه مجتهد بسائر الفروع والمسائل ، وفقنا الله وإياه للصواب ، وفتح لنا وله للوصول إلى ما يرضيه أحسن باب ، إنه محسن كريم وهاب . توفي في أوائل القرن الثالث عشر .

الشيخ راغب بن الشيخ صالح بن سعيد الدمشقي الحنفي المعروف بالأسطواني

ولد سنة أربعين ومائتين وألف[1] واشتغل من أول عمره في القراءة والعلم والتردد على المشايخ العظام ، والأفاضل الكرام ، وتولى نيابة المحكمة السنانية في دمشق الشام ، ولم يزل مقبلاً على الطلب بجد واجتهاد إلى أن توفي في رابع ذي القعدة الحرام سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح في تربة الذهبية .

راغب افندي بن سعيد افندي بن حمزة بن علي الدمشقي الحنفي الشهير كأسلافه بابن عجلان

الحسيني الأديب ، النجيب الأريب اللبيب ، عين الأعيان ، وإنسان حدقة أهل الزمان ، المولى الهمام ، والماجد السامي المقام ، ذو الشرف والحسب ، والرفعة والنسب ، ريحانة روض الكمال ، وعرف طيب دوحة الإفضال ، قد اشتغل بالعلم والعمل ، ودأب حتى نال ما رجا واكتمل ، وحضر على الشيخ سعيد الحلبي وغيره من الأعلام ، ولم يزل مواظباً على الاستفادة إلى أن شرب كأس الحمام في رمضان سنة ثلاث وستين ومائتين والف .

---

(١) في منتخبات التواريخ للسيد أديب التقي الحصني : ولد سنة ١٣٤٣ هـ (وهو سهو) تولى خطابة الجامع الأموي بعد وفاة والده ، وتصدّر للنفع والتدريس ، وكان فصيح البيان كريم الصفات اهـ ملخصاً (ج ٢ ص ٦٥٩) .

السيد رجب بن السيد محمد بن السيد حمود بن السيد عثمان بن السيد محمد سلطان العجاج بن السيد حسين برهان الدين آل خزام الرفاعي الصيادي

ترجمه السيد أبو الهدى أفندي بن السيد حسن وادي فقال : الشيخ الجليل الواصل ، والولي الأصيل الفاضل ، رب الخوارق والفواضل ، الذاهل الكامل ، الواجد الماجد ، العلي الحسب ، الرفيع النسب . ولد بقرية كفر سجنا من أعمال معرة النعمان ، ونشأ بها كأبيه وجده ، ثم توفي أبوه ونشأ في كنف عمه ، وبعد وفاة عمه حصلت إشارة معنوية للشيخ الكامل السيد أحمد أفندي الجندي ثم الصيادي ، فقام من بلدته معرة النعمان إلى كفر سجنا لدار المترجم ، وأجازه وخلفه ورأى من الكرامات ما يحير العقول ، وقد ذكر بعضها السيد أبو الهدى المرمى اليه في تنوير الأبصار ، كإبراء المقعد والمجنون والملووق ، والإخبار ببعض المغيبات ، والإنفاق مما لا يعلم له أصل ولا سبب ، بل من كنز الغيب ، وإقبال الخاص والعام عليه ، وقال في آخرها : ولو أردنا تعداد كراماته الثابتة المتواترة لاحتجنا إلى مجلد كبير (١) نشأ بقريته على البر والتقوى ، وكان حليماً

---

(١) ترجمة السيد رجب الصيادي في « التنوير » ، المطبوع بالقطع الكبير في (ص ١١٨ ـ ١٢١) . وهي مملوءة بهذه العجائب والغرائب ، (قال) : وظهر على يديه من الخوارق ما لا يكاد يحصى ، وذكر منها أشياء كثيرة ، وأعلن أنها مشاهدة مشهورة . قلت : إن ما عدّه « التنوير » من خوارق العادات ، حكاياته لا تحصى كثرة في جميع الأمم على تراخي العصور . ولو ثبت ظهور ما يحير العقول ، كإبراء المقعد والمجنون والملووق ، وكتكثير الطعام القليل ، وكازالة الخوف والضرر ، في أشد ساعات الخطر ، لو ثبت ذلك كلّه ، لكان رحمة من الله تعالى يظهرها على أيدي بعض الصالحين من عباده ، بأسباب روحية أو مادية . وكم ذا رأينا من قعد بهم المرض عن القيام ، ومن منعهم من —

سليما ، مبارك السريرة ، طاهر العقيدة ، متمسكاً كل التمسك بآثار السلف ، محبـاً للمسلمين ، وكان لا يفتر عن الصلاة على النبي ﷺ ، وعن تلاوة الفاتحة . توفي رحمه الله سنة ثمانين ومائتين والف ودفن بكفر سجناء . انتهى ملخصا باختصار .

الشيخ رحمة الله بن محيي الدين بن أحمد بن مصطفى بن اسماعيل ابن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي

فخر الأعيان ، ونخبة الزمان ، وكعبة الأوان ، وصفوة ذوي القدر والشأن . ولد بدمشق سنة خمس عشرة ومائتين والف ، وقرأ على الأفاضل ذوي الفضائل والفواضل ، وكانت عنده مكتبة عظيمة وقد احتوت على أكثر تأليفات جده العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي (١) وتقدم في الجاه وعلا ، وصار له شهرة حسنة بين ذوي العُلا ، وكان جميل المنظر حسن الذات يهابه من رآه ، ويعترف بأنه من ذوي الفضل والجاه ، وكان حافظاً للوداد ، ولا يُنسيه صديقَه طولُ الزمان ولا النّوى والبعاد ، مات بدمشق في سادس وعشرين من صفر سنة الف ومائتين وتسع وسبعين ودفن في مرج الدحداح وقبره ظاهر معروف .

ـــ الكلام ، ومن هدّت قوائم الآلام . وقد أنفقوا ما يملكون على أجور الأطباء والمشايخ ، وشراء الأدوية والعقاقير ، فلم يفدهم ذلك . رأينا بعض من فتنوا بمدعي الطب الروحاني قد سلبوا أموالهم وعقولهم معهـــا . والصواب هو الأخذ بالأسباب ، والتوكل على ربّ الأرباب ، جلت حكمته .

(١) في منتخبات التواريـــخ : وقد أثنى المؤرخون عليه وعلى آبائه وأجداده الأئمة الأعلام ، وذكروا مؤلفاتهم وآثارهم ، وتقدم ذكر أكثر رجالهم في كتابنا ، من الضوء اللامع والكواكب السائرة والمحبّي والمرادي والغزي اه ملخصاً (ج ٢/٨٥٦) .

الشيخ رشيد القلعي الشهير بقمبازة بن الشيخ نجيب الحنفي الدمشقي

ولد بدمشق سنة الف ومائتين وثلاث وعشرين وقرأ على والده إلى أن صار له يد في العلوم ، وقرأ للطلبة في جامع بني أمية ، وأخذ عن الشيوخ العظام ، ثم غلب عليه نوع من البله والجذب ، وكان له نوادر عجيبة ، ووقائع غريبة ، وإذا أردت أن أذكر نوادره فانها كثيرة تخرجنا عن المطلوب من الاختصار ، مات ثالث عشر شعبان سنة اثنتين وثلاثمائة والف ودفن في باب الصغير .

الشيخ رضا افندي بن اسماعيل بن عبد الغني بن محمد شريف الدمشقي الشافعي

الشهير بالغزي ولد بدمشق سنة ثلاث وثلاثين ومائتين والف ونشأ في حجر والده واشتغل في الطلب على علماء دمشق ومن أجلّهم فقيه العصر وعالمه العلامة الشيخ سعيد الحلبي وعمر افندي الغزي والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ عبد الرحمن الطيبي والشيخ حامد العطار ، وبرع وفاق واشتهر في الآفاق ، وتولى نظارة جامع بني أمية ، فخدمه حق الخدمة ، واشتغل في تعميره وبذل كامل الهمة ، وكان مفرداً بالسعي في الصلح بين الناس .(١) توفي سنة ست وثمانين ومائتين والف ودفن في الدحداح .

---

(١) كانت تناط به المشكلات لحسن إدارته ، فيحلها حلاً مرضياً . ولما كانت حادثة النصارى بدمشق نال من الوزير ، فؤاد باشا الشهير ، منزلة كبيرة ، وذلك لمساعدته النصارى حال نكبتهم في تلك الفتنة العظيمة اه من روض البشر .

الامير رضوان الطويل المصري

قرأ على الشيخ عثمان الورداني وغيره ، وكان له اليد الطولى في الحساب والفلك والميقات (١) ، فبرع وتقدم ، وأنجب وحسب ورسم ، وأشغل فكره بذلك ليلاً ونهارا ، ورسم الأرباع الصحيحة المتقنة الكبيرة والصغيرة والمزاول والمنحرفات وغير ذلك من الآلات المبتكرة ، والرسميات الدقيقة ، واتسع باعه في ذلك واشتهر ذكره ، إلى أن قطفت يد الأجل ثمرة حياته ، وأطفأت رياح المنية أنوار ذاته ، وذلك سنة خمس ومائتين والف رحمه الله .

رفيق بك بن المرحوم محمود بك بن المرحوم خليل بك العظم

الهمام الذي يتناول المعالي بثاقب حزمه ، ويصيب الأغراض بصائب سهمه ، ذو الشمائل الناطقة بسمو فضله ، والدلائل الدالة على علوه ونبله ، من تناولت حديثه الألسن العادلة ، وتناقلت نفيسه الأندية الحافلة ، وهو من بيت لهم في الشام مجد معلوم ، وقدر في سلك الرفعة منظوم ، ولد في دمشق الشام سنة الف ومائتين واثنتين وثمانين ، وتربى في حجر والده إلى أن بلغ التاسعة من عمره وضعه في مدرسة من مدارس الروم لتعليم اللغتين العربية والفرنساوية بقواعدهما ، وبعد سنة خرج منها لوفاة والده ، وكفله شقيقه الأكبر خليل بك فأحسن تأديبه ، إلا أنه لم

---

(١) الغرض من علم الفلك والمواقيت معرفة أزمنة الأيام والليالي وأحوالها ، وكيفية التوصل اليها ، لتعيين أوقات العبادات وتوخي جهتها . وعلم الأرصاد يتعرف منه كيفية تحصيل مقادير الحركات الفلكية ، بوضع الآلات الرصدية ، وما ذكره هنا من رسم الأرباع والمزاول والمنحرفات ، فهي آلات يتوصل بها إلى تحقيق ذلك كله ومعرفته . على أن رجال الفضاء في عصرنا قد دخلوا في دور العمل ، وارتفعوا بطائراتهم مئات الأميال ، وبلغوا أقاصي الشرق والغرب في ساعات قليلة وقد كان ذلك يحتاج إلى سنين طويلة « علم الإنسان ما لم يعلم » .

يستطع حسن تعليمه لأنه كان ضابطاً في الجندية كثير التنقل من بلد إلى بلد ، فوضعه في مكتب من مكاتب دمشق لتتميم قواعد اللغتين التركية والعربية ، وحسن التكلم بهما ، فمكث به نحو ثلاث سنين فأتقن بهـا التركية والعربية والكتابة ، ثم إنه فترَ عن التعـلم إلى أن بلغ السنة الثامنة عشرة ، تحرك في نفسه حب التعلم ومال الى الانكباب على المطالعة ، خصوصاً في كتب الفلسفة والتاريخ ، اقتداء بشقيقه الاكبر الذي كان شديد الميل إلى التاريخ والفلسفة وعنده كتب كثيرة منها ، فلازم بعض الدروس العربية على بعض الاساتذة مدة قصيرة ، وفي غضونها مال كل الميل إلى الشعر والأدب فدأب على مطـالعة كتب الشعر ، وحفظ من القصائد والمقاطيع مقداراً وافراً ، ثم اشتغل في نظم الشعـر قبل سن العشرين وكثر تردده على أهل الأدب ومجالس العلمـاء . وفي سنة الف وثلاثمائة وواحدة أخذه المرحوم خالد عبد الله بك إلى مصر وكان ساكناً بها ، فترقى بها إلى درجة عالية ، إلا أنه لكثرة المطالعة والسهر أصيب بمرض العصب بعد مرور سنة من اقامته في مصر ، فاضطر إلى ترك المطالعة وسافر إلى الآستانة العلية ، ثم إلى الشام لأجل تبديل الهواء ، ولما عوفي بحمد الله من المرض هجر الشعر ونظمه ، ومال إلى الإنشـاء ومعاشرة العلماء ، وأخصهم الأستاذ الكبير الشيخ طاهر المغربي الدمشقي ، ثم عاد إلى مصر عام الف وثلاثمائة وثلاثة ، وحيث كان الحال يومئذ في مصر غير الحال الذي في سورية حصل فيه نباهة لما لم يكن يعهده من قبل ، فألف رسالة سماها « البيان لأسباب التمدن والعمران » وعرضها على المرحوم الشيخ عبد الهادي نجا الأبياري أحد كبار العلماء المصريين فرغبه في طبعها ، ثم عرضها على العلامة المرحوم السيد محمد بيرم التونسي صاحب صفوة الاعتبار ونزيل مصر يومئذ فرغبه بطبعها أيضاً ، على أنه بعد ذلك أدرك أن هذين الفاضلين مارغباه بطبعها إلا تنشيطـاً له لأنه في

اعتقاد المترجم أن الرسالة ليس فيها شيء مما يهم من الفائدة والعلم . هذا ولم يزل مثابراً على المطـــالعة حتى آنس من نفسه قدرة على الكتابة في الجرائد ، وأول ماكتب في جريدة الأهرام سنة الف وثلاثمـائة وعشر ثم في مجلة الهلال ، ثم في جريدة المؤيد ، وجريدة الموسوعات ، والمنار ، وغيرها من الجرائد والمجلات ، والف في أثناء ذلك رسالة كيفية انتشار الأديان عام الف وثلاثمائة واثنى عشر . وحاول في تلك السنة والتي قبلها تعلم اللغة الفرنساوية ، لكن منعته منه الشواغل أكثر من ستة أشهر ، فترك تعلمها مع غاية الأسف ، وبعد ذلك لازم الإمام العلامة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، فاستفاد من علمه الواسع و آرائه العالية فوائد عظيمة ، أزالت عن بصيرته حجباً كثيفة ، ورأى في نفسه ملكة قدرة التأليف ، فألف كتاب الدروس الحكمية، ثم كتاب « تنبيه الأفهام إلى مطالب الحياة الاجتماعية والإسلام » ثم استفزه الولع بتاريخ الإسلام إلى وضع تاريخ جديد لمشاهير الإسلام من أهل الحرب والسياسة على غير النمط المعهود عند المسلمين ، أي على أسلوب جديد يمثل رجال الإسلام في أجلى مثال وأظهره ، بحيث يتناول في ذلك التاريخ كثيراً من أخبار دول الإسلام الاجتماعية والسياسية ، وأفيض في البحث في فلسفة التاريخ الإسلامي على وجه يتضح به حال تاريخ الإسلام ، فباشر ذلك التأليف على صعوبته عام الف وثلاثمائة وتسعة عشر ، وأتم منه الجزء الأول في سيرة أبي بكر ومن اشتهر في دولته في تلك السنة تأليفاً وطبعاً ، ثم في أواخرها أتم الجزء الثاني في سيرة عمر بن الخطاب ، ولشدة البحث والتنقيب في الكتب عاوده في أثناء تأليفه المرض القديم ، فأتمه بكل مشقة ، واستراح إلى سنة الف وثلاثمائة واحدى وعشرين ، فكتب الجزء الثالث في سيرة المشهورين في دولة ابن الخطاب وطبعه ، وانه لمشتغل في تتميمه راجياً من الله سبحانه التيسير (١) فجزاه الله خير الجزاء على هذه الخدمة الإسلامية ،

---

(١) يسّر المولى سبحانه وأتمه ، وطبعت هذه الأجزاء الأربعة مراراً ، ونفدت نسخها .

والمأمول ان الله سبحانه ، يهون عليه تأليف كتب كثيرة ينتفع بها الخاص والعام من جميع الأنام . وانه الآن قد توطن في مصر وتأهل بها ، ولم تزل أوقاته معمورة بالمطالعة والكتابة والتأليف والتصنيف ، والعبادة الحسنة والأخلاق المستحسنة ، والتمسك بالسنة والكتاب ، والعمل بهما من غير تعصب ولا تأويل موقع في التباب ، ولا يميل إلى العمل والقول بالتقليد ، بل يقول ان العمل بالأصلين الشريفين هو لكل سعادة اقليد ، وله من النظم البديع ، والنثر المزري بزهر الربيع ، مقدار عظيم ، يشهد بأنه صاحب اليد الطولى والفكر الجسيم ، فمن نظمه متغزلاً قوله :

سل سيفاً وصال فينا بأسمر ... من قوام ومقلة تتكسر
عربي قد أعربت عن فؤادي ... مقلتاه بما به قد تسعر
ان سقما بمقلتيه تبدّى ... ليس سقماً بل ربما السكر اثر
يا بروحي أفديه ظبي غرير ... ناحل القد ناعس الطرف أحور
ان تهادى رأيت غصناً رطيبا ... يتثنى وان رنا فهو جؤذر
رق معنى فكاد يرشف بالكأ ... س كخمرٍ بها النسيم تعطر
وتباهى على الهلال بحسن ... هو أبهى من الهلال وأبهر
لو رأت حسنه الشموس لولت ... بذيول من الحيا تتعثر
يا حياة القلوب جد بحياة ... لقتيل بحبك اليوم يشهر
وتدارك بقية من عليل ... كاد يخفى من السقام ويدثر
فتعطف على المتيم يوماً ... بوصالٍ أحيا به أو فأقبر
وامزج الدل بالترفق يا من ... بهواه أولو الصبابة تفخر
ان من يرحم المحب ويرفق ... بقتيل الهوى يثاب ويؤجر

وله أيضاً

كفى بالهوى دمعاً يسيل ومهجة ... تذوب وأحشاء يمزقها الهجر
معذبتي جودي علي بنظرة ... يضم عظامي بعدها اللحد والقبر

وله

جزى الله من أضحيت فيه متيما شجياً بمعناه الجميـــل أهيم
تعمد قتلي بالهوى دون جنحة على أن قتّال النفوس أثيم
رضيت بما يرضى لنفسي دائماً أخاف عليه الإثم وهو عظيم

وله

أحبة قلبي والذي قاد للهوى فؤادي وأحشائي وقلبي المقطع
إذا جدتم بالوصل ذلك منة وان رمتم قتـلي فلا أتمنع
ومن كان مثلي صادق الودّ بالهوى صبوراً فلا والله لا يتوجع[1]

الشيخ رشيد بن الشيخ طه بن الشيخ احمد العطار

طلب العلم في صغره ، وبذل في الإقبال على الترقي نقود عمره في جده وسهره ، فقرأ على علماء عصره ، الموجودين في بلدته ومصره ، ومن أجلهم عمه المشهور في الأقطار ، الشيخ حامد بن الشيخ أحمد العطار . وبعد وفاة عمه أقبل على طلب النيابة باجتهاده حتى كانت أكبر همه ، فلم يزل يتولى النيابات ، إلى أن مات ، وكان جسوراً في الكلام ، له في المحاضرة نوع المام ، يحفظ كثيراً من النوادر ، وواقعات الليالي العوادي الغوادر ، فعقد وداده غير محلول ، ودوام حديثه غير مملول ، ويظهر العفاف عن الحرام ، والانكفاف عن موجبات الآثام ؛ والتباعد عن الرذائل ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وان كان المسموع ، خلاف هذا الموضوع ، والله أعلم بحقيقة الحال ، يجازي بالجميل على الجميل ، وبغيره على قبيح الأفعال .

---

(١) أجمع واصفوه رحمه الله ، على أنه العالم المؤرخ ، والكاتب الاجتماعي ، والعامل السياسي ، والشاعر الناثر . وكنت استشرته إذ كان بدمشق : أنطبع (حلية البشر) بتمامه أم مختصره ؟ فكان رأيه موافقاً لرأي (المجمع العلمي) بطبع الأصل على حاله ، والتعليق عليه . توفي بالقاهرة سنة (١٣٤٣ هـ) ولم يرزق أولادا .

ثم ان المترجم المرقوم قد غلب عليه التشيع ، والتضلع في علومه من غير تمنع ولا تورع ، وكان عنده فيه كتاب موسوم بينبوع الينابيع ، ملازم له ولأحكامه مطيع . توفي رحمه الله في جبل عجلون حينما كان به نائباً ، وذلك عام الف وثلاثمائة وستة عشر ودفن هناك ، رحمه الله تعالى وكانت وفاته عن نحو ثمانين سنة تقريباً .

السيدة رقية بنت المرحوم الشيخ ابراهيم بن الشيخ مصطفى السعدي

البرة التقية ، الصالحة النقية ، الزاهدة الصوامة ، العابدة القوامة ، المقبلة على صالح الأعمال ، والمدبرة عن رذائل الأفعال والأقوال ، وكانت ذات سريرة صافية ، ولطافة وافرة وافية ، ولدت نحو الف ومائتين وخمسين تقريباً ، وتزوجت بصاحب التاريخ سنة الف ومائتين وثمانين ، ورزقت منه بأولاد لم يبق منهم سوى النجل الصالح السيد محمد سعدي أحسن الله حاله ، وأنجح آماله[1] ، وكانت مواظبة على صيام رجب وشعبان ، وعلى صيام الاثنين والخميس ، وعلى صيام عشر محرم ، وعشر ذي الحجة ، مع المحافظة على فرائض صلواتها وسننها ، إلى أن تمرضت بداء الاسهال ، وماتت في يوم الجمعة الحادي والعشرين من صفر عام الف وثلاثمائة وسبعة عشر .

الشيخ راغب بن المرحوم الشيخ عبد الغني السادات الدمشقي

امام فقيه ، وهمام نبيه ، وفاضل نبيل ، وكامل جليل ، ولد سنة الف ومائتين وخمسين تقريباً ومن حين صغره نشأ على التقوى ، لأنها للوصول السبب الأقوى ، وتعلم ما يرفع إلى المقام الأرفع ، فتفقه على مذهب امام الأئمة أبي حنيفة النعمان ، ثم دأب على طلب التوحيد والحديث وتفسير القرآن ،

---

(١) توفي قبل وفاة أبيه بأكثر من عشر سنين ، رحمها الله تعالى .

وكان له في بقية العلوم يد طائلة ، وفكرة في مناهج الصواب جائلة ، فقرأ على أفاضل مصره ، إلى أن صار من ذوي الفضائل في عصره . وله رسائل شريفة ، وتقريرات لطيفة ، واستظهارات حسنة ، وأفكار مستحسنة . ومن رسائله التي نهجت منهج الصواب ، وسلكت مسلك السداد بلا ارتياب ، الرسالة التي رد بها على رسالة خالد افندي الأتاسي الحمصي ، وبيان ذلك انه اتفق بعض المتأخرين من علماء السادة الحنفية على ان المرأة إذا ادعت بعد الدخول على زوجها بمقدم صداقها فلا تسمع دعواها ، ومضى على ذلك مدة طويلة ضاع بها حقوق كثيرة . ثم انه لما تولى افتاء الشام محمود افندي الحمزاوي ، وجد ان هذا الافتاء خارج عن الأصول ، ولم يساعده معقول ولا منقول ، فألف رسالة حقية ، مطابقة للقواعد الشرعية المرعية ، وصار يفتي عن هذه الدعوى بالسماع ، من غير تأخر ولا امتناع . فلم يقدر أحد على مراجعته ، إلى انتهاء مدته ، وبعد وفاته ، رد عليه عالم الديار الحمصية خالد افندي الأتاسي جانحاً لعدم سماع الدعوى ، واعادة الناس إلى الوقوع في تلك البلوى ، مع انها زور وبهتان ، ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا جاء بها سنة لاو كتاب ، ولا وجدنا لها في أدلة الشرع من باب ، فتصدى له هذا الفاضل المترجم ، ورد عليه رداً يبطل ما به فاه وتكلم ، بالأدلة الواضحة ، والبراهين الراجحة ، ثم انه بعد اتمامها ، وتكميل أرقامها ، وعرضها على بعض الناس ، وكتابتهم عليها بأنها حق بلا التباس ، أرسلها إلى العاصمة الإسلامية ، لكي تعرض على المشيخة العلية ، فبعد عرضها ومطالعتها مطالعة تحقيق ، حازت على توقيع التصديق ، بأن ما اشتملت عليه ، هو الذي يصار في الحكم اليه ، فأحق الله الحق وأبطل الباطل ، وذهبت زخرفة المزخرفين بلا طائل .

هذا وإن المترجم المرقوم ذو أخلاق حميدة ، وشمائل وحيدة ، وكرم وكمال ، وعفة وجمال ، له في التجارة يد عالية ، وهمة سامية ،

فلا يتناول من أحد قليلاً ، ولا حقيراً ولا جليلا ، بل ينفق على بيته وعائلته ، مما يكتسب من تجارته ، مع قيامه بوظيفة الإفادة ، وإقراء الدروس حسب العـــادة ، ولم يزل بحمد الله يحل المشكلات بفكره ، ويعطر الدروس بنفثات صدره ، ويفوف برود التحرير ، ويظهر شموس التحبير في التقرير ، ويروي الطالبين من بحر علمه ، ويشنف آذانهم بفرائد فهمه . فلا زال يعلو مقامه ، ويسمو جاهه واحترامه ، ويمنـح الله به ذوي الطلب ، كل ما راموه من علم وفهم وعرفان وأدب . آمين .

السيد زاهد أفندي بن السيد محمد نجيب بن موسى الحسيني العمري الشهير بالالشي

أديب للبديع من القول منسوب ، وأريب بألفٍ من ذوي البدائـع محسوب ، إن تكلّم أزرى كلامه بعقود الجمان ، أو تكمل قلت هذا مَلَكٌ في صورة إنسان ، تتستر الملاحة في غلائله ، وتتقطر الرجاحة من شمائله ، تمسحُ خِلالُه قَذَى العيون ، فما تراه إلا وهي نقية الجفون ، وطبعه كالروض صقلت يَدُ الصبا ديباجةَ وجهه الوسيم ، وتلقت النفوس قبوله تلقي النشوان بَرْد النسيم ، غرائبُ أحاديثه زادُ النفوس وقُرْطُ الأسماع ، يتجاوز بها غاياتٍ لم تختلـج في خواطر الأطماع ، تفعل بالألباب فعل بَنَاتِ الدنان ، وما السحر لعمري إلا سحر ذلك البيان ، فلله دره من همام وافر الحظ من البراعة ، صـائب اللحظ في نقوش البراعة . قد اكتسب الأدب بكده وجده ، وانتهى من عالي الأرب إلى أقصى حده . للمعاني الأبكار مخترع ، ولبنات الأفكار مفترع ، وله حسب طرّزكُمّ الأحساب ، ونسب تباهت بنسبته الأنساب ، ألا وإن القلوب أجمع قد جبلت على محبته فلم يكن لها في سواه مطمع ، فلذلك كان مقره من العين السواد ، ومحله من القلب حبة الفؤاد .

ولد في رجب الفرد ، وكان الطالع طالع اليمن والسعد ، وذلك سنة الف ومائتين وثمان وأربعين ، من هجرة سيد الخلق النبي الأمين . ونشأ في حجر والده فلما بلغ سن التمييز ، أرسل به إلى المؤدب لتعلم القرآن العزيز ، ثم بعد أن أتمه وأتقن آدابه ، أخذ في إتقان الخط والكتابة ، ثم أكب على الطلب والتحصيل ، فلازم الأساتذة ملازمة المدلول للدليل ، إلى أن بلغ مطلوبه ، وحصل مراده ومرغوبه ، من كل علم رفيع ، وفن بديع :

همام علا في الورى قدره إلى غاية جل أن توصفا
فتى قد تأثل من دوحة سمت في سما المجد والاصطفا

وإن بيني وبينه من الوفاق ، ما انعقد على احكامه الاتفاق ، ومن المخاطبات الرقيقة ، والمراجعات الأنيقة ، ما يزري بلطف النسيم ، ويشغل الصب عن الوسيم ، ولا يستغرب ما بيننا من كامل المحبة والوداد ، لأن هذا الاتفاق موروث عن الآباء والأجداد . وانه له نظم رقيق ، ونثر بديع أنيق ، وحافظة تميل إلى الصواب ، ولافظة أعذب من عود الشيوخ إلى الشباب . وقد حضر شيوخ عصره ، الكائنين في بلدته ومصره ، كالشيخ هاشم البعلي ، والشيخ عبد الله الحلبي ، والشيخ محمد الطنطاوي ، وتفقه في مذهب الإمام أبي حنيفة ، وجلس في نيابة محاكم الشام الشرعية مدة طويلة ، وجلس في محكمة الباب باشكاتب القسمة .

وفي عام الف وثلاثمائة وأربعة عشر توجه إلى محروسة الآستانة ونزل عند الشهم المحترم أحمد عزت بك بن المرحوم هولو باشا ، وكان وقتئذ الكاتب الثاني في المابين (١) ومبلغ الإرادة السلطانية ، فأجلّه واحترمه لصداقة قديمة بينهما ، ومكث عنده نحواً من ستة أشهر على الرحب والسعة ، واستحصل له في هذه المدة على معاش في كل شهر عشر ليرات عثمانية ،

(١) الديوان الملكي .

وعلى نيابة قضاء دوما . وغب حضوره إلى الشام ذهب إلى محل نيابته ، وذلك غرة جمادى الأولى سنة الف وثلاثمائة وخمس عشرة . وكان في مدة نيابته حسن السيرة ، ممدوح السريرة ، لم يسمع عنه ميل إلى باطل ، ولا تفرقة في الحق بين عالم وجاهل ، ولا رشوة وإن جل قدرها ، ولا تعصب لقضية وان كان من الأعاظم أهلها ، وكان يهوى قبل المرافعة اجراء المصالحة ، وعدم المشاحنة والمشاححة ، فإذا لم يتمكن بذل وسعه في مصادقة الحق ومجانبة الباطل ، ولا يحكم إلا بعد النظر والتحري ومراجعة كتب الأفاضل ، وعلى كل حال فمناقبه كثيرة ، وبدائعه وبدائعه شهيرة ، بأنواع المديح جديرة ، ثم انه بعد تمام نيابته في دوما جلس عضواً في مجلس استئناف الجزاء في العادلية ، وفي أثنائها ذهب إلى الآستانة فوجهت عليه نيابة بعلبك ، ولم يمض عليه بها مدة إلا ومرض فحضر الى الشام ولم يزل مريضاً إلى أن اخترمته المنية في شعبان سنة الف وثلاثمائة وعشرين ودفن في تربة باب الصغير رحمه الله تعالى .

الشيخ زين العابدين بن جمل الليل المدني ابو عبد الرحمن بن السيد باعلوى بن السيد با حسن جمل الليل

المحدث الفقيه ، والمتفنن النبيه ، صاحب الشهرة العالية ، والسيرة الحسنة النامية ، والمآثر اللطيفة ، والمحامد الشريفة ، فخر العلاء ، وصدر الفضلاء ، ولد في المدينة المنورة ونشأ بها ، وأخذ عن والده وتكمل على يديه ، وألقت رئاسة العلوم في المدينة مفاتحها إليه ، وقرأ على غير والده من الأفاضل من جملتهم محمد بن سليمان ، ودخل مصر وزبيد ، للرواية عن كل فاضل مفيد ، ولما دخل الوهابية الحرمين ، فر ودخل العراقين ، فروى عنه أجلة من علماء بغداد ، رغبة منهم بعلو الاسناد ، وقرأ صحيح البخاري

في مجمع حافل ، فلم يدع مقالاً لقائل أو ناقل ، وكان له من الطاعة والتقوى والعبادة والزهد ما جعله معدوداً من الأوائل . مات رضي الله عنه سنة احدى عشرة [١] ومائتين والف ، ودفن في المدينة المنورة في مدفن أسلافه . وله مؤلفات بديعة ، وخدمة عالية لكتب الدين والشريعة ، من جملة مؤلفاته كتاب في المشتهر والمفترق . وله مختصر المنهج لشيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري الشافعي ، وقد شرحه أيضاً شرحاً مفيداً ، وله كتب كثيرة ، ورسائل شهيرة ، نفعنا الله به آمين ، وقد ترجمه صاحب اللآلىء الثمينة ، في أعيان المدينة ، فقال : ذو بديهة وروية ، وسليقة مرضية ، كأنها السحاب الرجاف ، والغيث الوكاف ، ارتدى من المكارم بحلل ، وحظي من المحامد بجمل ، فغرته كالهلال اضاءة واشراقا ، ومحياه كالزّهر بشاشة والزّهر ائتلاقا ، وكلامه كالعسجد طلاوة ، والشهد حلاوة ، والقطر جزالة ، ترتشف الأسماع زلاله ، وقد برع بنظم حسن المعاني ، وبديع المباني ، نظماً عليه رونق الفصاحة ، وفرند الملاحة ، يقطر كالمزن ، بودق الحسن ، كأنها الشفاه اللعس ، أو تفتير العيون النعس ، أو الخدود البضة ، وقد أزهرت بالورود الغضة ، فمن ذلك النظم الزاهي الزاهر ، والشعر الباهي الباهر ، قوله مجيبا بجواب ، كأنه في كاس اللطافة حباب ، وفي روض الحسن زهر مستطاب :

أغادة من خود حور الجنان ... تتيه ان ماست فتسبي الجَنان
أم بكر فكر من خدور النهى ... زفت بقينات بديع المعان
فاقت على أترابها مذ غدت ... فريدة الحسن رداحا حصان [٢]
أم راح الفاظ حلا رشفها ... من كف ممشوق رطيب البنان
راقت ورقت فرقى هامها ... تاج حباب فاق حبّ الجمان

---

(١) في الأعلام ومعجم المؤلفين وفهرس مخطوطات الظاهرية وغيرها انه توفي سنة ١٢٣٥ .
(٢) الرداح : الثقيلة الأوراك ، الحصان : الدرة المصونة .

ختامهـــا مسك وممزوجة بشهد ريق من رحيق اللسان
فتارة يسقيك خمر اللمـا (١) وتارة يعطيك بنت الدنان
حبابها مع لونهـــا شاكلا وجنته مع درّ فيه المصان
قد أسرت عقل أهيل الحجا وأمسكت من كل لب عنان
أم انجم لاحت بطرس أضا كبدر صيف مذ وفى واستبان
ام ذي عقود من لآل حلت قد صاغها الندب بديع الزمان
أم روضة غنـــاء غنى على أفنانها طير الهنا والتهان
أم نسمة الروض سرت سحرة ففاح منها عرف روح الجنان
تحـكي لنا باللطف أخلاق من حاز المعاني فرد هذا الأوان
الـكامل الشهم سراج الهدى خدين فخر العلم رب البيان
أنواره مذ سطعت أخجلت زهر الربا وانكسف النيّران
نجل ذوي الفضل الألى شيدوا بيوت عز دونهـــا الفرقدان
شيخ اولي الحذق ربيب الذكا رضيع البان الفخار المصان
أبدى لنـــا من بحر ابداعه دراً نظيما راق معنى وزان
نثراً ونظما قد زهى لفظـه لله ما أحسن هذا القران
كم منة قلدنيهـــا وما في ساحة الفضل أرى لي مكان
لكنه من محض أفضـــاله يقلد الأجياد عقد امتنان
فيا رفيع القدر عفواً فمـا احصى الثنا لو قلت طول الزمان
زففت لي مثرية قد حوت حر القوافي ورقيق المعان
ولست كفواً أن أرى عبدها إذ هي بلقيس الغواني الحسان
فهاك من خـــل قصيداً أتى شتيت نظم بسناك استعان
ودم سليما راقيـاً رافلاً في ثوب عز مائساً في أمان
ما ميل الأعطاف نشر الصبا وهينمت ورق على غصن بان

(١) اللمى (مثلثة اللام) سمرة أو سواد في باطن الشفة يستحسن .

وهذه القصيدة جواب عن قصيدة العلامة عمر بن عبد السلام المدرس الداغستاني التي قرظ بها نظم قصيدة طويلة للمترجم وقصيدة الداغستاني المرقوم هي :

لله ما أحسن هـذا الجمان ... قد أخجل الدر بحسن البيان
نظم بديع قد حـلا لفظه ... ويسكر السمع كبنت الدنان
له قواف راق ابداعهـا ... كعقد أجياد الغواني الحسان
مسبوكة في قالب اللطف بل ... منظومة في سلك حسن المعان
كالأنجم الزهر بافق البهـا ... بل انه الزهر بوسط الجنان
بل درر أبرزها الحذق من ... أصداف أفكار بديع الزمان
الفاضل الحجاج [1] مولى الندا ... الكامل الندب الفضيل المصان
مولى سما في أفق المجد بل ... فاز من السعد بأعلى مكان
حسيب أصل بل نسيب علا ... تالله ما أشرف هذا القران
رب المعالي والسجايا التي ... يعجز عن حصر حلاها اللسان
زين ذوي الفضل الذي خصه ... مولاه من احسانه بامتنان
رفيع قدر منتقى ماجـد ... ينزل عن عليائه الفرقدان
فاق على أقرانه رتبـة ... وصار فيهم ذا فخار وشان
له ذكاء مثـل نهر وقد ... أرخى له نظم القوافي العنان
يا أيها المولى الذي وصفه ... يضوع مثل المسك بالزعفران
اقبل بعذر من محب وفى ... نظماً حكى الطل على الاقحوان
أو حب مزن أو نسيم الصبا ... إذ هبّ فارتاح إليه الجنان
ودم بعون الله في عزة ... ممتعاً في ظل دوح التهـان

وله قصائد عديدة ، وتآليفات وتقييدات مفيدة ، وقد تقدم انه توفي سنة الف ومائتين واحدى عشرة [2] في المدينة المنورة ودفن في مدفن أسلافه رضي الله عنه وعنهم أجمعين .

---

(١) السيد المسارع إلى المكارم .
(٢) علقنا في أول ترجمته أنه توفي سنة ١٢٣٥ نقلاً عن كتب التراجم .

زين العابدين بن محمد بن زين العابدين

رحمه الله تعالى ، قد نظمه سلك عقود اللآلىء الثمينة ، في أعيان شعراء المدينة ، وترجمه جامعها فقال : خليفة سلفه علماً وفضلاً ، وذكاء ونبلا ، وارتفاعاً في سماء المجد وعلواً ، وهمة في اكتساب الفضائل منحته سمواً ، فهو فرع لحق في الفخار أصله ، واتخذ عند مَحَلّ علاهم محله ، يجد ساعده حظه وجده ، وتهلل له مبتسما بثغر القبول سعده ، فوفود الاقبال مستكنة لديه ، ومخايل العز لا تزال لائحة عليه ، وأدبه الأزهر ، أشهر من أن يذكر ، فكم له من خطب أنشاها ، وبلطائف البديع وشاها ، أحسن من الحلل المطرزة رونقا ، وأبهج من سبيك العسجد إذا لاح مؤنقا ، تعشقها الخواطر ، وتتنزه في حسنها الضمائر ، واما نظمه فهو الروض البديع ، وقد وافاه زمن الربيع ، فضحكت فيه أنواع الأزهار ، المكللة بلآلي نثار الأمطار ، والنسيم وافاها عليلا ، وجر عليها ذيلاً بليلاً ، فمن ذلك قوله مجيباً صاحب اللآلي :

لاحت كبدر لاح تحت الحندس ... وسرت بقد بالغدائر مكتسي
وتبسمت عن عقد جوهر ثغرها ... وتنسمت عن طيب عرف أنفس
وجلت لنا من أوج أفق جبينها ... صبحاً تنفس عن دجى متعسعس
وبدا لنا في روض وجنة خدها ... فياح عنبر خالها في الحرس
وغدت تذود عن الخدود لحاظها ... فحمت ورود حياض تلك الكنس
وبرت بصارم أنفها مهج الورى ... وبرت بماء رضابها للأنفس
وحقاق [1] فيها فتحت عن لؤلؤ ... في سلك مرجان المباسم منتسي
لله مبسمها الشهي إذا غدا ... متبسماً كالصبح حين تنفس

---

(١) جمع حُقة ، وهي الوعاء الصغير .

والجيد قد فضح الغزالة لفتة ... ما قدرها تحكيه غير تهجس
والصدر متسع بكل فضيلة ... تكبو صوافن خصرها بتقعس
والكف أهطل من سحاب سخاوة ... والجسم أرطب من برود السندس(١)
والخصر أوهن من قوام محبها ... والساق أصفى من زجاج الأكؤس
مذ ماس بان قوامها في كثبه ... أزرى بزانة كل ليث ملبس
شبهت طلعة وجهها في حسنها ... بدراً بدا في أوج غصن أملس
لله زائر طيفها من زائر ... وافى يدير لي السلاف فأحتسي
وأبوح من سكري بسر قد سرى ... في سر سرى للسري الأكيس
شمس المعارف بدر كل فضيلة ... رب النهى الفهامة المتفرس
نجم العوارف روض كل لطافة ... حاوي التحائف بل وخير مدرس
أكرم به من فاضل متفنن ... جمع البراعة واليراعة والقسى(٢)
شهم يفوق على الغمام نواله ... ويروق للرائين منظره الوسى
فرع لابرك دوحة محمودة ... زرع نما في سوح زاكي المغرس
غطريف(٣) أهل المجد بل خطريفهم(٤) ... جحجاج قوم السعد بدر الأطلس
شحشاح(٥) فتيان القريض سراجهم ... مصباح فتيات النثير الخُنَّس(٦)
لا زال للفضلاء يعذب مدحه ... ويطول شامخ فضله المتأسس
وعلى جميع ذويه يعلو قدره ... ويفيض نهر كماله المتبجس(٧)
ما عاهد الغيداق(٨) نافح روضة ... صبحاً فكللها بدر أنفس
أو ثغر زهر الروض يرشف بكرة ... ريق الغوادي الضاحكات النعّس

---

(١) ضرب من نسيج الديباج أو الحرير .
(٢) جمع قوس : ما ترمى به السهام .
(٣) الغِطريف : الشاب الظريف السخي والسيد الحسن .
(٤) خَطرَف : أسرع في المشي وضرب بالسيف ، فهو خِطريف وخُطرُف .
(٥) المواظب على الشيء .
(٦) الكواكب : سُميت بذلك لأنها تخنس في مجراها تحت ضوء الشمس ، أي تستتر وتخفي .
(٧) بجّس الماء : فجّره .
(٨) الغَيداق : المخصب والكريم الجواد .

عن قوله

سلب العقول بتم حسن أنفس ... رشأ بسيف الجفن مردي الأنفس

رشقت لواحظه السهام بمهجتي ... أو ماترى تلك الحواجب كالقسي

ماست معاطفه فخلت قوامها ... غصناً يفوق على القنا والمدعس[1]

وغـــدا بلا شك بخنجر أنفه ... يفري الحشايا صاح والقلب القسي

أحببْ به بدراً ربيع محاسن ... روض الجمال غدا بغير قلبس

سقيت بماء الحسن وردة خده ... واخضر شاربه كزئبر[2] سندس

لو لم يكن جمع الزهور بهاؤه ... ما كنت تبصر عينه كالنرجس

كالأُقحوان ترى ثناياه إذا ... ما لاح مبتسماً بثغر ألعس[3]

بل انها تحكي لسمْط لآلىء ... تحت العقيق من الشفاه اللعس

فيه المعتق من شهي رضابه ... يا بخت صب من طلاه يحتسي

حاز التقابل في الجمال فوجهه ... صبح وذاك الشعر حالك حندس

كالمـــاء والنيران دارة صدغه ... فاقبس ورد باللحظ أو بتهجس

كالظبي خلقا والهزبر سطـاوة ... باللحظ يفرس كل أحوس حلبس[4]

لله ليلة جمعنـــا في السفح إذ ... نانمـــا المرام وبغية المتملس[5]

مع ذلك النفار عن وصلي وقد ... أمسى يطارحنا بلفظ مونس

والليل قد ألقى سجوف ظلامه ... ونجومه ترنو كأعين حرس

فظللت أحسو خندريس وصاله ... حتى أضاء الصبح حين تنفس

كضياء مولينا أخي الفخر الذي ... بمطارف[6] المجد المؤثل مكتسي

زين الأفاضل بل فريدة عقدهم ... بل در تيجان العلا والقونس[7]

قرم غدت مثل الكواكب خيمه ... وغدا كمثل البدر فوق الأطلس

---

(١) المدعس : الرمح يطعن به .
(٢) ما يظهر من دَرْز الثوب .
(٣) فيه سواد مستحسن .
(٤) الأحوس : الشجاع الجريء . والحلبَس : الشجاع ، واسم من أسماء الأسد .
(٥) تملّس من الشراب : صحا ، ومن الأمر : أفلت وتخلّص .
(٦) جمع مُطرَف ، وهو رداء من خز ذو أعلام .
(٧) أعلى الرأس .

السعد خادم فضله السامي وما أحجاه يخدم بالجواري الكنّس
مبتوّىء من قمة العليا على فلك أشم من المعالي أقعس[١]
روض لأصناف المحامد والثنا فرع عليّ الأصل زاكي المغرس
مولى غدا يحسو بعزم علاه من خرس[٢] المعارف مفعمات الأكؤس
يا أيها المولى الهمي بيانه كالغيث حين تهمع وتبجس
انعشت قلبي من نظام فائق وجلوت عنه كل هم موئس
كالزهر غب القطر كلله الندى أو كالحلي إذا بدا بتهسهس[٣]
فسعيت نحو اشارة فيه بدت كيما انال بسعدكم لتأنس
فاقبل نميقة مشغل ما نمقت لكن بكم تزهو بأفخر ملبس
لا زلت ترفل في برود معزة سامي الرحاب مدى سجيس الأوجس[٤]

وله من أخرى

فتكت بسيف الغنج مهجة صبها وباسمري القد جسم محبها
وتدرعت حقاً بثوب جمالها فاستأسرت اسد الشراء بعضبها
برزت بميدان التفاخر طفلة فالقرم بدد من أسنة هدبها
وبدت بايوان التغزل ظبية فتحجبت منها الشموس بحجبها
سفرت خمار الأنس عن ذاك السنا فتكورت شمس الدنا في غربها
كشفت عن الراحات قلت مشبهاً بدر الحوالك قد بدت من سحبها
وجلت لنا كأس المحبة والهنا وملته راحاً من معتق شربها
وشدت بألحان الرباب وزينب وبثينة العشاق نخبة سربها
فسكرت من ذاك المدام فلا أعي وطربت من ذكر الرباب وقربها

---

(١) مائل الرأس والظهر والعنق، ورأينا هذا في المجدين المتعبين، وهو أيضاً كناية عن التواضع.
(٢) الخرس والخرس : الدّن .
(٣) تهسهس الدرع والحليُ : صات .
(٤) السجيس : ذو السجَس ، يقال : « لا آتيك سجيس الليالي » أي مدة الليالي .

وله من أخرى

أرى القلب مغرى مغرماً بالتغزل ... حَليف جوى يصبو الى كل عَيْطل (١)
يسامر زهر الليل يشكو لها الذي ... يقاسيه في ذاك الجمال المكلل
وينشد عن ليلى ولبنى وزينب ... وينعم مع هند ويصبو لمنزل
فليلى سويدا القلب حلت وغيرها ... رسوم وأسماء تزال بمعول
فشاهد سنا ليلى فضوء جبينها ... هلال يعيد الوجد بعد التنصل
وحاجبها قوس اراش لأسهم ... اصابت فؤاد الواله المتعلل
وأعينها حور حُمين بِبُتَّرٍ ... وهاروتها بالسحر قد صار مخبلي
ومسند جنح الجند مرسل ادمعي ... ومقطوع صبري في الهوى لم يوصل
وكافور خديها تنفس فجره ... بعنبر خيلان (٢) يفوح كمندل (٣)
ومبسمها الزهري أشرق نوره ... على شفق يبدو بذاك المقبل
ومرشفه راح ببابل صنعه ... فمن ذاق منه رشفة لم يعلل
وجيد لها يحكي الغزالة صوره ... وما قدرها تحكيه غير تخيل
وراحات أيديها كبدر دجنة ... وصدر كقرص الشمس في حين ينجلي
فدائي هواها والدواء وصالها ... وحالي لا يخفى على المتأمل

انتهى . ان هذا المترجم قد مات في القرن الثالث عشر ولم أقف على تعيين تاريخ موته رحمه الله تعالى .

★ ★ ★

---

(١) الطويلة العنق في حُسن .
(٢) الخيلان مفردها خال وهو الشامة السوداء في البدن .
(٣) المندل : العود الطيب الرائحة .

حرف السين المهملة

القاضي سالم بن محمد الدرمكي من علماء البحرين[١] وعمان[٢]

أديب هو في وجه الزمان غرة ، وأريب ليس للزمان منه سوى الجمال والمسرة ، قد امتطى متن البديع والبيان ، وركب ظهر البحرين وعمان ، وقد ترجمه احمد بن محمد الأنصاري فقال ما ملخصه : القول فيه انه أشعر أهل مصره ، وخاتمة بلغاء قطره ، مَلَكَ أزمة البراعة واللسن ، وظفر بكل معنى برائق حسن ، اجتمعت به غير مرة لاستنشاق أرج أنفاسه ، في خميلة أرض هي مسقط رأسه ، فوجدته سالماً من الفظاظة كاسمه ، متحلياً بحلية الفضل اللامع ، نوره من محاسن نثره ونظمه ، فمن لطائفه قوله من قصيدة أرسل بها إليّ متشوقاً وأنا إذ ذاك باليمن الميمون :

فيا أبيض الأخلاق والوجه أنا مذ تناءيتَ أيّامي غدت كلُها سودا
ولا زلت ان أتهمت يهوى تهامة فؤادي وان انجدت يوماً هوى نجدا[٣]
فمهما تسر يشفعك قلبي أينما توجهت لا تسعى إلى وجهة فردا

---

(١) في كتاب « جغرافية البلاد العربية » : وتتألف امارة (البحرين) من مجموعة جزر صغيرة تقع أمام شاطىء الأحساء .

(٢) في (ج ١) من كتاب العالم الإسلامي : وتنقسم طبيعة أرض عُمان إلى قسمين : تهامة ومنطقة جبلية ، ففي تهامة عُمان ، سهل واسع يدعى البطينة وهو خصب تكثر فيه أشجار النخيل والموز والرمان وغيرها ، ويزرع فيه كثير من أنواع الحبوب .

(٣) نجد : هي بلاد جبلية في شمالي جزيرة العرب ، نقيضها تهامة ، وهي البلاد الساحلية الغربية .

وذكرك في قلبي يلذ وفي فمي كأني أحسو من تذكرك الشهدا
نأيت فعن جفني نأى بعدك الكرى فهل كنتما وكلتما للنوى وعدا
فيا أحمد المحمود طبعاً إلى متى بأفعالك الحسنى تعلمني الحمدا
لقد ند عنك السوء يا ابن محمد ودمت كريماً لا تصيب له ندا

وقوله في ذكر المحبوب عند الشدة والكروب :

ولقد ذكرتك يا بثينة في السفر والفلك في البحر المحيط قد انكسر
والموج من طوفانه متلاطم والموت للأنياب منه قد كشر
والناس قد غرقوا معاً إلا أنا أرجو الحمام تجاه وجهي ما استتر
وبقيت في لوح غريق كله والماء لي كلي إلى رأسي غمر
ومكثت حيناً من طعام معدماً فيه وتذكاري يقوم به الذكر

ويعجبني قوله من قصيدة مدح بها السيد النبيل ، محمد بن خلفان الوكيل ، عليهما رحمة الملك الجليل :

نفسي فدى الإلف الذي صار بي براً وما عاينت منه جفا
شمائل راقت ورقت له فمنه ما أحلى وما ألطفا
كأنه في حسن أخلاقه لنجل خلفان الوكيل اقتفى
محمد مَن ما هفا قلبه لريبة قط وعنها هفا
لم يك بالمخلف عهداً ولا كل امرىء فوه يُرى مخلفا
يجود بالمال ويسطو فكم أمن من قوم وكم خوفا
وما أتاه مذنب تائبا يطلب منه العفو إلاّ عفا
ما شدد الدهر على شيعة إلاّ عليهم جوده خففا
وبالندى منه يوفيهم إذا رأى الدهر لهم طففا
إذا قضى أو جاد أو صال أو قال حكى في فعله المصطفى
يصلح ما اختل بتدبيره مارتقت دنياه إلاّ رفا

توفي رحمه الله عام الف ومائتين وبضعة عشر .

الإمام الامجد سعيد بن الإمام أحمد البوسعيدي
من علماء عمان والبحرين

قال صاحب الحديقة : ماذا أقول فيمن تفرع من جرثومة السيادة ، وترعرع في رياض الحبور والسعادة ، وتتوج بتاج العز الأزهر ، وحظي في دهره بالعيان الأخضر ، وتطاول نواله ، واتسع في الفضل مجاله[1] :

كلت الألسن عن أوصافه وغدا المدح به مفتخرا

فمن لطائفه ، وبديع طرائفه ، ما كتبه إلى أخيه الهمام سلطان ابن أحمد الإمام :

إذا شحت الخضراء بالوبل فالتمس تجد جود سلطان على الناس كالمطر
فإن عز مطلوبي فليس شماتة وإن حصل المطلوب فالفوز بالظفر

وقوله يرثي ولده السيد حمد رحمه الله تعالى :

وافى حمامك يا حبيبي بالعجل نار تلهب في ضميري تشتعل
يا من له شرف وفضل في الورى أمسى وحيداً مفرداً دون الأهل
الله أكبر من مصاب عمنا هماً وغماً لا يبيد ولا يفل
حمد حوى المجد الشريف تغيرت أيامه قد كان يضرب بالمثل
صبراً لأولاد الإمام ومن لهم من اخوة وأقارب فيما نزل
لاغرو هذا قد أتى خير الورى لم تمنع الأموال عنه ولا الدول

وقوله رحمه الله

لهفي على زمن مضى ما ذقت أحلى منه شي
لما ذكرت عهوده جرت الدموع وقلت أي

---

(١) في ترجمته من الحديقة : وأذاق الخوارج عن الطاعة له والانقياد . مرارة الموت بعضبه وبلغ منهم المراد . ا هـ . (ص ١٩١) .

وله قصائد كثيرة ، وأبيات شهيرة ، وأوصاف ممدوحة ، وشمائل مشروحة [١] . رحمه الله تعالى .

الشيخ سعيد بن المرحوم محمد الغبرة

كان رجلاً يغلب عليه الصلاح ، واقتفاء آثار ذوي النجاح ، وطلب العلم في أول أمره إلى أن صار له ملكة وإلمام نوعاً مّا ، ولكنها لعدم كمال إقباله ما تمّا ، وأخذ الطريقة الصاوية الدرديرية ، وكان يقيم الذكر في الجقمقية شمالي جامع بني أمية ، وصار عنده جمعية كبرى ، وحصل له قبول عند الناس إلى أن استحصل التولية على أوقاف المدرسة المرقومة ، فأقبل على الدنيا بجده واجتهاده ، ففتر أمره وتنزل قدره ، وكان يقرأ درس وعظ في جامع بني أمية فكان يحضره الغرباء ، وكان له جسارة في الأمور ودأب عظيم ، وكان يخيل له أنه من كبار العلماء المدرسين ، وفي آخر أمره ذهب إلى عكة وأخذ طريق الشاذلية عن الشيخ علي اليشرطي ، بعد أن كان منكراً على هذا الطريق وأهله [٢] . وقد توفي هذا المترجم في الحمام فجاءة سنة الف وثلاثمائة ونيف .

---

(١) الأستاذ الجد يُعْنَى بالوجهة الأدبية أكثر ، وفي الأعلام للأستاذ الزركلي في وصف المترجم : ثاني الائمة البوسعيديين الإباضيين في عمان ومسقط . ولي بعد وفاة أبيه (سنة ١١٩٦ هـ) وأقام في الرستاق ، وكان أديباً يقول الشعر ، إلاّ أنه — كما في تحفة الأعيان — « لم يعدل في ملكه ولم يرض المسلمون عنه » وخرج عليه شيخ من كبار رعاياه يعرف بأبي نبهان ، فاضطرب أمره ، وضعف ، فاستولى أخوه « سلطان بن أحمد » على أكثر بلاده ، وانحصرت سلطته في الرستاق . ومات (سنة ١٢١٨ هـ) قبل مقتل أخيه سلطان . ا . هـ .

(٢) ترجمه الحصني في منتخبات التواريخ لدمشق فقال : سعيد بن عثمان بن عبد الغني الدمشقي الشافعي ، الشهير بالغبرا . ووصفه بأنه كان يكد على تعليم العامة أمر دينهم الضروري ، ويشن الغارة على البدع ، وقد شدّ الرحل إلى دار السلطنة لمنعها ، وهكذا ترى في سيرته المعروف والمنكر ، توفي (سنة ١٣٠٣ هـ) رحمه الله .

السيد سعيد افندي ابن الشهاب أحمد الايوبي الانصاري
رئيس الكتاب بمحكمة الباب

كان شهماً أديباً ، وكاملاً لبيباً ، ذا سيرة جميلة ، وسريرة جليلة ، وشمائل حسنة ، وفضائل مستحسنة .

ولد بدمشق الشام سنة أربعين ومائة والف ، ونشأ في حجر والده ، وقرأ القرآن وأتقنه ، ثم حضر دروس الأفاضل الأعلام ، إلى أن بلغ المأمول والمرام ، وأحسن صنعة الكتابة ، وكان ذا تؤدة في أموره لا يعرف حماقة ولا طيشا ، وتولى رئاسة الكتاب في محكمة الباب ، وحصلت له شهرة عظيمة ، وسيرة وافية جسيمة [1] ولم يزل يتفوق مقامه ، ويمازج القلوب احترامه ، إلى أن دعاه الحمام إلى دار المقام ، سنة ست وثلاثين ومائتين والف ودفن في باب الصغير .

الشيخ سعدي الشيرازي

هو من رجال الحديقة ، بل هو فردها في المجاز والحقيقة ، قال في ترجمته ، لكي يبدي لنا شمس معرفته : سعيد الحظ والطالع ، لا فرق بين وضاءة سعده وبهاء البدر الساطع ، نبغ في جنة المعارف شيراز ، فظفر من ظهوره كل طالب بلطائف الأدب وفاز ، له النظم الحسن والنثر الذي دل على أنه ذو بلاغة ولسن ، ديوان شعره الفارسي بستان ، وبيان نظامه العربي حديقة ورد وريحان ، فمن ظريف نظمه قوله :

فاح نشر الحمى وهب النسيم ... وتراني من فرط وجدي أهيم
إن ليل الوصال صبح منير ... ونهار الفراق ليل بهيم
ووداع الحبيب خطب جزيل ... وفراق الأنيس داء أليم
فتن العابدين صدرٌ وسيم ... آه لو كان فيه قلب رحيم
يا وحيد الجمال إني وحيد ... يا عديم المثال قلبي كليم

---

(١) في روض البشر بعد حذف الألقاب : هو والد عطاء الله (م ١٢٨٢ هـ) عن أولاده الأربعة السادة الوجهاء : محمد علي وأحمد مهدي ومحمد سعيد وخليل ، والأول هو والد عطاء الله رئيس وزراء سورية الآن (سنة ١٣٦٠ هـ) اهـ .

سلوتي عنكم احتمال بعيد وافتضاحي بكم ضلال قديم
معشر اللائمين فيما جهلتم لو رأيتم جماله لم تلوموا
إن نار الهوى لدى كل صب مع ذكر الحبيب روض نعيم
كل من يدعي المحبة فيكم ثم يخشى الملام فهو مليم

وما أحلى قوله :

يا نديمي قم ونبه واسقني واسق الندامى
خلني أسهر ليلي ودع الناس نياما
اسقياني وهدير الـ ـرعد قد أبكى الغماما
في زمان سجع الطـ ـير على الغصن وحاما
وأوانٍ كشف الور د عن الوجه اللثاما
أيها المصغي إلى الزهـ ـاد دع عنك الملاما
فز بها من قبل أن يجـ ـعلك الدهر عظاما
قل لمن عير أهل الحـ ـب بالجهل ولاما
لا عرفت الحب هيهـ ـات ولا ذقت الغراما
لا تلمني في غلام أودع القلب سقاما
فبداء الحب كم من سيد أضحى غلاما

انتهى . فهذا المترجم قد طار ذكره وفاق ، وانعقد على انفراده في بلاده الاتفاق ، قد قصده الطلاب من الأقطار ، ونحاه الرغاب لما يعلمون لديه من بديع الأوطار . قد أخذ عن العلماء الأفاضل ، إلى أن امتاز بالفضائل والفواضل ، فدرس وأفاد ، وجاد وأجاد ، وأظهر من المعارف التحقيقية ما لم يكن على بال ، وبهر في فنونه التدقيقية من بحر ذهنه السيال :

فكأنما هو روضة تهتز في يوم مطير
أزهارها ككواكب قد زينت فلك الأثير
علامة لم يلق في هذا الزمان له نظير
إن جال في التفسير فالتـ ـفسير أعسره يسير

أو قرر الأحكام من فقه تفقهها الكثير
وإن انتحى للنحو وضحه بتسهيل العسير
واليه في فن البلا غة كل مسؤول يشير
وإذا تعانى الشعر قلت أذا الفرزدق أم جرير

والحاصل انه فرد عصره ، وزينة قطره ومصره . توفي رحمه الله تعالى في شيراز سنة الف وزيادة عن المائتين .

السيد سعيد بن قاسم بن صالح بن اسماعيل بن أبي بكر القاسمي الشهير بالحلاق الدمشقي الشافعي

سلالة مجد أشرقت أنواره ، ونفحت في رياض الأدب أنواره ، فصيح ألبسه المولى حلة الكمال ، وبليغ نسج القريض على أبدع منوال ، فأخذ برقاب القوافي ، وورد منها المنهل الصافي ، فحاول رقيقه وجزله ، وأجاد جده وأحكم هزله ، بنظر نقاد ، وخاطر وقاد ، يقضي حق البيان ، ويملك رق الحسن والإحسان ، يترقرق فيه ماء الطبع ، ويرتفع له حجاب القلب والسمع ، مع حسن المحاضرة ، ولطف المذاكرة ، فلا جرم قد طابق اسمه مسماه ، وكاد أن ينطق بلفظه معناه . ولد في دمشق الشام ، في أوائل المحرم الحرام ، عام تسعة وخمسين ومائتين والف ، ونشأ في حجر والده بركة عصره ، وفقيه قطره ، فتأدب بفضائله وتهذيبه ، وكساه من الفنون الرداء المذهب ، فاقتفى واقتدى ، وراح في الحلبة واغتدى ، حتى نبل وشدا ، وبلغ في المعارف المدى ، ولما توفي والده عام أربعة وثمانين ومائتين والف قام مقامه في إمامة جامع السنانية ، وإحياء دروسه الليلية والنهارية ، وله أخذ وسماع وتحصيل ، عن غير والده الجليل ، من أساتذة محققين ، وأفاضل كاملين ، منهم الشيخ

محمد الطنطاوي والشيخ سليم العطار والشيخ محمد المنير والشيخ عمر العطار وغيرهم بوأهم الله دار السلام . واجتمع بفضلاء الحرمين الشريفين وبيت المقدس الشريف عام زيارته لهما سنة إحدى وثلاثمائة والف . وله اقبال عظيم على شانه ، وانزواء شديد عن أكابر زمانه ، والقلوب على مودته متطابقة ، والألسن بالثناء عليه ناطقة ، وله مصنفات أدبية ، ومجموعات بهية ، منها بدائع الغرف ، في الصنائع والحرف [1] ، ومنها الثغر الباسم ، في ترجمة والده الشيخ قاسم ، ومنها سفينة الفرج ، فيها هب ودب ودرج ، ومنها ديوان شعر لطيف جمع فيه جملة من دره ، وشذرة من محاسن غرره ، وأكثر من ابتكار النوادر ، وتلطف في المجون بكل معنى بديع

---

(١) هذا الكتاب الوافي بموضوعه ، مؤلف من جزءين ، مطبوعين في دمشق ، فأولهما بقلم المترجم هنا ، وهو الشيخ سعيد الفاسمي ، (إلى ص ١٨٦) ، والثاني تأليف ولده السيد جمال الدين وصهرهما خليل بك العظم ، إذ حال أجل الأول دون إكمال حرف السين فما بعده ، فوفقهما الله تعالى إلى إتمام العمل ، فبدءا أولاً بفوات بعض الحروف المتقدمة ، ثم في إكمال حرف السين ، ثم في سرد بقية الحروف إلى آخرها ، (من ص ١٨٦ — ص ٥٠١) . بدئ (ج ١) بكلمة في موضوع الكتاب للمستشرق الشهير لويس ماسينيون ، فمقدمة الأستاذ ظافر القاسمي في تاريخ الصناعة وما مرّ عليها من أدوار وأطوار ، وبالتعريف في هذا القاموس ، وكلتاهما باللغتين العربية والفرنسية ؛ وفي أول (ج ١) رسم المؤلف وترجمته ، ورسم جامع السنانية الذي كانت الإمامة والتدريس فيه له ولولده جمال الدين من بعده . وفي (ج ٢) رسم المؤلفين الجمال والخليل ، وترجمة الأول بقلم ولده الأستاذ ظافر ، باللغتين أيضاً ، وترجمة الخليل بالكلم الوجيز . وفي آخر (ج ٢) الفهارس للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة (وقد اشتركت مع الأستاذ الناصر الألباني بتخريجها وبيان درجتها) والقوافي ، والكتب ، والأعلام ، وأسواق دمشق ، والصناعات ، والأدوات ، والآلات ، والأسعار ، والأجور . وهذه الفهارس مترجمة إلى الفرنسية أيضاً . وقد طبع الكتاب في دمشق طبعة متقنة .

نادر ، راضياً بعفو الطبع ، وما يخف على السمع ، فمن لؤلؤه الرطب ، ورشح قلمه العذب ، قوله مطلع قصيدة متغزلا :

أمـا وعيون فاتكات فواتر ... فعلن كأفعال المواضي البواتر
وصبح جبين فوق بدر يزينه ... شقائق ورد بين ليل الغدائر
وعنبر خال حول ثغر مدامة ... حماه ورودَ الرشف سيف المحاجر
وبلور جيد ان تنازل ريقه ... يريك بريقا من خلال الحناجر
ورقة خصر فوق طود كثيبة ... تميد بموج فوق بحر الجزائر
وخطيّ قدّ كم ترى عند هزه ... طريح غرام لاجريح خناجر
وهيكل جسم ان تراءى لناظر ... فما هو إلا قطعة من جواهر
بأن الهوى مني واني من الهوى ... وان هيولى العشق سار بسائري

ومن منظوماته الحماسية قوله من أبيات :

شموس الرضا دوما علينا بوازغ ... وآلاءُ ستر الله فينا سوابغ
وفي يدنا اليمنى غدا اليمن مغدقا ... وأما اليد اليسرى بها اليسر نابغ
وان ذكرت يوما أفاضل جلق ... بشعر وآداب فنحن النوابغ
لنا في العلا نفس تعز بربها ... وقلب بغير الفكر والشكر فارغ

وقال في مدح دمّر :

ياصاح ان رمت المسير لمنزه ... فاقصد بسيرك نحو روضة دمر
فهواؤها محيي الجنان وأرضها ... مثل الجنان وماؤها كالكوثر

ومن لطائفه قوله :

ذهب الربيع بورده وبلينه ... وأتى الشتاء ببرده وبطينه
أما الفقير ففي الشتاء هلاكه ... من همه في فحمه وعجينه
وبسقف بيت عياله من دلفه ... وبرجفه من برده وأنينه

وقال في باب التوكل :

كل من يبغي سوى المولى نقص ... واعتراه من ذوي الدنيا غصص
وإذا امل منهم حاجة ... نغص المسؤول عنها ونكص
مكفهر الوجه لو أبصرته ... قلت من أين له داء البرص
وعلى السائل فرضا لو سخا ... مرة ألقاه في ذل القفص
فاترك العالم طرا ثم سل ... ملكا يرغب أن تؤتى الرخص
منعما برا كريما رازقا ... ليس يرضى عن عبيد قد حرص
عالما اجمال أحوال الورى ... فهو أدرى في تفاصيل القصص

وقال لبعض الشؤون :

نظر الزمان اليّ من طرف قذي ... يوماً فقلت مناديا من منقذي
فنظرت من كل الجهات فلم أجد ... خلا يغيث فقلت غب تعوذي
بالأمس لايحصون أحبابي فهل ... محقوا بريح أصفر مستحوذ
أم هل تواروا في قبور بيوتهم ... سحقا لهم من ذلك الفعل البذي
أين المودة والاخاء والاصطفا ... بل أين مَن مِن خير ثدي قد غذي
صدق اللبيب الشاعر الفطن الذي ... قد قال هذا البيت بالمعنى الذي
ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد القنفذ

ومن لطائفه قصيدتان نظمها في عام تأخر برده عن وقته المعتاد صاغ الأولى في قالب السؤال من فصل الشتاء والثانية في جوابه واعتذاره المتضمن وعظ الموسرين ليتفقدوا أولي الفاقة . أما الأولى فهي قوله :

مابال بردك ياشتاء تأخرا ... وبريق برقك خلب لن يمطرا
أقبلت يافصل الشتاء ولم نجد ... من ماء مزنك قطرة بلت ثرى
فصل كأيام الحسوم يجيئنا ... فالآن في أبداننا ما أثرا

ما هكذا قد كنت تأتي للورى «فارحم حشا بلظى هواك تسعرا»
« وإذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى »
أين الرياح العاصفات بفصله لا تبقي في الأشجار عرقاً أخضرا
أين الجليد مجمّد الأرض الذي مثل الزجاج تخاله متصورا
أين الصقيع المقصم الظهر الذي ترك الفتى من رجفه متحيرا
أين الضباب المظلم الجو الذي بظلامه يحكي قتاماً أغبرا
أين اسوداد الجوّ أين عبوسه أين الغمام وغمه ومتى سرى
أين الزيادة في المياه إذا أتت تحكي لنا في اللون طيناً أحمرا
بل أين برد الزمهرير ولسعه للوجه لكن يستخير المنخرا
أين الرعود المزعجات بصوتها كمدافع يضربن جواً أقفرا
فإذا رأيت رأيت برقاً خاطفاً وإذا سمعت سمعت صوتاً منكرا
أسفي لثلجك يا شتاء فإنه قد كان يبني أذرعاً أو أكثرا
أسفي على البَرَد الكبير وطبّه مذ كان ينزل جامداً مستحجرا
أسفي علينا ما رأت أبداننا برداً به نلتذ في لبس الفرا
فإلى متى والصحو عم سماءنا والشمس في إشراقها لن تسترا
وبيوتنا أبوابها مفتوحة فكأن حر الصيف لن يتغيرا
وننام لا مزمّلين بثوبنا كلا ولا احتجنا لأن نتدثرا
وسقوفنا جفت وقد كانت لنا يبكي بدمع الدلف ماء أصفرا
أسفي على يبس الميازيب التي طول الشتاء تصب ماء أغبرا
أسفي على تلك البلاليع التي كانت تسد بما يحاكي الأبحرا
أسفي على تلك المناقل لم تذق في صفوة فحماً وجمراً أحمرا
أسفي على تلك البرادي وهي في أجداثها ملفوفة لن تنشرا

أسفي على الأوحال في الطرقات إذ ... يبست وآن لها بأن تتخمرا
ومتى نرى الإنسان يمشي فوقها ... يغدو ويرجع خائضاً ومشمرا
ومزركشاً من طينها ومطرزا ... ومدبجاً من فرقه وإلى ورا
وبنعله قد شال من أوحالها ... أرطال طين كاد يخني الأظهرا
فلطالما قد قيل أيام الشتا ... زلق الحمار بوحلة فتفطرا
والناس يصطرخون هل من منقذ ... غرق الحمار بحمله وتكسرا
أسفي على الحمال لو أبصرته ... لرحمته لما بكى وتحسرا
فإلى متى لا تحمل العكاز بل ... لا يلبس القبقاب بل لا يشترى
ومتى نرى سطح السقوف مكاساً ... ومخمراً بالثلج أبيض نيّرا
لو أنني جمعته وخزنته ... للصيف كنت عملت منه متجرا
فبمثل هذا الحال كان شتاؤنا ... أفلا يحق عليه أن نتقهرا
يا أجرد الكانون جئت معاكساً ... تدع الغصون ونحن ننبذ بالعرا
وكذا الأصم أخوه لا يبغي بأن ... ننظم في وسط البيوت ونقبرا
لو كان يسمع لا يضن ببرده ... لكن أصم فليس يسمع ما جرى
فعسى بآذار يجود بمانعا ... قد ضن فيه شتاؤنا إن أدبرا

وأما القصيدة الثانية التي وقعت جواباً عن لسان حاله فهي :

يا من تكلم في الشتاء بما درى ... ورأى بأن البرد فيه تأخرا
برد الشتاء لقد تحول عنكمو ... وأظنه قد ضل في إحدى القرى
جوبوا البلاد لعلكم تجدونه ... في قارة قد قرّ فيها أو سرى
إن لم تروه بها فجدوا خلفه ... فلعله في حمص زار وزمهرا
أم في حماة أتى إليها يحتمي ... فعصى بعاصي نهرها وتسترا
أم راح نحو مدينة الشهباء أم ... رام الإقامة في ذرى أم القرى

ليريحهم من حرهـــا في برده ... ويزمل الأبدان منهم بالفرا
أم أمّ نحو الروم وهي بلاده ... منها نشا وبها استقر بلا امترا
فهناك تلقون الشتـــاء وبرده ... يمشي بمسقط رأسه متبخترا
وترون ما تبغون من آفـــاته ... وزيادة ممـــا يقص الأظهرا
فـــإذا سمعتم أنه في بلدة ... ورأيتموه جامحـــاً مستنفرا
قولوا له يا ابن الحلال إلى متى ... ما آن أن تأتي وتنظر ما جرى
بينا نطوف لعلنـــا نحظى به ... في بعض تلك المدن أو بعض القرى
وإذا به بين الجبـــال مخيم ... إذ لا أنيس له هناك من الورى
قلنـــا له يا بارداً في طبعه ... لكن قطر نداك يحكي السكرا
أنت الذي عاهدتنـــا من آدم ... والعهد منك على المدى لن يخفرا
تأتي الينا كي تغيث زروعنـــا ... في كل عام مرة أو أكثرا
والآن في ذا العام قد قاطعتنا ... وفررت عنا ما الذي منا جرى
أرأيت منـــا ما يسوءك فعله ... من كل ذنب سيىء لن يغفرا
أم بعضنـــا يجني عليك بذنبه ... فأخذت باقي البعض ظلماً وافترا
هذا وقد جئنـــاك بعد مشقة ... فابدي الجواب ولا تكن مستعذرا
نهض الشتاء وقال كلا فاسمعوا ... نصحاً يقال لمن يريد تبصرا
لما منعتم مـــالكم فقراءكم ... وعراهمو في فقرهم ما قد عرا
وغنيكم متنعم بطعـــامه ... وشرابه ولباس أنواع الفرا
وفقيركم لا تنظرون لحـــاله ... وترونه في عيشه متكـــدرا
وترونه بالسوق في وقت المسا ... يبتاع زيتوناً وخبزاً أسمرا
يغدو حزيناً باكياً وغنيكم ... يغدو ويرجع ضاحكاً مستبشرا
ويطوف حول الفاكهاني في المسا ... أو حول بياع الكنائف للشرا

وإن اشترى شيئاً غدا من بخله ... يخفيه تحت ثيابه متسترا
والمعدمون يبصبصون بأعين ... حول الغني ويرجعون القهقرى
وإذا الفقير أتاه يبغي كسرة ... أو جاء ضيفاً يبتغي منه القرى
ما كان إلا بالعصا إكرامه ... أو بالعطا أعطاه فلساً أحمرا
ولكم تمنى الأغنياء بأن يروا ... في ساحة الفقراء ريحاً أصفرا
كي لا يروا أبداً فقيراً بل ولا ... يجدون مسكيناً وأشعث أغبرا
يا ويحهم ما ذا يكون جوابهم ... في القبر حين يروا نكيراً منكرا
للأغنيا ويل من الفقرا غدا ... يوم القيامة إذ يرون المحشرا
إذ يقبضون عليهم في موقف ... منه الوليد يشيب من بين الورى
ويقول كل منهمُ يا ربنا ... خذ حقنا منهم فلن نتأخرا
يبقى الغني هناك لا مال له ... فيصير عما قد جنى متحسرا
فالآن أنتم يا ذوي الأموال ان ... واسيتمو الفقراء آتي ممطرا
وتزوركم رحمات رب لم يزل ... للمحسنين مساعداً وميسرا
وترون فصلي فصل خصب مقبل ... في كل خير بالرخاء مبشرا
ولتسمعن رعوده كمدافع ... ولتنظرن البرق فيه منورا
ولتبصرن هتون مزن سحابه ... فسيوله في الأرض تحكي الأبحرا
ولسوف ينزل ثلجه ببلادكم ... فهناك يبني أذرعاً أو أكثرا
ويروج سوق سويقكم في وقته ... فكلوا السويق مدبساً ومسكرا

وله من هذا الباب ، ما تلذ به أولو الألباب ، مما يعترف له بحقه ، ويعرف به مقدار سبقه ، ثم انه في ثاني وعشرين من شوال عام ألف وثلاثمائة وسبعة عشر بعد طلوع الشمس وكانت الساعة اثنتين من النهار صباحاً توفي المترجم فجأة وكان له مشهد عظيم ، ومحفل جسيم ، وكانت الصلاة عليه في جامع السنانية ودفن في مقبرة باب الصغير وراء قبر والده رحمه الله تعالى .

الشيخ سعيد بن عبد الكريم الأنصاري المدني رحمه الله تعالى

هو من عقد اللآلىء الثمينة ، في أعيان المدينة ، فقال مؤلفه ، ومجميده ومصنفه : فاضل أطلق في العلم لسانه ، واتخذ الفضل عنوانه ، وحاز الفضائل بحسن همة ، وجعل الآداب لها تتمة ، فأبدى نظماً هو الدر إلا أنه المنضود في النحور ، والزهر إلا أنه الخضل المطور ، وهو أكبر إخوته ، وكبير ثلته ، فإنهم أربعة إخوة نشأوا من الحسب والمكارم في أعلى ربوة ، ثلاثة منهم لهم في النظم يد ، وواحد منهم لم يكن له فيه صدد ، فمن نظم صاحب الترجمة البارع في كناية البيان وصريحه ، قوله في مدح سيدنا عثمان بن عفان كتبها على تابوته في ضريحه :

لعثمان ذي النورين تفدى الجوانح ... وتسعى اليه العارفون الجحاجح[1]

ألا كيف لا تسعى وقد حاز رفعة ... لها الشرف العالي مدى الدهر راجح

سليل ذوي المجد الرفيع مكانة ... به يتقـى والحادثات فوادح

فان كان مجد الصاحبين محققاً ... فمجد أبي عمرو له الفضل شارح

لقد بايع المختار عنه بنفسه ... مبايعة فيها الكماة كوالح[2]

وجهز جيش المسلمين بماله ... وأوقف بئرا تنتحيها الموائح

وقد أنزلت فيه أمن هو قانت ... يقوم الدياجي والدموع سوافح

وبشر بالبلوى ففوض أمره ... فوافته بالدار الرزايا النواطح

وأضحى شهيدا في الجنان منعما ... له الحور تجلى قد علته الوشايح

همام أمير المؤمنين قد استحت ... ملائكة الرحمن منه وصالح

---

(١) جمع جحجاح ، وهو السيد المسارع إلى المكارم .

(٢) جمع كالح ، وهو الذي انكشفت شفته عن أسنانه ؛ ويقال : دهر أو شفاء كالح ، أي شديد ضيق .

وأثنى عليه الهاشمي ببـذله تليـدا معدّا قد حبته المرابح
وزوجه بنتاً له ثم بعدهـا حباه بأخرى نشرها ثم فايح
وهاجـر حباً مرتين فأخصبت سنون وسالت من نداه الأباطح
فياثالث الأصحاب أنت وسيلتي ويا جامع القرآن جودك مانح
وها كم قريضاً فوق تابوتكم زهى على الروض فيه المطربات صوادح
وكالنور نوراً بل يزيد وضاءة وحسناً له بين الأنام مدايح
فمع غاية المجد المؤثل قد أتى لتاريخه شطر من الشعر واضح
يقولون زوار الضريح إذا أتوا أياحسن تابوت له الله مانـح

قد توفي في أوائل القرن الثالث عشر رحمه الله تعالى .

الشيخ سعدي بن محمد بن عمر بن عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن أحمد بن شمس الدين بن تقي الدين بن أبي بكر ابن عبد الهادى الدمشقي الحنفي الفاروقي العمري

المتصل النسب بسيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطـاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين ، ولد المترجم في دمشق الشام ونشأ بها وقرأ على جل علمائها ، وأجل فضلائها ، ومن أجلهم العمـدة العلامة ، والنخبة الفهامة ، الشيخ سعيد الحلبي ، والسيد شاكر العقاد ، وغيرهما من الأعيان الأمجاد ، وولي أمانة الفتوى في دمشق الشام أيام مفتيها الأجل الهمام ، السيد حسين افندي المرادي ، إلى أن توفي وتولى الإفتاء بعده ولده علي أفندي المرادي مدة أشهر وكان المترجم عنده ، ثم بعد موت علي أفندي تولى الافتاء طاهر أفندي وكان المترجم عنده ، إلى أن فصل سنة الف ومائتين وثمان وسبعين وتولى الافتاء أمين افندي الجنـدي فكان المترجم أمين الفتوى عنده ، إلى أن توفي المترجم المرقوم في حدود سنة الالف والمائتين والثمانين .

الشيخ سعدي بن الشيخ هاشم التاجى البعلي الدمشقي

من العلماء الأفراد والفقهاء السادة الأمجاد ، كان حسن الأخلاق قد علا قدره وفاق ، وكان محمود السيرة ممدوح السريرةَ ، قد سافرت واياه سنة تسع وسبعين إلى القدس فرأيت من حسن حاله ، واتساع باله ، مايوجب له حسن الثناء والمدح ويذهب عنه كل طعن وقدح ، مات رحمه الله تعالى خامس عشر ربيع الثاني سنة تسع وسبعين ومائتين والف ودفن في تربة باب الصغير .

الشيخ سعدي بن مصطفى بن سعد بن عبده الدمشقي الحنبلي المعروف بالسيوطي

العالم العامل الهمام ، ومفتي الحنابلة في دمشق الشام . ولد بدمشق خامس عشر شهر محرم الحرام سنة ست وتسعين ومائة والف من هجرة سيد الأنام ، وأخذ عن الشيخ محمد الكزبري ، والشيخ شاكر مقدم سعد والشيخ غنام الحنبلي ، وغيرهم من السادة العلماء والقادة الفضلاء ، وبرع وفاق وطار ذكره في الآفاق ، وكان عالماً عاملاً زاهداً فاضلاً ، عابداً تقياً صالحاً نقياً ، رفيع المقام بديع الاحترام ، تولى نظارة جامع بني أمية بعد وفاة والده سنة الف ومائتين وثلاث وأربعين ، وافتاء الحنابلة وكان فائقاً في العلوم من منطوق ومفهوم ، لاسيما في علمي الحساب والفرائض فان له بهما المعرفة التامة . ولم يزل على كماله إلى أن جذبته يد المنية إلى الدار العلية ، في ذي الحجة الحرام سنة الف ومائتين وست وخمسين ودفن في الدحداح .

سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود

قال في البدر الطالع : ولد تقريباً سنة الف ومائة وستين في وطنه ووطن أهله القرية المعروفة بالدرعية من البلاد النجدية ، وكان قائد جيوش أبيه عبد العزيز [١] وكان جده محمد شيخاً لقريته التي هو فيها ، فوصل اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب الداعي إلى التوحيد المنكِرُ على المعتقدين في الأموات فأجابه وقام بنصره ، وما زال يجاهد من يخالفه ، وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها الامور الجاهلية وصار الاسلام فيها غريباً . ثم مات محمد بن سعود وقد دخل في الدين بعض البلاد النجـــدية ، وقام ولده عبد العزيز مقامـــه فافتتح جميع الديار النجدية والبلاد العارضية والحسا والقطيف ، وجاوزها إلى فتح كثير من البلاد الحجازية ، ثم استولى على الطائف ومكة والمدينة وغالب جزيرة العرب ، وغالب هـذه الفتوح على يد والده سعود ، ثم قام بعده ولده سعود المترجم المرقوم ، فتكاثرت جنوده واتسعت فتوحـاته ، ووصلت جنوده إلى اليمن ، فافتتحوا بلاد أبي عريش وما يتصل بهـا ، ثم تابعهم الشريف حمود بن محمـد شريف أبي عريش وأمدوه بالجنود ، ففتح البلاد التهامية كاللحية والحديدة وبيت الفقيه وزبيد ، وما يتصل بهذه البلاد ، ومـا زال الوافدون من سعود يفدون صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور [٢] وولده الإمام المتوكل بمكاتيب

---

(١) أول غزوة غزاهـــا سعود بن عبد العزيز (سنة ١١٨١ هـ) ، وفيها غزا هذلولُ بن فيصل بجميع المسلمين ، وهو أمير الغزو ، ومعه سعود بن عبد العزيز وتجد تفصيل هذه الوقائع المذهلة في كتابي عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر النجدي (م سنة ١٢٨٨ هـ) وتاريخ نجد لحسين بن غنـــام (م سنة ١٢٢٥ هـ) وكانت طبعته الأخيرة (سنة ١٣٨١ هـ = سنة ١٩٦١ م) بتحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، ومقابلة الأستاذ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ .

(٢) منصور بن ناصر بن محمد الحسني التهامي ، عرف بالشجـــاعة والدهاء ، ونعت بالملك العادل (م : سنة ١٢٣٣ هـ) .

اليهما بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة (١) ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء ، وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها وفي جهة ذمار وما يتصل بها ، ثم خرج خليل باشا من مصر إلى مكة بعد إرساله بجنود افتتحوا مكة والمدينة والطائف وغلبوا عليها ، وكان استيلاؤه على مكة والمدينة عام الف ومائتين وثمانية وعشرين ، وخروجه إلى مكة سنة الف ومائتين وسبع وعشرين ، والحرب مستمرة . ومات سعود سنة الف ومائتين وتسع وعشرين ، وقام بالأمر ولده عبد الله بن سعود ، وقد أفردت هذه الحوادث العظيمة بمصنف مستقل ، ثم خرجت جيوش الدولة ومصر على عبد الله بن سعود ومن معه من الجند في قريته الدرعية ، وطال الحصر وأخربت المدافع العثمانية كثيراً من الأبنية ، وبعد هذا استسلم عبد الله بن سعود ، وكان ذلك في سنة الف ومائتين وثلاث وثلاثين ، وأدخلوه أسيراً إلى حضرة سلطان العرب والعجم حضرة أمير المؤمنين السلطان محمود والله أعلم ما انتهى اليه حاله . ثم خرج بعض الجنود العثمانية صحبة خليل باشا إلى تهامة اليمن التي كانت بيد الشريف حمود ، وكان خروجهم بعد موته وقيام ولده أحمد بالأمر ، مع معارضة الشريف حسن بن خالد الحازمي للشريف أحمد ، فاستولت الجنود العثمانية على ما كان بيد الشريف أحمد بن حمود ، واستسلم إلى أيديهم ، وأحضروه إلى

---

(١) في الصحيح عن أبي الهياج الأسدي قال : قال علي بن أبي طالب : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرني ألا أدع قبراً مشرفاً إلاّ سويته ، ولا تمثالاً إلا طمسته .

ومن المؤسف جداً عدم الاهتداء بهدي الأنبياء والصالحين ، والاكتفاء بتشييد القبور ، وجعلها كالقصور والقلاع ، والصلاة عندها ، والطواف حولها ، ونذر النذور لسدنتها ، والتمسح بترابها ، ودعاء أصحابها بما لا يدعى به إلا الله عز وجل .

دار السلطنة العثمانية ، وكان ذلك سنة الف ومائتين وأربع وثلاثين . وأما الشريف حسن بن خالد الحازمي ففر بمن معه إلى بلاد عسير ، وتحصن بمكان يقال له المناظر ، فخرجت عليه الجنود العثمانية ووقع بينهم حروب ، آخرها قتل فيه الشريف حسن بن خالد والأمر لله سبحانه اهـ .

الشيخ سعيد بن أسعد الدمشقي الشهير بالسفاريني النابلسي الحنبلي

كان إماماً عالماً عاملا ، وهماماً كاملاً فاضلا ، معتمداً عليه في مذهب الإمام الأوحد ، العالم العامل المجتهد الإمـــام أحمد ، قدس الله سره ، ورفع في الدارين قدره ، وكان له صلاح ظاهر ، ودأب على السنة باهر . مات رحمه الله في غرة رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين والف ودفن في تربة الذهبية قرب قبر السيد عبد الباقي الحنبلي الأزهري .

الشيخ سعيد بن حسن بن أحمد الحلبي الاصل الدمشقي المنشأ الحنفي

شيخ المحدثين ، وعمدة العلماء العاملين ، وزبدة الفضلاء ، ونخبة السادة الأتقياء ، من شيد ربوع العلوم ، وقيد شوارد المنطوق والمفهوم ، فهو الحجة الراجحة ، والمحجة الواضحة ، والبحر المتلاطمة أمواج عرفـانه ، والحبر المتواترة براهين بيانه ، أوحد أهل زمانه ، ومفرد عصره وأوانه ، المحقق الفقيه ، والمدقق النبيه ، شيخ الشيوخ وإمام ذوي الكمال والرسوخ . ولد بحلب سنة ثمان وثمانين ومائة والف ، ونشأ بها وقرأ على جملة من أفاضل علمائها ، ثم في سنة سبـــع ومائتين والف قدم دمشق الشام ، واستوطن في حجرته بجانب مدرسة الكلاسة في جامع بني أمية ، وتصدر للإفادة والتعليم ، والإرشاد والتفهيم ، وأخذ عن اسماعيل افندي المواهبي ،

والسيد محمد نجيب بن أحمد القلعي ، والشيخ محمد مكي القلعي الحلبي ، والشيخ علي الشمعة ، والشيخ محمد الكزبري ، والشهاب العطار والشيخ مصطفى الأيوبي الأنصاري الرحمتي الحنفي ، والشيخ شاكر مقدم سعد (١) والشيخ يوسف افندي بن السيد حسين الحسيني الحنفي الدمشقي ، والعلامة أبي الفدا اسماعيل بن محمد بن صالح بن محمد المواهبي الحلبي الحنفي القادري ، ومحمد أفندي بن عثمان أفندي العقيلي . وقرأ صحيح الشهاب المنيني ، وكان يقرأ في رمضان ستين ختمة ، مات رضي الله عنه في دمشق في اليوم الثاني من شهر رمضان سنة تسع وخمسين ومائتين والف ودفن في تربة الذهبية .

سعيد بن حمزة العجلاني نقيب دمشق الشام الحنفي الدمشقي

السيد الإمام ، الفاضل الهمام ، صدر الأفاضل ، وبدر ذوي الفضائل ، المحقق الأديب ، والمدقق الأريب ، والماهر النبيه ، والبارع الفقيه ، والورع العابد ، والناسك الزاهد ، ولد بدمشق ونشأ في حجر والده وتربى على يديه ، وتخرج أعليه وعلى أفاضل العلماء ، وأماثل الفضلاء ، ومن جملتهم السيد نجيب القلعي الحنفي . وقد نقل بعض الناس عن ولد الشيخ نجيب أنه مأمور من رسول الله ﷺ بإجازته . ولي نقابة الأشراف بدمشق الشام مكان والده السيد حمزة سنة تسع وعشرين ومائتين والف ، وبعد هذه التولية بمدة قليلة عزل حسين أفندي المرادي من الافتاء ونفي من دمشق ووضع في مكانه المترجم المرقوم ، وبقي مفتياً خمسة أشهر ،

---

(١) كان من أشهر تلامذته العلامة السيد محمد أمين عابدين ، وهو تلميذه من جهة ورفيقه في الطلب من جهة ، لأنهما اشتركا في قراءة الدر المختار على العلامة الشيخ شاكر (أي مقدم سعد) « روض البشر للشطي » .

ثم أعيدت إلى حسين أفندي المرادي ، وكان للمترجم قبول عند الناس ومحبة عظيمة لما حاز عليه من الصفات الحميدة ، والأخلاق العالية الجليلة . مات رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين ومائتين والف ودفن في دمشق في مدفنهم المشهور .

الشيخ سعيد الخالدي الدمشقي الشاذلي الترشيحي البشرطي الشافعي

ولد سنة إحدى وعشرين بعد المائتين والألف ونشأ من أول عمره في العبادة ، والطاعة والزهادة ، وزيارة الأولياء والجلوس في مجالس العلماء ، وقد أطلعني ولده على نسبه فأحببت ذكره حفظاً لسلسلته فهو أي المترجم سعيد بن شاكر بن سعيد بن سعد الله بن سعيد بن قاسم بن أحمد بن محمد بن محمود بن أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن جابر بن علي بن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله بن سالم بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جبران بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن جابر بن سالم بن سليمان ابن الصحابي الجليل سيدي خالد بن الوليد قدس الله سره ، ورفع في الدارين قدره ، وقد بدأ المترجم بتعلم ما لا بد منه ، وما لا يستغني المكلف عنه ، ثم التفت إلى التعلم ، والاستفادة والتفهم ، فلازم الشيخ العلامة وهو ملا أبو بكر الكردي مدة وكان من قبله قد حضر دروس والدي المرحوم الشيخ حسن البيطار مدة طويلة ، وحضر دروس أخي الشيخ عبد الغني أفندي في تحفة ابن حجر الهيتمي ، ودروس الشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ حامد العطار ثم الشيخ

سليم العطار والشيخ ابراهيم العطار ثم لازم شيخنا الفاضل الشيخ محمد بن مصطفى الطنطاوي فقرأ عليه أنواعاً من العلوم وصار عنده ملكة عظيمة ، وقوة جسيمة ، وكان حسن العشرة ، طيب النشرة ، نطوقاً في الكلام جميل المقال ، لا يمل حديثه وإن طال ، ممدوح المجالسة لطيف المؤانسة . له في الحكايات الأدبية حافظة قوية ، وعلى حكاياته طلاوة وعذوبة وحلاوة ، رقيق الحاشية لطافته في الناس فاشية ، فقير الحال زاهد في الجاه والمال ، له في العلوم همة تقتضي أن يصير من أفراد الأمة ، مواظب على ديانته غير ناظر معها إلى راحته ، آمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر ، آخذ بالعظائم لا تأخذه في الله لومة لائم ، جسور في الجواب لا يخاف ولا يهاب ، لا يمشي إلى دعوة أو إلى أهل أو صاحب أو جليس إلا ومعه من الكتب عدة كراريس ، لا يخلو مجلسه من نصيحة أو موعظة أو جواب أو سؤال ، أو حكاية تكسو المجلس حلة الجمال ، فاشتهر وفاق وانعقد على كمال لطفه وأدبه الاتفاق ، وصار له قدر مديد خصوصاً وهو من ذرية سيدنا خالد بن الوليد ، كأنما لسان حاله يقول لمريد الترقي للوصول :

من يطلب العز يتعب في مدارجه ... فالعز طود وأرض الذل ميدان
لولا المشقة ما فاق الورى بشر ... ولا سما في الدنا بالمجد إنسان

ومن هذا المعنى قول من قال وأحسن في المقال :

لا تدرك العلياء دون مشقة ... كلا ولا الحسنى بلا تهذيب
فالعز في كلف الرجال ولم ينل ... عز بلا كلف ولا تعذيب

ولم يزل مستقيماً على حاله متخلصاً من أوحاله ، إلى أن حضر إلى داريا خليفة من خلفاء الشيخ علي المغربي اليشرطي الشاذلي وكان قد أرسله من عكا ، واسمه الشيخ أحمد البقاعي ، فأخذ المترجم عنه الطريق ،

ثم بعد ذلك ذهب إلى زيارة الشيخ في عكا فحضر من عنده وقد انعكست حالته ، وانقلبت إلى ضدها في الظاهر طاعته ، وعلاه طيش وجنون ، ومن المعلوم أن الجنون فنون ، فذهب رونقه ، وبان نورقه ، واستثقل أمره وانخفض قدره ، فترك الفقه والأصول والمعقول والمنقول ، واستخف بالعلماء ، وجحد فضيلة الفضلاء ، وأنكر العلم والعمل ، وعن كثير من التكليفات اعتزل ، وقال هذه واجبة على المحجوبين لا على المحبوبين ؟ ! وكان كثيراً ما يتكلم بالكلام ، الذي لا يرتضيه من في قلبه ذرة من الإسلام ، وصار لا يقول بواجب ولا مسنون ، ويقول إن التمسك بذلك محض جنون ، ومن دخل في الطريق وترقى في المقامات صارت ذاته عين الذات ، وصفاته عين الصفات ، وهل يجب على الله صلاة أو صيام بحال ، وهل يقال في حقه عن شيء حرام أو حلال (١) وأمثال ذلك كثير لا يرام ، ولو أردنا أن نطيل به لخرجنا عما يقتضيه المقام . وقد وافقه على ذلك عدة أشخاص ، قد خرجوا من الدين ولات حين مناص ، فتجاهروا بالآثام ، ولم يتقيدوا بحلال أو حرام مع أن شيخهم الأستاذ قد أنكر عليهم ، ووجه أشد الملام اليهم ، وكتب لهم ينهاهم عن ذلك ، ويزجرهم عن هذه المسالك ، وهم يؤولون كلامه ، ويقولون أنتم لا تدرون ما قصده الشيخ ورامه ، وتبعهم على ذلك جملة قوية ، حتى صاروا فرقة ذات متانة وحمية ، وفي يد كل واحد منهم عكاز ، في أسفلها حربة يتوكؤون عليها في المجاز ، وما زال يتفاقم أمرهم ، ويكثر

---

(١) لعمري : إن هذا التصوف كفر وزندقة ، وإباحة مطلقة ، وردّة عن الاسلام ، ومحاربة لله ورسوله ، يقول تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ، أن يقتّلوا ، أو يصلّبوا او تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو يُنفَوا من الأرض ، ذلك لهم خزي فى الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم » (المائدة /٣٣) .

جمعهم ، إلى أن نفى الحاكم بسببهم استاذهم إلى جزيرة قبرص ، ناسباً القصور اليه ، ومعه المترجم وجملة أنفار يعتمدون عليه . وكان المترجم خطيباً في قرية كفر سوسيا وهي قرية من الشام تبعد قيد ميل ، وكان منها معاشه مع التعظيم والتبجيل ، فحينما ذهب منفياً مع الشيخ وضعوا عنه وكيلا ، ولم يسلكوا إلى الاستغناء عنه سبيلا ، وكان الشيخ يقول لهم ما صدر علينا هذا التضييق ، إلا من تكلمكم بما لا يليق ، ثم بعد مدة طويلة عفت الحكومة عنهم على أنهم لا يعودون إلى أمثال هذه الرذيلة ، ولا إلى هذه الملابس البذيلة ، فعاد المترجم إلى قريته ، ومحل إقامته وخدمته ، ورجع إلى حاله الأول وما رجع عن زيغه ولا تحول ، فأعرض عنه أهل البلد ونصبوا له شرك النكد ، إلى أن فصلوه ، ووضعوا مكانه تلميذه وبمصلحته وصلوه ، فعاد المترجم بعياله إلى الشام ، وتزايد أمره بما يقتضي الاعتراض والملام ، إلا أنه قد ضاقت يده ، وهبط قدره وسؤدده ، وذهب جماله وسقط كماله ، فذهب إلى داريا يقري الأولاد ، ودنياه تعامله بعكس المراد ، وذلك كله لاتباعه الباطل ، وتمسكه بما ليس تحته سوى الشقاء من طائل ، وكنت أنصحه بالرجوع إلى المطلوب ، فيقول لي أنت عن الحقيقة محجوب ، لو قطع رأسي وتفصلت أوصالي لا رجعت عن طريقي وحالي . فمرة كنت أمشي وإياه في الصحراء فرأى امرأة قروية قد لبست لباساً أحمر فقال لها يا حبيبي عملت نفسك امرأة ولبست اللباس الأحمر ! ومرة رأى هراً فصرخ وقال له عملت نفسك هراً وتظن أني ما عرفتك . وكان يقول عن إبليس إنسان كامل . وأمثال هذا كثير ، مما لا يقول به جليل ولا حقير ، ويقول للائمين أنتم أهل الرسوم ، المتمسكون بظاهر العلوم ، ونحن الصوفية أهل الطريقة ، والوجدان والحقيقة . وما علم أن ذلك من أكبر الغلط ، ومن

قال به فقد سلك مسلك الشطط ، وهل تجدي من غير شريعة طريقة ، أو تصلح بما لا تمسك له بالقرآن والسنة حقيقة . قال صاحب الأسفار في شرحه على رسالة الخلوة للشيخ الأكبر قدس الله سرهما : (وصية) يا أخي رحمك الله قد سافرت إلى أقصى البلاد ، وعاشرت أصناف العباد ، فما رأت عيني ، ولا سمعت أذني ، أشر ولا أقبح ولا أبعد عن جناب الله من طائفة تدعي أنها من كمل الصوفية وتنسب نفسها إلى الكمال ، وتظهر بصورتهم ، ومع هذا لا تؤمن بالله ورسله ولا باليوم الآخر ولا تتقيد بالتكاليف الشرعية ، وتقرر أحوال الرسل وما جاءوا به بوجه لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ، فكيف من وصل إلى مراتب أهل الكشف والعيان ، ورأينا منهم جماعة كثيرة من أكابرهم في بلاد اذربيجان وشيروان وجيلان وخراسان لعن الله جميعهم [1] فالله الله يا أخي لا تسكن في قرية فيها واحد من هذه الطائفة ، لقوله تعالى [2] « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » وإن لم يتيسر لك ذلك فاجهد أن لا تراهم ولا تجاورهم فكيف أن تعاشرهم وتخالطهم ؟ وإن لم تفعل فما نصحت نفسك والله الهادي انتهى .

وما زال المترجم على حاله خائضاً في أوحاله ، إلى أن تمرض وتوفي رابع عشر جمادى الأولى سنة الف ومائتين وأربع وتسعين . ودفن في جوار سيدنا بلال الحبشي نسأل الله أن يكون رجع عما كان عليه وتاب إلى الله وآب اليه .

---

(١) أقول : وقد وصل شرّهم وضرّهم إلى أرض الشام ، وسمعنا ورأينا بعض من يرتكب هذه الآثام ، عليهم من الله ما يستحقون .

(٢) سورة الأنفال / ٢٥ .

سعيد بن عبد الله بن حسين بن مرعي بن ناصر الدين الدوري المعروف بالسويدي الشافعي البغدادي الاصل ثم الدمشقي

الشيخ العمدة الإمام ، والفاضل النخبة الهمام ، بركة الشام وكعبة طواف العلماء الأعلام ، ومفيد الخاص والعام ، وأوحد الأفاضل الكرام . ولد في بغداد سنة إحدى وأربعين ومائة والف ، ودأب على الطلب مدة ثم قدم دمشق واستوطنها وأخذ عن علمائها ومن جملة شيوخه والده المرقوم ، والفاضل الشيخ عقيلة المكي ، والشيخ صالح الجينيني ، والعلامة الشيخ سالم البصري ، والشيخ عمر بن أحمد السقاف ، والشيخ البديري ، والسيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس والاحياء ، وأبو الطيب المغربي المدني المالكي . وأجازوه جميعاً بالإجازة العامة بما تجوز لهم روايته عن شيوخهم ، وأخذ عنه طلبة زمانه وأجازهم بالإجازة العامة ، ولم يزل في ترق إلى أن مات رضي الله عنه سنة إحدى عشرة ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير .

السيد سليم بن علي بن موسى الدمشقي الحسيني الحنفي الشهير بابن مرتضى السيد الشريف

النجيب الأديب ، واللطيف الذكي الأريب ، أحد الأعيان ، وأوحد ذوي الشان ، من أهل السلسلة النبوية والسلالة الأحمدية ، تحلى بأحسن الشيم ، وتوشح بجلباب السماحة والكرم . ولد في نيف وخمسين ومائتين والف . وكان معاشراً لطيفاً ، أديباً ظريفاً ، صاحب نوادر جليلة ، وطرائف جميلة ، لطيف الطبع سليم الصدر ، ذا رفعة وجلالة ومهابة وقدر ، وكان عند الشيعة والرافضة مقدماً مهاباً معظماً يواصلونه في كل

سنة على ما قيل ، بنحو مائة الف ويقولون هذا قليل . مات نهار الأحد ثامن شهر شعبـــان سنة إحدى وتسعين ومائتين والف ودفن عند قبور بني المرتضى في مقبرة باب الصغير قرب قبور الزوجات الطاهرات .

السيد سليم افندي بن نسيب افندي بن السيد حسين بن السيد يحيى حمزة

الشريف العابد ، والعفيف الزاهد ، المعروف بين النـــاس بالتقوى والديانة ، والعفة والصيانة ، وكان عالماً عاملا ، هماماً فاضلا ، كثير التباعد عن الناس ، له بالعزلة راحة واستئناس ، وكان في أكثر أوقاته معتكفاً في مشهد سيدنا الحسين في جامع بني أمية ، وكان له بعض صنائع غريبة ودقائق عجيبة ، يصرف منها على نفسه طلبـاً للحلال وبُعداً عن الحرام من الأموال . مات رحمه الله وأحسن مثواه ، في خامس وعشرين من ذي القعدة الحرام سنة الف وثلاثمائة وسنة واحدة ، ودفن في مقبرة الدحداح قرب قبر والده .

السلطان سليم خان الثالث بن السلطان مصطفى بن السلطان أحمد الثالث

ولد سنة الف ومائة وخمس وسبعين ، وجلس على تخت الملك عام الف ومائتين وثلاثة في ثاني عشر رجب ، ففي الحال أخذ بتدبير الأحوال لينجو بصلاح الدولة من وبال النكال ، فبعث بالجيوش لقتال روسيـــا والنمسا ، وأخيراً تداخلت بروسيا [1] وإنكلترا ، فعقد الصلح مع النمسا

---

(١) دولة من دول ألمانيا الشمالية ، عاصمتها برلين .

ثم مع روسيا ، فسر أهل العاصمة بالصلح ، على أن أخبار سوريا ومصر لم تكن مرضية للدولة ، وكان السلطان المشار اليه قد رأى مضرة الإنكشارية [١] وتجاوزهم الحدود فرغب أن يلاشي وجاقهم [٢] ويقيم مكانهم عسكراً جديداً على الطريقة الإفرنجية ، لأن الإنكشارية كانوا قد زعزعوا أركان السلطنة بعصيانهم وعدم انقيادهم ، وكان قد نظم في العام الماضي بعض الفرق من النظام الجديد ، فهاج الإنكشارية من ذلك ، وأثاروا في القسطنطينية شغباً عظيماً يطول الكلام بذكره ، واعتصبوا عصبة واحدة ، وكان موافقاً لهم على منع النظام الجديد عطا الله أفندي شيخ الإسلام وقائمقام الصدر الأعظم ، فقوي أمرهم به وقال لهم انه لا يجوز أن تكون عساكر الإسلام مشبهة بالكفار ، وحيث أحدثوا النظام الجديد كانوا متشبهين بالكفار ، فقويت هذه الحجة في صدورهم وقالوا سيروا بنا لنلاشي النظام الجديد وننتقم من الوزراء الذين أفسدوا طهارة الإيمان بأفعالهم الشنيعة ، وتحالفوا على ملاشاة وجاقات العساكر الإنكشارية ، الذين هم عمدة مملكة الدولة العلية ، وبعد هذا الحديث أخرجوا ورقة فيها أسماء بعض أشخاص من رجال الدولة يريدون قتلهم ، أرسلها اليهم المفتي عطا الله أفندي ، فأخذوا يتلونها ويسمون الأشخاص الذين يرون قتلهم ، ثم ساروا يفتشون عليهم فوجدوا بعضاً منهم فقتلوهم ، واختفى كثير منهم

---

(١) الإنكشارية : Janissaires أي الجنود الجُدُد : هو الجيش المنظم الذي أحدثه العثمانيون في القرن (١٤ م) ثم فقدت الإنكشارية الروح العسكرية ، وقويت شوكتهم على الدولة ، فأبادهم السلطان محمود الثاني (١٢٤١ هـ = ١٨٢٦ م) انظر (ص ٢١٩) وما بعدها من تاريخ الدولة العلية العثمانية .

(٢) الوُجاق : النسق من الجند وغيرهم ، والنسق : ما كان على طريقة نظام واحد من كل شيء .

في بيوت النصارى واليهود ، وقتلوا خلقاً كثيرا ، وأحضروا سبعة عشر رأساً من أعظم رجال الدولة ، ودام الدم جارياً في القسطنطينية ثلاثة أيام ، ثم صمموا على طلب السلطان سليم والقبض عليه ليخلعوه ، وصاروا يقولون يا أيها السلطان المغشوش بهذه التعاليم أنسيت أنك أمير المؤمنين ، وعوضاً عن اتكالك على الله القادر العظيم الذي يبدد بدقيقة واحدة الجيوش الكثيرة العدد وأردت أن تشبه الإسلام بالكفار وأغضبت الله فكيف يسوغ لك أن تكون أمير المؤمنين ، ومحامياً عن الدين ، فالعساكر المحافظة كرسيك لم يبق لهم ثقة بك ، والمملكة أضحت مضطربة فيجب عليك أن تلاحظ وتفضل على كل شيء الإيمان وسلامة الإسلام . وبعد كلام كثير صارت قراءة الفتوى التي مضمونها أن السلطان الذي يخالف القرآن الشريف هل يترك على تخت السلطنة الجواب كلا ، ثم قال القارىء قد صار معلوماً عندكم أنه تحتم عزل السلطان فما قولكم الآن ؟ هل تسلمون له يفعل ما يخل بالإسلام ، فصرخت العساكر كلا ثم كلا لا نقبله سلطاناً علينا فليعزل ، وصرخوا باسم السلطان مصطفى بن السلطان عبد الحميد وقالوا ليعش السلطان مصطفى ، وأرسلوا المفتي إلى السلطان سليم ليتنازل عن السلطنة من دون مقاومة ، فدخل عليه متذللاً منخفض الرأس قائلاً يا مولانا إني قد حضرت بين يديك برسالة محزنة أرجوك قبولها لتسكين الهيجان ، وليس خافياً على مسامعكم الشريفة بأن العساكر الإنكشارية قد نادوا باسم السلطان مصطفى ابن عمك سلطاناً عليهم ، فالآن لا سبيل إلى المقاومة فالتسليم لأمر الله أوفق من كل شيء ، فلم تظهر على السلطان سليم كآبة من هذا الحديث ، وقبل كلام المفتي ونزل عن السلطنة ، وكان ذلك في إحدى وعشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف ، فمدة سلطنة المترجم ثمانية عشر عاماً وثمانية أشهر ،

وبينما كان ذاهباً يختلي في مكان منفرد عن السرايا التقى بالسلطان مصطفى قادماً ليجلس مكانه على تخت السلطنة ، فقال له : يا أخي أهبطني الله من العرش العتيد لأن تجلس عليه أنت ، لأنني أردت وضع تنظيمات لتقوية المملكة والدين ، وإصلاح حال العساكر الذين جهلوا تعليمهم وتركوا قوانينهم ، فهاجت عليّ العساكر مع بعض رجال الدولة وأرسلوا يطلبون مني التنازل عن تخت السلطنة ، ونادوا باسمك ، وها أنا ماض بكل رضا أعيش منفردا ، وأما أنت فإنك سعيد أكثر مني ، فأرغب اليك أن تسلك معهم بالحكمة اللازمة الحسنى ؛ فلم يصغ السلطان مصطفى لكلام السلطان سليم ، وأراد السلطان سليم أن يعانقه فلم يمكنه من معانقته ، فلما وصل السلطان سليم إلى المكان الذي يريدون وضعه فيه وجد السلطان محمود أخا السلطان مصطفى ماكثا في ذلك الموضع ، عليه آثار الرقة والنباهة ، وعندما شاهد السلطان سليم التقاه فقبل يده ذارفاً دموعاً غزيرة ، فحرك السلطان سليم إلى البكا ، وجلسا في ذلك الموضع وطال ما كانا يتحدثان دائماً بالأمور المشيدة أركان الدولة والدين وتمام القصة يأتي في مكانه (١)

---

(١) تجد القول مفصّلاً عن السلطان سليم الثالث ، وما جرى في عهده من وقائع وحوادث ، في (ج ١٠) من تاريخ الجبرتي المطبوع مع تاريخ (الكامل) لابن الأثير الجزري ؛ وكذا في تاريخ (الدولة العلية العثمانية) لمحمد فريد بك ، على أن هذا يحيل أحياناً على الجبرتي عند ذكر حوادث الشهر ، كما تراه (في ص ١٨٣) من تاريخ الدولة أحياناً . وإن العجيب الغريب في هذه التواريخ تناقضها في الخبر الواحد ، فبينا ترى تخلي السلطان سليم عن الحكم في تاريخنا هذا بوساطة المفتي ، تقرأ في تاريخ (الدولة) ص ١٩٤ : ثم نودي بفصل السلطان سليم الثالث فعزل ، وحينئذ تدهش لقول الجبرتي في تاريخه (ص ١٧٦ و ١٧٧) : فعند ذلك أرسل السلطان مصطفى المتولي ، جماعةً من خاصته ، فدخلوا على السلطان سليم في المكان الذي هو مختف به وقتلوه بالخناجر والسكاكين ، حتى مات ، فبأيها نأخذ ؟ هل كرّموه ، أم أهانوه ، أم قتلوه ؟ ؟

توفي رحمه الله تعالى سنة الف ومـــائتين وثلاث وعشرين ودفن في تربة السلطان مصطفى .

الشيخ سليم بن نجيب صافي الحنفي الحمصي

عالم غير انه عامل ، وكامل غير انه فاضل ، متواضع دائم الخضوع ، متذلل كثير البكاء والخشوع ، قد أمات نفسه باحيـاء طاعته ، وحفظ أوقاته بتقواه وعبادته ، وجذب القلوب بحسن أفعاله ، وملك الألباب بجميل أحواله وأقواله ، فلا ريب أنه فرد مصره ، بل أوحد أوانه وعصره . ولد سنة تسع وعشرين بعد المائتين والألف ، ونشأ في طلب العلم الشريف ثم أقبل على الطاعة والتقوى ، وذكر الله في السر والنجوى ، وكان ورعاً عابدا ، ناسكاً زاهدا ، كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يجلس في مجلس إلا وقد شغله بسيرة السادة الغرر ، وكان لا يفتر عن ذكر الله بحال ، ولا يسكت عن منكر ولو كان مرتكبه من ذوي السلطة والإجلال ، وكان يدور على الأرامل والأيتام ، فيقضي لهم حوائجهم حسب المرام ، وكان له غاية الهمة ، في قضاء المصالـــح والخدمة ، وكان إذا جلس في مجلس لا يقوم حتى يجعل ختام مجلسه ذكر الله تعالى ، وكان كثيراً ما يقول : الحمد لله الذي أنعم علينا برسوله محمد ﷺ وتارة يبدل أنعم ، بمَنّ ، وتارة أكرمنا برسوله محمد ، ويأمر الناس بأن يواظبوا عليها . وقد اجتمعت به سنة ثمانين في مدينة حمص فرأيته فوق ما سمعت عنه ، وشاهدت ما لم أكن أظنه منه ، فلا ريب انه فرد زمانه ، ونادرة أوانه . ولم يزل ناهجاً منهج السلف الصالـح ، متمسكاً بالسبب القوي الراجح ، متخلقاً بأخلاق ذوي الكمال ، متحققاً

بآداب السادة من أعيان الرجال ، إلى أن خطبته المنية ، ونقلته للمقامات العلية ، وذلك في اليوم الحادي والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام سنة سبع وتسعين من هجرة محمد ﷺ من المسجد الحرام .

الشيخ سليم بن الشيخ ياسين بن الشيخ حامد بن الشيخ أحمد بن الشيخ عبيد الله بن عبد الله بن عسكر بن أحمد الحمصي الاصل الدمشقي الشافعي الشهير بالعطار

إمام اقتدت به أئمة العلماء ، واكتست من فضائله حلية ذات بهجة وسناء ، ونطقت في مديحه ألسنة الأقلام على منابر الأنامل ، وأعربت أفواه الدفاتر عما في ضميرها من انه مجمع الفضائل ، أثمرت أفنان اليراع في رياض فضائله ، وأينعت أثمار كمالاته الأحمدية في حدائق فواضله ، قد انعقد إجماع من جل وقل ، على انه مرجع الكل في الكل :

فالناس كلهم لسان واحد يتلو الثناء عليه والدنيا فم

فلعمري قد عجزت عن حد نباهته وطلاقته الأفكار ، وطارت بأجنحة الثناء عليه بلابل الأقطار .

كان بعد جده المرحوم الشيخ حامد العطار يقرأ البخاري الشريف يوم الخميس فقط صباحاً في رجب وشعبان ، فتارة يقرأ سبعة دروس ، وتارة ثمانية ، وذلك في تكية المرحوم السلطان سليم الكائنة في المرج الأخضر ، مع أن شرط السلطان سليم أنه يعظ واعظ في كل جمعة مرة واحدة ، وله على كل درس ثلاثون بارة ، وإن السليمانية التي بجانب التكية السليمية قد شرط السلطان سليمان أن واعظاً يعظ بها في كل جمعة ثلاثة أيام ، وله عن كل يوم عشرة دراهم فضة ، في كل سنة أربعة آلاف قرش

تقريباً [١] ثم إن المرحوم الشيخ حامد العطار ضم الدرسين درساً واحداً والمعاشين معاشاً واحدا ، وجعل قراءة الدرس في السليمية ، وجعل في خصوص رجب وشعبان في كل يوم خميس صباحا ، ونقله من الوعظ إلى البخاري الشريف ، مقابلة لدرس قبة النسر في جامع بني أمية ، فإنه يقرأ تحتها البخاري الشريف في رجب وشعبان ورمضان ، إلا أنه كل يوم بعد العصر ، وكذلك يأخذ المدرس في السليمية زيادة على الدراهم المرقومة في كل سنة مائتين وثمانية وثمانين مداً من الحنطة . وبعد وفاة الشيخ حامد المرقوم قرأ في محله ولد ولده الشيخ سليم ، وهو المترجم المرقوم ، وكان عالماً فاضلاً فصيحاً نطوقاً جسوراً حفاظاً وجيها ، ذا همة وإقدام ، ولم يكن له ما يطعن في مقامه سوى أنه كان محباً لأخذ الدراهم وتناولها بدون تحر ، وكان يتعاطى أكثر القضايا وينظر بها لمحل

---

(١) ترجمه التقي الحصني في تاريخه ، ومما قاله : استجاز كثيراً من علماء الأقطار ، ومنهم عالم العراق السيد محمود الألوسي المفسّر ، وصاحب التآليف الشهيرة ، وكان يتفنن بأثناء دروسه في إلقاء المسائل وأخبار السلف بعبارات تبهر العقول ، وتدهش السامع ، وكان يتكلم على الحديث من سائر العلوم ، ويمزجه بشيء من التصوف ، ويأتي بالأحاديث المناسبة له ، ويستخرج منها الأحكام ، ويبين حجة كل مذهب ، وكانت دمشق تفتخر بدرسه ، وقد انتفع منه خلق كثير ، ونبغ عليه علماء أفاضل ، منهم عمه الشيخ بكري المتقدم الذكر ، ومن تلاه من علماء هذا العصر ، وكان يلقي درس التفسير بين العشاءين في محراب الشافعي ، وفي شهر رمضان كان يلقي درساً في الحديث في مشهد الحسين من جامع دمشق ويحضره العلماء من سائر المذاهب ، ويحصل بينهم المناظرات والمعارضات ، وكل يقيم أدلة على ترجيح قول إمامه في المسألة ، ويكون الشيخ هو الحكم بينهم اه باختصار وتصرف قليلين .

نفعه . وعلى كل حال كان عديم المثال ، في العلم والفضل وبقية الخصال . توفي يوم الاثنين سادس جمادى الثانية سنة سبع وثلاثمائة والف وعمره نحو الثمانين ودفن في مرج الدحداح .

سليم بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكزبري الشافعي

مات والده سنة الف ومائتين وتسع وتسعين ، فأراد بعض الناس أن يكون ولده المترجم مكانه في تدريس صحيح الإمام البخاري بعد العصر في رجب وشعبان ورمضان تحت قبة النسر في جامع بني أمية ، وإن كان عديم الأهلية ، بل كان يقرأ في كتب المبتدئين ، لكن أرادوا أنهم يجعلون له همة للطلب والتحصيل ، وإنه في أول الأمر يقرأ الدرس رسماً لكيلا تخرج هذه الوظيفة من هذه العائلة ، فكان بعض الناس في كل يوم يكتب له الدرس وبعض تقريرات عليه ، ويضبطون له بالقلم خوفاً من التحريف ، وصار يقرأ هذا الدرس في كل سنة على هذا المنوال ، من غير اعتراض عليه ولا سؤال ، ولم يزل كذلك إلى أن ظن نفسه أنه فاق ، مع انه ما تقدم عن حاله الأول ، ولا ارتدى برداء ما يليق بذوي الكمال ولا تحول ، بل كان يتعاطى القضايا ، التي يعدها أصوله من أعظم الرزايا ، فنعم الآباء والجدود ، ونعم ما كانوا عليه من الفضل المشهود ، فلا ريب أن هذا المترجم ، ذا الهيئة السامية والقدر المعظم ، قد رمدت به عيون العلم والأدب ، وتمنت العمى ولا تراه مستوياً على هذه الرتب . وحينما مات والده ، وانتهى من فضل هذا البيت طارفه وتالده ، وجلس المترجم تحت قبة النسر ، أنشد لسان حال المحل حزناً من غير صبر :

لعلك يا عذير علمت حالي فتعلم أي خطب قد لقيت
وإني إن بقيت بمثل مـابي فمن عجب الليالي ان بقيت

ومن العجيب انها قد احترقت بعد مدة قليلة ، وبقيت على انهدامها تبعاً للجامع مدة طويلة .

نسأل الله حسن الأحوال ، بجـاه سيدنا محمد والصحب والآل .

توفي هذا المترجم رحمه الله تعالى سنة الف وثلاثمائة وإحدى وثلاثين وجلس في مكانه ولده الشيخ محمد علي فتح الله علينا وعليه ، ودفن هذا المترجم في تربة باب الصغير في مدفن آبائه الكرام .

الشيخ سليم بن الشيخ حسين النحلاوي المعروف بالطيبي

أمين فتوى السادة الشافعية ، في دمشق الشام المحمية . ولد في دمشق ونشأ بها ، وحضر دروس علمائها إلى أن بلغ المطلوب ، وفاز بالمرغوب ، وصار معدوداً من الأوائل ، ومحسوباً من ذوي الفضائل ، وكان حسن العبارة ، دائباً على الترقي في المعارف ليله ونهاره ، لطيف المحاضرة ، رقيق المذاكرة ، لا يُمل كلامه ، ولا يعل نثره ولا نظامه ، وله مؤلفات بهية ، وآثار لطيفة زهية ، منها الفيوضات الرحمانية ، في أحكام الفرائض القرآنية . وكان زينة المجالس ، وبمثله يتنافس المتنافس ، ولم يزل رفيع المقام جليل الاحترام ، إلى أن نظمته يد المنية ، في سلك الراحلين إلى الدار العلية ، وذلك في حدود الألف وثلاثمائة [1] رحمه الله تعالى .

---

(١) قال الأستاذ الشطي في روض البشر : وكانت ولادة المترجم (سنة ١٢٤١) ونشأ في حجر جدّه وبه اشتهر ، وعليه تخرج في الفقه وغيره . وأخذ الفرائض والحساب عن العلامة الجد الشيخ حسن الشطي ، وحضر في بعض العلوم على —

الشيخ سليم بن محمد بن يوسف بن حسن بن يوسف سمارة

ذو علم وعبادة ، وفضل وسيادة ، واستقامة في الأمور ، وصيانة عما يوجب القصور ، كان رفيقي في طلب العلم على سيـــدي الوالد ، فقرأنا كتباً متعددة من فنون لا من فن واحد ، وبعد موت والدي سنة الف ومائتين واثنتين وسبعين حضرنا دروس العالم الفاضل ذي المقام الرصين الشيخ محمد الطنطاوي الأزهري ، الذي هو بكل فضل حري ، فحضرنا جميـع دروسه بكل جد واجتهاد ، ونلنا به كل مرام ومراد ، ولم نزل نحضر دروسه خمس سنين ، إلى أن حدثت حادثة النصارى في أواخر ذي الحجة سنة الف ومائتين وسبع وسبعين ، فانتقل الشيخ المومى اليه من الميدان إلى داخل البلد ، لإقراء أولاد الأمير عبد القادر السيد السند ، وجلس في مكانه بجامع سيدنا صهيب الشيخ العربي المغربي ، وبعد موته جلس المترجم في مكانه في الجامع المرقوم إماماً وخطيباً ومدرساً ، وتزوج ببنت شيخنا الطنطاوي المرقوم ، ووجهت عليه نظارة جامـــع المصلى المشهور ، فقام بخدمته كما هو في الشريعة مأمور ، ثم صار اماماً في المحلة المرقومة ، وكان يتعاطى مصالحها من عقد وصلح وغير ذلك من الأمور المعلومة . وفي سنة خمس وثمانين بعد المائتين والألف حينما جاء إلى الشام الشيـــخ محمد المغربي الفاسي الشاذلي ، أخذ الطريقة عليه ولا زال يشتغل في السلوك ، إلى أن ذهب شيخه إلى ملك الملوك ، فذهب المترجم إلى الحجاز واستقام هناك عدة شهور في زاوية الأستاذ المرقوم ،

— عمر افندي الغزي مفتي الشافعية ، وأجازه الأخير بما تجوز له روايته . ثم إن المترجم برع في عمل المناسخات الفرضية ، والشجرات الوقفية ، وتولى قضـــاء الشافعية بدمشق ، والنيابة الشرعية في الناصرة ، وحمدت سيرته ، ولم يزل على حالته حتى توفي بالتاريخ المذكور .

وحصل له الإذن من ولد الأستاذ المرقوم بأن يعطي الطريق لمن شاء ممن فيه أهلية للأخذ ، وأن يقيم الأذكار على شرط الطريق المعروف عند أهله ولم يزل هذا المترجم في علم وعمل وطاعة وعبادة ، وصيانة وتقوى ، يحب التودد إلى إخوانه ، ويذهب إلى زيارتهم بقدر إمكانه ، مع قيامه بوظيفة الإفادة ، وإقامة الأذكار حسب العادة . وله تمسك بالسنن ، وميل إلى العمل بها جميل حسن ، وللناس به اعتقاد عظيم ، ونظر اليه بعين التعظيم ، غير انه له أطوار ، فربما يكون في غاية البسط فتجذبه في الحال إلى الأكدار ، فيغلب عليه السكوت ، ويظهر عليه أنه مقهور ممقوت . وهذه كثيراً ما تحصل لأهل الطريق ، ويعتريهم به غاية الضيق ، وعلى كل حال فالله هو المتصرف بعباده كيف يشاء ، فهذا يجعله ممن أحسن وهذا ممن أساء ، فهذا المترجم ممن يحق له أن يذكر ، ويثنى عليه بين الناس بالجميل ويشكر ، وفقنا الله وإياه لطاعته ، وأحسن الينا بجميل عنايته . توفي رحمه الله تعالى أثناء سنة الف وثلاثمائة وإحدى وثلاثين ودفن في باب الصغير .

سليم افندي بن أنيس افندي بن قصاب حسن

أقسم بالشمس والقمر ، ونسيم الصبا إذا سرى في السحر ، لهو البليغ الذي فاق نظمه ونثره ، وراق لدى الاسماع سجعه وشعره ، له خلق أرق من النسيم وأعذب ، وكلام ألذ من سماع العود وأطرب ، وأوصاف كالروض إذا ثغرُ أقاحه تفلّج ، ومائس غصنه بأنواع الزهر تاه وتبرج ، وفصاحة ألانت له عصي الكلام ، وبلاغة طوعت له أبيّ النظام ، فمن نظمه الزاهي الزاهر ، وشعره الباهي الباهر ، قوله :

أبى الله إلا أن أبيت معذبا ... وأن لا أرى غير المحبة مذهبا
بروحي غزالا إن تمايل أو رنا ... فلا تذكروا الأغصان بعده والظبا
فإن اشتغالي بالذي هو يرتضي ... وفيه ، فلا أمماً أبر ولا أبا
حملت الأسى حرصاً على وده وقد ... أضعت شبابي في هواه تسيبا
خلعت شعوري والتنسك والهدى ... وأصبحت في برد الضلال مجلببا
سهوت عن الدنيا وديني كأنما ... عليّ إلهي ما أسن وأوجبا
أروح وأغدو بين قومي كأنني ... مسيء ومخطاء ، وما كنت مذنبا
ذليل ومالي بالوضيع وإنما ... غرامي دعاني أن أذل وأغلبا

وقوله

يابدر ماهذا التجني والقلى ... ما كان ظني فيك ترعى العذلا
أوليتهم حسن الوفاء وخنتني ... بقبيح هجر ليت ماكانوا ولا
أجهلت ودي في هواك صيانة ... الله أكبر ما أود وأجهلا
هل قد نسيت العهد أم أنقضته ... بالله فاذكر ما تقضى أوّلا
مهلاً أبعد تعطف وتلطف ... مني تبلغ حاسدي ما أملا

وقوله

كم ذا وكم هذا العذاب الأكبر ... وإلى متى هذا المنون الأحمر
يا قلب فارجع عن قريب وارتقب ... مولاك بي ان الطريق لمخطر
إذ لم تطع نصحي ضلالاً بالهوى ... ودّع حياتك فاللقاء المحشر

وقوله

عاقب بما تبغي سوى الإعراض ... وافعل كما تختار اني راضي
واسمح ولا تسمع كلام مفوّه ... بالسوء قد أفشى الجفا أمراضي
إني على العهد القديم محافظ ... ما خنت ودًّا قد زكا في الماضي
يا حبذا موتي بحبك ان تكن ... بالصد والهجر المحتم قاضي

وله

لو كان يدري حالة الولهان ... ما جار بالإعراض والهجران
ظبي سلا في حبه قلبي وما ... حدثت نفسي عنه بالسلوان
أمسي وأصبح في هواه كأنني ... سكران نشوان بخمر دنان
أواه من لوم العواذل انه ... قد زادني ناراً على نيران
بالله بلـــغ يا صبا إن جزته ... أشواق صب بالمحبة فـــاني
حيران سهران الظلام متـــيم ... يرعى النجوم بناظر هتّان

وله

ما الهوى إلا هوان واكتئاب ... واحتراق واشتياق واضطراب
نعمة قل إن تشـــا في نقمة ... أو بلاء أو نعيم في عـــذاب
ليس تعداد الليـــالي فائداً ... إنما قد زاد نيراني التهـــاب
إن نأى يا طول تسهيدي به ... أو دنا لم يشف قلبي الاقتراب

وقال في ذات مخصوصة مما ظاهره الهجاء ، وباطنه المداعبة والمجون :

ما هام هذا الشيخ فينا وافتخر ... إلا على حب الطعام المفتخر
ظهرت مناقبه الحسان وداره ... عنا توارت ليس يدركها البصر
أمسى بدار المطعمين منعما ... وبداره يلقى عذاباً من سقر
ان هلّ يوم العيد هلّل فرحة ... وإذا أتى شهر الصيام نوى السفر
شيخ إذا ما مد يومـــاً باعه ... لم يبق شيئاً في الخوان ولا يذر
تلقى الصحون لديه ترجف خيفة ... فيجيبهـــا أين المفر من القدر
أسنانه مثل المنـــاجل ما ورا ... ء حصادها لقط يراه من اغترر
فالويل للقبوات من وثبـــاته ... والسحق للحلواء منه ان حضر
كره الزحام على الطعام لذا غدا ... يبدي التعامي عنه في غض النظر

تباً له بئس الأكول فإنه لو حل في دار النجاشي لافتقر
صادفته متحيراً والوقت في شهر الصيام فقلت ما هذا الخبر ؟
فأجابني دعني فإن حماقتي قد أورثتني من تجنيها الكدر
أقسمت شهري لا أجيب لدعوة وظننت ظن الخير في صبري عذر
فمتى زمان النحس عني ينقضي وأرى ليالي المحق تظفر بالقمر
حتى أجيب لكل داع مسرعاً وأسير لو ان الطريق على خطر

وله

خسف البدر وقد تم الأمر وبدا في خده داجي الشعر
ذهب الحسن الذي قد غره واسترحنا من دلال كان مر

وقال مؤرخاً

لقد ولدت لك العرجاء مهراً فدع زوراً دعاء البضع عنكا
نعم لاحت علائم فيك منه وفيه بدت علائم أشبهتكا
وما هو منك عبد الله أرخ بلى لو جاء بغلاً كان منكا ١٢٩٢

وقال

ما لهذا الحب آخر لا ولا للصب ناصر
ما احتيالي عز صبري والهوى أبدى السرائر
لست أخلو من حسود أو عذول دام غادر
إن بسها عني رقيبي جاء يرنو ألف ناظر
أو نأى عني عذولي كان سقمي فيه حاجر
ليتني قبل الهوى لو أنني زرت المقابر

ليت شعري اليوم هل لي بالهوى العذري عاذر
بأبي الظبي المفدى أكحل العينين ساحر
إن رنا باللحظ عجباً قلت يا هاروت حاذر
بدر حسن تم وصفا إن بدا أسبى الحرائر
حبه سل شعوري يا ترى بالحال شاعر
حسنه جرد نسكي وهو بالإحسان غامر
عادل الأعطاف لكن لحظه بالفتك جائر
صرت من وجدي عليه مثلاً في الناس سائر
عاذلي فنّد وأوّل فعلى الباغي الدوائر
واتق الرحمن واحذر إن طرف الصب ساهر

وقال من نوع الاطراد

أيها الراوي أحاديث الشجن بالهوى العذري خذ عن مؤتمن
عن سليم بن أنيس بن سليم بن حسان بن قصاب حسن

وقال مادحاً حضرة الشهم الأديب حسن افندي بيهم

حبذا موردها بيروت من بلدة قد برعت في كل فن
أشرقت تزهو بأبهى فتية لم تجد فيهم فتى إلا حسن

وقال مجيباً عن هذا اللغز الوارد من جناب الأديب الفائق الشيخ محمد عجم الحمصي

قل للأجل الأمجد السامي المقام الأوحد
حميت من خل سليم القلب حلو المورد
ما اسم رباعي نصفه أراه فر من اليد
والنصف أفتن عاشقاً يحكيه ميد الأمد

جزآن منه صيرا ني رق ظبي أغيد
بالبسط ثاني حرفه البر منه تجتدي
هو صالح ذو رفعة بالقطب دوماً يقتدي
هات الجواب بسرعة لتنال أسنى السؤدد

الجواب

يا من سما بالسؤدد أسنى المقام الأمجد
أهديت لغزاً سامياً في نجم سعدك يقتدي
اسم رباعي حكى وجه الحبيب الأغيد
اسم وكم منه إلى فعل وحرف تهتدي
النصف فر ونصفه قدّ يقدّ تجلدي
أصبحت رقاً بالهوى مذ قر في قلبي الصدي
بالقلب درّ شطره قف ما تبقى واشهد
تلقى بحذفك لامه فرقاً بدا كالفرقد
هذا الجواب فأرتجي إغضاء طرفك سيدي

وقال

ما بال قلبك قد غدا متقلباً أيُلام ولهان ولم يك مذنبا
ما كان عهدي في ودادك جفوة من غير داع بالمحبة أوجبا

ولما نظم ديوانه المسمى بنشأة الصّبا ، ونسمة الصّبا ، وطبعه في خامس عشر شوال سنة الف ومائتين وثمان وتسعين ، أرسل لي نسخة فأرسلت له تقريظاً على الديوان المذكور إلا أنه قد كان طبع فلم يمكن إلحاقه ، وقد أرسل إلي هذه القصيدة :

أمن طرفه الوسنان أم ثغره الحالي ... دعاني الهوى نشوان أغفل عن حالي
أم الغمز من عينيه أوحى مراسلاً ... فؤادي بما أوحى فهيج بلبالي
غزال له قلب المحبين مرتع ... ولم يلف قلباً من محبته خالي
هو البدر إلا أن آية حسنه ... مرتلة لم يتلها بالسنا تالي
سلا القلب جوراً وهو فيه فليته ... رعى حق جار لم يكن قطّ بالسالي
له الله ما أحلى زماناً قضيته ... بلقيائه أنساً على رغم عُذالي
ذوى بعده عود اصطباري وعوده ... كعود صبا الأشياخ والهرم البالي
قطعت الرجا من وصله وانخت في ... حمى عبد رزاق الورى ركب آمالي
هو العالم النحرير والعامل الذي ... تجرد للمولى عن الآل والمال
إمام لأفراد الفضائل جامع ... يؤم ذرى عليائه كل مفضال
اذا ماد في ميدان فن يراعه ... وجال بأفكار جلا كل إشكال
كساني برودا من نسيج قريضه ... فبت على الاقران اسحب اذيالي
وقلدني من بحره عقد جوهر ... نظيماً ولكن لا يليق بأمثالي
وقابل حظي منه أسعد طالع ... فحققت وهما نجم نحسي باقبال
فلا زال في جبر الكسير ملاطفا ... مدى الدهر ما المشتاق حن لأطلال

ولد هذا الشهم الأديب ، سنة الف ومائتين وستين بوجه التقريب ، ولم يزل بحمد الله على احسن حال ، وأهنأ عيش واعلى كمال ، كلامه لطيف ومقامه منيف وسيرته حسنة ، وصفاته مستحسنة ، اطال الله بقاه ، واعلى حظه ومرتقاه [1] .

---

(١) لم اقف على تاريخ وفاته .

الشيخ سليمان بن سلامة الشافعي الأشعري الميداني

العالم العابد ، والناسك الزاهد ، ولد سنة إحدى عشرة ومائتين والف ، وقرأ على الشيخ صالح الزجاج ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ عبد الله الكردي ، وبقية الشيوخ الموجودين . ولم يزل كذلك إلى أن انتقل والدي الشيخ حسن إلى الميدان فاقتصر عليه ، وحط رحله لديه ، فقرأ من الفنون وأكثر ، إلى أن قرأ التحفة الفقهية لابن حجر ، وحين وصولهم إلى باب العتق اخترمت والدي المنية . وكان المترجم المرقوم ذا هيبة علمية ، ولطافة أدبية ، وكان عليه وظيفة التدريس والإمامة والخطابة في جامع ساحة السخانة تابع الميدان . ولم يزل مواظباً على إفادته ، مقبلاً على تقواه وعبادته ، إلى أن توفي رحمه الله في ذي الحجة الحرام سنة الف ومائتين وسبع وسبعين ، ودفن في مقبرة باب الله ، رضي الله عنه وأرضاه .

الشيخ سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الشافعي الأزهري المصري المعروف بالجمل

الفاضل العلامة ، والرحلة الفهامة ، المحدث الفقيه ، والمتبحر النبيه ، الصوفي الصالح ، والمتعبد الناجح .

ولد بمنية عجيل كما ذكره الإمام الجبرتي ، إحدى قرى الغربية ، وورد مصر ولازم الشيخ الحفني ، فشملته بركته ، وأخذ عنه طريق الخلوتية ، ولقنه الأسماء وأذن له واستخلفه وتفقه عليه وعلى غيره من فقهاء العصر ، مثل الشيخ عطية الاجهوري ولازم دروسه كثيراً ، واشتهر بالصلاح وعفة النفس ، ونوه الشيخ الحفني بشأنه ، وجعله إماماً وخطيباً بالمسجد الملاصق لمنزله على الخليج ، ودرس بالاشرفية والمشهد الحسيني في

الفقه والحديث والتفسير ، وكثرت عليه الطلبة ، وضَبَطت من املائه وتقريراته كثيراً . وقرأ المواهب والشمائل وصحيح البخاري وتفسير الجلالين بالمشهد الحسيني بين المغرب والعشاء ، وحضره أكابر الطلبة ، ولم يتزوج . وفي آخر أمره تقشف في ملبسه ولبس كساء صوف وعمامة صوف وطيلسانا كذلك ، واشتهر بالزهد والصلاح ، ويتردد كثيراً لزيارة المشايخ والأولياء . ولم يزل على حاله ، حتى توفي حادي عشر ذي القعدة سنة أربع ومائتين والف .

الشيخ سليمان الجوسقي شيخ طائفة العميان بزاويتهم المعروفة الآن بالشنواني

العمدة الشهير ، والنخبة النحرير ، تولى شيخا على العميان بعد وفاة الشيخ الشبراوي ، وسار فيهم بشهامة وصرامة وجبروت ، وجمع بجاههم أموالاً عظيمة وعقارات ، فكان يشتري غلال المستحقين المعطلة ، ويخرج كشوفاتها وتحاويلها على الملتزمين ، ويطالبهم بها كيلا وعينا ، ومن عصى عليه أرسل اليه الجيوش الكثيرة من العميان ، فلا يجد بداً من الدفع وان كانت غلاله معطلة ، صالحه بما أحب من الثمن . وله أعوان يرسلهم إلى الملتزمين بالجهة القبلية يأتون اليه بالسفن المشحونة بالغلال والمعاوضات من السمن والعسل والسكر والزيت وغير ذلك ، ويبيعها في سني الغلا بأقصى القيمة ، ويطحن منها على طواحينه دقيقاً ويبيع خلاصته ، ويعجن نخالته خبز الفقراء العميان ، يتقوتون به مع مايجمعونه من السؤال في طوافهم آناء الليل واطراف النهار بالأسواق والأزقة ، وتغنيهم بالمدائح والخرافات ، وقراءة القرآن في البيوت ومساطب الشوارع ، وغير ذلك ، ومن مات منهم ورثه الشيخ المترجم المذكور ، وأحرز لنفسه ماجمعه ذلك

الميت ، وفيهم من وجد له مال عظيم ، ولا يجد لنفسه معارضاً في ذلك . واتفق أن الشيخ الحنفي نقم عليه في شيء فأرسل اليه من أحضره موثوقاً مكشوف الرأس مضروباً بالنعال على دماغه وقفاه من بيته إلى بيت الشيخ ، ولما انقضت تلك السنون وأهلها صار المترجم من أعيان الصدور المشار اليهم في المجالس تخشى سطوته ، وتسمع كلمته ، ويقال قال الشيخ كذا ، وأمر الشيخ بكذا ، وصار يلبس الملابس الفاخرة والفراوي ويركب البغال وأتباعه محدقون به من كل جانب ، وتزوج الكثير من النساء الغنيات الجميلات ، واشترى السراري البيض والحبش والسود ، وكان يقرض الاكابر المقادير الكثيرة من المال ليكون له عليهم الفضل والمنة .

ولم يزل حتى حمله التفاخر في أيام الفرنسيس على المداخلة في الفتنة والرئاسة مع من ترأس ، وقتل فيمن قتل بالقلعة ولم يعلم له قبر ، وكان ذلك في سنة أربع عشرة ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي الازهري المنتهي نسبه الى الشيخ جمعة الزبدي المدفون ببجيرم نسبة الى زيده بالقرب من منية ابن خصيم ، وينتهي نسب الشيخ جمعة المذكور الى سيدي محمد بن حنفية

هو العالم الفقيه ، والمحدث النبيه ، خاتمة المحققين ، وعمدة المدققين ، بقية السلف ، ونخبة الخلف ، وكعبة العلماء ، ومرجع الفقهاء ، من طار في الآفاق ذكره ، ورقي على أوج الرفعة قدره ، وتحلى بالفضائل ، وتقدم على الأفاضل .

ولد ببجيرم قرية من الغربية سنة احدى وثلاثين ومائة والف ، وحضر إلى مصر صغيراً دون البلوغ ، ورباه قريبه الشيخ موسى البجيرمي ، فحفظ القرآن ولازم الشيخ المذكور حتى تأهل لطلب العلوم ، وحضر على الشيخ العشماوي في الصحيحين وابي داوود والترمذي

والشفا والمواهب ، وشرح المنهج لشيخ الاسلام ، وشرحي المنهاج لكل من الرملي وابن حجر ، وحضر دروس الشيخ الحفني ، واجازه الملوي والجوهري والمدابغي ، وأخذ عن الديربي وغيره ، وحضر أيضاً دروس الشيخ علي الصعيدي ، والسيد البليدي ، وشارك كثيراً من الأشياخ كالشيخ عطية الاجهوري وغيره . وكان انسانا حسناً حميد الاخلاق متجمعا عن مخالطة الناس مقبلاً على شأنه ، وقد انتفع به أناس كثيرون ، وكف بصره في آخر عمره ، ومن تآليفه : حاشيته على شرح المنهج أربع مجلدات ، وأخرى على الخطيب وغير ذلك ، وقبل وفاته سافر إلى مصطية بالقرب من بجيرم فتوفي بها ليلة الاثنين وقت السحر ثالث عشر رمضان سنة احدى وعشرين ومائتين والف ودفن هناك رحمة الله تعالى عليه .

الشيخ سليمان الفيومي المالكي الازهري

العمدة النحرير ، والنبيل الشهير ، كريم الأفعال ، جميل الخصال ، ولد بالفيوم ، وحضر إلى مصر وحفظ القرآن ، وجاور في الأزهر ، وكان في أول عمره يمشي خلف حمار الشيخ الصعيدي وعليه دارعة صوف وشملة صفراء ، ثم حضر دروسه ودروس الشيخ الدردير وغيرهما ، واختلط مع المنشدين على الاذكار ، وكان له صوت حسن مطرب ، فيذهب إلى بيوت الأعيان في الليالي فينشد الانشادات ويقرأ الأعشار من القرآن ، فيعجب الحاضرون به ويكرمونه زيادة على غيره ، واختلط ببعض الأعيان البرقوقية من ذرية السلطان برقوق ، وهم نظار على أوقافه ، فراج أمره ، وكثرت معارفه بالاغوات الطواشية ، وبهم توصل إلى نساء الأمراء والسعي في حوائجهن ، وصار له قبول زائد عندهن وعند أزواجهن ، وتجمل بالملابس وركب البغال . ولما مات الشيخ محمد العقاد

تعين المترجم لمشيخة رواق الفيمة ، وبنى له محمد بيك المعروف بالمبدول داراً عظيمة بحارة عابدين ، وكانت تأتيه الهدايا من الأمراء وغيرهم ، وتزوج ببنت عبد الله الرومي وتصرف في أوقاف أبيها ، وكان مع قلة بضاعته في العلم مشاركا بسبب التداخل في القضايا . وكان كريم النفس جداً يجود وما لديه قليل ، مع حسن المعاشرة والبشاشة والتواضع والمواساة للكبير والصغير ، والجليل والحقير ، وطعامه مبذول للواردين فكل من دخل عليه لابد أن يقدم له طعاماً ، ولا يرد طالباً بلا شيء ولو أنه يقترض ، ويدفع فوق المأمول ، وكان لايتأخر عن مساعدة ذي حاجة أصلا ، مع كونه نافذ الكلمة ، مقبول الشفاعة ، ولا يقبل من احد شيئاً مكافأة على فعله ، فمالت اليه القلوب ، ووفدت عليه الناس من كل جانب ، وطارت شهرته في البلاد والأماكن ، وكان إذا نزل عنده ذو حاجة فلا يخرج من داره حتى تقضى حاجته ، فيودعه ويزوده مايكفيه إلى وطنه .

ولما أخذ الفرنساويون مصر عام ثلاثة عشر ، كانت داره ملجأ القاصدين ومنهل الواردين من الناس ، لأنه كان عند الفرنساويين من المقدمين على غيره ، ولم يزل في ازدياد إلى ان نزل به مرض فأبطل شقه ، وعقد لسانه ، ولم يزل حتى توفي ليلة الأحد الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وعشرين ومائتين والف .

★ ★ ★

حرف الشين

السيد شاكر بن علي بن سعد بن علي بن سالم العمري الحنفي الدمشقي (١)

شيخ قد فاق في العلم والعمل ، وحاز من التقوى والعبادة والحلم والكرم بغية الأمل ، قد جمله الله تعـالى بأحسن الشمائل ، وتوجه بتاج الكمال والفضائل ، وزينه بفرائد الفنون وعوائد العلوم ، وأظهر له ينابيع المنطوق والمفهوم ، فارتقى ذروة المعارف ، وبزغت من مشارق أفكاره شموس اللطائف .

ولد في دمشق الشام ، سنة الف ومائة وسبع وخمسين في محرم الحرام ، ثم التفت لطلب العلوم ، حتى صار بيت القصيد ومرجع العموم . قرأ على الشيخ محمد الكزبري الشافعي ، وعلى ولده الشيخ عبد الرحمن ، وعلى المنلا علي التركماني ، وعلى علي افندي الداغستاني ، وعلى الشيخ علي السليمي ، وعلى الشيخ مصطفى الأيوبي ، وعلى الشيخ ابراهيم الخلوتي ، وعلى الشيخ

---

(١) هو الشيخ شاكر العقاد ، ترجمه أخص تلامذته السيد محمد أمين عابدين في آخر ثبته المطبوع ، ومنه قوله : انتهت اليه الرئاسة في العلوم ، وكان والده حنبلياً على مذهب أصوله ثم تحنف ، وقد شرع المترجم في الإقراء ونفع الطلبة وهو حديث السن جداً ، وعم نفعه ، وبعد صيته ، وتخرج عليه أفاضل معتبرون ، هم مشايخ دمشق الآن . والحاصل أنه كان باب الفتوح ، والشيخ المربي النصوح ، شغله من الدنيا التعلم والتعليم ، والتفهم والتفهيم ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لا يخشى في الله لومة لائم اه ملخصاً .

محمد العجلوني ، وعلى الشيخ احمد بن عبيد الله الحمصي ، وعلى الشيخ ابراهيم الغزي الصايحاني ، وعلى الشيخ مصطفى بن احمد بن محمد بن سلامة اللقيمي ، والشيخ محمد بن أبي بكر الدمشقي ، وغيرهم من الشاميين وغيرهم ، وقد أجازوه جميعاً بما تجوز لهم روايته عن مشايخهم . وكانت له شهرة عظيمة ، وبركة شاملة عميمة ، فكان يعتمد عليه ، ويشار اليه ، ومن نظمه يمدح شيخه الامام الفاضل السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس :

يا بني العيدروس أنتم ملاذي أنتم ملجأي بني العيدروس
فاعطفوا سادتي على عبد رق رق من صبوة وشوق رسيس

وقال أيضاً :

يا آل بيت العيدروس أنتم أهل الصفا وبكم تطيب لذائذي
عطفاً على من أزعجته كروبه فحماكم للمستجير العائذ (١)

وقد مدحه تلميذه السيد محمد عابدين بقصيدة منها قوله :

لا أنثني عن حبه وغرامه أبداً وإن كانت دموعي تغدق
إلا إلى مدحي لروض العلم مَن مِن عرفه كل الورى تستنشق
العالم العلامة الفرد الفريد اللوذعي الألمعي الحاذق
هو شاكر ولربه ذي الشكر شا كر دائماً عن شكره لا يزلق

إلى آخرها وهي طويلة وحينما قدمها لشيخه المرقوم أجابه بقوله :

---

(١) « قل : أعوذ بربّ الفلق ، من شر ما خلق » ، « قل : أعوذ برب الناس » ، هاتان السورتان ، تقرآن في الصلاة وغيرها ، ثم يعدل عنهما مثل هؤلاء الفضلاء الى اللجوء لمن لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً ، ويغفلون عن قوله تعالى : « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فإنْ فعلت فانك إذاً من الظالمين . وإن يمسسْك الله بضر ، فلا كاشف له إلاّ هو ، وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله » . يونس . الآيتان ١٠٦ و ١٠٧ .

حبيب لقد أهدى إلي مدائحاً ألذ على قلبي وأشهى من الشهد
عقود جمان صاغها فكر بارع خبير بتنظيم الفرائد في العقد
أديب أريب ألمعي سميـــدع نبيل نبيه لوذعي عطر الند
فصن ذاته من حاسد ومعاند ويمم به سبل المسرة والجد
وحين رجا مني القبول تخضعاً تلقيتها بالشكر منه وبالحمد

ومن قوله رضي الله عنه قرب وفاته في آخر عمره :

قد آن يا خلي ويا بغيـــتي ارجع عن ميلي وعن صبوتي
واتقي رباً سريـــع الرضا ينعم بالعفو وبالتوبـــة

وكانت وفاته رضي الله عنه بعد العصر نهار الجمعة لأربـع مضت من محرم الحرام سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف ، ودفن بمقبرة الذهبية قرب قبر سيدي أيوب الخلوتي من جهة رأسه .

الشيخ شاكر بن خليل بن ناصر بن محمد المجذوب الرفاعي الميداني

كان رجلاً صالحاً متعبداً مشتغلاً بأوراد القطب الأوحد السيد أحمد الرفاعي قدس الله سره ، وجعل أعلى الجنان مقره ، وللناس به اعتقاد ، وتأتي إليه النساء لأخذ التمائم بكل اعتقاد ! ! وقد عاش من العمر فوق الثمانين مع كمال الاستقامة ، الى أن دعته المنية سنة الف ومائتين وست وستين ١٠ ذي الحجة ودفن بباب الله .

شعبان بن عبد الله بن شعبان الانطاكي

أحد العلماء العظام ، وأوحد العلماء الأعلام ، المشهور بالتقوى والصلاح ، والمذكور بالعبادة والفلاح ، والزهد والكمال ، والبشر والجمال .

و لِد بانطاكية عام اثنين وعشرين ومائة والف ، وقرأ على علمائها حتى صار من فضلائها ، وكان جل انتفاعه بقريبه السيد محمد افندي بن علي افندي المفتي ولا زال يترقى في العلوم إلى أن ولي وظيفة الافتاء ببلده المذكورة ، وكانت فضائله وشمائله مأثورة ، فاشتهر أمره وعلا ذكره ، وأحبه الناس لكماله وحسن أفعاله ، وأطبق العموم على انه للنظير معدوم ، ولم يزل على حاله إلى أن دعته المنية إلى الدار العلية . فتوفي أوائل شعبان عام الف ومائتين وثلاثة .

★ ★ ★

حرف الصاد

الشيخ صادق افندي الواعظ الحنفي

كان اماماً كاملاً ، وعالماً عاملاً ، متمسكاً بدينه ، متمكناً بعقيدته ويقينه ، لا يخشى سطوة أمير مكابر ، ولا امام جائر ، صداعاً في قوله ، معتمداً على الله في قوته وحوله ، لا يميل مع نفسه الى ملائم ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وفي سنة بضع وثمانين بعد المائتين والألف حضر لدار السلطنة العليـــة ، وعاصمة الأمة الإسلامية ، في ايام خلافة أعظم ملوك الإسلام ، وسيد ملوك الأنام ، السلطان عبد العزيز خان ، عليـه الرحمة والرضوان ، وكان دخول المترجم أوائل رمضان ، فكان يقرأ درس الوعظ في أياصوفيا الى اليوم السابع والعشرين ، وقد جرت العادة ان السلطان في ذلك اليوم يدور على الدروس ، فمتى أتى لدرس يختم المدرس الكلام ، ويدعو للسلطان ، فما زال السلطان يجري العادة ومعه وكلاء الدولة العظام ، وشيخ المسلمين والاسلام ، الى أن وصل لدرس المترجم ، فلم يجر العادة من الختم في الحال والدعاء ، بل التفت الى الوكلاء ، وخاطبهم بما لا يليق خطابهم به من كونهم ادخلوا على السلطان الغرور ، وأبطلوا الشريعة وارتكبوا سفاسف الأمور ، ونكسوا أعلام الدين ، وقدموا المخالفين على المؤمنين ، وأطال الكلام ، وتجاوز الحد في هذا المقام ، والسلطان صاغ اليه ، فحقد الوكلاء عليه ، فبعد أن ختم ذهب ، وقد أضمروا له كل عطب ، ثم بعـد ذلك اجتمعوا وذهبوا الى السلطان ، فدخلوا عليه بعد تقديم الاستئذان وتكلموا في حق المترجم بما غير قلب أمير المؤمنين عليه ، وقالوا له قد

فعل ما أوجب توجيه المضرة اليه ، فلا بد من اعدامه ، ليتأدب غيره عن التكلم بمثل كلامه . فقال أمير المؤمنين نعم ولكن لا بد من مرافعتكم معه في مجلس شيخ الاسلام ، لئلا يقول الناس قتل ظلماً فَنَقَعَ بين العموم في الملام ، فحينما أحس شيخ الاسلام ، دخل على الملك خفية عن الوكلاء العظام ، ولم يزل يتعطف السلطان ، ويسترحمه بالعفو عن هذا الانسان ، ويقول له ان قتلناه قيل بالعبارات الصريحة ، ان السلطان قد قتله لبذله النصيحة ، ولكن نفيه أولى ، ورأي أمير المؤمنين أعظم وأعلى . فأمر السلطان بنفيه في الحال ، فأرسل الى عكا من غير امهال .

مطلب

قصة محمد بهاء الله رئيس البابية

وكان ممن نفي من بلاد العجم قبله الى عكا محمد بهاء الله رئيس البابية . والناس قد اختلفوا فيه على أنواع ، فمنهم من يقول يَدّعي بأنه المهدي ، ومنهم من يقول انه يدعي النبوة ، ومنهم من يقول يدعي الألوهية ، فألف المترجم رسالة في عقيدتهم غير وافية بالمقصود ، غير اني أحببت ذكرها بعد تعريبها لأنه ألفها باللغة التركية وهي :

كان مبدأ ظهور البابية في تاريخ سنة الف ومائتين وخمس وستين وهو انه ظهر رجل في شيراز سنة خمس وعشرين ومائتين والف ، واسمه علي بن محمد بن رضا الحسيني وهو رجل تاجر ، فذهب الى مكة لمصداق الأحاديث من ان المهدي يظهر من مكة ، ووقف عند مقام ابراهيم يوم الجمعة والخطيب على المنبر وصاح بأعلى صوته انه هو المهدي وانه قد ظهر ، فأخذه رفقاؤه في الحال لمنزلهم ثم ساروا به الى شيراز ، وأخذ هناك يدعو الناس اليه سراً وجهراً ، ويقول لهم انه هو المهدي المنتظر ، فما زال يتفاقم أمره ، ويعظم ذكره ، وتكثر جماعته ، وتزداد دعوته الى أن سجن في السجن ، وكان قبل ذلك

قد سجن مراراً وشاه العجم يطلقه ، لكنه في هذه المرة ، قد تجسمت منه المضرة ، وطغت عليه نفسه ، فصار من اللازم اهانته وحبسه ، وفي السنة السابعة من ظهوره ، الكاسفة لبهاء وجوده ونوره ، قتل بالرصاص وهو مصلوب ، وعاملته الايام بعكس المرغوب .

وفي هذه المدة التي مضت عليه في الحبس قد حرر ستة وتسعين مصحفاً ، وتمكن بعد مشقة عظيمة من ارسالها الى خارج السجن ، ووصولها إلى اخوته وجماعته ، ومن بعد قتله ، وصل الى أخويه بعض من كتبه فباشرا الدعوة بالنيابة عنه ، الا ان كل واحد منهما يدعيها لنفسه ويكذب الآخر ، ثم تجازفا في دعواهما فصار كل منهما يدعي النبوة عوضاً عن المهدية ، وأخذا في تحرير الرسائل وارسالها بدعوى النبوة العظمى ، وطلب الناس إلى تصديقهما ، وجالا في البلاد لدعوى العباد ، فلما وصلا الى مدينة ادرنة اشتد بينهما الخصام ، وصار كل منهما حريصاً على قتل أخيه والقائه في حيز الاعدام ، وكان فسادهما قد سرى على بعض الناس من غير مرا ، فقبضت الحكومة عليهما ، وحكمت بتوجيه النفي اليهما ، فنفي أحدهما الى قبرس ، والثاني الى عكا مؤبدين . وسبب دعوى هذين النبوة انما كان من علي بن محمد بن رضا المومى اليه أعلاه الشيعي المذهب ، فانه لما كان في السجن ادعى سنة في ابتداء أمره انه المهدي ، ثم ادعى أربع سنين انه نبي ، ثم ادعى الألوهية وصورة دعواه على المنوال الآتي : وهو انه في قديم الزمان كل نبيّ عصرٍ لما تتم مدته تنتقل أمته الموجودون إلى النبي الآخر وهكذا إلى حضرة محمد ﷺ الذي تختم مدته سنة الف ومائتين وخمس وعشرين فأخذ أمته ومضى إلى المحشر ، وبعد ذلك جميع ملل الأرض تخضني حيث صرت نبياً لها ، وبعد سنة الف ومائتين وخمس وثلاثين يظهر نبي أفضل مني وبه تتم مدتي ، وكلما جاء نبي يكون أكمل وأعظم ممن قبله ، وهذا الحكم سار من الأول الذي لا أول له إلى الآخر الذي لا آخر له .

وان كتبه التي رأيناها يفهم من بعضها أنه المهدي ومن بعضها انه نبي ومن بعضها انه إله ؛ وذلك مبني على الأصول والقواعد الشيعية ، فانهم ليس لهم ثبات على حال واحد ، بل هم يتقلبون ويتلونون على أنواع شتى ، وقواعد البابيين كذلك فليس لهم ثبات على حال واحد ، وان القرآن الذي يدعون أنه أنزل عليهم عبارة عن مواعظ وأحكام قليلة متضاربة ، غير انها توصي كثيراً بتخريب الكعبة حيث قد جعلوا مكانها مسجده الذي في شيراز ، فعندهم قد بطلت الكعبة الحجازية بالكعبة الشيرازية ، ويوصي بانه يلزم اشتراء البيوت التي حول مسجد شيراز وادخالها في المسجد للتوسعة ، ويقتضى ان يجعل له خمسة وتسعون بابا ، وأخبر في كتبه بوقوع أمور شتى إلى الآن لم يظهر منها شيء ، وكذلك أخبر بانتشار أمته شرقاً وغرباً ، وجعل السنة تسعة عشر شهراً كل شهر تسعة عشر يوماً ، وتأمر كتبه بالصلاة في كل يوم وقت الظهر فقط ، وان التوجه يكون لمسجده الشيرازي وهذا كله بعد موته ، وأما حال حياته فانه اتخذ لنفسه قبلة خاصة به ، وكان يأمر بالصلاة تارة ركعتين وتارة تسع عشرة ركعة ، وكان يحكم بان الهواء والتراب النقي الطاهر كل منهما مطهر من النجاسة من غير ضرورة ، ولهذا لايلزم الغسل من الجنابة ولا غسل الثوب والبدن من النجاسة لتطهير الهواء لهم ، وإذا استعملوا الماء انما يستعملونه بين المنكرين تقية ، ويجوز عندهم نكاح الأخت وصوم رمضان تسعة عشر يوماً . وقد غير لهم نظام التركات ، وإذا صلى أحدهم يقول بدل السلام الله أكبر . وبدّل لهم التحيات ، وإذا رد أحدهم السلام ان كان من رجل قال الله أعظم وان كان من امرأة الله أجل ، وذلك كله مع اشياء اخر يطول استقصاؤها إنما هي مأخوذة عن أخيها الأول واتبعوه بعد موته على ذلك وداوموا عليه وأشاعوه في بغداد وأدرنه ، إلى أن بدا

بينهما البغضاء والشحناء بسبب الاختلاف في الديانة ، وتسلط الاخ الاكبر على قتل بعض أتباع اخيه الاصغر خفية ، ولذلك فرقوا بينهما حين النفي فجعلوا الاصغر في قبرس والاكبر في عكا ، ودعوى الاصغر أنه نبي وان الآيات الالهية دائماً تتنزل عليه ويحررها مصاحف ويرسل بها خفية إلى ايران ، فيتلقونها بالقبول والاذعان . ومما أنزل عليه وحرره في مصاحفه : ايها الايرانيون أخي الذي في عكا شيطان لانبي ، أنتم آمنوا بي إني أنا نبي ولا تؤمنوا له فيكون مأواكم النار ؛ وأمثال ذلك مما ينفر عن أخيه ويرغب فيه ، وما عدا ذلك مما هو مذكور في مصاحفه المنزلة عليه ، فانه اقتباس من القرآن وتقليد له . وأما التنزلات البغدادية عليه فانها وصايا دالة على خزي أخيه الاكبر ، وكان يذكر في عباراته تارة اسم شيطان وتارة اسم سفيان وتارة اسم خنزير ، ومراده بالأول أخوه ، وبالثاني وزير شاه العجم ، وبالثالث الشاه نفسه . وتارة يعبر عن أخيه بكافر . وحيث ان الفتنة بينهما لاتهدأ في ليل ولا في نهار حصل للحكومة منهم قلق عظيم ، وشغل فكر جسيم ، وتحمل الأهالي منهم مضرة عظيمة ، ومن جملة مضرتهم ان الكبير العكاوي أرسل خفية جلادين من أتباعه وهم سبعة انفار بالسلاح التام إلى جملة من جماعة اخيه الاصغر المنفيين إلى عكا فطرقوا عليهم الباب ففتحوا لهم فسارعوا الدخول فلم يجدوا وقتئذ غير ثلاثة انفار ، فلم يزالوا يضربونهم حتى أعدموهم ، وكان محلهم قريباً من مركز الحكومة فكثر الصياح والضجيج ، والعويل والعجيج ، فهجمت العساكر عليهم بامر الحكومة ووضعوهم في الحبس ، ثم ان الاخ الاكبر وان كان مدعيا النبوة إلا أنه من حين حلوله في عكا أسبل على نفسه حجاب التقية ، وقد اطلع البعض على شيء من تحريراته فأفادت أنه يقول ان النبوة الآن تابعة للنبوة الماضية ، غير انه لشدة حجابه وتقيته لم يظهر

كمال حاله ، لأنه لم يخرج من منزله أصلاً ولا يراه احد إلا في يوم الحادثة التي قامت عليهم بسبب قتل جماعته بعض جماعة اخيه ، فانهم أخرجوه لدارة الحكومة جبراً ، وبعد ذلك رجع الى محله ولم يظهر لأحد قط . وهو كثير الاعتبار لنفسه يخاف على بخس اعتباره وقدره أشد الخوف ، وعنده من التكبر مالا يحاط به ، وله عدة زوجات ، يحب الرفاهية والملابس الحسنة والمآكل النفيسة من الطيور وغيرها من الحيوانات والحلويات ، وداره في عكا تساوي أكثر من ثلاثمائة الف ، وعنده سبعة من الجلادين وأربعة حواريين ، وما عداهم أصحاب ، فيذهبون كل يوم إلى داره ويصلون ركعتين يتوجهون بهما اليه بكمال الخضوع ، وهو قائم رافع رأسه إلى السماء ، وعند تمام الصلاة يعظهم حصة ثم يسجدون له كسجودهم عند الدخول ويتفرقون ، ومقدار أمته عشرون من قومه وخمسة من أهالي عكا ، واثنان نصارى ، وذلك يدل على أنه يدعي الألوهية لا النبوة .

هذا ملخص الرسالة مع حذف مالا حاجة اليه مما لا ارتباط له بأمر الديانة والاعتقاد [1] وقد كنت مررت على عكا بعد الالف والمائتين والتسعين فاجتمعت بولده عباس افندي .

---

(١) خلاصة ترجمته كما في الأعلام :

أذاع أنه « المهدي المنتظر » وقام علماء بلاده يفندون أقواله ، ويظهرون مخالفتها للاسلام ، وخشيت حكومة إيران الفتنة فسجنت بعض أصحابه ، وانتقل هو إلى شيراز ، ثم إلى اصبهان ، فحماه حاكمها « معتمد الدولة منوچهرخان » وتوفي هذا ، فتلقى خلفه أمراً بالقبض على الباب ، فاعتقل وسجن في قلعة « ماكو » بأذربيجان ، ثم نقل إلى قلعة « چهريق » على أثر فتنة بسببه . ومنها الى « تبريز » وحكم عليه فيها بالقتل ، فأعدم رمياً بالرصاص ، وألقي جسده في خندقها ، فأخذه بعض مريديه إلى طهران . وفي حيفا (بفلسطين) قبر ضخم للبهائية يقولون إنهم نقلوا إليه جثة « الباب » خلسة . له عدة مصنفات ، منها كتاب « البيان ـ ط » بالعربية والفارسية .

وكان يتبرأ كثيراً من نسبة ذلك إلى والده ، وكان يقول لي ان والدي يأكل ويشرب ويأتي النساء ويمرض ويتألم ، ومن تعرض له هذه العوارض كيف يسوغ له ان يكون إلهاً ؟ وهذه الدعوة افتراها عليه اخوه الاصغر وجماعته ، إلا أن أكثر أهل عكا ممن اجتمعت بهم ينسبون له هذا الاعتقاد وقد أرسل والي الشام سفيراً من طرفه لاستكشاف حالهم حينما كنت هناك ، فاستحصل مصحفاً منسوباً اليه مشتملا على آيات ملفقة من القرآن . وقد رأيته ثم سألت عنه ولده المومى اليه ، فقال وهذا أيضاً من جملة الافتراء علينا ، وليت شعري من الذي رأى والدي وسمع منه ذلك ، أو شاهد منه حالا يقتضي دعوة النبوة او الالوهية ، كل ذلك من أكاذيب أعدائنا والافتراء علينا لاأصل له ، والله يعلم ذلك لاتخفى عليه خافية في الوجود [١] .

ثم ان المترجم [٢] استأذن من الباب العالي في التوجه إلى الحجاز ، فجاءه الجواب بالاذن ، وبعد توجهه وقضاء مناسكه بالتمام ، تمرض أياماً وتوفي بالبلد الحرام ، ودفن هناك في المعلى الشريف ، وكان ذلك في ذي الحجة الحرام سنة الف ومائتين وأربع وتسعين رحمه الله تعالى .

---

(١) في الأعلام : خرج مع أبيه البهاء لما نفي الى العراق (سنة ١٢٦٨ هـ) فأقاما ١٢ سنة ، وأبعدا الى الآستانة ، ومنها الى أدرنة ، فمكثا نحو خمس سنوات ، ونفيا الى قلعة عكة (بفلسطين) فمات بها أبوه سنة ١٣٠٩ هـ وخلفه عباس بعهد منه ، وانتقل الى حيفا ، وزار أوربة سنة ١٣٣٠ هـ وأميركا سنة ١٣٣١ هـ وعاد الى فلسطين ، فمات بحيفا (سنة ١٣٤٠ هـ) .

(٢) أي الشيخ صادق الواعظ الحنفي ، ومن قوله — قبل خمس صفحات الى هنا — : (قصة محمد بهاء الله رئيس البابية) هو استطراد .

الشيخ صادق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد البخشي الحلبي الحنفي الخلوتي

صلاح الدين ابو النجا شيخ الاخلاصية بحلب ، العالم الخير البركة الصالح الدّين العمدة الامام المرشد ، مولده سنة ثلاث وثلاثين ومائة والف ونشأ بكنف والده وأعمامه وأخذ عنهم وقرأ عليهم وانتفع بهم ، وأكثر انتفاعه بعمه أبي الاخلاص حسن بن عبد الله البخشي ، وقرأ على أبي عبد الفتاح محمد بن الحسين ، وأبي السعادات طه بن مهنا بن يوسف الجبريني ، وأبي العدل قاسم بن محمد النجار ، وقرأ الصحيح للبخاري على أبي محمد عبد الكريم ابن أحمد بن محمد علوان الشراباتي .

ولما قدم حلب سنة أربع وأربعين ومائة والف المسند الرحلة أبو عبد الله جمال الدين محمد بن أحمد عقيلة بن سعيد المكي ، وزارهم في تكية الاخلاصية الكائنة بمحلة البياضة ، سمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، وحديث المصافحة والمشابكة ، وأجاز له بمروياته ، وأسمع عليه مسلسلاته بقراءة والده وعمه ، وأجاز لهم جميعاً بخطه على ظهر إثباته ، وأجاز له الشهاب أحمد بن محمد المحملي ، وهو يروي عن عمه البرهان ابراهيم النجشي وغيره ، وأبو محمد عبد الوهاب بن أحمد الأزهري وآخرون ، وكتبوا لهم خطوطهم وسمع عليهم الكثير وأخذ الطريقة الخلوتية وغيرها عن عمه ووالده ، ولما مات سنة خمس وسبعين ومائة والف صار شيخاً مكانه في تكيتهم الاخلاصية المعروفة بهم ، ولم يعارضه عمه في المشيخة وارتضاه ، وكان يحنو عليه ويحبه ورباه وأحسن تربيته ، وانتفع به وبآدابه وسمع

عليه ديوان شعره من لفظه ، فأجازه بمروياته ومسموعاته ، وكتب له بخطه بعد التلفظ مرارا ، ولازم الاستقامة وتصدر للإرشاد والتسليك ، واختلى كعادتهم ولازمه جماعتهم وأخذوا عنه ، وكان يقيم الأذكار والتوحيد . وكان سخياً كريم الأخلاق حسن السريرة والسيرة كثير الديانة والخير من المشايخ الأخيار ، رأيت بخط خليل افندي المرادي يقول : ولما دخلت حلب المرة الثانية سنة خمس ومائتين والف اجتمعت به غير مرة ، وزارني وزرته وتردد إليّ ، وسمعت من لفظه حديث الرحمة المسلسل بالأولية وهو أول حديث سمعته من لفظه وصافحني وشابكني كما أسمعه الأولية وصافحه وشابكه ابن عقيلة المكي ، وأجاز لي بما تجوز له روايته لفظاً وكتابة على ظهر ثبت شيخه الشراباتي ، ولم أقف على تاريخ موته[1] .

الشيخ صالح بن حسين بن احمد بن أبي بكر الحلبي الحنفي الشهير بالدادنجي كوالده

الفقيه الأصولي الكاتب البارع المتفوق الدّين التقي الزاهد ، مولده في إحدى الجمادين سنة ثمان وثلاثين ومائة والف ، وقرأ على جماعة وأخذ عنهم وأكثر من الفقه أخذاً وقراءة . ومن جملة من أخذ عنهم والده المومى اليه ، وأبو الثناء محمود بن شعبان البزستاني ، وأبو الحسين علي بن ابراهيم العطار وأبو محمد عبد القادر بن بشير بن عبد الحق البشيري ، وياسين الفرضي وأبو جعفر منصور بن علي الصواف ، وعبد الوهاب بن أحمد المصري الأزهري ، وأبو محمد عبد الكريم بن أحمد الشراباتي ، وأبو السعادات طه

---

(١) في تاريخ الأستاذ الطباخ : وفاته سنة ١٢٠٥ هـ .

ابن مهنا الجبريني ، وعبد الوهـاب بن قورد العرّاس (١) ، وأبو محمد عبد الرحمن بن مصطفى البكفالوني ، وأبو عبد الله محمد بن محمد الطاهر التافلاتي المغربي ، وأبو عبد الفتاح محمد بن الحسين الزمار ، وآخرون ، وسمع عليهم الكثير من الأحاديث الشريفة ، والكتب في غالب الفنون ، واعتنى بملازمتهم ، وحضور مجالسهم ، واجازه الأكثر منهم بخطوطهم . وناب بالقضاء في حلب ، وفي أريحا وادلب وغيرهـا . وحفظ المسائل والفروع الفقهية ، واعتنى أشد اعتناء بها . وكان شديد الحفظ لها قوي الاستحضار . وكانت الناس تراجعه في المسائل . وكان يلازم قراءة الأوراد والاذكار ، كثير العبادة لطيف العشرة ، وكان والده من مشاهير علماء حلب أصحاب الرفعة والشأن . ولما صاهر المولى الرئيس صالح بن ابراهيم بن عبد الله الدادنجي أحد أعيان حلب ، وتزوج بابنته أم العز خانم خاتون ، وانتمى اليه وسكن عنده ، غلبت عليه نسبته وصـار لايعلم إلا بها بين الناس ، وتارة كان يكتب في تحريراته الدادنجي وتارة الصالحي نسبة إلى مخدومه المذكور ، وجاءه من ابنته ابو الحسين صالح صاحب الترجمة ، فنسبته حينئذ صحيحة من جهـة والدته دون والده وأقاربه المشهورين بهذه النسبة . واجتمع به في آخر أمره العالم الدمشقي خليل افندي المرادي في حلب حين زارها عام الف ومائتين وخمسة وأخذ عنه واستجازه وطلب دعـاه . وكان يتردد عليه كثيراً ويتذاكر معه المسائل النادرة الفقهية كما رأيت ذلك بخطه . وتوفي عام الف ومـائتين ودون العشرة غالباً رحمه الله تعالى وذلك بعد أن مرض بداء الفالج .

---

(١) في تاريخ حلب الشهباء للاستاذ الطباخ : هو : « عبد الوهاب بن قرط العدّاس » وترجمـة هذا المترجم « صالـح الدادنجي » والذي قبله « صادق البخشي » منقولتان عن « حلية البشر » معزوّتان اليه ، ولم يزد عليهما الأستاذ الطباخ شيئا .

الشيخ صالح بن (درويش) التميمي [1]

عالم إمام ، وفاضل همام ، قد شاع في العالم ذكره وذاع في الأنام نشره ، وسما فخاره ، ونما وقاره ، وافتخر به عصره ، واشتهرت به مصره ، قد فاق اقرانه في النظم والنثر ، وزان أوانه في القوافي والشعر ، وكان في كل علم آية ، وفي كل فن قد وقف على الغاية ، وله قصيدة همزية ، يمدح بها ابن عم سيد البرية ، وقد خمسها له الشاعر المشهور ، الذي هو في حرف العين مذكور ، السيد عبد الباقي افندي العمري الفاروقي الموصلي ، وقد ذكرها في ديوانه الترياق الفاروقي مقدماً عليها هذه الترجمة وهي قوله : هذا التخميس المحكم التأسيس ، الذي يسلي الجليس

---

(١) هو عربي المحتد ، نجدي الأصل ، نجفي المنشأ . ولد في حدود (سنة ١١٩٠) هـ وتوفي (سنة ١٢٦١ هـ) أي إنه عاش في العهد الداودي : عهد داود باشا والي بغداد المشهور بفضله وحبه للادباء ، وله مجالس ينضوي اليها أدباء عصره وشعراؤه ، فيتلقون من عطفه ورفده ما يملأ قلوبهم حبّا ، وجيوبهم ذهبا ؛ وكان أقربهم مجلساً اليه ، وأكثرهم دالّة عليه — الشاعر التميمي ، فقد جعله في جملة كتاب الديوان ، فكان من شعرائه . وقد توفي ببغداد عن نحو سبعين عاما ، وطبع ديوانه في النجف (سنة ١٩٤٨ م) وقدم محققا الديوان وناشراه مقدّمة له أسهبا فيها القول فأجادا في التعريف بالشاعر وبأدبه وبكل ماله علاقة بنشأته وبيئته ، وقد قال أحد محققي ديوانه : « ان التميمي يعلو بشعره ما وسعه العلو ، ثم يهبط ويسفّ حتى تكاد تنكر أنه هو » وله كتب منها « شرك العقول وغريب النقول » مجلدان ، رتبه على السنين مبتدئاً من سنة ١٢٠٠ هـ وختمه سنة ١٢٤٠ هـ ، ذكر فيه أيام الوزير داود باشا ، وما جرى له من حروب . وله « وشاح الرُّود في تراجم شعراء الوزير داود » اهـ ملخصاً من مجلة المجمع العلمي العربي (م ٢٤ ص ٣٠٦ و ٣٠٧) ومن أعلام الزركلي (م : ٣ ص ٢٧٦) .

عن تعاطي بواطي الخندريس على القصيدة الهمزية ، والخريدة ذات المزية ، لإمام أئمة الأدب ، ومالك أزمة لسان العرب ، جناب ولي وحميمي الشيخ صالح التميمي ، مادحا بها حضرة أمير المؤمنين ، وابن عم سيد المرسلين ويعسوب (١) الموحدين ، وأبي الغر الميامين ، عليه وعليهم سلام الله إلى يوم الدين :

ياعليّاً به تباهى العلاء ... وتناهى في نعته الإطراء
مالمجد شاءَوْت (٢) فيه انتهاء ... غاية المدح في علاك ابتداء
ليت شعري ماتصنع الشعراء

كنت للمجتبي بحرب وسلم ... وزراً (٣) قائماً بكل مهم
أنت صنو له بعلم وحكم ... يا أخا المصطفى وخير ابن عم
وأمير ٍ ان عدت الأمراء

رتب نلتها بنسبة طه ... قصرت كل رتبة عن مداها
ان نظرنا الانام من مبتداها ... مانرى ما استطال الا تناهى
ومعاليك مالهن انتهاء

لدراريك في سما المجد ضوء ... وبحضن الأدوار منهن خبء
يقتفي الختم من سواريك بدء ... فلك دائر إذا غاب جزء
من نواحيه أشرقت أجزاء

أو كشمس يغشى سناها الهباء ... من غبار تثيره الهيجاء
فيميط الهباء عنها الهواء ... أو كبدر مايعتريه خفاء
من غمام إلا عراه انجلاء

---

(١) اليعسوب : الرئيس الكبير ، يقال : « هو يعسوب قومه » أي رئيسهم وكبيرهم .
(٢) شاءَى مُشاءاة القومَ : سَبقهم ، سَابقَهم .
(٣) الوزَر الملجأ ، وكل معقل .

أنت بحر لكنه غير آجن لقريش به حمى ومساكن
لك مد قبل التكون كائن يحذر البحر صولة الجزر لكن
غارة المد غـارة شعْواء
نلت فضلا أبا تراب فاقصى كل فضل عم الوجود وخصا
وبيوم الحساب لايستقصى ربما رمل عالج يوم يحصى
لم يضق في رماله الإحصاء
ولو ان الأقلام كل نبات ومياه البحـار حبر دواة
ضقن عما أظهرت من خارقات وتضيق الأرقام عن معجزات
لك يامن اليـه ردت ذكاء
منهجاً للهدى خلقت قديماً جئت تهدي عمياً وتشفي سقيما
فاتخذناك هـاديا وحكيماً ياصراطاً إلى الهدى مستقيما
وبه جـاء للصدور الشفاء
شدت في ذي الفقار للدين أصلا فتسامى قدراً وعزّ وجلا
وعلى ما أسست قولا وفعلا بني الدين فاستقـام ولولا
ضرب ماضيك ما استقام البناء
أنت والحق دمتما بوفاق أنت يوم اللقا على الحوض ساق
أنت ذاك الكرار يوم سباق أنت للحق سلم مـا لراق
يتأتى بغيره الارتقـاءُ
فيك خير الأنام أوتي سؤلا مثل ما أوتي ابن عمران قبلا
يا أبا شبّر وقد صح نقلا أنت هارون والكليم محلا
من نبيّ سمت به الأنبياء

قل تعالوا ندعو بحكم ذكر لك فخر بها علا كل فخر
أنا أدري وجملة الخلق تدري أنت ثاني ذوي الكسا ولعمري
أشرف الخلق من حواه الكساء

كنت في جيب الغيب معنى يصان حين لا أعصر ولا أحيان
أيقل الأسرار منك مكان ولقد كنت والسماء دخان (١)
ما بهـا فرقد ولا جوزاء

بك ليل العماء ضاء بلالي فاستضاء الوجود من ظلمة الغي
درة كنت والجواهر لا شي في دجى بحر قدرة بين بُردَي
صدف فيه للوجود الضياء

نقطة فرغت وليس وعاء ملئت حكمة ولا إملاء
أنت باء لها العباء غطـاء لا الخلا يوم ذاك فيها خلاء
فيسمي ولا الملاء ملاء

خبر جاءنا بذا مـأثور وحديث مسلسل مشهور
عنعنته عن الصدور صدور قال زوراً من قال ذلك زور
وافترى من يقول ذاك افتراء

قصب السبق في مقام كريم حزتها من لدن حكيم عليم
أنت يا من سبقت في تقديم آية في القديم صنع قديم
قاهر قادر على مـا يشاء
هل (أتى) في سواك ذكر حكيم لك في نص آيه تعظيم

---

(١) هل صحّ حديث في هذا ليؤخذ به ؟

أو لم يغن من له الجهل خيم نبأ والعظيم قـــال عظيم
ويل قوم لم يغنها الأنباء

خصك الله من لدنه بمفخر في مرايا العقول لا يتصور
كنت في غابة الهوية حيدر لم تكن في العموم من عالم الذر
وينهى عن العموم النهـــاء

إنما الناس إن نظرت معادن فرقها في تفاضل متباين
خلني من دفائن وضغـــائن معدن الناس كلها الأرض لكن
أنت من جوهر وهم حصباء

كم قضينا من نشر تلك المطاوي عجباً يوقع النهى في مهاوي
ولقد صح إذ سبرنا الفحاوي شبه الشكل ليس يقضي تساوي
إنما في الحقـــائق الإستواء

لم ينل نجم الأرض مهما تزيا مثل نجم السما مكاناً عليـــا
فاتحاد الألفاظ لم يغن شيئاً لا تفيد الثرى حروف الثريا
رفعة أو يعمه استعلاء

روضة أنت للعقول ودوح يجتني من طوباك رشد ونصح
ومتى هب من عبيرك نفح شمل الروح من نسيمك رَوْح
حين من ربه أتاه النـــداء

طالما للأملاك كنت دليلاً ولِنَاسُوسِهم هديت سبيلا
يوم نادى رب السما جبرئيلا قائلاً من أنا فروّى قليلا
وهو لولاك فاته الإهتداء

لك شكل نتيجة للقضـــايا لك قلب للعـــالمين مرايا

لك فعل حوى رفيع المزايا لك اسم رآه خير البرايا
مذ تدلى وضمه الإســـراء

فوعاه بالحس حداً ورسماً حيث ساوى معناه منك مسمى
قبل عرض الأسماء إسماً فاسماً خط مع إسمه على العرش قدما
في زمان لم تعرض الأسماء

إثر هذا أبدى عوالم مَلك فاطر الأرض والسماذات حُبك
وأناط البروج فيها بسلك ثم لاح الصباح من غير شك
وبدا سرها وبان الخفـــاء

فقضاها مسبب الأسبـاب نوبة للأرحام والأصلاب
وجرى ما جرى بأم الكتاب وبرى الله آدماً من تراب
ثم كانت من آدم حواء

وللمترجم قصائد كثيرة ، ومدائح شهيرة ، قد تناولتها بالقبول يد الأكابر ، وشهد لها بالفضل كل ناثر وشاعر . مات المترجم رحمه الله سنة الف ومائتين و (إحدى وستين) .

الشيخ صالح اليافي أحد المجاورين في المدرسة الباذرائية الشافعي الخلوتي

كان إماماً بارعاً عابداً ، وصالحاً تقياً زاهداً ، قد اشتغل في الإرشاد وربى المريدين وأفاد ، وكان مستمراً على هذه الحالة الحسنة ، والمنقبة المستحسنة . وله تأليفات عديدة ، وتقييدات مفيدة ، منها مختصر التفسير ومنها الحكم في كلام القوم . وكان على طريق السادة الصوفية ، والقادة الخلوتية . توفي سنة خمسين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح وقبره معروف .

الشيخ صالح السيوطي الدمشقي الحنبلي مفتي الحنابلة في دمشق وابن مفتيها

ولد بدمشق ونشأ بها ، وأخذ عن علمائها ، إلى أن صار من الأعلام والفضلاء الكرام ، وتولى نظارة جامع بني أمية . وكان ذا هيبة ووقار ، محترماً مبجلاً معظماً بين الأخيار . مات رحمه الله في جمادى الأولى سنة سبع وأربعين ومائتين والف ، ودفن في مرج الدحداح عند أسلافه .

الشيخ صالح المعروف بابن شمس وهو صالح بن يوسف بن احمد بن ابراهيم بن شمس الدمشقي الشافعي الاشعري

كان أحد الأفراد الفضلاء ، وأوحد السادة الأمجاد النبلاء ، له من التحقيق الحظ الأوفر ، ومن التدقيق النصيب الذي لايحصر ، مع هيبة ووقار ، ورفعة ذات اشتهار . أخذ عن العلماء الدمشقيين الأعلام ، وحضر دروسهم إلى أن بلغ جل المرام ، ثم أفاد بعد أن استفاد ، وبلغ الطلبة به كل مراد . وهو من بيت مجد قديم ، ليس فيهم قبيح ولا ذميم . مات في دمشق سنة سبع عشرة ومائتين والف ودفن في مقبرة الشيخ ارسلان .

الشيخ صالح بن محمد بن خليل بن صالح بن خليل الدمشقي الشافعي الشهير بالقزاز

ولد بدمشق ونشأ بها ، وكان عالماً عاملاً وفقيهاً فاضلا ، ورعا زاهداً وناسكا عابدا ، من مشاهير العلماء وأفاضل الفضلاء .

أروي مذهب الشافعي عن والدي عنه بسنده المتصل إلى صاحب المذهب ، وهو من أجل شيوخ والدي . وقد أخذ عن كثيرين من أجلهم الشمس محمد الكزبري والشهاب احمد العطـــار والسليمي الشيخ علي والشيخ أبي الفتح وغيرهم من الأجلاء . وكان كاتباً ذا خط جميل مع غاية السرعة ، وكاد إذا رقم كتاباً كبيراً ان لاتجد فيه تحريفة من أوله إلى آخره [١] توفي بدمشق سنة أربعين ومائتين والف ودفن في باب الصغير قرب قبر سيدنا الصحابي الجليل أوس رضي الله عنه .

الشيخ صالح بن محمد بن عبد الرحمن السفرجلاني الشافعي الدمشقي شيخ الطريقة الشاذلية السفرجلانية

ولد بدمشق سنة ثمان وأربعين ومائة والف ، وعاش مائة وسبع سنين . وكان ذا دين وصلاح وتقوى ونجاح ، وعبادة وفلاح وزهـادة ورباح ، مات رحمه الله سنة الف ومائتين وخمس وخمسين [٢] .

الشيخ صالح بن يوسف الدمشقي الحنفي الشهير بالعش

الأخ الصالح والعابد الفالح ، كان من اخواننا في الأخذ على القطب الشهير السيد محمد الفاسي المكي . واشتغل عليه في طريق الشاذلية وحصل له

---

(١) في (روض البشر) للشطي ما يأتي : وممن أخذ عن المترجم وانتفع به العلامة السيد محمد عابدين ، رأيت له اجازة منه ذكرهـــا في ثبته مؤرخة (في سنة ١٢٢٤ هـ) ومن مؤلفات المترجم ديوان خطب لم نزل نخطب منه في مدرستنا الباذرائية . وقد أعقب صاحب الترجمة ولده الفاضل الشيخ عبد الغني الفزاز جد جدي الشيخ محمد الشطي لأمه اهـ .

(٢) في روض البشر للشطي : لم يعقب سوى بنت واحدة عاشت مائة وعشر سنوات .

بذلك تنوير عظيم ، وكان قبل ذلك قد أخذ على الشيخ محمد المهدي الطريقة الخلوتية . وكان من أهل العلم والصلاح لطيفاً جميلا حسن المعاشرة ، له معرفة بالموسيقى وتقسيم الأنغام ، وله محفوظية لطيفة من كلام القوم . وكان محبوباً عند الناس ، وكان فقيراً قنوعاً عفيفاً متواضعاً ، كثير الزيارة لمشاهد الأنبياء والأولياء ، كثير التردد والتودد إلى الاخوان . مات بدمشق في عشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير عند قبر سيدنا بلال بن رباح الحبشي .

الشيخ صالح عابدين بن السيد عبد العزيز بن السيد احمد بن السيد عبد الرحيم ابن السيد نجم الدين بن السيد محمد صلاح الدين الشهير بعابدين بن السيد نجم الدين بن السيد علي بن السيد محمد كمال بن السيد تقي الدين المدرس ابن السيد مصطفى الشهابي بن السيد حسين بن رحمة الله بن احمد بن علي بن احمد بن محمود بن احمد بن عبد الله بن عز الدين عبد الله بن قاسم بن حسن بن اسماعيل بن حسين المتيف بن احمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الاعرج بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر ابن الامام زين العابدين بن الامام الصحابي الجليل الحسين بن السيدة البتول فاطمة الزهراء بنت حضرة النبي ﷺ وعلى ذريته ذوي القدر الافخم

ولد رحمه الله بدمشق ونشأ على الطاعة والعبادة ، وكان من أهل التقوى والصلاح والزهادة ، والكشف والشهود والدراية ، وكثرة الذكر الموجبة لكمال العناية . وله مزايا كثيرة ، وخوارق عادات شهيرة ، وكان شغله في الدنيا التعلم والتعليم والتفهم والتفهيم ، والإقبال على مولاه ، والسعي في تحصيل رضاه ، وكان قد بشر زوجة السيد عمر أخيه حين كانت حاملة بالمرحوم السيد محمد عابدين ، وسماه بهذا الاسم وهو في بطن

أمه . ولما وضعت المرقوم أمه صار يأخذه المترجم عمه ويضعه في حجره ويقول له أعطيتك عطية الأسياد في رأسك ، وكان الأمر كذلك فإن سيرة المرحوم السيد محمد عابدين وما حصله من الشهرة والمنقبة والفضل لا تخفى على أحد . مات هذا المترجم رحمه الله تعالى سنة ثلاث ومائتين والف ودفن بباب الصغير قرب مقام العلائي صاحب الدر .

الشيخ صالح بن سلطان بن محمد بن سلطان بن حسين الحلبي الشافعي

العالم الفاضل ، البارع الكامل ، النحوي المتقن واللبيب المتفنّن ، أحد العلماء الأجلاء ، وأوحد الذوات الفضلاء ، مولده بحلب سنة سبع وخمسين ومائة والف ، ونشأ في حجر جده لكثرة أسفار أبيه ، وقرأ القرآن على الشمس محمد المصري في مكتب السخانة . وكان جده من تلامذة أبي عبد القادر محمد بن صالح المواهبي الملازمين له ، فانتفع بآدابه ووعظه ، وكان يحفظ الكثير من لفظه ، ولما توفي جده المرقوم كان عمر المترجم أربع عشرة سنة ، فكانت أمه تحثه على طلب العلم وتدعو له دائماً بالفتوح ، ومهما دخل عليه شيء من المال يشتري به أوراقاً مخرمة من فنون العلم من سوق الجمعة ويطالع بها ، وحفظ القرآن العظيم على شيخه النجم محمد الفتياني ، وأخذ بعض العلوم عن الشيخ عبد الهادي المصري ، والشيخ عبد القادر الديري ، والشيخ أبي اليمن تاج الدين محمد بن طه العقاد ، وعلى الشيخ عثمان بن عبد الرحمن العقيلي ، وعلى أبي زكريا يحيى بن محمد المسالخي ، وعلى الشيخ قاسم بن علي المغربي التونسي ، وعلى أبي جعفر منصور بن مصطفى السرميني الحلبي ، وعلى أبي محمد عبد الرحمن بن ابراهيم المنيلي ، وعلى الشيخ عبد الكريم الشراباتي ، وعلى الشيخ محمد بن صالح المواهبي ، وعلى الشيخ خليل بن عبد القادر المدني ، وعلى أبي عبد الله

محمد بن أحمد المكتبي ، وأبي عبد الله محمد بن محمد الاريحاوي ، وأبي محمد مصطفى بن أبي بكر الكوراني ، ومصطفى بن عبد القادر الملقي ، فاستفاد منهم وأفاد ، وقام بوظيفة العلم والعمل فوق المراد . وقرأ على المذكورين النحو والصرف والمعاني والبيـــان ، والمنطق والتوحيد والفقه وأصوله ، والحديث وأصوله ، والتفسير وبقية الفنون بكمال الإتقان ، وأجازوه جميعاً بالإجازة العامة ، وممن أجازه أبو الفيض محمد المرتضى بن محمد الزبيدي اليمني نزيل مصر ، والشهاب أحمد بن محمد الدردير المالـكي ، وأبو الصلاح أحمد بن موسى العروسي ، وأبو محمد عبد الرحمن النحراوي ، وعبد الرحمن ابن مصطفى العيدروس اليمني ، ومحمـــد كال الدين بن مصطفى البكري الصديقي ، وغيرهم واشتهر وفاق وملأت شهرته الآفاق . وكان ينظم الشعر قليلاً ومن نظمه :

الراحمون لمن في الأرض يرحمهم ... من في السماء كما قد جاء في الخبر
إن ترحموا ترحموا من ربكم ولكم ... جزيل حظ من المختار من مُضر

ومن نظمه أيضاً :

بحمى رسول الله كن متمسكاً ... واعكِفْ بساحة فضله ونواله
واطرح وساوسك التي لك أشغلت ... وادخل حماه واستتر بظلاله
فهو الذي لولاه ما خلق امرؤ ... والدهر لم يسمح لنا بمثاله
وهو الذي فيه العصور تباشرت ... وكذا القصور تزينت لوصاله
وهو الذي يهدي الأنام بهديه ... وبفعله وبحاله وبقـــاله
كشف الدجى بضيائه وجماله ... والى العلا سِرًّا رَقى بكماله
إن رمت تنجو ناده يا من أتى ... الذكر الحكيم بمدحه ودلاله
يا أفضل الرسل الكرام وغوثهم ... فاشفـــع لعبد تائه بضلاله

ان الخطايا أثقلتني سيدي يا خير من يولي الغنى لعياله [1]

وله من قصيدة :

رشأ غزا قلبي بسهم جفونه وسبى اصيحابي بسحر عيونه

وسطا بقد مزري سمر القنا وحمى حماه بفتكه وشؤونه

والليث يحمي شبله بزئيره أو ماترى لايمتطى لعرينه

وله قصائد قليلة لأنه كان لايعتني بالشعر كثيراً لعدم فراغه من الاقراء والتدريس ، والشعر يحتاج إلى إقبال كثير عليه . ولم يزل المترجم على حالة صالحة وهمة راجحة ، إلى أن اختار الآخرة على الأولى ، فأقبل على مولاه ناجياً لامخذولا ، وذلك سنة الف ومائتين وقبل العشرين.

الشيخ صالح الفلاني العمري المدني المغربي المالكي بن محمد بن نوح بن عبد الله بن عمر بن موسى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن احمد بن عمر بن محمد بن محمد بن الحافظ عليم الاندلسي الشاطبي بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن القاسم بن خلف بن برهان بن ادريس بن عامر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي بكر بن سالم بن عبد الله بن عمر بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهم .

ولد سنة ست وستين ومائة والف ثم أقبل نحو الطلب وتمسك بأذيال الأدب ، فهو عالم المدينة النبوية ، وفاضل البقعة الحجازية ، وعمدة الأفراد الأعيان ، ونخبة الأمجاد الذين يشار اليهم بالبنان ، الجامع بين

---

(١) أليس خيراً من هذا أن يدعو الداعي الى اتباع سنته ، والتمسك بشريعته (ﷺ) والدعوة اليها ، والحث عليها ؟؟

العلم والعمل ، والنائل من الفضائل فوق مايتعلق به الأمل ، فهو الفاضل الذي إذا أعمل أسمر يراعه في بطون الكواغد ، أرى جميل الآثار من فوائد العوائد وعوائد الفوائد ، كيف لا وهـــو المتمكن من العلوم ، والمتوطن لابراز الصـــواب من خزانة المنطوق والمفهوم ، فلا ريب أنه البديع بيانه ، والرفيع القدر مقامه وشأنه ، ومن تشير الأصابع لفضله ، والألسن تعلن بان الكمال لاينكر على أهله . وقد أحسن في الأدب كل الاحسان ، وأتى بما تضعه العيون مكان الإنسان ، فلله فضله ودَره حيث قلدَ جيدَ الآدابِ لؤلؤه الثمينُ ودُرُّه ، وخلب الألباب سحره ، وملك مجامع القلوب نظمه ونثره ، فمن بديع نظامه ، ورفيع كلامه ، مخاطباً به العلامة السيد عمر المدرس المدني الداغستاني ، معرضاً له بالاقبال على زاد الآخرة والاعراض عن عَرَضِ الأماني :

ياويح مبتاع الضـلالة بالهدى	فلسوف يندم يوم يؤخذ بالنوا صي
ماهمـــه إلاّ لقاء كواعب	عرب تميس كأنها القضب النوا ضر
للنقص في الدنيا يسوء وانما	حسناته عند الحساب هي النوا قص
لم يدر أن لابد يوماً أن يرى	في آلة حدباء تندبه النوا دب
فيكون وهو بحالة لم ينتفع	ببكا البواكي بل ولا نوح النوا ئح
فدع التكاسل واستعد محاذرا	بغت المنون وماينوب من النوا ئب
واذكر الهك بكرة وعشية	واشكر له وصل الفرائض بالنوا فل
واعبده واتقه ولا تكفر به	وافعل أوامره ولا تأتي النوا هي
واسأله لا تسـأل سواه فإنه	من فيض بحر جوده ترجى النوا ئل
وارغب اليه وعُذبه متوقعا	فرجاً إذا نزلت بساحتك النوا زل

فاجابه المرسول اليه على اسلوبه

يافاضلا حـاز العلوم وسيدا	أبدي نظاماً حسنه راق النوا ظر

نظما بليغ اللفظ فيه الاكتفا حقاً لمن يبغي الغرائب والنوا در
كالروض في نسماته وبهـائه منها تفوح لمن يقابلها النوا فح
فيه الأزاهر من نصائحه لمن رام انتفاعاً من لطائفه النوا فع
يحتاج قارئهـا البكاء لذنبه حتى بنوح منه تمتلىء النوا حي
لله درك يافصيحـاً بالغاً أبدى بقوة فهمه الكلم النوا صح
نسخت بدائعك اللطائف نظمنا لله ما أحلى بدائعك النوا صع
وحويت مالم تحوه الأدباء من لفظ تفوق بها على نسج النوا سج
فلك الفصاحة والبلاغة كلها عضيت من عزم عليها بالنوا جذ
لازلت في روض السعادة راتعاً تجنى بسعدك منها الاثمار النوا سق

أخذ عن الشيخ محمد المشّوني والشيخ محمد سعيد سفر وغيرهما . وأعلى أسانيده من طريق شيخه ابن سِنّه (بكسر السين وتشديد النون المفتوحة) المعمر مائة وخمسين سنة ، عن الشريف محمد بن عبد الله عن محمد بن اركماش الحنفي عن الحافظ ابن حجر العسقلاني بأسانيده المشهورة . مات المترجم المرقوم في المدينة المنورة عام ثمانية عشر ومائتين والف ودفن بها رحمه الله تعالى .

الشيخ صالح بن الشيخ محمد الدسوقي الاصل الدمشقي
الولادة والمنشأ الشافعي (١)

عالم فاضل ، ونحرير عامل ، له في الولاية القدم الراسخ ، وفي أنواع العلوم المقام الشامخ ، ساد على أهل زمانه ، وفاق أجلاّء عصره وأوانه ،

---

(١) ترجمه أستاذنا القاسمي في تاريخه فقال ما ملخصه : صالح بن محمد بن محمد الدسوقي شهرة ونسبا الحسيني .
ولد في أوائل (سنة ١٢٠٠ هـ) بدمشق ، ونشأ بها في كنف والده ، —

ومن غريب ما وقع في مدته ، ونسب تداركه إلى حضرته ، انه كان له تلميذ يقال له الشيخ قاسم الحلاق ، وكان من أنبه تلامذته على الإطلاق ، وكان له حجرة في جامع السباهية في محلة الدرويشية ، قد انقطع بها للعلم والعبادة ، وطلب النجاح والسعادة ، ثم انه في ليلة معلومة ، كان مدعواً بعد العشاء في أعزومة ، وبعد نصف الليل قد حضر ، وكانت الليلة ليلة أربعة عشر ، فدخل الجامع وأغلق الباب ، بعد أن ودع الرفقة والأحباب ، فوضع بعض ثيابه في حجرته ، ودخل الخلاء لقضاء حاجته ، ثم خرج وجلس على حجر أمام البركة حصة من الزمان ، لكي يأخذ حظه بشرب قليل من الدخـــان ، وكان إشراق البدر في كمال ، والوقت في غاية الاعتدال ، وهو قد أفرغ عليه السرور والبسط والحبور ، فلم يمض عليه حصة قليلة ، إلا وقد أقبلت نحوه هرة جميلة ، وصارت تتلمس بثيابه ، وتدور حول جنابه ، وهو يأنس بها وينظر اليها ، ويلمس بيده عليها ، حتى ارتقت على صدره وعضت أنفه ، كأنها تريد قطعه وقطفه ، فلطمها لطمة قوية ، كادت تذيقها كؤوس المنية ، فوثبت إلى طرف البركة وحملقت اليه ، حتى خاف أن تسطو عليه ، فبادر الذهـــاب ، ودخل الحجرة وقفل الباب ، ولونه قد انشحب وفؤاده قد اضطرب ، وأعضاؤه ترتعد

ـــ وأخذ عنه وعن الشمس الكزبري وولده الشيخ عبد الرحمن ، وعن الشيخ حسين المدرس ، وعن الشيخ مصطفى الكردي ، وعن الشيخ خالد النقشبندي نزيل دمشق ، وغيرهم ، وتفوق واشتهر في دمشق اشتهاراً بليغا ، وتفرد فى المعقول والمنقول . (وفي سنة ١٢٣٩ هـ) أفرغت عليه إمامة الشافعية في جامع السنانية ، فأم به وأحيا دروسه . وكان مهيباً وقوراً معتقداً كسلفه ، أخذ عنه جمع غفير . وكانت وفاته في مكة حاجّاً (سنة ١٢٤٦ هـ) . ومن مؤلفاته رسالة سماها كشف الغمة ، في الرد على من حرم التهاليل على الأمة ، ومنها ديوان خطب ومولد ، ووجد بخطه حواش على كثير من الكتب المتداولة ، وهو آخر بيت الدسوقي بدمشق .

ارتعاد المحموم ، كأنه دنا أجله المحتوم ، فما مضى برهة ، إلا وسمع كلاماً من خارج الحجرة ، فأصغى بسمعه لذلك ، فسمع رجلاً يقول والله لأذيقنه غصص المهالك ، أين هو لأذيقه النكال والجحيم ، قالت هو في هذه الحجرة مقيم . فقام الشيخ وقد عدم الاقتدار ، وأخذ يجمع متاع الحجرة باليمين واليسار ، ويضع جميع ذلك وراء الباب ، وجعل ذلك لمنع دخول من سمعه من أكبر الأسباب ، فما رأى إلا يداً قد امتدت إلى داخل الحجرة وفتحت الأقفال ، ودفعت جميع ما كان وراء الباب بغاية الاستعجال ، ثم فتح الباب ودخل ، وقال يا بنتي أهذا الذي حصل منه ما حصل ، فقالت نعم يا مولاي ، هذا الذي ضربني وأوهن قواي ، فقال اصبري وانظري اليه ، وتأملي ما يجري عليه . ثم أمر بجماعة فأحضروا بين يديه ، فصار يضرب أعناقهم واحداً بعد واحد ، وينظر إلى الشيخ ويلقي القتلى عليه ، حتى امتلأت الحجرة ولم يبق بها مكان ، قال لابنته : ما تريدين أن أفعل الآن ؟ فاقترحي علي ، واتركي الأمر إلي . فقالت : يا أبت يكفيه ما وقع الآن ، وإن عاد باء بالنكال والخسران . ثم آب من حيث حضر ، والشيخ قد غاب عن إدراكه وصار حاله عبرة لمن اعتبر ، فلما علا النهار تفقدوه ، فلم يقعوا عليه ولم يجدوه ، فنظروا من خصاص الباب اليه ، فوجدوه ملقى وإشارات الموت عليه ، فاختلعوا الباب في الحال ، بعد أن كسروا الأقفال ، واحتملوا الشيخ إلى بيته وهو عن إدراكه ذهلان كأنه في بحران ، فحضر عنده شيخه المترجم ذو القدر المصون ، وعلق عليه تميمة وقرأ عليه شيئاً من الكلام القديم ذي السر المكنون ، فقام في الحال ، كأنما نشط من عقال . وكانت تعاوده هذه البنت من بعيد وتقول له إرم الحجاب وإلا قتلتك من غير ارتياب ، فيشكو لشيخه فيقول له إياك أن تسايرها في ذلك ، فتوقعك في الشدائد

والمهالك ، وما دامت التميمة عليك ، لا قدرة لها على الوصول اليك (١) .
توفي رضي الله عنه سنة ست وأربعين ومائتين والف في المدينة المنورة ودفن بمقبرة بقيع الغرقد (بالغين المعجمة) قال في المختار بقيع الغرقد مقبرة بالمدينة المنورة .

الشيخ صالح بن حيدر الكردي الاصل والشهرة الاشكتي الشافعي

إمام له في العلوم أطول باع ، وهمام قد اتفق الجل على فضله بلا نزاع ، قد تفرد في زمنه بكمال التحقيق ، وتوحد بصواب الفهم وسداد التدقيق .

ولد بدمشق الشام سنة ثلاث وخمسين ومائة والف ونشأ بها ، وجد واجتهد في طلب العلوم ، إلى أن برع في فنّي المنطوق والمفهوم ، وكان إماماً في الحديث وأصوله ، وحصل من علم التصوف والحقائق على مطلوبه ومأموله ، وله في كل فن كمال المعرفة والادراك ، ولم يكن له عن الافادة والاستفادة فكاك ، وكان أحد أفاضل الشام الموصوفين ، ومن أجل نبلائها وأجلائها المعروفين ، إذا رآه الإنسان أجله وهابه ، وأعلى قدره وأعظم جنابه ، قد أخذ عن الشيخ احمد العطار ، وعن العلامة العلواني عمدة الأمصار ، وعن الشيخ محمد العاني ، والشيخ علي الداغستاني والشيخ محمود الكردي العمدة الفاضل ، والشيخ عبد الرحمن الكردي

---

(١) القصة في أصلها عاديّة وطبيعية ، وهي أنّ هرّة دخلت حجرة المترجم وأخذت تتلمس بثيابه وتدور حوله ، وهو قد أنس بها ونظر اليها ، وتلمس بيده عليها ، فلما عضت أنفه ، لطمها هو لطمة قوية . وأما ما ترتب عليها من هذه الحكاية الغريبة ، فهو واقعة حال وكأنه ضرب من الخيال أو الخبال ، والله أعلم بحقيقة الحال .

ذي الأخلاق والشمائل ، والشيخ علي كزبر والحفني والملوي والبراوي ، وعن الفاضل الشيخ سالم الحفناوي ، وأخذ الطريقة العلية النقشية عن الجليل المحترم المعظم الشهاب الأيوبي الرحمتي ، وكان له في الطريق يد عليا ، وهمة سامية كبرى ، مات رحمه الله تعالى سنة ثماني عشرة ومائتين والف ، طيب الله ثراه آمين .

الشيخ صالح السقطي الدمشقي الصالحي الشافعي بن الشيخ عبد الغني بن الشيخ عبد القادر السقطي

الأديب الكامل ، والفقيه الفاضل ، والبارع الأوحد ، والهمام المفرد .

ولد بصالحية دمشق عام الف ومائتين واثني عشر ، وقرأ على والده وعلى والدي ، وعلى العلامة الشيخ سعيد الحلبي ، وعلى الشيخ احمد بيبرس . وولي خطابة جامع الحنابلة بصالحية دمشق وخطابة السليمية ، وتوفي سنة خمس وأربعين ومائتين والف [١] ودفن عند أسلافه بقاسيون .

الشيخ صالح الدمشقي الحنفي امين فتوى دمشق الشام المعروف بابن أياس

فخر العلماء العاملين ، وصدر الفقهاء والمحدثين ، رحلة الطالبين ، وخاتمة المحققين .

ولد بدمشق سنة تسع وسبعين ومائة [٢] ، وأخذ عن السيد شاكر العقاد المعروف بمقدم سعد العمري ، وعن العلامة الشيخ محمد الكزبري ، وعن الشهاب المنيني ، وولي خطابة جامع قلعة دمشق المنسوب لأبي

---

(١) في روض البشر : (وتوفي سنة ١٢٤٢ هـ) .

(٢) في تاريخ الشطي : ولد (سنة ١١٨٨) هـ .

الدرداء حينما كانت سكناً لبعض الدمشقيين ، ثم انتقل من القلعة وسكن بمحلة الشاغور ، وتصدر لافادة الطالبين ، وولي أمانة الفتوى بدمشق أيام مفتيها المولى أسعد افندي البكري الصديقي ، ولم تطل المدة حتى توفي في سنة إحدى وخمسين ومائتين والف ، ودفن بسفح قاسيون قرب مقبرة بني السقطي رحمه الله تعالى .

الشيخ صالح بن سعيد بن احمد الدمشقي الحنفي المعروف بالاسطواني (١)

ولد بدمشق سنة عشر ومائتين والف ونشأ بها ، وقرأ على الأفاضل ، وكان صالحاً لطيفاً متواضعاً لين الجانب حسن الأخلاق مواظباً على صلاة الجماعة لايشغله عنها شاغل ، وتولى خطابة الجامع الأموي فخطب مدة ثم فرغها على ولده راغب افندي . مات صاحب الترجمة عاشر ربيع الآخر سنة الف ومائتين وأربع وتسعين ودفن في مقبرة الذهبية في الدحداح (٢) .

الشيخ صالح بن المرحوم الشيخ احمد بن المرحوم الشيخ سعيد المنير (٣)

الدمشقي الشافعي من طائفة ذات حسب ونسب وجاه عظيم وعلم وأدب ، وكان المترجم من أحسنهم لطفاً ، وأجلهم نباهة وظرفاً . قرأ

---

(١) في تاريخ الشطي : ولد بدمشق (سنة ١٢١٩ هـ) وأخذ عن أبي حنيفة زمانه الشيخ سعيد الحلبي والعالم محمد الروي ، والفقيه هاشم التاجي والمفتي مصطفى المغربي التهامي وغيرهم . وأخذ عنه جماعة وانتفعوا به ، وأصيب قبيل وفاته بولده الفاضل راغب افندي فصبر . اهـ مختصرا .

(٢) انتهت ملخصة من ترجمة شقيقه المطولة وتجدها في (تراجم أعيان دمشق في نصف القرن الرابع عشر ١٣٠١ ـ ١٣٥٠) وهو ذيل لروض البشر للأستاذ الشطي .

(٣) لهذا العلاّمة الجليل ترجمة مفصّلة بقلم شقيقه العالم الشيخ عارف ، ذكر فيها أسماء شيوخه الأجلاء ، والعلوم والفنون الشرعية والعربية التي قرأها عليهم ، (ثم قال) : ـــ

على والده مدة مديدة ، وأخذ عنه فنوناً عديدة ، وقرأ على الشيخ سليم العطار ، وغيره من السادة الأخيار ، ثم قرأ على شيخنا الشيخ محمد الطنطاوي حتى فاق وظهر شأنه ، ورجح في العلم ميزانه ، وسما ذكره ونما قدره ، وطلبته الطلبة من كل جانب ، ومالت اليه أعناق الرغائب ، وله درس جامع بين العشاءين في جامع بني أمية ، في التفسير الشريف وما شاكله من المقاصد العلية ، وكأن مكانه الذي يجلس فيه للتدريس يناديه ، رغماً على أنف حاسده ومعاديه :

قلدت من درّك المنظوم لابخسا ... جيد الفضائل عقدا قط مالبسا
وصغت منثوره تاجاً علا وغلا ... قدراً وسعراً ولا والله ماوكسا
هات الحديث عن السادات متصلا ... ثم اروه عالي الإسناد لاحبسا

— وتأهل المترجم للتدريس في حياة والده وشيوخه ، فاذنوا له في التدريس (سنة ١٢٨٧ هـ) فدرس في الجامع الأموي بين العشاءين ، وفي الأشهر الثلاثة ، وبعد صلاة الجمعة ، ودرّس في المدرسة الاخنائية شمالي الجامع المذكور ، واجتمع عليه الطلبة ، وانتفع به جماعة كثيرون ، وكان في كل عام يصلي التراويح في الجامع المقدم ذكره بختمة كاملة . وكان له يد في تأسيس المكتبة الظاهرية ، والمدارس الابتدائية ، وعين عضواً في مجلس المعارف مرات . وفي (سنة ١٢٩٩ هـ) قصد الآستانة في حياة والده ، فوجه عليه تدريس كتاب الشفا في الجامع المنوه به ، ثم تردد إلى دار السلطنة المذكورة مرات كثيرة ، واجتمع برجالها . وكان جم همته لمطالعة التوراة والإنجيل ، حتى صارت له فيهما ملكة ، فكان كثيراً ما يذهب إلى الكنائس والبيع ويجادلهم . ولما وقعت المجادلة بين البروتستانت في جريدتهم (النشرة الاسبوعية) وبين اليسوعية في جريدتها (البشير) صار المترجم حكماً بينهم ، وكتب في ذلك رسالة طبعتها الجريدة المذكورة ، ثم أفردتها وجعلتها رسالة مستقلة . وكان كثيراً ما تنشر له الجرائد مقالات من قلمه ، خصوصاً الجوائب في الآستانة والجنان في بيروت واشتهر بذلك . ولما سمع صاحب الترجمة ان في مصر والاسكندرية محافل للبروتستانت فتحت المباحثة مع المسلمين توجه قاصداً المحافل المذكورة في جمع من العلماء ، فجادل القسوس والرهبان ، وتغلب عليهم علنا . ثم آب راجعاً إلى دمشق .

وتوجه مراراً إلى الدار العلية ، والعاصمة الإسلامية ، وفي المرة الأولى وجهت عليه باية ازمير المجرّدة وفي المرّة الثانية وجهت عليه باية ادرنه المجردة أيضا ، ثم إنه كان قد وقع بينه وبين أخيه شقيقه عارف افندي مباغضة أوجبت مرافعة بينهما في الحكومة ، فما زال يتفاقم الأمر بينهما إلى أن ذهب المترجم في المرة الأخيرة إلى الآستانة لأجل تتميم دعواه مع أخيه ، فطلبته المنية ، إلى السعادة الأبدية ، وذلك سنة الف وثلاثمائة وإحدى وعشرين ودفن في مقبرة الآستانة .

الشيخ صالح بن محمد سعيد بن حماد الحمادي المدني الخطيب

الأديب الذي حاكى نظمه الدرر ، واللبيب الذي لآلىء نثره كلها غرر ، قد انفرد في فن المحاضرة ، وانتهى اليه علم حسن المذاكرة ، قد أخذ عن أفاضل الشيوخ وشيوخ الفضائل ، وأذعن له الخاص والعام بأنه من السادة الأفاضل ، وكان مثابراً على القراءة والإقراء ، وأجازه شيوخ عصره ووصفوه بأوصاف الفضلاء البلغاء ، واذنوا له بالإفادة والتدريس ، وبالافتاء على مذهب سيدنا محمد بن ادريس ، لما رأوا من تحقيقه وجودة فهمه وتدقيقه ، وقد نظمه صاحب اللآلي الثمينة ، في سلك تراجم أدباء المدينة ، فقال فيه يصف حاله ويذكر أدبه وكماله : مبدي الكلمات الرائقة ، التي هي بالحسن للقلوب شائقة ، والنظم النفيس ، الذي ليس لجناسه جنيس ، والنثر الذي يلمه بنان الأفهام في اطباق مجامع القلوب ، وتشرب الأرواح طرباً منه راح معان في كأس الابداع مصبوب ، مع صدق لهجته ووضوح محجته ، وانتشار فضل أشرقت كمل بدوره ، وذكاء اناله من العلم عرائس خدوره ، وحسن معاملات وأخلاق تشهد له بأنه الإمام الهمام الفيلق الغيداق[1] . فما أبدته خزائن أذهانه من جملة كلمه وعقيانه[2] ، مجيباً عن القصيدة التي مدحه بها عمر افندي المدرس :

---

(١) الكريم ، الجواد .

(٢) الذهب الخالص .

تجلت لنا ذات السنا المتألق تميد بقد بالملاحة مشرق
بأبهى محيا زانه در مبسم تحيي بأشهى من حميا مروق
تتيه دلالاً في حلي وحلة وتزهو جمالاً قد حلا بترقرق
رشيقة شكل زينت بمحاسن بديعة حسن أتقنت بتأنق
ترق بظرف تسترق به النهى وترنو بطرف للقلوب مفوق
شمائلها تحكي الشمول لطافة وتروي لنا ريا الشمال المعبق
فأهدت سلاماً رق معنى لسامع وأبدت كلاماً دق معنى لذائق
فهمت بها لما فهمت خطابها وقابلتها مذ أقبلت بتشوق
وقبّلتها حبّاً لها وقبلتهـــا وأمهرتها روحي وجسمي وما بقي
ولم لا ومهديها السراج ضياؤنا أخو الفضل بل رب الكمال المحقق
مجيد لأفراد المناقب أجمعـــا مجيد إلى أعلى المراتب مرتقي
همام له الباع الطويل تفضلا يفيض به من بحره المتدفق
أديب أريب لا يجارى بحلبة البـــــديع وفي الإبداع أبرع مفلق
فيا بارعاً وشى الطروس بنثره ونظم كما الدر النضيد المنسق
ومن سخرت أعلى المعاني له متى دعاها أجـــابته بغير تعوق
أتت بنت فكر منك تخطب خطة يضيق نطاقي عن نداها ومنطقي
ولولا الحيا من وجه جاهك سيدي مطلت بها فالمطل حيلة مملق
فدونكها خجلاء عطلا فحلها بحلي قبول بالتفضل أليق
ودم وابق واسلم في هناء وغبطة برغم حسود لا يغيظك أحمق

ولم يزل هذا المترجم مستوياً على عرش أدبه ، متصاعداً في ترقيه نحو بلوغ أربه ، إلى أن قصد الدار الآخرة ، وسكن غرفته السامية الفاخرة ، وذلك في أوائل القرن الثالث عشر رحمه الله تعالى .

الشيخ صالح بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم المغربي المالكي الخلوتي الشهير بالسموني

العلم الفرد في العلوم والمعارف ، والأوحد المقصد في بدائع اللطائف والطرائف ، من اشتهر بالعبادة والطاعة ، وعرفه الناس بالزهادة والقناعة . ولد في جزيرة وغليس من أعمال الجزائر الغربية سنة أربعين ومائتين والف ، ونشأ بها وأخذ عن علمائها الكرام ، وجهابذتها الفخام ، واستقام بها اثنتين وعشرين سنة وهو مجد في طلب العلوم الشرعية ، ومجتهد في تحصيل العلوم النقلية والعقلية . ثم لما أخذت الدولة الفرنسية الجزائر ، وتعطلت المساجد والمنابر والمنائر ، هاجر المترجم إلى دمشق الشام ، وذلك سنة أربع وستين ومائتين والف من هجرة سيد الأنام [1] ، فجعلها محل إقامته ، وموطن راحته وكرامته . وأخذ عن علمائها العظام أنواع الفضائل ، إلى أن صار معدوداً من الأفاضل . وله منظومة في فقه السادة المالكية ، وقد كتب عليها حاشية جليلة جلية ، وله شرح على رسالة في علم الميقات ، قد جمع فيه ما نثرته يد الشتات ، وله تاريخ على طريق الرمز والايماء والاشارة ، وصل فيه لقدوم محمد رشدي باشا الشرواني الوزير الاعظم الذي كان قد تولى الصدارة ، وله فيه أسلوب عجيب ، وطريق نادر غريب . وكان صالحاً تقياً وفالحاً نقيا ، رفيع المقام وافر الاحترام ، مقبلاً على الله مدبراً

---

(١) أحيت الجزائر ، ذكر الأمير عبد القادر ، في جهادها الأخير ، الذي لم يسبق له نظير ، إلى أن كتب الله لها الاستقلال التام . وكان عيد استقلالها الوطني يوم الخميس (في ٥ ج ٢ سنة ١٣٨٢ هـ — ١ تشرين ٢ سنة ١٩٦٢ م) فعطلت عندنا المدارس الرسمية ، والدوائر الحكومية ، وشادت بذكره إذاعات العالم ، فالحمد لله على ما أنعم من استقلال الشمال الافريقي العربي الاسلامي ، ونسأله سبحانه التوفيق لما يحب ويرضى .

عما سواه ، جميل المقال جليل الخلال ، لم يزل على حاله ، متخلياً من الدهر عن أوحـــاله ، إلى أن خطبته دواعي المنية ، إلى دار الآخرة العلية ، وذلك لثلاث بقين من شهر جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين ومائتين والف ، دفن في مقبرة باب الصغير ، قرب قبر المرحوم العلامة الشيخ محمد الكزبري رحمه الله تعالى .

السيد صالح افندي بن السيد عبد القادر افندي بن السيد أحمد بن السيد حسن بن السيد مصطفى بن السيد عبد الرحمن بن السيد اسماعيل بن السيد محب الدين الحصني الحسيني

المعروف بابن تقي الدين ، فهو الحسيب الذي لا ريب أنه من أشرف العنـــاصر محسوب ، والنسيب الذي هو إلى أعظم الأكابر منسوب ، من سلسلة تسلسلت إلى أشرف إنسان ، وارتقت إلى مكان قيل فيه ليس في الامكان أبدع مما كان . قد ارتفع شرفه على كاهل الفخار ، واستوى سؤدد مجده على ذروة المدار ، فلله دره من أديب طاف حول كعبة لطفه ذوو الأدب ، وأريب سعى بين مَرْوَةِ سنائه وصَفَا صفائه ذوو الأرب ، قد أينع زهر كماله في حدائق الفضائل ، وأشرق بدر جماله فاهتدى به أولو الوسائل .

ولد في دمشق الشام ، دار آبائه وأجداده السادة الكرام ، وذلك سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف ، ونشأ في حجر والده المعروف بكل كمال ولطف ، ثم بعد أن قرأ القرآن العظيم وجوده ، صرف همته إلى الخط فنال منه أحسنه وأجوده ، ثم حضر دروس العلماء ، ولازم مجالس الفضلاء ، فأتقن العلوم العربية ، واجتهد في تحصيل العلوم الشرعية ، إلى أن بلغ مناه ،

وحاز على ما تمناه ، وأجازه علماء زمانه بالإجازة العامة ، وكتبوا له ما يدل على كمالاته التامة ، وتقدم لدى أهل زمانه ، وتسامى مقامه بين أقرانه ، ثم سار إلى الآستانة دار السلطنة العثمانية فاستقام بهـا مدة ، ثم سار إلى الحجاز لقضاء الفريضة الإسلامية ، وبعد اداء فريضة الحج الشريف بالتمام ، توجه لزيارة جده المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام . ثم بعد مدة توجه إلى الدار الدمشقية ، فاستقام بها مدة ثم رحل منهـا إلى الدار العلمية ، فجعلها محل تجارته ، وموطن إقامته ، وفي سنة أربع وتسعين ومائتين والف وجهت عليه نقابة القدس الشريف ، وقد أناب من قام عنه بهذا المنصب المنيف ، ودخل في سلك المناصب العلمية ، إلى أن وصل إلى باية بروسه السنية ، من البلاد الخمس الموصلة للحرمين ، وعين السعادة ملاحظة له بما تقرّ به العين ، ولم يزل ملازماً على الأدب والخضوع ، والتذلل والعبادة والخشوع ، وزيارة الصالحين وحب المساكين ، ومساعدة ذوي المقاصد ، والإكرام لكل قاصد . وله هيئة حسنة ومعاشرة مستحسنة ، وتقوى وعبادة وقناعة وزهادة ، وفي شهر ربيع الأول سنة الف وثلاثمائة وسبع ، وجهت عليه نقابة أشراف الشام ، فمكث بها سنتين وفي الثالثة توجه إلى الحجاز الشريف والحرم السامي ذي القدر المنيف ، وبعد اداء النسك والعبادة ، دعاه إلى دار الآخرة داعي السعادة ، فكانت وفاته في شهر ذي الحجة الحرام سنة الف وثلاثمائة وعشر من هجرة سيد الأنام [1] .

---

(١) ترجمه ابن أخيه السيد محمد أديب تقي الدين فقال : وأجازه بالعلوم النقلية والعقلية علماء دمشق الأعلام ، ومن أكابر الآستانة شيخ الإسلام حسن فهمي ، (قال) : ثم رحل ثانياً إلى الآستانة (سنة ١٢٩٢ هـ) ، فأقام بها مدة طويلة ، وتعرّف إلى كثير من رجالاتها وأعيانها ، وشهدوا له بالديانة والأمانة اهـ خلاصة ما نقله ابن أخيه السيد أديب (في ج ٢) من كتابه منتخبات التواريخ بدمشق عن عكاظ الأدب للعلامة السلاوي .

الشيخ صبغة الله افندي بن ابراهيم بن حيدر الحيدري
مفتي الشافعية في بغداد (١)

الحجة البالغة ، والمحجة النابغة ، والكعبة المحجوجة ، والروضة المبلوجة ، نقطة كرة العراق ، (وفارس) ميدان جولان السباق ، وعمدة الأحكام الشرعية ، ونخبة السادة الشافعية .

ولد سنة الف ومائة وإحدى وستين بماوران واسمه تاريخه ، ونشأ في العلم والطاعة ، وبرىء من الكسل والإضاعة ، وأخذ عن مشايخ عصره ، وأئمة مصره ، مع الهمة والاجتهاد ، إلى أن بلغ رتبة الترجيح والانتقاد ، فأجازه الأفاضل ، وشهدوا له بالفضائل ، وعاملوه معاملة الشيوخ ، ذوي القدم الثابت على ذروة الرسوخ ، مع الزهد والورع ، والبعد من المصانعة والطمع . كيف لا وهو ابن من رقى وعلا ، وساد في جميع أطواره جميع الملا ، علي ابن عم سيد الورى من تقدم في مقام القرب والناس ورا ، فهذا هو الشرف الأعلى ، والمجد الذي هو بكل مديح أولى ، ثم انتقل من بلده ماوران إلى دار السلام بغداد ، فاشتهر بها أمره ، وعلا قدره وطار في الآفاق ذكره ، وعرفت قدره الوزراء ، والعلماء والفضلاء ، وتولى إفتاء السادة الشافعية في مدينة العراق السنية ، فكان للحق ناصرا ، وللباطل حاسرا ، وللمحق وزيرا ، وللمبطل نذيرا . وكان ذا أخلاق حسنة ، وصفات مستحسنة ، وقد أخذ الطريقة النقشبية العالية ،

1161

---

(١) شيخ مشايخ بغداد في عصره ، ولد في قرية (ماوران) واستوطن بغداد ، إلى أن توفي فيها بالطاعون ، له كتب ، منها « حاشية على البيضاوي ، وحواش على حواشي عصام الدين على شرح الكافية للجامي » و « حواش على المحاكمات والعقائد لأحمد بن حيدر » .

عن قطب العرفان ذي المعارف السامية ، مولانا الشيخ خالد ، حباه الله من فضله القدر الزائد ، فأحسن في سيره ، وتقدم من أرباب الطريق على غيره ، ولم يزل مثابراً على العلم والعمل ، إلى أن وافاه الأجل ، سنة الف ومائتين ونيف وعشرين [١] .

الشيخ صديق بن علي المزجاجي الزبيدي الحنفي

ولد سنة الف ومائة وتسع وخمسين تقريباً ثم أتقن كتب الحديث والفقه الحنفي وسافر للدرس والتدريس إلى (مخا) ثم رجع إلى (صنعا) .

قال صاحب البدر الطالع : ووصل إليّ ولم أكن قد عرفته قبل ذلك ولا عرفني ، وجرت بيني وبينه مذاكرات في عدة فنون ، ثم خطر ببالي أن أطلب منه الاجازة فعند ذلك الخاطر طلبها مني ، فكان ذلك من المكاشفة ، فأجزت له وأجاز لي وكان إذ ذاك سنه فوق خمسين سنة ، وعمري دون الثلاثين ، ثم ما زال يتردد إلي وفي بعض المواقف بمحضر جماعة وقعت بيني وبينه مراجعة في مسائل ، وأكثرت الاعتراض في مسائل من فقه الحنفية وأوردت الدليل ، وهو يتمحل في الجواب لما يوافق الحنفية وينتصر لهم ، فلما خلوت به قلت له اصدقني هل ما تبديه في المراجعة تعتقده اعتقاداً جازماً فان مثلك في علمك بالسنة [٢] لا يظن به أنه يؤثر مذهبه الذي هو محض الرأي في بعض المسائل على ما يعلمه

---

(١) في الأعلام ومعجم المؤلفين ، كانت وفاته (سنة ١١٨٧ هـ) وبينهما وبين الحلية في سنة الوفاة فرق بعيد .

(٢) السنة ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقوال أو أفعال ، أو تقريرات ، وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع ، يستنبطون منها كما يستنبطون من المصدر الأول وهو القرآن ، ويرجعون اليها في فهم المراد منه .

صحيحاً ثابتاً عن رسول الله ﷺ ؛ فقال لا أعتقد صحة ما يخالف الدليل وإن قال به من قال ولا أدين الله بما يقوله أبو حنيفة وأصحابه إذا خالف الحديث الصحيح ، ولكن المرء يدافع عن مذهبه . مات في حدود الف ومائتين وأربعين انتهى . ولله در أبي عبد الله محمد بن علي الصوري يذكر الحديث وأهله فقال وأحسن في المقال :

قل لمن عاند الحديث وأضحى عائباً أهله ومن يدعيه
أبعلم تقول هذا أبِنْ لي أم بجهل والجهل خلق السفيه
أيعاب الذين هم حفظوا الديـــن من الترهـات والتمويه
وإلى قولهم وما قد رووه راجـع كل عابد وفقيه

وهل لا يعاب على قوم تركوا الحديث والعمل بما فيه ، وتمسكوا بأقوال تناقضه وتنافيه ، قال بعض الأفاضل :

رفض السنة قوم فتنوا علموا الباطل وانقادوا اليه
ورجـال لم يخونوا عهدهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه

صديق خان أبو الطيب بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني القنوجي البخاري (١)

فاضل حظه من المعرفة وافر ، وكامل وجه أمـانيه طلق سافر ،

---

(١) محمد صديق خان أبو الطيب ، زوج ملكة بهوپال :
الامام الكبير في التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والأدب والشعر والكتابة والتصوف والحكمة والفلسفة وغيرها . ولد ونشأ في قنوج (بالهند) وتعلم في دهلي ، وسافر إلى بهوبال طلباً للمعيشة ، ففاز بثروة وافرة ، قال في ترجمة نفسه : « ألقى عصا الترحال في محروسة بهوبال ، فأقام بها وتوطن وتمول ، واستوزر وناب ، وألف وصنف » وتزوج بملكة بهوبال ، ولقب بنواب ، عالي الجاه أمير الملك بهادر . له نيف وستون مصنفاً بالعربية والفارسية والهندية ا هـ من جلاء العينين والأعلام وغيرهما .

ما زال من الرفعة في أعذبها شرعة ، ومن الحظوة في أسوغها جرعة ، له في الخلق والخلق من الرضوان روضان ، وفي النثر والنظم من المرجان مرجان ، فهو عقد نبلاء الأفاضل ، وبيت قصيد ذوي الفضائل ، من طار صيت علاه وحلاه في الأقطار ، وتطاولت اليه الأبصار من الأمصار ، فلا ريب أنه فرد العصر في كل فضيلة ، وفهد ذوي القدر للوقوف على حقيقة كل مقصد ووسيلة ، وقد ترجمه بعض السادة الأفاضل ، فذكر بعض ماله من الفضائل ، فقال : هو السيد الإمام العلامة الملك المؤيد من الله الباري ، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني القنوجي البخاري ، المخاطب بالنواب عالي الجاه أمير الملك خان بهادر ، أدامه الله تعالى بالعلا والتفاخر . من ذرية السبط الأصغر الشهيد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه .

ولد في شهر جمادى الأولى في التاسع عشر منه يوم الأحد في سنة ثمان وأربعين ومائتين والف هجرية ببلدة قنوج المحمية ، (بكسر القاف وفتح النون المشددة وسكون الواو على زنة سنور) وعليه من السيادة العليا والسعادة العظمى مخايل ، ومن السؤدد والشرف براهين ودلائل . فربي في مهد الآداب والشمائل الجميلة ، وتعلق من حال صباه بالخصال المرضية والخلال الجليلة ، وكان من أجل ما أنعم الله به عليه أن صرفه برحمته الخاصة عن الاشتغال بمحدثات العلوم التي جدواها قليل ، والخوض في مبتدعات الرسوم التي عدواها جليل ، وقد أجزل له المنة ، وكشف الله به عن الحقيقة الشرعية كل دجنة ، ووفقه لتفسير كتابه العزيز وحبله المتين ، ودراسة سنة نبيه المأمون الأمين ، فاشتدت رغبته فيها وتطلعه اليها ، واستئناسه بها وإدامة النظر في كتبها ، واطلاعه على ثناياها ،

وتفحصه عن خباياها ، حتى رزقه الله حظاً صالحاً ومقاماً في الأنام راجحاً ناجحا ، وهو في ذلك أخذ بحجزة الاتباع ، شديد التوقي من نواشط الرأي والابتداع (النواشط : جمع ناشط وهو الثور الوحشي يخرج من أرض إلى أرض) ، فنمي بذلك علمه ، وتوفر من القبول سهمه ، وجرى بالخير التام والثناء الحسن على ألسنة المتبعين اسمه :

نوابنا الصديق نابغة الزمن يطوى به الذكر الجميل وينشر

وكان أخذه هذا العلم الشريف وانتفاعه فيه عن أكابر ممن أدركهم من محدثي اليمن الميمون وعلماء الهند ، ولما حصلت له الإجازة المعتبرة من مشايخ السنة ، وأسود غابات الحديث شداد المنة ، شمر عن ساق الجد والهمة ، لجمع الأحكام التي نطقت بها أدلة الكتاب وحجج السنة ، من غير تعصب لعالم من أهل العلم ومذهب من المذاهب ، وألف في كل باب من أبواب الشريعة الحقة الصادقة المحمدية ما لم يؤلف مثله لهذا العهد الأخير ، وانتفع به أجيال من الناس كثير ، وسارت بمؤلفاته الركبان إلى أقطار الأرض هندها وشامها ويمنها ، ومصرها وروميها ، وحجازها وشرقها وغربها ، وذلك من فضل الله تعالى ، وكان فضل الله عليه كبيرا . ثم ان الله سبحانه وتعالى خوله من المال الكثير ، ومنّ عليه بالحكم الكبير ، والأولاد السعداء والنسب الحميد ، والحسب المزيد ، ما يقصر عن كشفه لسان اليراع ، ولو كشف عنه الغطاء ما ازداد الواقف عليه إلا يقيناً وإن أنكرته بعض الطباع ، وهو الذي يقول لأخلافه مقتدياً بأسلافه بفم الحال ولسان المقال : « اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور [1] » « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار »[2]

---

(١) سورة سبأ : الآية ١٣ .

(٢) ابراهيم : ٣٤ .

وقد طعن الآن في عشر الخمسين من العمر المستعار ، مع ما هو مبتلى به من سياسة الرياسة وفقد الأحبة والأنصار ، وكثرة الأعداء الجاهلين بالقضايا والأقدار ، والمرجو من رب العالمين ، أن يجعله ممن قال فيهم « وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين [1] » والحمد لله الذي جعله محسوداً لا حاسدا ، وصابراً شاكراً ولم يجعله فظاً غليظ القلب معاندا ، ولله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله .

وهذه أسماء كتبه المؤلفة على ترتيب حروف المعجم المطبوعة في مطبعة رياسة بهوبال المحمية ، وغيرها من البلدان العظام ، ويزيد الله في الخلق ما يشاء وهو المتفضل ذو الإنعام .

حرف الالف

أبجد العلوم ، إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدثين بالفارسي ، الاحتواء في مسئلة الاستواء ، الإدراك في تخريج أحاديث ردّ الاشراك ، الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة ، أربعون حديثاً في فضائل الحج والعمرة ، إفادة الشيوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ فارسي ، الاكسير في أصول التفسير فارسي ، إكليل الكرامة في تبيان مقـــاصد الإمامة ، الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح .

حرف الباء الموحدة

بغية الرائد في شرح العقائد فارسي ، البلغة في أصول اللغة ، بلوغ السول من أقضية الرسول .

حرف التاء الفوقية

تميمة الصبي في ترجمة الأربعين من أحاديث النبي ﷺ .

---

(١) النحل : « ١٢٢ » .

حرف الثاء المثلثة

ثمار التنكيت في شرح أبيات التثبيت فارسي .

حرف الجيم

الجنة في الاسوة الحسنة بالسنة .

حرف الحاء المهملة

حجج الكرامة في آثار القيامة فارسي ، الحرز المكنون من لفظ المعصوم المكنون ، حصول المأمول في علم الأصول ، الحطة في ذكر الصحاح الستة ، حل الأسئلة المشكلة .

حرف الخاء المعجمة

خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان .

حرف الدال المهملة

دليل الطالب إلى أشرف المطالب فارسي .

حرف الذال المعجمة

ذخر المحتي في آداب المفتي

حرف الراء المهملة

رحلة الصديق إلى البيت العتيق . الروضة الندية شرح الدرر البهية . رياض الجنة في تراجم أهل السنة .

حرف الزاي

حرف السين المهملة

السحاب المركوم في بيان أنواع الفنون وأسماء العلوم ، وهو القسم الثاني من هذا الكتاب . سلسلة العسجد في ذكر مشايخ السند فارسي .

حرف الشين المعجمة

شمع النجمس في ذكر شعراء الزمن فارسي .

حرف الصاد المهملة

حرف الضاد المعجمة

ضالة الناشر الكئيب في شرح النظم المسمى بتأسيس الغريب .

حرف الطاء المهملة

حرف الظاء المعجمة

ظفر اللاضي بما يجب في القضاء على القاضي .

حرف العين المهملة

العلم الخفاق في علم الاشتقاق . العبرة بما جـاء في الغزو والشهادة والهجرة . عون الباري بحل أدلة البخاري أربع مجلدات .

حرف الغين المعجمة

غصن البان المورق لمحسنات البيان . غنية القاري في ترجمة ثلاثيات البخاري .

حرف الفاء

فتح البيان في مقاصد القرآن في أربـع مجلدات . فتح المغيث بفقه الحديث . الفرع النامي من الأصل السامي فارسي .

حرف القاف

قصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل . قضاء الأرب في مسئلة النسب . قطف الثمر في عقائد أهل الأثر .

حرف الكاف

كشف الالتباس عما وسوس به الخناس في الرد على الشيعة باللسان الهندي .

حرف اللام

لف القماط على تصحيح ما استعمله العامة من الأغلاط . لقطة العجلان مما تمس الى معرفته حاجة الإنسان .

حرف الميم

مثير ساكن الغرام إلى روضات دار السلام . مراتع الغزلان في تذكار أدباء الزمان . مسك الختام شرح بلوغ المرام ، باللسان الفارسي . منهج الوصول إلى اصطلاح أحاديث الرسول ، باللسان الفارسي .

حرف النون

نيل المرام في تفسير آيات الأحكام .

حرف الواو

الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم المنثور منها والمنظوم ، وهو القسم الأول من هذا الكتاب .

حرف الهاء

هداية السائل إلى أدلة المسائل ، بالفارسي .

حرف الياء

يقظة أولي الاعتبار فيما ورد في ذكر النار وأصحاب النـــار . هذا ما وقع في الماضي وإلى الآن في الزيادة والتوجه إلى تصنيف كتب شتى . وفي الحقيقة ان مثله لا يكون في هذا الزمن ، مع ما هو فيه من الامتحان ، وقد آن أن نقبض جواد القلم عن الطراد في وصفه ، فإن الكلام فيه بحر تيار وعباب زخار ، وفيما ذكرنا كفاية لأولي الألباب ، والله الموفق لإصابة الصواب .

تتمـــة

إن هذا السيد المترجم ، والأستاذ السند المعظم ، توجه في شهر شعبان سنة خمس وثمانين ومائتين والف إلى بيت الله ، فقدم مكة المكرمة وجدد عهداً بالركن والحطيم ، وتنسم من عرف عرفات وتمتع من ارج ذاك النسيم ، ثم شد الرحال إلى زيارة السيد المصطفى قطب دائرة الكمال ، فزار المرقد النبوي الأنور ثم مرقد الآل الأطهر ، وتمتع بزيارة من سلف ، ممن لهم كمال الفضل والشرف ، ثم عاد إلى محروسة بهوبال المحميـــة ، فاستقبلته خلافة الهند السامية البهية ، حيث انه تزوج بوالية مملكتها وحامية حوزتها ، المزرية طلعة كمالها بشرف الشمس والقمر ، والمستوية حامية إمارتها على عرش الظفر ، تاج الهند المكلل ، وطراز المجد الرفيع الأول ، نواب شاه جهان بيكم ، أحسن الله اليها وتفضل وأنعم ، وفسح في حياتها وبارك لها وعليها في أوقاتها .

فجلس هذا المترجم مجلس الخلافة في الأمور الدولية ، وقام مقـــام السيدة المشار اليها في إنفاذ الأوامر السنية ، وانتفع الناس بجوده وبذله ، وعلمه وحكمه وفضله ، وعاد إلى مملكته ماء الشبيبة بعد المشيب ، وظهر غصنها الذابل في نضرة الرطيب ، وغدا بردها البالي قشيبا ، وأصبـــح جدبها الماحل خصيبا ، وارتفعت بها قصور العلم بعد ما كانت رسوماً عافية ، واستبانت معالم الفضل بعد ما كانت اغفالاً خافية . وذلك لأنه كان مليأ بالعلوم ، متضلعاً منها بالمنطوق والمفهوم ، مجتهداً في إشاعتها ، مجدداً لإذاعتها ، مع كونه يرى ذاته الشريفة كآحاد المسلمين ، ويتواضع مع كل واحد من الناس لله رب العالمين ، ويتحاشى كماله عن الدنيا وزخارفها ، ويجافي بقلبه عن مراقيها ومعاطفها ، وأحيا السنن الميتة في ذلك المكان ، بالأدلة البيضاء من السنة والفرقان ، فهو سيـــد علماء الهند في زمانه ،

وابن سيدهم الذي برع فضلاً في عصره وأوانه ، فخضعت له النواصي ، وشهد بكماله الداني والقاصي ، ولم يزل يزيد علوم الشريعة بهاء ونضارة ، ويفكك عقود أكمامها بأحسن عبارة وألطف إشارة ، واشتد اشتغاله بها تصنيفاً وتأليفا ، وطالت يده البيضاء في بنيانها ترصيصاً وترصيفـــا ، ولم يزل مقامه يسمو ، وقدره يعلو وينمو ، إلى أن دعاه الداعي لدار جزائه ، ولحصوله على غاية مرامه ونهاية منائه ، وذلك سنة الف وثلاثمائة ونيف .

حرف الطاء

السيد الشيخ طاهر بن محمد الانباري

كان فاضلاً نبيهاً ، وعالماً متفنناً فقيهاً ، لازم السيد سليمان الأهدل ، وقرأ عليه تفسير البيضاوي والبغوي وحصل له فتوح عظيم في سائر العلوم ، وتخرج عليه عدة علماء محققين . ومن كلامه : اللبيبُ من إذا سبقه الناس بالعلم سبقهم بالعمل ، وإذا سبقوه بالعمل سبقهم بالإخلاص لله عز وجل ، وإذا سبقوه بالإخلاص سبقهم بالثبات على ذلك إلى الممات . وكمال الإنسان في ثلاثة أمور : علوم يعرفها ، وأعمال يعمل بها ، وأحوال تترتب على علومه وأعماله :

العلم ليس بكاف ربه شرفاً إن لم يكن عمل ما فيه تلبيس
لو كان بالعلم من دون التقى شرف لكان أفضل خلق الله إبليس

توفي رضي الله عنه سنة الف ومائتين و . . .

الشيخ طاهر بن سعيد المعروف بسنبل الدمشقي

من العلماء المعروفين ، والأعيان المشهورين ، ولد بدمشق سنة الف ومائة وخمسين تقريبا ، ونشأ بها وقرأ على أخيه الشيخ محمد وعلى والده وغيرهما ، حتى برع وفاق واشتهر في الآفاق ، وكان ناهجاً منهج الزهادة والتقوى والعبادة . مات رحمه الله عام الف ومائتين وثمانية عشر .

طاهر افندي مفتي دمشق الشام بن عمر افندي الخربوتلي الحنفي الدمشقي

ولد في خربوت سنة خمس عشرة ومائتين والف ، ثم قدم مع والده إلى دمشق وتوطن بها ، وحضر مجلس العلم لدى أفاضلها واعلام علمائها ، كالشيخ شاكر مقدم سعد ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ سعيد الحلبي وغيرهم . وكان كوالده صالحاً عابداً زاهداً متقشفاً في الدنيا مقبلاً على الأخرى ، وصار من المتقدمين في الفقه في مذهب أبي حنيفة ، وكان أبوه قد وجهت عليه امامة محراب الحنفية في جامع بني أمية ، فانتقلت اليه بعد موت والده . ثم وجهت عليه أمانة فتوى دمشق الشام أيام مفتيها حسين افندي المرادي ، وبعد موت حسين افندي وجهت رتبة افتاء الشام على ولده علي افندي المرادي ، وبعد أشهر حضر علي افندي لدى والدي وطلب منه أن يستعفي له من الافتاء واعتذر بأنه رأى رؤيا أزعجته كثيراً ، وقال له لاأخرج من دارك حتى تخلصني من منصب الافتاء ، ولم يمكن تنزيله عن هذا الخاطر ، وكان الوالي في ذلك الوقت سعيد باشا صهر السلطان محمود وكان من الصالحين ، وكان المشير على الأوردي الهمايوني الخامس أمين باشا ، وكان رئيس المجلس الكبير عثمان بك وكان صاحب الحل والعقد ، وكل منهم كان له مع والدي غاية المحبة وكانوا في كل أيام يحضرون عند والدي ، فلما لم يمكن مضيّ علي افندي في منصب الافتاء وأصر على ذلك مع شدة الهلع ، تكلم والدي في أمره فقال له عثمان بيك لابأس بذلك ، لكن بشرط أن يكون الافتاء لك ، فقال له أنا أستعفي عن غيري وأقبل لنفسي لايمكن ذلك ، فقال له هذا منصب علم وأمانة ، ولا نجد الآن موافقاً من كل الوجوه في هذا

القطر سواك ، فقال له أنا أريد منصباً لاأعزل منه ، فقال له أستحضر لك براءة من السلطان في توجيه الافتاء عليك وعلى أولادك من بعدك ، فقال له ماقصدت هذا ، إنما قصدت أنه إذا أراد السلطان عزلي لاقدرة لأحد على ابقائي ، وأنا عندي منصب لايعزلني منه أحد وهو منصب العلم فلا أختار غيره عليه ، على أني لا آمن على نفسي ، وهذا منصب خطر ، وإن عزمتم عليّ في ذلك يكون سبباً لقطع سبب الوصلة بيني وبينكم . فلما ظهر عليه التغير كثيراً ، اضربوا صفحاً عن التكلم معه في هذا الخصوص ، وتفرقوا ثم اجتمعوا بعد ذلك ، وانعقد اجماعهم مع أهل البلد على وضع صاحب الترجمة ، لأمانته وتخرجه في مسائل المذهب وخدمته لأمانة الفتوى مدة طويلة ، وجلس لمسائل الناس في مدرسة الجقمقية شمالي جامع بني أمية ، ثم بعد مدة قد انتقل إلى مكان آخر قد أعد للافتاء ، ولم يزل مفتياً إلى أن وقعت في الشام حادثة النصارى سنة سبع وسبعين ومائتين والف ، نفي مع من نفي من أعيان الشام وعلمائها إلى قلعة الماغوصة تابع جزيرة قبرص ، واستقام بها مدة هو والشيخ عبد الله الحلبي ، وأحمد افندي الحسيبي ، وعمر افندي الغزي ، وعبدالله بيك العظم ، ومحمد بيك العظمة ومن معهم ، واستقاموا بها مدة سنتين فصدرت الارادة السنية بنقلهم إلى ازمير ، واستقاموا بها ثلاث سنين ، ثم طلبوا إلى دار الخلافة العلية ، فرفع عنهم الحجر وصدر الأمر باطلاقهم إلى أوطانهم ، وأنعم على المترجم بقضاء مولوية ازمير مع نيابة بني غازي تابع طرابلس الغرب ، فاستقام هناك سنتين ، ثم عاد لدار الخلافة فوجهت عليه نيابة خربوت ، فمكث بها سنتين ثم وجه عليه نيابة حماة مرتين ، ثم قدم دمشق وبها استقام إلى أن توفي نائب محكمة الباب محمد افندي الجوخدار سنة ١٢٩٨ ، وجه والي ولاية سوريا احمد حمدي باشا النيابة المذكورة على المترجم ، وكان القاضي في ذلك الوقت عبد الله افندي بن مصطفى افندي حقي ، ومازال نائباً في المحكمه المرقومة إلى أن توفي سنة ثلاثمائة والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى .

الشيخ طاهر بن ابراهيم بن سعد بن عواد
الحموي الشافعي البصير

شيخ القراء بحماة الحافظ الكبير والمقرىء الشهير ، والفاضل الفقيه والكامل النبيه ، مولده سنة ثلاث وأربعين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه على أبي عبد الله محمد بن علي الدمشقي من طريق حفص ، وعلى أبي اسحق ابراهيم بن عباس بن علي الدمشقي ، وحفظ الشاطبية والرائية وطيبة النشر وشروحها والجزرية ، وقرأ التمهيد في التجويد ، وابن القاصح شرح الشاطبية ، والهمداني والنكت والدرة لابن الجزري ، وابن المصنف شرح الطيبة وغيرها من الشروح والمتون ، البعض مع الحفظ والبعض قراءة وسماعا ، واشتغل بتحصيل الفنون والعلوم ، وقرأ على جماعة ، وأخذ الفقه والعربية عن فرج الله الحموي وأبي الصدق يوسف الفقيه وأبي محمد عبد الله الحواط وشمس الدين محمد بن أحمد شهاب الدين الديري نزيل دمشق ، وقرأ المنطق والمعاني والبيان والتوحيد على الإمام الكبير عليم الله بن عبد الرشيد اللاهوري الهندي نزيل دمشق ، وابي محمد احمد بن عبيد الله العطار الدمشقي ، وسمع الحديث وغالب كتب الصحاح على تاج الدين محمد بن طه العقاد الحلبي ، ومحمد بن التافلاتي المغربي ، وأبي عبد الله محمد بن محمد الحكيم اللاذقي ، وسراج الدين عمر بن ابراهيم اسماعيل الكيالي الادلبي وأبي الحسن علي بن عبد الكريم الأرمنازي الشافعي وأجاز له غالب شيوخه ومهر وتفوق وأتقن وحفظ واستفاد وأفاد وشهد له شيوخه بالنبل والتفوق . وكان من مشاهير القراء بالديار الشامية وألف بالقراءات كتاباً سماه الفوائد . وكانت وفاته بعد الألف والمائتين وخمسة رحمه الله تعالى .

الشيخ طاهر العقوي الخالدي النقشبندي

العالم التقي والمرشد النقي ، خلاصة الأكابر ، ونخبة الأفاخر ، نشأ بصحبة الأفاضل إلى أن صار من ذوي الفضائل ، ثم أخذ الطريق ونهج مناهج أهل التحقيق ، وأخذ عن المرشد الكامل الشيخ خالد شيخ الحضرة ، وبعد اشتغاله مدة خلفه خلافة عامة حيث تأهل للخلافة ، ولم يزل مشتغلاً في الإرشاد إلى أن استكمل الأجلُ الميعاد ، وذلك سنة الف ومائتين و . . . .

الشيخ طاهر بن ابراهيم بن حسن الكوراني ثم المدني

وهو من رجال أصفى الموارد ، فهو ذو الوصف الحسن والفصاحة واللسن ، فلا ريب أنه الجهبذ الذي علت به كلمة الإسناد ، وزخر به العلم الحديثي وزاد ، وأمد بإملائه الصدور بالإرشاد والإمداد ، وصعد إلى ذروة منة لا ترتقى ، وأبرز من أحواله المستصفى والمنتقى ، وميز بنقده التام رجاله ، وعاناه والشيب ما شاب قذاله ، وقفا والده فيه حتى صارت به بيضا لياليه ، كيف وقد أملى مجالس حديثية ، تكاد تكون عسقلانية وإن كانت مدنية ، واستمدت الأذهان من تقريره ، ولباب تنقيح تدقيق تحريره ، ما هو الروض وزهره [1] .

---

(١) إلى هنا وقف قلم الشيخ في ترجمته ، وفي سلك الدرر ما ملخصه : ولد بالمدينة ونشأ بها في حجر أبيه ، وقرأ على والده المرقوم عدة من العلوم ، وأخذ عن كثير من الشيوخ أولي الفضل والرسوخ ، وكان كثير الدروس ، وانتفعت به الطلبة ، وتولى إفتاء السادة الشافعية بالمدينة المنورة مدة ، وله من التآليف اختصار شرح شواهد الرضي للبغدادي ، وترجمه الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري في ثبته المسمّى بلطائف المنة .

الشيخ ملا طه بن الشيخ يحيى البزوري الكردي الشافعي الدمشقي

العالم العابد ، والعامل الزاهد ، ناسك زمانه وتقي أوانه ، ولد في العامودية بلدة من بلاد الموصل سنة الف ومائتين وخمسين ، وبها أخذ عن والده وعن غيره من شيوخ الموصل وشيوخ العمادية والسليمانية ، ونهج منهج السلف وفاق في التقوى والعلم بين الخلف ، وفي سنة أربع وثمانين ومائتين والف قدم دمشق وأقام في محلة الصالحية في حـــارة الأكراد ، ولازم المدرسة الركنية ، وكان لا يخرج منها إلا لصلاة العصر في جامع بني أمية كل يوم في الوقت الأول مع الجماعة ، وقصد البيت الحرام للنسك مرتين من دمشق ، وكان بيني وبينه محبة قوية ومذاكرات علمية ، ومطارحات أدبية ومناصحات صوفية ، ومفاكهة حسنة ومعاشرة مستحسنة . وكان تقياً زاهداً ورعاً خاشعاً متنبهاً متيقظاً قليل الكلام فيما لا فـائدة به ، وكان من أشراف طوائف الأكراد . توفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثلاثمائة والف ، ودفن بسفح قاسيون قرب قبر ابن اخته الشيـــخ عبد الله الكردي قرب مغارة الجوعية من جهة الغرب .

الشيخ طه بن يحيى الكردي الشافعي

العالم المشهور بكل فضل مأثور ، المتحلي بحلية الفضائل والمتخلي عن الاتصاف بشيء من الرذائل .

ولد سنة الف ومائة وست وثلاثين ، وأخذ عن السيد علي بن السيد مصطفى الحريري ، وعن الشيخ طاهر بن سعيد سنبل ، وترقى في بديع المعارف واتصف بأكمل الحسن واللطائف . مات سنة أربع عشرة ومائتين والف .

الشيخ طه بن الشهاب أحمد العطار الدمشقي الشافعي

ولد بدمشق وطلب بها مع الزهد والتقوى ، والصلاح في السر والنجوى ، وكان ملازماً للطريق والاذكار ، وقراءة القرآن في الليل والنهار ، متواضعاً عابداً سيداً ماجدا ، قوالا بالحق ملازماً للصدق ، لين الجانب ، له فكر في حل المشكلات ثاقب ، قليل الاختلاط بين الناس ، مشهوراً باللطف والايناس ، متحلياً بالورع ، متخلياً عن الطمع ، مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح .

الشيخ طه بن جمعة بن مصطفى بن جمعة بن سليمان الدسوقي الشافعي

الدين الصالح المعتقد الزاهد ، الورع العابد ، العالم العامل ، مولده بدسوق في أواسط سنة تسع وستين ومائة والف ، وخرج من بطن أمه أكمه وتنقلت به الأحوال وخرج من بلاده إلى البلاد الشامية ، وتنقل من مكان إلى مكان ، حتى استقر في قرية كفر كَرْمِين بناحية جبل سمعان من أعمال حلب ، واختارها وأقام بها في غار هناك ، تزوره الناس ويأتونه بالنذور والذبائح على عادتهم ، ويعتقدونه ويتبركون بأنفاسه ودعواته ، وحصل الشفا لكثير من المرضى والزمنى على يده بإذن الله تعالى . وكان ينتسب كما ذكر هو من لفظه إلى خيزرانة بنت الشيخ موسى أخي القطب ابراهيم الدسوقي . وبالجملة فقد كان من خيار عباد الله تعالى أهل الاستقامة ، ومات رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين و . . .

الشيخ طه بن عبد الرسول بن أبي يزيد بن البرزنجي الشافعي الموسوي الحسيني

السيد الشريف أبو السعادة الفاضل الأديب النجيب أحد السادة الأشراف الأفاضل الأجلاء .

مولده ببرزنجه من أعمال شهرزور سنة ثمان وستين ومائة والف ، وقرأ على الأجلاء من علماء شهرزور منهم جلال الدين الكُلَعَنْبَري ، وأبو محمد عبد القادر الكوراني ، وأولاد عمه معروف بن مصطفى البرزنجي ، وعبد الكريم وعبد الرحيم ابنا أبي القاسم بن الحسن البرزنجي ، وارتحل إلى بغداد وقرأ بها على أبي مهدي عيسى بن صبغة الله الحسين آبادي الماوراني ، وعبد الرحمن بن فيض الله القادري نقيب الأشراف ببغداد ، وأخذ عنه الطريقة القادرية ، ثم دخل الموصل وقرأ بها على جرجيس الاربلي الموصلي وغيره ، ثم حج وجاور في المدينة المنورة وسمع الكثير والكتب الستة في الحديث عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الفاسي ثم المدني ، ولازمه قدر ثلاث سنين وأجاز له بخطه ، وقرأ عليه وانتفع به ، ثم ارتحل إلى مصر وقرأ بها الكثير على محب الدين محمد المرتضى بن محمد الزبيدي اليمني ، وأجاز له بخطه ، ودخل قسطنطينية ودمشق وحلب وغيرها من البلاد ، واجتمع بالعلماء والأدباء والرؤساء ، وكان مستقيم الأطوار مواظباً على التقوى والعبادة آناء الليل وأطراف النهار . مات رحمه الله تعالى بعد الألف والمائتين وخمسة ، ولم أقف على تعيين تاريخ موته .

الشيخ طه بن محمد بن طه بن احمد العقاد الحلبي الشافعي
مفتي الشافعية بحلب

العالم الفاضل . والهمام الجهبذ الكامل . والتقي الصالح . والنقي الراجح . مولده سنة تسع وخمسين ومائة والف ، واشتغل بالأخذ والتحصيل في كنف والده وانتفع به وقرأ عليه الكثير من الكتب والفنون ، ولازم الشيوخ وسمع عليهم وأكثر من التلقي ، وله عدة مشايخ سادة أفاضل منهم أبو سليمان صالح بن ابراهيم الجينيني الدمشقي ، وأبو يحيى علاء الدين بن علي بن صادق الداغستاني . ولم يزل يترقى في الأخذ والعلوم والمعارف ، إلى أن خطبته المنية بعد الألف والمائتين وخمسة [١] .

الشيخ السيد طه الكيلاني نسبا الشمزيني الهكاري
الخالدي النقشبندي [٢]

كان رحمه الله تعالى عالماً عاملا ، زاهداً عابدا ، ورعاً تقياً نقيا ، حسيباً شريفاً من أولاد سيدنا عبد القادر الجيلاني ، وكان كثير الوعظ والتذكير ، يذكر الناس بالله ويعظهم ويرشدهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . وكان حسن الأخلاق طيب الاعراق ، قد شغلته الطاعة عن البطالة والاضاعة ، وقد أخذ الطريقة النقشية عن عمدة الزمان مولانا شيخ الحضرة خالد ، ثم بعد الكمال ونوال المراد أقامه خليفة وأذن له في الإرشاد . توفي سنة الف ومائتين و . . .

---

(١) في تاريخ حلب للأستاذ الطباخ ، أنه توفي سنة ١٢٢٩ هـ .

(٢) ذكره الأستاذ الشيخ عبد المجيد الخاني في كتابه « الحدائق الوردية ، في حقائق أجلاء النقشبندية » المطبوع سنة ١٣٠٦ هـ ولكنه لم يزد على قوله : العالم الرباني ، والمرشد الكامل السبحاني ، الشيخ السيد طه الكيلاني الهكاري قدس سره اهـ .

الشيخ طه شرف الدين ابو احمد المقري بن ابي بكر بن رجب بن ابي بكر بن حسن الحلبي الحنفي

الفقيه الصالح الدين التقي الورع الزاهد ، العالم العامل الإمام الهمام النقي العابد ، أحد القراء والحفاظ بحلب ، ولد بهـا سنة ست وثلاثين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم على والده ، وأتقن حفظه على جماعة ، منهم الزين عبد اللطيف المدني نزيل المدرسة الشرفية والجمال يوسف المصري وأبو محمد عبد الرحمن بن ابراهيم المصري ، وتلاه على الشمس البصري وأبي محمد عبد الكافي بن عبد الكريم الحلبي الإمام بالجامع الأموي ، وقرأ الفقه والنحو على أبي عبد الله محمد بن ابراهيم المداري ، وقرأ على أبي عبد القادر محمد بن صالح بن رجب المواهبي ، وحضره في كثير من الفنون ، وسمع عليه غالب الكتب مع من حضر ، كالدر المختار للحصكفي والدرر وشرح الجوهرة والاشموني وابن عقيل على الألفية والجامع الصغير للسيوطي وجميع صحيح الإمام البخاري والشفا للقاضي عيـاض وغيره ، وأخذ عنه الطريقة القادرية ، وبعد موته لازم ولده أبا المواهب اسماعيل المواهبي ، وحضره وسمع عليه حصة من الفنون ، وسمع أيضاً حصة من الجـامع الصغير على أبي عبد القادر صالح بن عبد الرحمن البانقرسي ، وسمع الكتاب المذكور أيضاً على أبي محمد عبد القادر بن بشر بن عبد الحق البشري ، ولازم الأشياخ واحتفل بالسماع ، وكان مواظباً على قراءة القرآن العظيم ويتدارس به مع القراء ولا يغفل عن التلاوة بحقها ليلاً ولا نهاراً ، وكان جميل المجالسة حسن المعاشرة ، لطيف الكلام ، يحب المذاكرة في الاحكام ، كثير المواعظ آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، معتزلا عن الناس إلا لما يرجع عليه منه أمراً ديني من الاجتماعات المطلوبة ، والمجالس المستحسنة المرغوبة . ولم يزل على نهجه المستقيم إلى أن استضـافته المنية وطلبته للدرجات العلية ، وذلك بعد الألف والمائتين رحمه الله تعالى .

الشيخ الطيب بن الشيخ محمد المبارك الجزائري الدلسي المالكي

العالم الفاضل والهمام الكامل ، عمدة زمانه ونخبة أقرانه .

ولد سنة الف ومائتين وخمس وخمسين تقريباً ونشأ في حجر والده ، فتعلم القرآن وجوده وحفظه وأتقنه ، وأجاد الخط ، وقرأ الفنون من العلوم على سادة أفاضل ، منهم عمدة الأنام ، وكعبة الإسلام ، جهبذ الأفاضل ، وينبوع الفضائل والفواضل ، العارف بالله الأمير السيد عبد القادر الجزائري الحسني ، فكنا نحضر وإياه مع من حضر كتاب الفتوحات المكية ، وغيرها من كتب السادة الصوفية ، وقرأ على العالم اللوذعي ، والسميدع الألمعي ، شيخنا الشيخ محمد بن مصطفى الطنطاوي فنوناً متعددة ، وقرأ على غيرهما من السادة المالكية ، وأجازوه بالإجازة العامة . وله ذكاء وحفظ مع طلاقة لسان وطلاوة في الكلام ، وحسن معاشرة ولين جانب ، وخضوع ولطف وزهادة ، وقناعة وجود وكرم نفس ، ومهابة وقبول ، وأفكار عالية وفهم جيد في كلام القوم . وفي عام اثنين وثمانين حينما شرف شيخنا الأستاذ السيد محمد الفاسي الشاذلي أخذ عنه الطريقة الشاذلية ، وبعد اشتغاله مدة في الطريق أذن له في الإرشاد ، وإعطاء الطريق ، فأرشد وأحسن في إرشاده ، وأعطى الطريق وأقام الأذكار في الليل والنهار ، وأكثر من السياحة في خدمة الطريق ، وانتفع منه البعيد والصاحب والرفيق ، وعرف بين الناس واشتهر باللطف والايناس .

وفي سنة الف ومائتين وسبع وثمانين أرسله حضرة الأمير عبد القادر الجزائري مع حضرة شيخنا الطنطاوي إلى مدينة قونية لمقابلة الفتوحات المكية على خط مؤلفها العارف بالله الشيخ محيي الدين العربي وقرأها مع الشيخ المذكور هناك مرتين مقابلة ، وبعد مجيئهما قرأناها جميعاً على الأمير المرقوم مع التزامنا لإصلاح نسخنا على النسخة المقابلة على خط المؤلف .

ومما نظمه وأسمعني إياه من لفظه :

سُلوّي عن الأحباب حرمه الحب ... فإن هجروني فالعذاب بهم عذب
وهيهات يوماً أن أميل إلى السوى ... وكيف وقلبي مدنف بهم صب
فإن حدثوا أروي الحديث بسائري ... فنعم الشفا ذكر الأحبة والطب
فلله عيش قد تقضى بقربهم ... وكأس الهنا صاف ومغنى اللقا رحب
سقوني شراب الأنس صرفاً مقدساً ... عن المزج لما أن تمزقت الحجب
فقالت سليمى قر عيناً بما ترى ... وطب في الهوى نفساً فقد حصل القرب
ألم تدر أن الوصل أضحى مقامه ... عزيزاً رفيعاً لا تطاوله الشهب
حمانا منيع دونه الحتف يا فتى ... وإن الهوى مرقاه مستوعر صعب
فكم مغرم أضحى معنى ولم يفز ... بنظرة إسعاف بها يسكن القلب
تؤجج نار الوجد بين ضلوعه ... وأجفانه مثل الغمام لها سكب
يرى روحه تنحط قدراً بلمحة ... وإن عدها يوماً لعمري هو الذنب
فمن شاء أن يحيا ويحظى بنظرة ... فبي فليمت وجداً وإلا فلا يصبو

وله نظم له حلاوة وعليه طلاوة ، وله شغف كثير بالسماع والنساء لو تيسر له لدخل في كل ليلة على كاعب عذراء . ويحب التجمل في الملبس وغيره ، وهو ذو تودد وتحبب كثير السؤال عن إخوانه وأخلائه وأخدانه ، يعاشرهم أحسن المعاشرة ، ويلاطفهم أجمل الملاطفة . ولم يزل يفحل أمره ويعظم قدره ، إلى أن توفي يوم الاثنين تاسع وعشرين كانون الثاني وسادس وعشرين من شعبان عام الف وثلاثمائة وثلاثة عشر ودفن في سطح المزة قرب الجبل رحمه الله تعالى (١) .

(١) نقل الأستاذ الشطي هذه الترجمة بالحرف وزاد عليها قوله : قلت إن صاحب الترجمة قدم دمشق مع والده المذكور ، وجدّه لأمه الشيخ المهدي ، مهاجرين من الجزائر في حدود سنة ١٢٦٣ هـ فتوفي والده سنة ١٢٦٩ هـ ، ورباه جدّه المرقوم على الطريقة الخلوتية ، إلى أن توفي سنة ١٢٧٨ هـ ، فقام المترجم مقامه في المدرسة الخضيرية ، إلى وفاته رحمه الله .

* * *

حرف الظاء

الشيخ ظبيان بن الشيخ يوسف بن الشيخ عبد العال بن الشيخ محمد حفيد ابن محمود المسمى براعي الغزالة المدفون بقرية جيرود (قرية من قرى دمشق الشام تبعد عنها مقدار سبع ساعات من جهة الشرق إلى شمال)

ولد بدمشق يوم الأربعاء سنة سبع عشرة ومائتين والف [١] ، وأخذ الطريقة القادرية عن والده المذكور وعن الشيخ محمد علي افندي الكيلاني القادري الحموي ، وكان له أطوار غريبة وأحوال عجيبة ، وكانت تأتي اليه النساء والرجال من كل جانب ، فهذا يسأله عن تجارته ، وهذا يسأله عن زوجته ، وهذا يسأله عن سفرته ، وهذا يسأله عن شركته ، وكل واحدة من النساء تسأله عن مقصود مخصوص ، وهو تارة يجيب بلسان مفهوم ، وتارة يتكلم بمعنى غير مفهوم . وكان يرد عليه من المال شيء عظيم ، ومن الهدايا شيء جسيم [٢] ، ولا زال يعلو مقامه ، ويعظم

---

(١) ترجمه حفيده الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي ظبيان فقال : ولد المترجم سنة ١٢٠٤ هـ وبعد أن تعلم القراءة والكتابة أدخله والده في مدرسة الملا عثمان الكردي ، فقرأ فيها الفنون الأدبية ، والعلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير ، وحضر دروس كثير من علماء دمشق كالمحدث الشيخ عبد الرحمن الكزبري والفقيه الشيخ عبد الرحمن الطيبي ، وغيرهما ، (وباقي الترجمة كما ترى في الحلية) .

(٢) رأينا بعض مَن يُسألون عن هذه الأمور ، يستأجرون بعض الرجال أو النساء ليدخلوا البيوت ويتعرفوا بمن لهم قرابة أو نسابة أو علاقة مع هؤلاء السائلين والسائلات .

احترامه ، وتقصده الوزراء والوجوه والكبراء ، إلى أن توفي حادي عشر رجب سنة ثمان وثمانين ومائتين والف ، ودفن في مدفنه الذي بناه لنفسه في آخر تربة باب الله رحمه الله تعالى .

الشيخ ظاهر باطن الدمشقي الصالحي

كان رجلاً شهماً ذا مروءة ظاهرة ، وشهامة باهرة ، وأحوال عجيبة ، وأمور غريبة . وكان مشهوراً بالكرامات وخوارق العادات ، مع لطافة وجمال ، واستقامة تدل على حسن الحال ، وهو من التغلبيّين الذين لهم في الشام شهرة كبيرة ، ومناقب هي بكل مدح جديرة . وكان هذا المترجم حسن المعـــاشرة ، جميل المذاكرة ، كثير الوداد ، بعيداً عن المناكدة والعناد ، وكان مقصوداً في تيسير الحوائج ، مطلوباً في الدعاء لنوال النتائج ، ليس له غلظة ولا فظاظة ولا قباحة في الكلام ، ولا مسبة ولا شتم ولا مايوجب الملام ، مـع أن طور الجذب يغلب عليه ، والناس من كل فج تأتي اليه . مات في سنة الف ومائتين ونيف وتسعين رحمه الله تعالى .

المرشد الـكامل الشيخ ظافر بن محمد حسن بن حمزة ظافر المدني الشاذلي

منبع عين الحقيقة ، ومجمـــع بحري الشريعة والطريقة ، إنسان حدقة الفضائل ، وترجمان عرفان السادة الأفاضل ، وحديقة الهدْي والكمال ، ومعدن الجود والنوال ، من أجمع ذوو التحقيق على علمه وولايته ، واجتمع أهل التدقيق على كمال فهمه ودرايته ، ورفع الدهر قدره فأجله ، وعرف ضده فأهانه وأذله ، وخدمته السيادة فـكانت له عبدا ، ولاحظته العناية

فأفرغت في رعايته جهدا . ولم يزل يتنقل مُقامُه ، ويترقى قدره ومَقامه ، إلى أن دعته الحضرة السلطانية ، للإقامة بمدينة القسطنطينية ، وبيان ذلك على طريق الإجمال لا على التفصيل ، المؤدي إلى الخروج عن المقصود وارتكاب التطويل ، انني كتبت لحضرته وهو في الآستانة العلية ، أن يرسل لي ترجمته السنية ، فأجاب وما ضن ومنّ عليّ بها وما مَن ، وأنبأني بأنه ولد في شعبان المبارك سنة أربع وأربعين ومائتين والف ، بِمِسْراتَه من أعمال طرابلس التي دفن بها والده المجمع على كماله من غير خُلف ، فنشأ في حجر والده إلى أن شب ، وكان له كمن طب لمن حب ، ثم قال : فعلمني القرآن إلى أن أتقنته ، ثم علمني من أنواع العلوم إلى أن ظننت أنّ ما تعلمته أحسنته ، ثم أخذ يؤدبني بآداب السنة ، إلى أن وجد نفسه الشريفة لإعطائي الطريق مطمئنة ، فاستخار الله واستهداه ، وغب أن حصل له الإذن بما يهواه ، أخذ يدي بطريق المصافحة وتلا قوله تعالى « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » إلى آخر الآية ثم تلا : إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » الآية ثم لقنني لا إله إلا الله وقال لي اذكرها من غير قيد ولا عدة تتكاثر عليك الفيوضات ، ويتقوى لك بفضل الله المدد . وكان رضي الله عنه يحبني محبة كاملة زائدة عما تقتضيه شفقة الأبوة ، ولا زال يؤهلني لكل أمر ذي بال ، ويمدني بهمته الجامعة لأنواع الكمال ، ثم ألبسني الخرقة المباركة ، وهي جبّة صوف من لباس المغرب ، وقد ثقل علي لبسها حتى صرت أختفي من الناس مدة ، إلى أن حصل لي بهمته تمام الأنس بها ، ولا زالت على ظهري ثلاث سنين ، ثم أمرني أن أتلون في اللباس ، ثم أتيته وطلبت منه أن يلقنني الاسم الخاص ، فأمهلني أياماً إلى أن تحقق مني صدق طلبي له أخذ بيدي ولقنني إياه ، وقال لي اذكره يفتح الله عليك عن قريب إن شاء الله ، فكنت

أذكره دائماً مستغرق الوقت فيه ، وكلما خطر بقلبي شيء أبديته له ، ولا زلت كثير الشكوى لديه ، غزير التململ بين يديه ، إلى أن قال لي مرة : ليس المطلوب بكثرة الأذكار والأوراد ، إنما هو بنظرة الأستاذ بعين العناية والامداد . وشكوت له مرة كثرة الوسواس والأفكار حالة الذكر ، فقال لي رضي الله عنه لا بأس عليك لأنها ترد على كل ذاكر ولا تضرّه . وشكوت له مرة أخرى من الوهم ، فقال لي هو باطل ، واستشهد لي بقول القائل :

فأفنيتها حتى فنت وهي لم تكن ولكنني بالوهم كنت أطالع

ثم بعد ذلك أمرني رضي الله عنه بالسياحة إلى تونس ، ثم بعد السياحة عدت اليه ، فقال لي الآن صرت أخي ومريدي وابني ، فأعطني حق ذلك وأنا كذلك أعطيك حق الأخوّة بحيث لا أعمل شيئاً بغير استشارتك ، فبكيت وبكى رضي الله عنه . وكنت في بعض الأيام جالساً عنده مع بعض خواص الإخوان ، فأتاه إنسان برطبتين باكورة ، فأخذهما وأطعمنيهما وقال لي انو ما شئت يحصل إن شاء الله تعالى ، فبعد ذلك رأيته في منامي كأنه جالس رضي الله عنه بقرب منهل ، ومعه جمع غفير من التلامذة ، وأنا من جملتهم ، فرأيت إخوتي يتزاحمون على الماء ، فقال رضي الله تعالى عنه : أيكم يسقي أولادي ، فأردت أن أسرع لمرادي ، ثم قلت هذه مزية أوثر بها التلامذة ، فما قام أحد ، ثم كرر القول ثانياً وثالثاً ، فقمت وسقيتهم واحداً واحداً حتى رووا ، فقام رضي الله تعالى عنه ودخل بي إلى محل فيه خزانة ففتحها وأخذ منها علبة ، وأخرج منها وعاء فيه حلوى بيضاء ، فأخذ على إصبعه وقال لي افتح فاك فناولني ذلك ، فما وجدت أحلى ولا ألذ منها ، وما فضل على إصبعه مسحه على صدري ، فخرجت لي منه رائحة عظيمة ما رأيت أطيب منها .

ثم قيل ان حضرة النبي ﷺ في هذا المجلس ، فطلعت ، فلما انتهيت إلى المجلس وجدته نائماً وهو لابس رداء من صوف في غاية الحسن ، فظهرت لي قدماه الشريفتان يعلوهما نور ساطع متصل بسقف المجلس ، فقلت الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ، فقال وعليك السلام ، وجلس متربعاً ، فرأيت يجنبي أحد الأحبة ، فقال ﷺ مرحباً بكما ، ورفع جناحيه الكريمتين ، وأشار لنا بالدخول تحت جناحه الأيمن ، وضمني إلى جانبه فغشيني طيب روائحه ، وأنعشني لطيف فوائحه ﷺ ، الحمد لله والشكر لله . ثم في الصباح أتيت الأستاذ رضي الله تعالى عنه وقصصت عليه ذلك ، فقال لي هنيئاً لك واستوص بإخوتك خيراً فإنهم أمانة الله عندك انتهى .

ثم انه بعد وفاة والده الأستاذ ، ومرشده العمدة الملاذ ، انتهت اليه رياسة الإرشاد ، وطار صيته إلى أقصى البلاد ، وانتفع به أهل المشرق والمغرب ، ولسان العموم عن بعض فضائله يعرب . وفي سنة ثمان وستين توجه إلى الحجاز ، ورجع إلى فزّان وتونس سائحاً داعياً إلى الله ، ثم في سنة ثلاث وثمانين توجه إلى الحجاز ، ورجع إلى طرابلس الغرب ، وفي سنة ثمان وثمانين عاد إلى الحجاز من طريق الآستانة العلية ، وفي هذه المرة أخذ عنه الطريق حضرة السلطان الأعظم ، والخاقان الأفخم ، السلطان عبد الحميد خان ، وذلك قبل أن يتولى أمر الملك ، ثم توجه إلى طرابلس وتونس . وفي سنة إحدى وتسعين قصد المدينة النبوية للزيارة ، ورجع منها إلى الآستانة سنة ثلاث وتسعين قبل خلع السلطان عبد العزيز بمدة يسيرة ، ومن بعدها لم يأذن له السلطان عبد الحميد بالخروج من الآستانة لكثرة محبته له وأنسه بجماله واعتقاده بكماله ، واجتماعه معه على الذكر والمذاكرة ، وعلى المفاكهة الأدبية والمحاضرة ، ولم يزل يعلو مقامه ،

ويسمو احترامه ، ولا يزال إن شاء الله في رفعة عالية ونعمة نامية . وفي عام الف وثلاثمائة وخمسة أنشأ له حضرة السلطان المذكور داراً عظيمة مع تكية للإخوان الشاذلية ، وكان يكاتبني في بعض الأحيان ، ويخاطبني مع رفعة مقامه خطاب الإخوان ، بعبارات فائقة ، ومعان رائقة ، دالة على انه بلغ ما أراد ، من العلم والعرفان والإرشاد ، ومرة جاوبته عن كتاب أرسله وجعلت له هذه القصيدة مع الجواب ، وهي :

ما كنت أعرف ما الهوى لولا كا ... لا والذي أولى البها أولا كا

يا فاتني كف الجفا عن مغرم ... مضنى وعامل بالجميل فتا كا

أنا ذلك الخل الوفي بعهده ... هل خلت يابدر الدجى انسا كا

ما شئت فاصنع بي فما لي ملجأ ... إلا اليك لأنني مولا كا

واهاً لمن مِن طرفه دخل البلا ... ء لجوفه من نظرة تلقا كا

من لي بأن ترضى بروحي والحشا ... وبمهجتي يا منيتي وأرا كا

لم يثنني عنك النحول ولا الضنى ... فبما ترى عني العذول ثنا كا

قد ضاق بي رحب الفضا وقد انقضى ... عمري ولم أظفر بغير جفا كا

يا عاذلي كف الملام فإن لي ... قلباً يسوم من الهوان هلا كا

أوما دريت بأنني فيه أرى ... عذباً عذابي لا أروم فكا كا

ذلي له عز واضلالي هدى ... وأرى الملام بحبه إشرا كا

أسرفت في لومي ولا أصغي ولو ... كان الحبيب بصبه فتا كا

لو شمته والشعر منسدل على ... أردافه ما كنت تنكر ذا كا

أو لو بدا فجر الهدى من وجهه ... لسلاحشاك وضل فيه حجا كا

أو لو تثنى تائهاً بقوامه ... أزرى الغصون بميله وسبا كا

سلم لنا واسلم فآية حسنه ... ما زاغ عنها مبصر إلاّ كا

يا لائمي كن راحمي فإلى متى ... أعليّ من أهواه قد ولا كا

حتى سعيت بما سعيت به ولم ... تذر العناد ولم تراع أخا كا

حسبي الوذ بسيد ساد الورى ورقى وخلف دونه الأفلا كا
حبر الهدى بحر الندى حصن الردى بشر ولكن أشبه الأملا كا
بدر السعادة في سماء سيادة فاقصده تحمد في الصباح سرا كا
إن لاذ راجيه بكعبة عزه قالت له العليا جعلت فدا كا
يمّم حماه ان ترم فيض الندى تلقى جواداً بالمنى لبا كا
يا صاحبي قم بي نؤم رحابه ودع السوى واغنم لديه رجا كا
هذا الهمام ابن الهمام أبو الندى يهدي السبيل ويرشد النسا كا
هذا الإمام ابن المداني ظافر فاظفر به وعداه دعه ورا كا
هذا هو القطب الرفيع مقامه حدث ولا حرج عليك بذا كا
لا عيب فيه سوى الكمال وإنه ذو راحة لم تعرف الامسا كا
يا سيداً ما زال طرفي يحسد السـ ـمع الذي أحياه ذكر حلا كا
أترى أفوز ببغيتي والدهر يسـ ـعدني وقبل منيتي ألقا كا
يهنيك جددت المآثر بعدمـا درست وحان هوانها لولا كا
ورعاك بالاقبال مولانا أميـ ـر المؤمنين وللصعود دعا كا
عبد الحميد مليكنا قطب الورى لا زال مبغضه يسوم هلا كا
عذرا لرق راق فيك مديحه لم يبغ غير شموله برضا كا
فاقبل فديتك من أسير عبودة عذراء تنشدنا ببعض ثنا كا
تمشي على استحيائها لقصورها قد أرخت طب ظافراً بمنا كا

هذا وإن حضرة المترجم يحق له أن تفرد بشمائله الأسفار ، ولولا الخروج عن المقصود لأطلت في ترجمته ، ولكنه نظراً لاسلوب الكتاب لا بد من الاقتصار ، حفظه الله على الدوام ، وسهل له كل مرام ، ثم انه في سنة الف وثلاثمائة وخمس عشرة تمرض ودعـاه داعي السعود إلى جنة الخلود ، ودفن في الآستانة رحمه الله تعالى .

* * *

حرف العين

الملا عباس الكردي الكوسنجقي النقشبندي الخالدي

نهج مناهج الفضل منذ ماز الأخماس من الأسداس ، وجنح إلى صدق القول وجميل الفعل والابتعاد عن الارجاس ، فتحلى بحلية التقوى والعبادة والزهد والورع ، وتخلى عن الرذائل وايثار الزائل والولع بالطمع ، فكان زاهداً تقيا ، عابداً نقيا ، عالماً عاملاً ورعاً فاضلا ، يحب العزلة ما أمكن ، ويهوى من الناس من هو له على العبادة أعون . ولما ارتوت نفسه من أجمل النفائس ، وتجردت عما يوقع في المهلكات والدسائس ، رام الدخول إلى حرم المعارف ، والعدول إلى طريق القوم الموصل إلى لطائف العوارف ، فأخذ الطريقة النقشية ، عن بحر الفيوضات الربانية ، والمجد التالد ذي الفضل الزائد ، مولانا شيخ الحضرة الشيخ خالد . فسلك سلوك أهل الجد والاجتهاد ، إلى أن حصل له ما أحب وأراد ، فلما رأى فيه الأهلية لإعطاء الطريقة العلية ، أذن له بالإذن العام ان يأذن لمن شاء ورام ، بالشرط المعروف والعهد الموصوف ، وقد دعته المنية إلى الدار العلية سنة الف ومائتين ونيف وأربعين . رحمه الله تعالى .

السيد عارف افندي بن المرحوم محمد افندي بن عثمان افندي الجابي الحنفي الدمشقي

أحد المشهورين الأكابر ، ومن عليه يدور محور المفاخر ، المديد الباع الفريد الانطباع ، الذي ملك زمام المحاسن ، وافتخرت به السادات الأحاسن ،

ورقى إلى ما أحبه ، وتيقظ إلى ما نفعه وتنبه ، فبدأ من أول أمره سابقا ، ولمن سلفه من الأفاضل لاحقا ، مع صون لسانه عن كل قبيح ، وترديه بكل رداء مليح ، واشتهاره بكل كمال ، وانتشار ذكره باللطف والجمال ، واتباعه لرغائب السنة ، وانتباهه للشكر على كل نعمة ومنة ، فله لعمري القدر المبرور ، والفخر الذي لا تبليه الدهور .

ولد بدمشق الشام ونشأ بها في حجر والده الهمام ، فرباه على الكمال والأدب ، إلى أن بلغ به المنى والأرب . ثم ذهب في حياة والده إلى الآستانة العلية فمكث بها زمناً طويلاً ، ونال من المراتب التي وجهت عليه قدراً جليلا ، وتولى رتبة قضاء بغداد ، ثم بعد موت والده في الشام رجع الى الشام وعاد ، فأحبه الخاص والعام ، وحصل له من الشهرة ما لا يرام ، وفاقت معاملته ، وراقت مجالسته ومنادمته ، والتفتت اليه الوزراء والأعيان ، وأنزلته الأكارم من العين مكان الانسان . وله غيرة غريبة ومروءة عجيبة ، وخصال نبوية وصفات مصطفوية ، ومجلسه ليس فيه سوى الفوائد العلمية ، والمذاكرات اللطيفة الأدبية ، بلسان يتحاشى عن كل عيب ، وكلام خال عن الملام والريب ، يتمنى جليسه أن لا يفارقه ، ويود أن يكون مدى الأيام مشاهده وموافقه ، وكان من أعز الناس عليّ ، وله التفات في جل أموره إلي ، يقصدني في كل مدة ، مظهراً غاية المحبة والمودة . وقرأ من الفنون عدة ، باذلاً في طلبه اجتهاده وجده ، إلى أن بلغ مطلوبه ونال مرغوبه . وفي ثالث يوم من جمادى الأولى قام في الصباح فصلى الفجر ، وقرأ أوراده وسأل من المولى المنان الثواب والأجر ، وبعد الضحوة الكبرى حصل له نوع انحراف ، إلا أنه قليل مأمول الانصراف ، وبعد صلاة الظهر شرب كأس حمامه ، وكان هذا اليوم من الدنيا آخر أيامه ، وكان موته فجأة من غير مرض ، بل دعاه داعي المنية في الحال فأسرع إلى إجابة الأمر المفترض ، وذلك سنة أربع وثلاثمائة والف ، فتأسف له

الخاص والعام ، وبادروا تشييع جنازته بكل اهتمام ، وغب تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ، توجه العموم بالدعوات اليه ، ثم شيع جنازته الأكابر والأعيان والأصاغر والولدان ، وحينما شاهدت هذا الحال ، تذكرت قول من قال :

صروف الليالي لا يدوم لها عهد ... وأيدي المنايا لا يطاق لها رد
تسالمنا سهواً وتسطو تعمداً ... فإسعافها عسف وإقصادها قصد
عجبت لمن يغتر فيها بجنة ... من العيش ما فيها سلام ولا برد
أفي كل يوم للنوائب غارة ... يشق عليها الجيب أو يلطم الخد
أرى كل مألوف يعجل فقده ... فما بال فقد الإلف ليس له فقد
مضى طاهر الأثواب والجسم والحشا ... له الشكر درع والعفاف له برد
وأبقى لنا من طيبه طيب ولده ... ينوب كما أبقى لنا ماءه الورد
فبالرغم مني ان يُغيبك الثرى ... ويرجع مردوداً بخيبته الوفد
سأبكيك جهد المستطيع منظماً ... رثاك وهذا جهد من ماله جهد
لئن كنت قد أمسيت عنا مغيبا ... فقد ناب عنك الذكر والشكر والحمد

الشيخ عاشق المصري الخالدي النقشبندي

زبدة الأفاضل ونخبة الأماثل ، عالم الزمان وفاضل الأوان ، الصالح العامل والفالح الكامل ، قد لازم حضرة مولانا الشيخ خالد في دمشق الشام ، وأدّى حق الخدمة والسلوك على التمام ، ثم خلفه وأذن له بالارشاد ، وهو آخر من تخلف ونال من الشيخ المراد ، ولما مر الشيخ ابراهيم فصيح افندي الحيدري في طريقه إلى الحجاز على مصر ، اجتمع بالمترجم المرقوم ، وذلك سنة ثمانين والف ومائتين ، وكان مستقيم الأطوار ، حسن الأخلاق فصيح اللسان مشتغلاً بالطريق ، متفرغاً للهداية والإرشاد ، إلى أن اخترمته المنية سنة الف ومائتين ونيف وثمانين .

الشيخ عبد الباسط السنديوني الشافعي الازهري المصري

هو جواد علم لا يكبو ، وحسام فضل لا ينبو ، قد سبق في ميدان التقدم اقرانه ، واجتلى من سعد جـــده قرانه ، وبذل فيما يعود نفعه الرغائب ، وعمت فضائله الحاضر والغائب ، لم يترك طريقاً من طرق الاسعاد إلا سلكه ، ولا وجهاً من وجوه الاجتهاد إلا استدركه ، وأربى على من سبقه من الكرماء الأوائل ، وامتد صيت ثنائه في العشائر والقبائل .

قال الإمام الجبرتي : قد أجازه أكابر المحدثين ، ولازم الشيخ محمد الدفري وبه تخرج في الفقه وغيره ، وأنجب ودرس وأفاد وأفتى في حياة شيوخه ، وكان حسن الالقاء جيد الحافظة ، يملي دروسه عن ظهر قلبه ، وحافظته عجيبة الاستحضار للفروع الفقهية والعقلية والنقلية ، إلى أن قال : انه كان قليل الورع عن بعض سفاسف الأمور ، وبذلك قلت وجاهته بين نظرائه . توفي رحمه الله تعالى في أول جمـــادى الآخرة سنة إحدى ومائتين والف وصلي عليه بالأزهر ودفن في تربة المجاورين .

الشيخ عبد الباقي افندي الفاروقي بن سليمان العمري حفيد أبي الفضائل علي المفتي الحنفي الموصلي عفي عنه

إمام خاض بحور الأدب أتم خوض ، وتفنن في اجادة الأرب تفنن الأزهار في سرحة الروض ، وخلا عن الاكفاء ، وتعالى بدره عن الخفاء ، وقلد جيد عصره ، ووشح خود مصره ، بمنثور لآل ومنظوم عقود تتزين بها تيجان الجمال ، وتتحلى بها أبيات الكمال ، فإنه السابق الذي لا يلحق ، واللاحق الذي شمس إشراقه لا تمحق ، ذو الفكرة الصـافية ، والمعرفة التامة الوافية ، والكمالات المشهورة المعروفة ، واللطافـات الموصوفة .

ولقد أبدى من المحاسن وأبدع ، وارتوى من حياض النباهة وتضلع ، وسلك مسالك المعارف ، وملك منها كل تليد وطارف ، بعزم غير ذي كلال ، وجد وجد به مكنون در الافضال . وله الذهن الوقاد ، والذكاء الذي أورده على الأدب أحسن ايراد ، فمن نظمه الأنيق ، وشعره الفائق الرقيق ، قوله مادحاً سيدنا علي وأهل البيت ذوي المقام الجلي :

هذا الكتاب المنتقى والمجتبى ... في نعت آل البيت أصحاب العبا
بالقلم الأعلى بيمنى قدرة ... في لوح عزة بنور كتبا
لاح به فرق العلا متوجاً ... مرصعاً مكللاً مذهبا
وكمها مطرزاً مديجاً ... وعقدها منقحاً مهذبا
فرق معناه وراق لفظه ... يحكي صفا الودق إذا ما انسكبا
ثنا إذا أنشدته له ثنى الـ ... وجود عطفاً وتهادى طربا

وهي طويلة بديعة الكلام ، رفيعة السبك والنظام . ومن شعره الجليل ، حينما زار سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام قوله :

زر مقاماً معظماً واتل فيه ... بعض آي من معظم التنزيل
وادخل الباب حاسر الطرف حاف ... انه باب حطة للدخيل
وأنخ للرجا به يعملات ... موقرات بحمل وزر ثقيل
وتذلل واخضع ولذ وتوسل ... وأقل منه تحت ظل ظليل
والثم الباب بالشفاه ورصع ... أرضه في فرائد التقبيل
وانثر الدمع من شؤون عيون ... مثل نثر الجمان من اكليل
وتبرد واقصد سبيل ارتواء ... فعلى ابن السبيل قصد السبيل
تجد النار تشبه الماء برداً ... وسلاماً يطفي غليل العليل
وعليه الآثار من منجنيق ... تتراءى للعين من بعد ميل
والمياه التي تسيل فيوضا ... وانبعاث النسيم من سلسبيل

شهدت أنه المقام الذي قد كان قدماً به مقام الخليل
وبه مهده الذي قد تجلت فوقه هيبة المليك الجليل
فعليه من ربه صلوات وسلام نهديه في منـديل
نسجته أيدي الملائك من رقّـة غزل التكبير والتهليل
ما تلا الفاروقي يا نار كوني بلسان التجويد والترتيل

وقال رحمه الله تعالى : قد كثر تهافت فراش مصاقع الفرقتين ، على مصباح مشكوة كل بيت من هذين البيتين النيرين ، على تشطيرهما وتخميسهما في نعت آل بيت سيد الثقلين ، فأحببت الاقتداء بالجماعة ، مع ما أنا عليه من قلة البضاعة ، فشطرتها مرة وخمستها مرتين ؛ فها هما يسطعان كالفرقدين :

يا آل من ملأ الجهات مفاخراً وأتى بكم للكائنات مظاهرا
وَهِمَ الذي لكنُم يعد نظائراً إن الوجود وإن تعدد ظاهرا
وحياتكم مـا فيه إلا أنـتم
أو ما درى إذ راح يعلن بالندا ان الذي هو غيركم رجع الصدى
فوَجَدّكم سِرّ الخليقة أحمدا أنتم حقيقة كل موجود بدا
وجميع ما في الكائنات توهم

وقـال رحمه الله مشطراً لهما :

إن الوجود وإن تعدد ظاهراً مـا فيه غيركم لمن يتوسم
أوَ صحّ في الامكان ثمة عالَمٌ وحياتكم ما فيه إلا أنتم
أنتم حقيقة كل موجود بدا من كنز كنتُ وفيه أنتم كنتم
فحقيقة الأعيان أنتم عينها وجميع ما في الكائنات توهم

وقال رحمه الله التخميس الثـاني في نعت آل بيت من أنزلت عليه السبع المثاني :

يا آل طه في الكنوز ذخائراً كنتم وجئتم للبروز مظاهرا

مالي وذي حول يردد ناظراً إن الوجود وإن تعدد ظاهرا
وحياتكم مـا فيه إلا أنتم
في الدار ديار سواكم ما اغتدى مع كثرة موهومة متفردا
فمن العماء لمن بنوركم اهتدى أنتم حقيقة كل موجود بدا
وجميـع ما في الكائنات توهم

وقـال رحمه الله تعـالى :

سلت لحاظك مرهفـاً بالجفن كان مغلفـا
وسطا فجاوز حده في القتل حتى أسرفا
ما ضر لحظك لو تأنى م لحظـة وتوقفـا
عن فتكه في مهجة ذابت عليك تلهفـا
يا من لثمت لـثامه ورشفت منه المرشفا
بفم الخيال فلا ارتوى قلبي ولا وهجي انطفا
وقف التصور والتأمل للعقول استوقفـا
عن درك معناك الذي بالفكر لن يتكيفـا
وبلمع برق الثغر كا د البرق أن يتخطفا
أصبحت من ظمأي إلى تلك الشفاه على شفا
ببيان منطقك الذي جعل المعاني أحرفـا
وأدار فيها من لمـا ك على الندامى قرقفا (١)
حرف تحكم في الرؤو س وبالعقول تصرفـا
قد مازج الأرواح حتـ ى فيه ذبن تلطفـا
وبعـارض باللام قد عرفته فتعرّفـا
بسوى أنامل فكرتي نمـامه لن يقطفـا
وبرمح قدٍّ ثقّفته ه فنونه فتثقفـا

(١) الخمر ، الماء البارد .

من لينه أخشى إذا ما اهتز أن يتقصفا
وبواو صدغ ما على غير الخدود تعطفا
عطفا على رمق امرىء غادرته رسماً عفا
لم يبق غير نسيسه وعلى المنية أشرفا
رفقاً بقلب متيم عنه سواك قد انتفى
أشفى على خطط الهلا ك ومن وصالك ما اشتفى
وبليل هجرك ربما غفت النجوم وما غفا
أخفيت حبك برهة والآن قد برح الخفا
ونشرته نشر العبير وكان قبل ملففا
وتسامرت بين الحجو ن به القوافل والصفا
شغب العذول عليّ عن دك بالسلو وأرجفا
فليكثر التعنيف مَنْ جَهِلَ الغرام فعنفا
لو كان يدري ما الهوى وهو الظلوم لأنصفا
يا أيها القمر الذي بغيا هب الشعر اختفى
والبدر حاول أن يحا كي وجهه فتكلفا
لبس المحاسن واكتسى ثوب الجمال مفوّفا (١)
وكسا الذي خلع العذا ر بحبه ثوب الجفا
كن لي عليك مساعداً وعليك كن لي مسعفا
أو ما كفى ما قد جرى أو ما كفى

وقال مبتكراً هذه الأبيات وهي من اختراعاته الغريبة :

---

(١) الفُوف والفَوف : نوع من برود اليَمن ، واحده : فَوفة (بضم الفاء وفتحها) وجمعه أفواف .

علينا أهلة هذي الشهور غدت تحصد العمر في منجل
وداست بيادرَ أيامه بنات ليـاليه بالأرجل
وقد نثرته مذاري الخطوب كنثر الحبوب من السنبل
وقد طحنته رحى النائبات دقيقاً فما احتـاج للمنخل
وقد عجنته بماء الصدود أكف القطيعة في الموصل
وقد خبزته سليمى الهموم بمسجور تنورهـا المصطلي
وقد قورته رغيفاً رغيف فقلنا لأم الدواهي كلي
ومر الصّبا كريح الصبـا ومنه الشمائل كالشمأل
وطار إلى ما ورا الخافقين يرفرف في خافقي أجدل (١)
وضاع الشباب فرحنا عليه ندور من الشيب في مشعل
وقد خضبته أكف الغموم خضاباً إلى الحشر لم ينصل
وكان السواد قرابـاً له فصار البياض شبا المنصل
بكينـا على زمن مدبر كما الطفل يبكي على المطفل
ولا بد من بعد هذا البكاء سنبـكي على الزمن المقبل
تشابه ذا اليوم مـع أمسه فقسنـا الأخير على الأول

وقـال رحمه الله

وقاض يجور ماله من مضارع على انه بالعسف أقطع من ماض
قضى ومضى لكن إلى كل غاية من الخزي لا يحظى بها أبداً قاض
يقولون يقضي قلت لكن بباطل وقالوا يقص الحق قلت بقراض

وقـال رحمه الله تعالى

كل يوم يجرد الدهر سيفاً نصله الصبح والمساء قرابه
ويتراءى نجاده من شعـاع وعمود الفجر المنير نصابه
والدراري في ظهره فقرات فالورى مثل ذي الفقار تهابه

---

(١) الأجدل : الصّقر .

فإذا ما بدا ينضنض[1] كالصـُّمل[2] على الخافقين سال لعابه
انه ذلك الحسام الذى يخـــــشى على كل من عليها ضرابه

وقـــال رحمه الله

بي كاتب خطه المسودّ نسخته قد بيضت كل تسويد من اللمم
عوذت حاجبه مع شق قامته من عين حاسده بالنون والقلم

وقال مشطراً رحمه الله

رسمت بمحمر البنان شقائقاً فزها برونقها طراز برودها
ومشت فألقت من شعاع ردائها في الروض مثل ورودها بخدودها
لم أدر أيها الشقائق فاتئنت مشغولة الأيدي بحل بنودها
ولمحت رمان النهود فبادَرَت عيني تثلث جلنار نهودها
ورمقت سطراً فوق صدر مشرق كنهار زورتها وليل صدودها
وبدت لتثبت بالجعود ضلالتي فيه حروف شهودها لجعودها

ومن نثره ما كتبه لصاحب الدولة العلامة الفاضل عبد اللطيف صبحي باشا ابن سامي باشا وكان قد أرسله اليه من دار السلام إلى الآستانة وهو :

باسمك يا لطيف قسما بمن أقسم بالصبح إذا أسفر ، ما رأيت مناسبة لذسبتك أيها النسيب اليه ، لكونه وأبيك السامي عليه ، هو بالانتساب اليك أجدى ، وبالاحتساب عليك أيها الحسيب أجدر ، وأنّى يتسنى له الوصول إلى حضيض سدتك القعساء ، ولو طار بأجنحة النسر إلى عنان السماء ، على انه ما يتنفس إلا حسرة على انحطاطه عن عليّ رتبتك ، ولا يتبسّم إلا مسرّة بما حازه من ارتباط قويّ نسبتك ، ولا ينفلق إلا كاشفاً عن غرر محاسنك الكاشفة للكروب ، ولا ينصدع إلاّ حاسراً عن طرر مآثرك الجاذبة للقلوب ، ولا يهب سحراً نسيمه ، إلا عن نفح الطيب من سجاياك ، ولا يعب عبوب القلوب شميمه ، إلا من عبير التعبير

---

(١) نضض الشيء : حرّكه .
(٢) الشديد الخلق .

عن مزاياك ، فليُمْلِ صحائف حكمة الإشراق على الآفاق ، وليتل صفائح لواقح الأنوار على الأقطار ، وليشدخ بعمود من نور ، يا فوخ الديجور ، وليمعط بالهذم [١] رمحه جلباب الليل إلى الذيل ، وليلق ملاحفاً من ضياه على الوهاد والأعلام ، ولينشر مطارفاً من سناه ، على البطاح والآكام ، وليلف ذنب السرحان ، بين الأفخاذ والأعكان ، وليمسك بكافور تباشيره سائل العلق ، من عرنين الشفق ، وليعطس بأنفه الأقنى الأشم العرنين ، ولينعم بتشميت ذكا صباحا ، وليزهى غرراً وأوضاحا [٢] ، تتلألأ بها أسرّة الجبين ، فها أنا والنبيه غنيّ عن التنبيه ، ما وقب غاسق ، وذر شارق ، وعنّ بارق ، لا زلت أدامك الله ولم أزل آن الضحى ووقت الطفَل ، أصِلُ الاغتباق بالاصطباح ، واقطع آناء الليل وأطراف النهار ، بما يديره على مسامعي من الأقداح الكبار ، مفعمة بما يتسلسل سلساله من سلاف محاسن الآثار ، دوراً مسلسلاً مساء ، ودوراً صباح ، فيأخذني الارتياح بالراح من يدي ، وأكاد أن أطير من غير جناح لناديك الندي :

وكيف يطير المرء من غير أجنح ولكن قلب المستهام يطير

جناب من وطئت لجانبه أيها السعد بساعد مساعدتك ، وعضد معاضدتك ، سبل مقاصده ، وطرق مواقفه ، فوطاها مولاك ومولاي ، الذي ملكتَ عقد ولائه ، فاستملك عقد ولاي ، فاستحق أن يكون من الموالي العظام ، الفاضل الهمام الشيخ طه ، لا زال ممتطياً مما مهدت له من نجائب النجابة ، وركائب الرغائب المستطابة مطاها ، فإنه السابق الذي لا يلحق ، واللاحق الذي لم يسبق ، ولا يشق له غبار ، باستطراد مساعيك في مضمار الافتخار ، فما حضر في محفل بأعلام مدينة السلام حافل ، ولا جالس من عنادلها مساجل ، إلا وملأ أقفاص الخواص ، مما يليه بهديله [٣] وترتيله ، من سورة الإخلاص في محبتكم أفراحا ، وأجال من جريال هاتيك

---

(١) امتعط السيف : استلّه .

(٢) الهذم : الحادّ القاطع من السيوف والأسنة والأنياب .

(٣) الجريال : الخمر .

المعاني المروقة في أواني المباني أقداحا ، ومن سني طالعه وبهي مطالعه لابرح مستديراً محور مباهاته ، على قطب لسانه بأفلاك لهواته ، فيطلع من كواكب المناقب ، ما يزاحم النعائم في المناكب ، ويملأ ضوءها ما بين المشارق والمغارب ، ويشعل في مشكاة أولي البصائر والأبصار ، من مصابيح خلائقك الحسان الساطعة الأنوار ، ما يذكي في مجامر الضمائر ، من طيب الذكر ما هو أذكى من عنبر الشجر المعطار ، له في كل ديوان لسان شاكر لإحسانك ، وفي كل لسان ديوان ذاكر لامتنانك ، يتلو من آيات براعتك ونيلك ، وبينات مجدك وفضلك ، ما يقرط بدرره المسامع ، وتأخذ فرائده بالمجامع ، فما من ناد إلا وعطره بنفحات شذى أخلاقك الندّيّة ، ولا من واد إلا وأفعمه برشحات ندى أياديك الندية ، ولا زلنا نتناول في أثناء مفاكهاته ، من فواكه شهي كلماته ، ماهو في أطباق كالبدور في الاشراق على خوان اخوان الصفا موضوعة ، فهي كفاكهة الجنة ، وله تعالى الحمد والمنة ، لامقطوعة ولا ممنوعة ، ولله أبوك ياغرة جبهة المالك والمملوك ، ما أسرع مالحته بعين عنايتك ، فجعلته نصب عينك ملحوظاً برعايتك ، واتخذته مستودعاً لجواهر صنائعك ، مروجا لما استصحبه من مفاخر بضائعك ، وعلمت أنه ممن إذا علم أكرم ، وإذا جُرّب قرّب ، وإذا اختبر ادخر ، لما ظهر لك بأول وهلة من المخايل ، الدالة على كرم الشمائل من الاعتدال في أحواله ، والطمأنينة والتؤدة اللتان هما من بعض خلاله ، لايتطارح على زاهد فيه ، ولا يُظهر حرصاً على غير حريص عليه .

وليس بواقع في قِدر قوم وان كرموا كما يقع الذباب

وما كان سقوطه عليك وانجذابه إليك إلا كسقوط الطل على الروض المخضل ، هذا وما ينقضي عجبي منه واعجابي به وهو العندليب بل مغني اللبيب ، في لحنه المعرب عن المرفوع من مقامك ، والمنصوب من اعلامك ، والمجرور

من أذيال أفضالك ، والمجزوم به من أجزال نوالك ، بعد أن أرشت من شؤونه الخوافي والقوادم ، وبللتها بعد بل الصدى بقطر الندى من هاطل وابل جودك المتراكم ، كيف استطاع المطار مع الاختيار عن تلك الأوكار إلى هذه الأقطـــار ، وخلّف ماخلّف من هاتيك الرياض الورقة الفضائل والحياض المتدفقة بالفواضل ، وما دعاه إلى ذلك فأجاب بعد الاستئذان إلا حب الوطن الذي هو من الإيمان ، والحنين إلى ماترك في رصافة بغداد من الأولاد وأفلاذ الأكباد ، ولعفاف مجبول في جبلته ، وكفاف معجون في طينته ، ماراعى قول من تقدم من الشعراء :

يقع الطير حيث يلتقط الحب ويغشى منازل الكرمـــاء (١)

فرجع مملوءَ الحقايب ، مما أسديت له من غرائب الرغائب ، بعد أن حصل ما كان يتوقعه من بلوغ الأمل ، ولم يقنع من الغنيمة بعد الكد ، وقد ساعد الجد بالقفل ، وبناء على اشكال تأسيسه الرصينة البنيان ، المهندســة الزوايا والأركان ، في وصف رصف تلك المزايا الحسان ، والسجايا السامية الشان ، وضعت قواعد هـــذا الكلام السطحيّ التعبير ، ورفعت أبنيته فسامتت منطقة البروج بل المحدب بالتقعير ، وأنفت بوصف تلك المآثر على الأثير ، فأدى فتح باب فصل الخطاب ، إلى اتصال مد أطناب الإطناب ، المؤذن بعدم رد الجواب ، عن هذا الكتاب الكثير الإسهاب ، فليسبل حضرة المولى ، وهو باللطف أولى ، ذيل مراحمه ولطفه ، عمـا تداخل في هذا الكلام من العلل المفضية إلى عدم صرفه ، وعلى انه داخل في باب الوقف ، وممنوع لدى المنتقد عن الصرف ، فهو على علاّته موقوف عليك وقفاً مؤبدا ، ومع ذكرك الجميـــل جميلا بعد جيل مخلدا ، والله اسأل وبنبيه أتوسل أن يقيك ويبقيك خادماً لأبيك مخدوماً لبنيك ، وان لايخليك من قرة عينك بهم وقرة أعينهم فيك ، وأن يقيمك مركزاً

---

(١) البيت للشاعر بشـــار بن برد من قصيدة يمدح بها عقبة بن سَلْم ، وروايته في الديوان :

يسقط الطير حيث ينتثر الحب م وتُغْشى منـــازل الكرماء

للاحاطة بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، وأن يديمك قطباً تدور على محور درايتك ادارة الاقاليم بالنون والقلم ، والسيف والعلم ، وأن يجعلك ياكريم الأب والجد مُقيلا لعثرات الكرام ، وينصبك يا أيهـــا العلم الفرد مَقيلا للعلماء الأعلام ، مانفخت أفواه المحابر وثغور الأقلام ، فملأت الصحف والدفاتر بما حويته من مفاخر المآثر بمسك الختام :

سبرت بمسبار اختباري فما ارتضى ... سواك اختياري من كرام هُمُومُهُمُ

وما سمعت أذني بغيرك من فتى ... به يُبْدَأُ الذكر الجميل ويختم

انتهى . هذا وان للمترجم ديواناً يعبق روحه ، حتى كان الزهر فوحه[1] ، توفي رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين وتسع وسبعين وقد أرخ المترجم وفاته رحمه الله قبل موته بأبيات آخرها :

بلسان يوحـــد الله أرخ ... ذاق كأس المنون عبد الباقي

١٢٧٩ هـ

السيد عبد الجليل بن المرحوم الشيخ عبد السلام المدني المشهور ببرّادة

عالم فاضل ، وهمام امام كامل ، قد اشتهر في الناس اشتهار البدر ، واستشرفت اليه النفوس استشرافهـــا لليلة القدر ، واتفق على كمال فضله الخاص والعام ، وأذعن له العموم بانه طود العلماء الأعلام ، ومحور مدار

---

(١) ولد المترجم بالموصل وتوفي ببغداد ، ويتصل نسبه بعمر الفاروق (رض) وبيت الفاروق في العراق بيت علم وفضل ، وكان عبد الباقي على جانب عظيم من الذكاء وسعة الخيال ، له من المؤلفات : الترياق الفاروقي ـ ط ، وهو ديوان شعره ، و « نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر » و « نزهة الدنيا ـ خ » ترجم فيه بعض رجال الموصل من معاصريه ، و « الباقيات الصالحات » قصائد في مدح أهل البيت ، وأهلّة الافتكار في مغاني الابتكار من شعره . (نقلنا هذه الأسطر من معاجم التراجم) .

الأدب ، ولسان بلاغة العرب . قد ضاهى السماكين رفعة وقدراً ، وحيرت الأفكار بدائعه فنثره كالنثرة وشعره كالشعرى ، الفاظه رقيقة كخلقه اللطيف ومعانيه حسنة وقدره منيف .

قد اجتمعت به حينما شرف إلى دمشق الشام بعد الألف وثلاثمائة بقليل ، وهو من المرض سقيم وعليل ، وبديهة النظر تدل على أنه استكمل من السنين ، مابين الستين إلى السبعين ، فرأيت شهما جيد الكلام ، رفيع المقام ، جميل المقابلة ، جليل المعاملة ، لطيف الموانسة ، شريف المجالسة طلق اللسان ، عليه مهابة وجلالة وشان . ولم يطل بقاؤه في الديار الدمشقية ، بل بعد مدة قليلة توجه إلى وطنه المدينة المنورة من جهة اسكندرية ، وكان قد أسمعني من نظمه ونثره مايدل على جودة ذهنه واتساع فكره ، وقد حفظت شيئاً منه وقيدته ، الا انني ضللته بعد ذلك وفقدته ، ولم أجد عندي سوى ماقرظ به على الكتاب المسمى بعلم الدين ، لحضرة العالم الفاضل علي باشا مبارك ناظر الأشغال العمومية المصرية سابقاً ، وهو :

ماتنسج الأيدي يبيد وانما يبقى لنا ماتنسج الأقلام

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين وبعد فإني تصفحت هذا الكتاب ، بل العجب العجاب ، الذي نسبت للشيخ علم الدين روايته ، وأسندت للسائح الانكليزي حكايته ، فوجدته نزهة للناظر ، وسلوة للخاطر ، فيه للقلوب ارتياح ، وللخواطر نشاط وارتياح ، تعرب مبانيه عن لطيف معانيه ، وتفصح روائع الفاظه الرائقة عن بدائع مضامينه الفائقة ، ويشهد لمؤلفه بعلو المقدار ، ولمصنفه بحسن الاختيار . جمع فيه من غرائب الفنون ونقائض الجد والمجون ، الضب والنون ، وقرن إلى أسنى المقاصد أشرف المطالب ، فصح أنه المرغوب لكل طالب ، أظهر فيه ماخفي من أسرار الصنائع ، وكشف عن وجه مخدرات العلوم

البراقع ، وأضاف إلى ذلك من حكم الحكماء ، ما أغفلته القدماء ، ووشحه بلطائف النوادر ، وما تفردت به الأواخر ، وأظهرته في هذا الدور الأخير فهو مخترع لجميع المخترعات جامع ، وبديع في بيان معاني المبتدعات نافع ، ينتقل من فصل إلى ضده ، ويحكم الوصل بما أبداه من عنده فكأن مؤلفه المفضال يقول فيه بلسان الحال :

تصديت في إتعاب فكري لجمعه فجاء كتابا في البهـا لايشارك
وكنت بحمـد الله فيه موفقا فإسمي عليٌّ في الأنام مبارك

فلله در من أنشاه ، وبطراز الحسن والإحسان وشاه ، فانه أجاد ، وسلك طريق السداد ، وبلغ به مافوق المراد . بلغه الله تعالى أمانيه ، وكبت حاسده وشانيه ، ولا زال متواصل البقا دائم الارتقا ، بهجة لياليه وأيامه ، يزين الوجود بآثار أقلامه ، مغتنماً للثناء الجميل ، والأجر الجزيل ، بحرمة سيد الأنام ، الذي يحسن بذكره البدء والختام ، ومن نظامه :

إن كان بختي عن الدنيا تقاعد بي فإن لي همة من دونها القمر
وإن تك الكف عن إدراكها قصرت فالرجل عن دفعها ليست بها قصر

ومن بديع كلامه :

ناولت ذات البها المرآة أوهمها بأن فيها لها شكلاً يحاكيهـا
وعندما أبصرت فيها محاسنها جارت وصالت على عشاقها تيها

ومن كلامه الأنيق ونظامه الرقيق :

أرى كل ما تحوي مجالس أنسنا جنوداً لدفع الهم سلطانها الشاهي
ولا عجب إن لم تتم بدونه فما تم أمر للجنود بلا شاهي

ومن كلامه حينما انتصرت الدولة العثمانية على اليونان وذلك في احد عشر تموز سنة الف وثلاثمائة وثلاث عشرة وكان المترجم نزيل الدار العلية فقال مهنئاً ومادحاً حضرة السلطان الأعظم عبد الحميد خان ، نصره الرحمن :

كذا فليكن ما يحرز المجد والفخر ... كذا فليكن ما يجمع الفتح والنصر
كذا فليكن ما يبلغ السؤل والمنى ... كذا فليكن ما يدرك الثأر والوتر
كذا فليكن سعي الملوك مقدساً ... يرافقه نسك ويتبعه أجر
كذا فليكن قهر الأعادي وهكذا ... تخاض المنايا والحديد لها جسر
حديث عن اليونان يضحك باكياً ... ويطرب محزوناً ويلهو به غر
أماني نفوس في الدجى حلموا بها ... وبالعكس في تعبيرها طلع الفجر
همو دبروا أمراً لأمر وفكروا ... فعاد عليهم ضلة ذلك الفكر
فعاثوا وجاسوا في البلاد يجهلهم ... وعم على جيرانهم منهم الغدر
صبرنا وكم عنهم عفونا فلم يفد ... وعن مثلهم لا يحسن العفو والصبر
فقام أمير المؤمنين لردعهم ... ببأس شديد لا يقوم له الصخر
فبادرهم منه هصور غضنفر ... كذا الليث يخشى من بوادره الهصر
مشيد أركان الخلافة فخرها ... عظيم بني عثمان يا حبذا الفخر
لقد قام في ذا العصر بالواجب الذي ... هو الفرض من غزو تباهى به العصر
فأحيا مواتاً للجهاد تقادمت ... عليه دهور لا يشاد له ذكر
وقام به في الله لله يبتغي ... مثوبته العظمى وحق له الشكر
غزاة لعمر الله قد نال خيرها ... وسالمه رغم العداة بها اليسر
بفتكته البكر التي شاع ذكرها ... وأفضل فتكات الملوك هي البكر
ليهنك يا كهف الأنام وظلهم ... فتوح به سر المحصب والحجر
وقبر لخير الخلق سرٌّ بطيبة ... وحق لهذا النصر أن يفرح القبر
فأنت ملاذ للعفاة مؤمل ... وفضلك جم لا قليل ولا نزر
ومن أين للمزن الكنهور جود من ... بكلتا يديه ديمة صوبها التبر
لك الرأي بالحزم السديد مؤيد ... تعاملهم بالمكر ان لزم المكر
فداوِ مريض الجهل بالحلم ان يفد ... وإلا فداء الشر يحسمه الشر

ورأيك سيف ما ألمت شباته بأمر عصى إلا استطاع له الأمر
ومن أين للسيف الحسام مضاؤه إذا خامر الألباب من حادث ذعر
كهانته شق سطيح يجنبها يحار لها زيد ويعيا بها عمرو
سمعنا بأن الجبن فيهم سجية ولما التقينا صدق الخبر الخبر
لقد تركوا الأوطان والأهل عنوة وأجلاهمو القتل المبرح والأسر
وما وقفوا في ماقط[1] الحرب لحظة ولا ثبتوا كلا ولكنهم فروا
وأدهم بالدهم الجياد دهاهمو فحاصوا كحمر الوحش صادفها نمر
وترحالة عنها ترحل جمعهم ودكدك[2] من أنحائها السهل والوعر
وغصت غلوص بعد ذاك بريقها فما ساغ لولا أن تداركها البحر
ولا ريس في لاريس بعد انهزامهم رئيس فهم فوضى كأنهم الحمر
ودوميكة تدعو اتينة جهدها لتنجدها هيهات أشغلها عذر

وحينما كنت في الآستانة سنة الف وثلاثمائة وخمس عشرة كان حضرة المترجم بها أيضاً ، وكنت أجتمع به كثيراً وأجلو الغم بمذاكرته وبديع محاضرته . وكان متقن اللغات الثلاث متبحراً بها ، فمرة تلا علينا بيتين بالفارسية وأفاد أن معناهما أن هذا العالم قبل ايجاده كان مستريحاً من النعم والنقم ، وان الله تعالى ما أوجده إلا لتحمل الألم ، والأكدار والسقم ، وطلب مني رد هذا المعنى إلى العربية فلم أستطع إلا موافقته ، ومسايرته ومطاوعته ، فقلت :

كان ذا العالم في غيب العدم ذا هناء من نعيم أو نقم
ما براه الله إلا للعنا والدواهي والنواهي والسقم

وقلت أيضاً :

قد كان ذا الخلق في غيب العما عدماً ما شابه نعم كلا ولا نقم
وما براه إله العرش من عدم إلا لتنهكه الآلام والسقم

(١) الماقط : الشدة ، وهو ماقط : شديد .
(٢) تدكدكت الجبال : تهدمت ، ودكدك الحفرة : ملأها ترابا .

ونظم هذا المعنى حضرة الفاضل الكامل محيي الدين باشا الجزائري شبل الأمير عبد القادر حفظه الله فقال :

قد كان هذا الخلق قبل ظهوره في راحة من رحمة وعناء
فأرادَ بارئُهُ لسر قد خفي إظهاره للسقم والبلواء

وأرسلت ذلك للمترجم المومى اليه ، وبعد أيام أرسل إلي كتاباً وفيه : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله يا سيدي ومنتهى أملي وهواي ، لما تأملت القطعتين النفيستين ، بل الدرتين بل الفرقدين النيرين ، لم أستطع السكون والتمكين ، حتى بادرت إلى التطفل عليهما ومزجت الغث بالثمين ، وشطرتهما بما لم أرضه لهما ، ثم انه غلب علي الشره الخسيس ، فلطختهما بالتخميس غير النفيس ، وها هما يعثران في ذيل الخجل ، والعفو منكما غاية الأمل . القطعة الأولى :

أيها السائل يا عالي الهمم ومريد الفهم عما قد أهم
خذ جواباً شافياً من كل هم كان ذا العالم في غيب العدم
ثابتاً في ذاته من القدم
ظرفه في لونه من لونه وصفه محتجب في صونه
قربه مندمج في بونه غافلاً عن كونه في كونه
ذا هناء من نعيم ونقم
ثم لما فاض بحر بالسنا وجرت فيه الجواري بالثنا
فلأمر يقتضيه الاعتنا ما براه الله إلا للغنا
ومقاساة هموم وألم
خصه باللطف من إنعامه وحباه بحبا إكرامه
وابتلاه رفعة لمقامه كي يرى الأهوال في أيامه
والدواهي والنواهي والسقم

وأما قطعة حضرة الأمير محي الدين باشا :

يا من تحير في الوجود ونوره وعناه فهم صغيره وكبيره
اسمع مقالاً كاشفاً لضميره قد كان هذا الخلق قبل ظهوره
في عالم الأعيان والأسماء
هو كان في العدم الممحض رافلاً هو كان للعلم القديم مواصلاً
ما شم رائحة الوجود ولا ولا متنزهاً عن كل وصف غافلا
في راحة من نعمة وعناء
هو بالعماء الصرف منه مكتفي ولغيره مهما يكن لم يعرف
وله بذاك مقام عز أشرف فأراد باريه لسر قد خفي
إيجاده فكساه ثوب بهاء
ما كان يدري نعمة من نقمة كلا ولا نوراً له من ظلمة
عن نفسه من نفسه في عصمة لكنه جعل الإله بحكمة
إظهاره للسقم والبلواء

وللمترجم المذكور فضائل شهيرة ، وشمائل بديعة كثيرة ، قد شاعت في العالم شيوع البدر ، وقابلتها الأفواه بالحمد والشكر .

توفي هذا المترجم المرقوم وهو راجع من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة قبل وصوله بثلاث مراحل وحمل إلى المدينة المنورة وصلي عليه بالحرم الشريف ودفن في البقيع ، وذلك في المحرم الحرام سنة ١٣٢٧ هـ .

السيد عبد الجليل بن السيد أحمد الحسيني الواسطي البلجرامي

عالم جل في الأنام قدره ، وفاضل سار في سائر الأقطار صيته وذكره ، فمن بديع نظامه ، الدال على رفيع مقامه ، قوله :

يا صاح لا تلم المتيم في الهوى هو عاشق لا ينثني عن خله

يأبى الدواء سقامه كعيونه فعلى الطبيعة يا معالـج خله

ومن قوله :

حبيبي قوس حاجبه كنون وصاديد ابن مقلة شكل عينه

لعمري انه نص جـلي على أن الرمـاية حق عينه

وله شعر رقيق ، ونثر بديع أنيق ، توفي سنة الف ومائتين وواحدة .

السيد عبد الجليل بن مصطفى بن اسماعيل بن عبد الغني النابلسي

ولد سنة أربع وثمانين ومائة والف ، ونشأ في حجر والده فكان في العلم آية ، وفي الآداب غاية ، مع تقوى وعبادة ، وأخلاق جميلة وزهادة ، وعفة وديانة ، وكمال وصيانة ، وفضيلة مشهودة مشهورة ، ومنزلة رفيعة بين الناس مذكورة ، وأفعـال حسنة ، وأحوال مستحسنة ، ومحاضرات غريبة ، ومذاكرات عجيبة ، لا يمله جليسه ، ولا يروم فراقه أنيسه ، يرى العزلة للدين أسلم ، والابتعاد عن الناس أحسن وأحكم ، فلله دره من فرد نادر ، ناه عن المنكر وللمعروف داع وآمر . ولم يزل على هذه الحالة الفاخرة ، إلى أن دعاه داعي الآخرة ، وذلك نهار الخميس أواخر شعبان سنة الف ومائتين واثنتين وخمسين .

الإمام العارف بالله السيد الشيخ عبد الجواد بن الشيـخ عبد اللطيف بن الحاج حسين بن الشيخ عطية بن الشيخ عبد الجواد القاياتي من أولاد الشيخ ياسين القاياتي منتهى نسبه إلى الصحـابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه

الإمام الأمجد والبطل الأوحد ، مؤيد السنة وناصر الدين ، ومربي الفقراء والمريدين ، من ملأت شهرته الآفـاق ، وحصل على كمال فضله

الاجماع والاتفاق ، وتألفت على محبته القلوب ، وزالت عن ذوي مشاهدته الهموم والكروب .

ولد في القـايات سنة سبع وعشرين ومائتين والف ، ونشأ في حجر والده وبعد أن حفظ القرآن بالتجويد والإتقان ، نقله والده إلى القاهرة ، فأخذ العلم بها عن جماعة ذوي معرفة باهرة ، منهم النور الشيخ علي البخاري الذي اشتهر في الآفاق علمه وولايته ، ومعرفته بكمال الفنون ودرايته ، وكان غـالب أخذه عنه وجل تردده اليه ، وأكثر اعتماده في مهماته عليه ، وكان شيخه المرقوم يجله غاية الإجلال ، ويقدمه على الواردين في الترحيب والإقبال ، ويقول انه من الأولياء ، وسيكون له شأن بين العلماء . وأجازه العلماء ذوو القدر المصون ، بما تجوز لهم روايته من جميع الفنون . وأخذ الطريق عن والده فجد واجتهد ، وأفيضت عليه الأنوار وجذبته يد العناية والمدد ، فلما أحس والده بالرحيل إلى جوار الملك الجليل ، أمره بالتلقين والإرشاد والقيام بهداية العباد ، فقام باحياء تلك الشعائر أتم قيام ، وبلغ به القاصدون والمريدون أتم مرام ، وصار منهلاً عذباً للواردين ، وملجأ وغوثاً للقاصدين ، وبدراً منيراً للمسترشدين ، وبحراً زاخراً للمستفيدين . وكثرت أتباعه كثرة فائقة جداً ، وانتشرت مناقبه فلن تستطيع لها عدا . وشاع ذكره وعلا أمره في جميع البقاع ، فكاد أن لايخلو محل من المحلات إلا وله فيها مريدون وأتباع ، وانطلقت الألسن بالثناء عليه ، وكثرت وفود الوافدين إليه ، حتى صارت قرية القايات ، أكثر من كثير من المدن بطبقات ، وكلهم ينالون منه أنواع الإجلال والكرامة ، حتى كل منهم يتمنى أن يجعل في هذه القرية مقامه . وبنى لوالده المقام الأنور ، والمسجد الشريف الأبهر ، ورتب بالمقام ليلة الجمعة والسبت مقرأ عظيماً يحضره من أهل العلم والقرآن عدد كثير وجم غفير ، ولكثرة الزوار لهذا المقـام

الكريم ، حدث يوم الجمعة بتلك البقعة سوق عظيم ، وجعل بالمقام خزانة كتب من جميع العلوم ، فما من كتاب إلا كاد أن يكون في قلادة هذه الخزانة من جملة المنظوم ، وصار يحث الناس على تعليم الأولاد ، ويساعدهم فوق المراد ، حتى كثر أهل العلم والقرآن ، وصار لهم بهذا المحل عز وشأن . وكان مع شغله بالإرشاد وإكرام الوافدين بالمال والزاد ، وذكره وأوراده وإقباله واجتهاده ، يقرأ للطلبة في كل يوم درسين مما هو للطلبة قرة عين ، وكان له زيادة اعتنـــاء بتعظيم الأشراف ، حتى لو قدم لهم روحه لا يعدّ ذلك من الإسراف ، وكان شديد الرحمة باليتامى والمساكين ، والأرامل والمنقطعين ، وكراماته أشهر من أن تذكر ، ومناقبه لا تعد ولا تحصر .

وله من التآليف كتاب مجموع الفتاوى يشتمل على أجوبة المسائل التي سئل عنها على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه . وله بعض رسائل في الانتصار لأهل الطريق في أمور أنكرت عليهم ، وله كتاب في أشياء من غوامض الطريق . وجعل على ضريح والده مقصورة في غاية الانتظام ، وبعد موته قد جعل الناس له ولوالده مولداً يحضره الجم الغفير من الخاص والعام . وتروج فيه البضائع وتكثر الخيرات ، وتظهر فيه البركات وجميل النفحات . ومن أراد أن يرى العجب العجاب ، فلينظر ما يحصل من الإكرام في هذا المولد لمن حل بهذا الرحاب .

توفي المترجم المرقوم والفرد الذي بكل فضل موسوم ، ليلة الجمعة في السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين والف ، ودفن بجوار والده في القايات داخل المقام الأنور ، وعلى ضريحه مقصورة في غاية الانتظام . وقد كتب على قبره الشريف من نظم الشيخ مصطفى حبيب العدوي :

أيقظ جفونك من طيب الكرى وعظ فليس شخص على الدنيا بمتعظ
لو كان يبقى بهذا الدهر ذو شرف ما مات مثل الإمام العالم الوعظ
عبد الجواد الذي أحيا النفوس بما أسداه من نور قلب مشرق يقظ
ضاق الفضا مذ قضى أيامه ومضى إلى إله كريم خير محتفظ
بشراه فالحور قد قالت مهنئة أرخ بدار الهدى عبد الجواد حظي
٩١٨ ١٢١ ٤١ ٢٠٧

وقد مدحه الشيخ محمد شهاب بقصيدة منها :

أدر كؤوس التصابي واجل لي قدحاً وخل من في مجالي صفوها قدحا
وهاتها خمرة بكرا معتقة بكر بها لحديث الوجد قد شرحا

إلى أن قال :

نعم الخليفة في جود وفي كرم عبد الجواد سليل السادة الصلحا
يا حسنه واصلاً كانت طريقته لله في الله لا في نيل ما قبحا
دلت على سره أنوار ظاهره والظرف يشعر بالمظروف ان نضحا

ومن رثاه أحد علماء الأزهر العالم الفاضل الشيخ علي غزال فقال :

أبدرتم العلا من أفقه نزلا أم كوكب السعد لما تم قد أفلا
أم حادث الدهر وافتني نوائبه إذ ما سمعنا به في حكمه عدلا
حيث الإمام أبو الأنوار قد غربت من بيننا شمسه لما قضى الأجلا
شيخ الشيوخ القياتي الذي شرفت به الأواخر حتى أدركوا الأولا

وأطال فيما قال مع إنه لم يذكر من شيم هذا المفضال ، إلا قطرة من بحر أو ذرة من بر ، وقد رثاه غيره بمراثي كثيرة ، هي في محلها موجودة وشهيرة ، ولو أردنا ذكرها مع ما مدح به هذا الفاضل صفوة الأخيار ، لاحتاج الأمر إلى عدة أسفار ، ولكن الشمس لا تحتاج إلى مديح ، والبدر غني إشراقه عن التصريح نفعنا الله به والمسلمين آمين .

الشيخ عبد الحليم بن مصطفى بن محمد بن خليل الشافعي العجلوني ثم الدمشقي

شيخ المحيا الشريف ، والإمـام الهمام ذو القدر المنيف ، بركة أهل الشام ومعتقد العموم الخـاص والعام ، الفهامة المحقق والعلامة المدقق ، والمرشد الزاهد والتقي العابد ، مربي المريدين ومفيد الطالبين ، بديع الزمان وعمدة ذوي العرفان ، كان حسن التقرير قوي الحافظة سليم الصدر ، كثير الطاعة مواظباً على الذكر .

ولد بدمشق الشام في اليوم الثامن من شهر شوال سنة خمسين ومائة والف . ونشأ بها وأخذ عن أفاضلها وعلمائها كالشيخ العلامة أبي الفتـح العجلوني وشمس الدين محمد الكزبري والشيخ أحمد البعلي والشيخ علي الداغستاني والشيخ مصطفى اللقيمي والشيخ أبي بكر القواف والشيـخ أسعد المجلد والشيخ التافلاتي .

وأخذ في مصر عن الشيخ الملوي والشيخ الحفني والشيخ البراوي والشيخ عطية الأجهوري والشيخ الكامل محمد بن أبي بكر الجاويش والشيخ العيدروس وأجازوه جميعاً الإجازة العامة بجميع ما تجوز لهم روايته عن مشايخهم . وأخذ طريق المحيا عن الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ مصطفى سوار والشيخ عيسى الشبراوي وعن الشيخ الحفني ولقنه الذكر والشهاب أحمد أبو الفوز ابن العارف عبد الوهاب الشعراني وعن السيد محمد مرتضى الزبيدي وكتب له بخطه ، والشيـخ أحمد العروسي والشيخ أحمد الدردير المالـكي الخلوتي وابراهيم المصيلحي بن ابراهيم الشافعي إمام جامع الأزهر .

مات المترجم بدمشق الشام سنة سبع عشرة ومائتين والف من هجرة سند الأنام ، ودفن رحمه الله تعالى في مقبرة باب الصغير ، أعلى الله درجته

عبد الحميد بن شاكر بن ابراهيم الزهراوي الحمصي

ريحانة الجليس وحانة الأنيس ، تفرع من دوحة الرسالة والنبوة ، وترعرع في روضة البسالة والفتوة ، فجمع بين كرم الأصل والأخلاق ، وطلع بدره في سماء المعارف وراق ، واقتطف من حدائق الآداب أزهاراً ، وارتشف من زلال الكمال وعلا قدراً وفخاراً ، وقرن بين النسب والسيادة ، وتقلد بالحسب وتحلى بالعلم والزهادة . إن تكلم أفاد وأطرب ، وإن كتب أجاد وعما في ضميره أعرب ، مع رقة تفوق نسيم الصبا ، ولطافة ما سمع بها نجيب إلا وإليها مال وصبا . صرف نقد شبابه في الطلب والتحصيل ، وأكمل مواد معلوماته نهاية التكميل ، مع ذكاء عجيب وإدراك غريب ، وهمة عالية ومروءة سامية ، وطبع أشهى من الراح وسجع الدّمن تثني الملاح . ثم سافر إلى الآستانة ليقضي بها شأنه ، وعينت له الدولة العلية معاش الاكرام ، وأخرجته من الآستانة إلى الشام ، فاختلط بعلمائها وجلس مع فهمائها ، وأظهر للبعض بعض ما لديه من بديع المعاني ، وأضمر بعض أشياء لايجوز كشف سترها إلا لِمُعاني . وكان من دأبه إظهار الانتقاد ، وعدم الميل إلى التأويل وان ما ورد به النص عليه الاعتماد .

وقد ألف رسالة سماها الفقه والتصوف ، وهي مشتملة على ثلاث رسائل ينتقد بها على كتب الفقه والأصول والتصوف ، وقد زاد في اعتراضه ، وحكم على كثير مما قالوه بانتقاضه ، وتجاهر بهذا الأمر بين الخاص والعام ، ونشر هذه الرسالة بين الأنام . فلما علم الناس بها أنكروها ، واحتقروا ما اشتملت عليه وحظروها ، وقام لها العلماء على قدم وساق ، واتفقوا على تكفير مؤلفها من غير شقاق . ثم ذهبوا أفواجاً إلى الوالي من غير فتور ، وأخبروه عن المترجم بما يكدر الخاطر ويسجر الصدور . وقالوا لقد تعدى طوره ، وأشاع في الناس جوره ، وأذاع الضلال ولم يخش من أمير

ولا وال . فأمر الوالي بالقبض عليه ، وإحضاره لديه ، وأن يجتمع المفتي والعلماء الكرام ، لكي يسألوه عن قصده فيما أشاعه من غير احتشام . فلما سألوه نكل عن الجواب ، وأعرض إعراض من لا يخاف ولا يهاب ، فأمر الوالي في الحال بجمع الرسائل أجمع ، وأرسلها صحبته إلى المحل الأرفع ، فلما وصلوا إلى الدار العلية ، أسلموه إلى مدير الضَّبْطية وكان ذلك في شهر شعبان ، عام الف وثلاثمائة وتسعة عشر من هجرة ذي المقام المصان . ثم ان هذه الرسالة وإن كان بعضها صواب ، إلا أن الكثير منها لاينبغي إذاعته بين الأحزاب ، بل تدار كؤوس البحث به بين العلماء الخواص ، من دون تعرض إلى امتهان وانتقاص . وإن رسالة المترجم مخصوصة بالمساوي والملام ، ومقصورة على تخطئة أولئك العلماء الأعلام . فإشاعة هذه الرسالة خطأ وإن كان ظن مؤلفها جميلاً ، وطبعها المقتضي لشهرتها بين معترضيها وغيرهم لا يناسب لأنه رتب أمراً جليلا ، والغريب كل الغريب أنه ما نظر إليها ناظر منصف ، ولا اطلع عليها إلا متعصب مسرف . فمنهم من حكم بكفره وإبعاده ، ومنهم من حكم بزندقته وعناده ، ومنهم من أوجب عليه القتل ، وان وجوب ذلك مأخوذ من النقل ، من قوله تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف » (١) والحكم عليه بالقتل لهذا الدليل لايخلو عن اعتساف .

والحاصل ان هذه القضية كانت قضية كبرى . ولكن انصرفت بإرسال الوالي له مع بعض رسائله إلى الآستانة لينظر في أمره ، فبقي بعد وصوله أشهراً في دائرة الضابطة محجوراً عليه غير مهان ، ثم بعد ذلك شملته العواطف الحميدية ، والمراحم العثمانية ، فأغرقته في بحر إحسانها ، وكسته ثوب عفوها وامتنانها ، فأبقت معاشه عليه ، وردته إلى بلده مع جميل نظرها إليه ،

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣٦ .

ولم يزل يرفع أكف الضراعة في الدعاء لأمير المؤمنين . والحمد لله رب العالمين [١] .

---

(١) لما كان تاريخ حلية البشر غير مقصور على تراجم القرن الثالث عشر بل تعدّاه الى نحو ثلث القرن الرابع عشر ، وكان استشهاد السيد الزهراوي وإخوانه في اخر هذا الثلث الأول من القرن الرابع عشر — أي قبل وفاة المرحوم الجد المؤلف بنحو سنة — فقد ترجم للشهيد الزهراوي في حياته ، ولم يتمكن أن يزيد في ترجمته مافعله السفاح جمال باشا به وباخوانه شهداء العرب من القتل والصلب ، لما أضر بيد المؤلف من الأسى والشلل الذي عطله عن الكتابة ، فرأينا الواجب يقتضينا ألا نغفل عن أمر استشهادهم وذكر أسمائهم حفظاً لتاريخهم . واستدراكا لما اضطر الأستاذ الجد إلى تركه في آخر حياته ، وكان الواجب ذكره في هذا التاريخ . وأنا ألخص هذا من المجلدين (١٩ و ٢١) من مجلدات المنار وجريدة الأهرام . ويرى القراء مصداقه في الأعلام ومعجم المؤلفين ومعجم المطبوعات العربية وغيرها .

السيد عبد الحميد الزهراوي م ١٣٣٤ هـ = ١٩١٦ م

كان هذا الشهيد السعيد نابغة من نوابغ السوريين ، لايكاد يلمّ به في مجموعة مزاياه قرين ، إنه أحد أشراف البلاد ، المنصرفين لخدمة الأمة بكفاءة واستعداد ، من معرفة المصلحة ، وفصاحة اللسان ، وقوة الحق ، وجرأة الجنان ، وقد بدأ حياته العملية منذ بلوغ الرشد بانشاء جريدة (المنير) فتعلق بالسياسة منذ ذلك الحين ، وظل مشتغلا بها طول حياته .

وفي سنة ١٣١٥ كان محرراً في ادارة جريدة (معلومات) في الآستانة . وفي سنة ١٣١٩ كتب وهو في دمشق الشام تحت المراقبة السياسية رسائله الإصلاحية الثلاث (الفقه والتصوف) وأشد ما أنكروا عليه منها القول بالاجتهاد وبطلان التقليد ، فهيجوا عليه الحكومة فاعتقلته في الشام ، ثم أرسل إلى الآستانة فاعتقلته السلطة الحميدية هنالك أشهراً ، ثم أرسل إلى بلده (حمص) ليكون مقيما فيها تحت المراقبة ، فبقي فيها إلى أن فر إلى مصر ، سنة ١٣٢٤ وبقي —

— فيها يشتغل بالتحرير في المؤيد ، ثم في الجريدة إلى أن أعلن الدستور سنة ١٣٢٧ هـ ١٩٠٨ م وعاد إلى سورية ، وانتخب مبعوثاً عن لواء حماة ، وأنشأ جريدة الحضارة في الآستانة . وجملة القول فيه : إنه بدأ حياته بخدمة الأمة والدولة وثبت على ذلك طول حياته . وهذا هو الذي حمله على قبول منصب الأعيان ، وكان جزاؤه من جمعية الاتحاد والترقي التي أفنى حياته في خدمتها أن قتلته شر قتلة ليعلم كل عربي يراها أو يسمع خبرها كيف تكون عاقبة العربي المفكر ، والخطيب المؤثر ، والكاتب المحرر ، عند هؤلاء القوم الذين جعلوا من أصول سياستهم محو العربية من سورية والعراق ، وحتم البداوة على عرب الجزيرة وإيقاع الشقاق الدائم بينهم إلى أن يُبيد بعضهم بعضاً . مع أن عرب الجزيرة هم صفوة العرب ، وأعظمهم استعداداً ، فان كان هنالك إصلاح عربي ، فيجب أن يكون لهم حظّ منه ، وأن يعتنى بشأنهم أكثر من غيرهم . وكان السيد الزهراوي يرى وجوب ايجاد الرجال الذين يعتمد عليهم ، وتوزيعهم بقدر ما يساعد الزمان والمكان لبث الإصلاح العلمي والعملي . ولا يجوز اهمال من بيدهم أمر المملكة وتركهم وحدهم ، وانه لا بد لنا من رجال ههنا .

وقد قبل منصب الأعيان بتلك النية الصالحة . وكتب الى صديقه السيد الإمام محمد رشيد رضا ما نصّه : أخوكم عيّن بعون الله وعنايته عضواً في مجلس الأعيان ، فبشروني بأنكم راضون عن قبولي بها ، والله يشهد أني انما قبلت لإتمام العمل ، وتعلمون قلة الرجال عندنا يا أخي .

المشانق في سورية — شنق الزهراوي

جاء في جريدة الأهرام تحت هذا العنوان ما نصه : تلقت المقامات التي يوثق بروايتها أن السيد عبد الحميد الزهراوي حوكم في دمشق (الصواب في عالية) أمام المجلس العسكري فحكم عليه بالموت شنقاً فشنق . ولربما خفف من لوعة الأسى عليه شنق من تقدموه من عظماء الأمة السورية وأمراء المسلمين على وجه التخصيص كالأمير عمر الجزائري بن الأمير عبد القادر ، والأمير عارف الشهابي ، وشفيق بك المؤيد من أكبر رجال سورية ، ورشدي بك الشمعة من صفوة أعيانها ، وشكري بك العسلي وعبد الوهاب بك (الانكليزي) ومحمد المحمصاني وسليم بك الجزائري وعبد الغني العريسي الخ ولكن الزهراوي كان يمثل طائفة خاصة وفكرة —

ـــ ثابتة ، وحياة جديدة ، تتراوح بين طائفة علماء الدين الإسلامي وغيرها من الطوائف الراقية . والبحث في شؤون طائفة الزهراوي في سورية وبلاد العرب من المباحث الخطيرة الجليلة التي تبين الصلة بين الماضي والحاضر ، والقديم والحديث ، بل تظهر التدرج الذي كان ينتظر على يد أولئك الذين أزهقت الحبال أرواحهم ، وأودت بعلمهم وعملهم ، وأماتت غرسهم قبل أن ينبت ، وبما نبت منه ، قبل أن يزهر ويثمر . (ثم قال بعد وصف حال سورية في ذلك العهد) : وكان السيد الزهراوي يقول باتحاد الطوائف العربية بعامل اللغة والمنفعة والأصل والسلالة ، فأنشأ جريدة الحضارة لهذا الغرض ، وكان من محرري جريدته رزق افندي سلوم الذي شنق في دمشق وهو فتى من حمص ، كان قد ترهب ، ولكنه خلع أثواب الرهبنة وسار على آثار مواطنه ، ووحد الاثنان كلمتهما في هذا السبيل ، فكأنهما جمعا لسانين دينيين على دعوة واحدة وطنية . (وقال بعد نعت الأحزاب السياسية) فرأس المؤتمر العربي الذي عقد في باريز ـ لأنه لم يسمح لهم بعقده في بلاد الدولة ـ وهناك كتب الوثيقة المشهورة مع مندوبي الاتحاديين ، وعاد إلى الآستانة مع رسول الاتحاديين عبد الكريم قاسم الخليل الذي كان أول المشنوقين في سورية والهادي الذي تلاه والشيخ أحمد طباره الذي حكم عليه بالاعدام ، فعين الزهراوي في مجلس الأعيان إلى أن شنق . ومما امتاز به هؤلاء جميعاً شدة عصبيتهم العربية ، وشدة عصبيتهم الجنسية العثمانية ، حتى كان الزهراوي يقول عند ذكر مطمع دولة من الدول في أملاك الدولة العثمانية : « إن هذا ينال منا بعد أن تزهق أرواحنا » ثم ترجمت مجلة المنار التي لخصنا عنها كلمتها وكلمة الأهرام لرفيق رزق سلوم ترجمة وافية ، وذكرت في آخرها أنه كان مولعـــا بنظم القصائد في مدح النبي العربي الأعظم ﷺ وإنشادها في احتفال المولد النبوي الشريف في المنتدى الأدبي ، قال السيد في مناره : فهذا هو السبب الحامل لجمال باشا السفاك الاتحادي على شنق رفيق رزق سلوم مع السيد الزهراوي واخوانه واخدانه من مصلحي العرب ، ولا نعلم له ذنباً إلا هذا ، فانه قضى حياته السياسية كلها في الآستانة ، وكان على رأي استاذه الزهراوي في وجوب السعي إلى ترقي العرب في حجر الدولة العثمانية ، وكان جورج حداد على هذا المشرب أيضاً ، ولكنه كان من أعضاء حزب اللامركزية ، وكفى بذلك ذنباً عند جمال باشا يقتضي القتل والصلب . وقال صديقه الشيخ احمد نبهان الحمصي في ترجمته له : صلب المترجم بدمشق الشام مع جملة من وجهاء البلاد السورية بلا محاكمة ولا سؤال منه عن شيء ، ـــ

— وذلك ليلة السبت في ٤ رجب سنة ١٣٣٤ هـ ، و ٢٣ نيسان سنة ١٩١٦ ميلادية ، وكان لسان حاله يقول :

يا جزع نح وابك واندب جثة خلقت ... من يوم (قالوا بلى) للضنك والمحن
وحيّ أهـلاً وجيرانا وآونة ... حيّ الرفاق وحيي سائر الوطن
حبّـاً بصالحهم أصبحت فديتهم ... ليقطفوا ثمراً من راحتي جُني

مكتوباته رحمه الله :

تحت هذا العنوان ، كتب صديقه وابن بلده (حمص) الأستاذ الشيخ أحمد نيهان ، ما يأتي : كتب في مواضيع عديدة كلها فوائد — (منها) ماحوته جريدة الحضارة التي أصدرها في الآستانة ثلاث سنين ، (ومنها) مقالات في التربية كان ينشرها في جريدة ثمرات الفنون البيروتية قبل إعلان الدستور ، (ومنها) ما نشرته المؤيد والمعلومات العربية والجريدة والمنير وخلافها من الجرائد المصرية والسورية ، وكتب في مجلة المنار عدّة مقالات ، وله كتاب نظام الحب والبغض ، نشر منه في المنار عدة فصول ، وما أكمله لموانع سياسية ، (ومنها) رسالة في الفقه والتصوف وهي التي نوهنا بها قبلا ، (وأخرى) في الإمامة ، (ورسالة) ترجمة السيدة خديجة ، سلك فيها مسلكاً غريباً لطيفا ، أبدع فيه كل الإبداع ، وأتى بكل ما يستطاع ، من طالعها حق المطالعة يقف على مقدرة هذا المترجم واطلاعه ، وسلامة ذهنـه وسلاسة قلمه ، ورقة فكره ونزاهة سرّه ، ولا سيما الأبحاث الأخيرة منها . وقد طبعت بمطبعة المنار ، وكان نيته أن يجعلها الحلقة الأولى لسلسلة تاريخية ، فحالت دون ذلك أشغال ، قامت مانعاً عن إخراج هذا الفكر إلى حيز الوجود . ومنها رسالة في النحو وأخرى في المنطق ، وغيرها في علوم البلاغة ، المعاني والبيان والبديع ، وكتاب في الفقه بأسلوب قريب المأخذ سهل العبارة ، يدعم مسائله بالأدلة الدامغة . وله محاضرات كان يلقيها في بيروت وحمص ايام ذهابه إلى الآستانة وعودته منها . وله شعر لطيف في كل باب من أبواب الشعر ، ومقطعات ومساجلات مع بعض أصحابه ومراسلات اهـ . يقول محمد بهجة كاتب هـذه السطور : كان هذا الفقيد الشهيد صفياً وفيا ، وكان يزور الأستاذ الجد إذ كان بدمشق ، وقد حضرت بعض مجالسه عنده ، فـكان حديثه من أروع الأحاديث وأمتعهـا وأنفعها رحمه الله .

السلطان عبد الحميد خان بن السلطان عبد المجيد خان بن السلطان محمود خان

قال في الفتوحات الإسلامية : هو السلطان المعظم المفخم ، سلطان سلاطين العرب والعجم ، حائز العلم والصلاح والكرم ، المتشرف بخدمة طيبة والحرم ، صاحب السيف والقلم ، ظل الله في العالم غياث بني آدم [١] ، نعمة الله على العباد ، وفضله على الحاضر والباد ، ناصر الحق والدين ، مؤيد شريعة سيد المرسلين ، المحفوف بالسبع المثاني ، أمير المؤمنين مولانا السلطان الغازي عبد الحميد الثاني ، أعز اللهم سرير الملك والخلافة بوجوده ، وأعد على القريب والبعيد آثار فضله وجوده ، وأنفذ في جميع البلاد رسائل أوامره وأحكامه ، وانشر على البرايا ألوية عدله وأعلامه ، وأيده بتأييدك وأبده بتأبيدك ، واجعل سلالة تلك السلطنة العلية العثمانية مسلسلة إلى منتهى الدوران ، مستمرة على مرور الليالي والأيام ، باقية إلى آخر الأزمان آمين يا رب العالمين . بويع أطال الله عمره لما خلعوا أخاه السلطان مراد في ثالث شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف ، فكانت سلطنته زينة وبهجة وسروراً ، وامتد بها في مشارق الأرض ومغاربها ما ملأهما نوراً ، ومما كان من الحوادث في أول ولايته انه وقع عصيان من بعض النصارى الداخلين في رعية الدولة العلية في بلاد الروم ايلي [٢] وهم طائفة يقال لهم الهرسك فجهز عليهم مولانا السلطان المذكور جيشاً فقاتلوهم ، وكانوا قوماً ضعافاً لا يحتاج الاستيلاء عليهم وقهرهم إلى كلفة ولا إلى كثرة عساكر ، إلا" أن الروسية تداخلت معهم وصارت تقويهم بأشياء كثيرة حتى اتسعت فتنتهم وانتشرت ، وأعانهم طوائف من النصارى

---

(١) كان هذا الاطراء أسلوب ذلك الزمن فزالا معا .

(٢) قطعة من الممالك العثمانية كائنة في أوروبا .

الذين كانوا قريباً منهم ، إلى أن صارت المحـــاربة بين الدولة والروسية وصارت تلك الطوائف من النصارى مع الروسية ، وساقت الدولة بهذه الفتنة العســـاكر الكثيرة ، وأنفقت الخزائن الوفيرة ، فقدر الله بانهزام جيوش الإسلام وأسر كثير منهم في بلونة وذلك بسبب محاصرة عساكر الروسية لهم في ذلك البلد ، وعدم إمكان وصول الميرة اليهم لشدة البرد ، وكثرة الثلج ، وممن أسر من كبار عساكر الإسلام الوزير عثمان باشا الغازي قوماندان (١) ذلك الجيش في بلونة ، ثم أطلق مع كثير ممن أسروا وكان إطلاقهم بعد انعقاد الصلح وتملك الروسية كثيراً من المدائن العظام إلى أن وصلوا إلى قريب أدرنة .

والكلام على هذه الفتنة طويل قد أفرد بالتأليف ، وختام الأمر ان بقية الدول توسطت في الصلـح بين الدولة العلية ودولة الروسية وانعقد الصلح سنة خمس وتسعين على أن يبقى تحت يد الروسية ما تملكوه من البلاد ، وان الدولة العلية تدفـع لهم غرامة الحرب وكان شيئاً كثيرا ، وتبقى للدولة أدرنة وما يليها . وكان هذا الخلل إنما دخل على المسلمين بعد خلع السلطان عبد العزيز فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي سنة ست وتسعين ومائتين والف أعطت الدولة العلية جزيرة قبرس للإنـكليز ، على أن تكون بأيديهم سنين موقتة بشرط أن يدفعوا للدولة العلية قدر الخراج الذي كان يحصل منها ، وقد تكـرَّرَ وضـع اليد على قبرس من المسلمين والنصارى مراراً كثيرة ، أولها من زمن الصحابة حين افتتحها معاوية رضي الله عنه ، وبعد ذلك صار المسلمون والنصارى يتداولونها ، تارة تكون بيد هؤلاء وتارة بيد هؤلاء ، وفي سنة ست وتسعين ومائتين والف خُلِـعَ والي مصر اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا .

---

(١) رئيس الجيش .

وقد كان محمد علي باشا لما انعقد الصلح بينه وبين مولانا السلطان عبد المجيد سنة خمس وخمسين ومائتين والف جعلت له مصر ولأولاده من بعده ، فلما صارت ولايتها لاسماعيل باشا أراد حصر الولاية في أولاده ومنع إخوانه وأولاد إخوانه منها ، فتوجه إلى دار السلطنة في مدة السلطان عبد العزيز سنة إحدى وتسعين ومائتين والف فتم له مراده ، وجعلوا ولاية مصر له ولأولاده الأكبر فالأكبر ، وكان الصدر الأعظم في ذلك الوقت في دار السلطنة هو محمد رشدي باشا الشرواني .

ثم ان الله قضى وقدر أن عاقبة هذا الأمر الذي فعله اسماعيل باشا أول ما ظهر سوءه عليه ، فإنه في سنة ست وتسعين ظهر عليه كثرة ديون أخذها من الدول الأجنبية وأنفقها في غير حقها ، فتشاور أهل الديون على انهم يضبطون خراجات مصر ومحصولاتها لأجل استيفاء ديونهم ، فلما أحس بذلك أراد أن يجعل له عصبية يمنعهم بها ، فتداخل مع العلماء وأهل مصر وعقد بينه وبينهم عهوداً ومواثيق على أن الأمور كلها تكون بيد العلماء والأهالي وبمشاورتهم ، فلما أحس الانكليز والفرنسيس وغيرهما بانعقاد هذه العصبية سعوا في خلعه ووافقهم على ذلك مولانا السلطان عبد الحميد ، فخلعوه في سنة ست وتسعين وجعلوا ولاية مصر لولده الأكبر محمد توفيق باشا عملا بما تقرر قبل ذلك حين نفى إخوته وبنيهم من دخولهم في الولاية من بعده ، وإن الولاية من بعده تكون لأكبر أولاده فأقاموا عليها ولده الأكبر وهو محمد توفيق باشا ، وتوجه والده اسماعيل باشا بعائلته وبقية أولاده إلى نابولي من بلاد ايطاليا ، وجعل له مرتب من محصولات مصر وخزينتها .

وفي سنة سبع وتسعين ومائتين والف استولت دولة الفرنسيس على تونس وأعمالها بالمكر والخديعة والحيلة ، فجهزت دولة الفرنسيس عساكر

كثيرة وأظهرت انها تريد تأديب بعض قبائل العرب العصاة ، منهم قبيلة يقال لهم الخمير في أعمال تونس ، فوصلوا بعساكرهم اليهم وقاتلوهم وقهروهم ثم زحفوا بعساكرهم إلى تونس ، ولم يستطع أحد أن يدفعهم إلى أن قاربوا دخول تونس ، فاضطرب أهل تونس اضطرابا كثيرا ، ثم عقدوا معهم صلحاً وأدخلوا طائفة من عساكرهم تونس وأبقوا الباي وهو حاكم الإقليم على ولايته بحسب الظاهر ، واستولوا في الباطن على الأحكام والمحصولات والخراجات ، واستقبلوا الديون التي كانت على والي تونس ، وصارت الأمور كلها بأيديهم فلا حول ولا قوة إلا بالله (١) .

وفي سنة ثمان وتسعين ومائتين والف كانت فتنة بمصر بين والي مصر توفيق باشا وبين عرابي باشا ، وكان عرابي باشا من رؤساء عساكر محمد توفيق باشا ، واتسع الأمر في ذلك ، فجاء الانكليز بعساكرهم البحرية نجدة لمحمد توفيق باشا إلى الاسكندرية ، وضربوا مدافعهم على الاسكندرية ، وقاتلوا الذين كانوا مع عرابي باشا ، وكان ذلك في شعبان ورمضان سنة تسع وتسعين ، واتسع الأمر بما يطول الكلام بذكره ، وكانت الغلبة لتوفيق باشا ومن معه من الانكليز ، وتملكوا الاسكندرية ، وذهب عرابي باشا ومن معه إلى مصر ، ثم سارت الانكليز بعساكرهم لقتاله بمصر ، والكلام على ذلك طويل ، وآخر الأمر انه انهزم عرابي باشا ومن معه ، ثم دخلوا مصر وقبضوا على عرابي باشا وعلى كثير ممن كانوا معه ، فقتلوا جماعة منهم ونفوا جماعة نفياً موقتا ، وجماعة نفياً مؤبدا ، وصار العفو عن قتل عرابي باشا ونفوه مع بعض من كانوا معه إلى جزيرة سيلان من أعمال مليبار من بلاد الهند ، وجعلوا إقامته ومن معه هناك ، ورتبوا لهم مرتباً يكفيهم . واستولى الانكليز على القطر المصري ، ووضعوا عساكرهم في القلعة على صورة انهم إنما فعلوا ذلك إعانة لمحمد توفيق باشا وأبقوه على ولايته .

---

(١) بحمد الله وشكره ، قد استقل الشمال الافريقي العربي كلّه استقلالاً تامّاً عامّاً .

والانكليز مع ذلك كله يقولون ليس مرادنا الاستيلاء على مصر وإنما مرادنا الاصطلاحات (١) والتأييد لمحمد توفيق وإذا استقامت الأمور وانتظمت أحوال مصر نخرج منها وتخرج عساكرنا .

وفي سنة سبع وتسعين ظهر رجل بالسودان يسمى محمد احمد يقال انه المهدي أو قائم طالب لاظهار الحق ولم يدع انه المهدي ، ويقال انه شريف حسني ، وكان قبل ظهوره مشهوراً بالصلاح ومن مشايخ الطرائق ، قيل انه على طريقة الشيخ السمان ، وأول ظهوره انه لما كثرت أتباعه ومريدوه وقع اختلاف بينه وبين العساكر المصرية المتملكين للسودان عمالاً لصاحب مصر محمد توفيق باشا ، ثم اتسع الأمر بينهم وبينه إلى القتال ، وقاتلوه وقاتلهم مرارا ، وكانت الغلبة لمحمد احمد عليهم حتى استولى على كثير من بلاد السودان وأخرجهم منها ، فلما دخل الانكليز مصر صار الانكليز هو الذي يجهز عليه العساكر ويقاتله بعساكر الإنكليز ومعهم عساكر مصر ، ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة يطول الكلام بذكرها ، والغلبة في تلك الوقائع كلها له عليهم ، فتملك كردفان وكسلة والخرطوم وبربرة ودنقلة وغير ذلك ، وقتل منهم خلقاً كثيراً لا يحصى عددهم ، وكان أمره معهم عجيبا يأتون اليه بالعساكر الكثيرة ، والمدافع والآلات الشهيرة التي لا يطيق احد مقابلتها ، فيقابلهم بجيوشه السودانيين وليس معهم إلا السيف والرمح والسكاكين ، فيهجمون على تلك العساكر في موضعهم ومحط جيشهم ولا يبالون بمدافعهم وآلاتهم حتى يخالطوهم ويقتلوا أكثرهم من قرب طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف والسكاكين ، ويشتتون شملهم ، ومنهم جماعة في براري سواكن قد ولى محمد احمد عليهم رجلاً يسمى عثمان ذقنه ، فجاء بمن معه من السودان لمحاصرة سواكن واخراج الانكليز والعساكر المصرية منها فخرجوا اليه بجيوشهم الكثيرة ، وآلاتهم ومدافعهم الشهيرة ، فهزمهم عثمان ذقنة ومن معه من السودان هزيمة بعد هزيمة ، وقتل الكثير منهم حتى انهم جاؤوه في

---

(١) لعلها : الإصلاحات .

سنة ثنتين وثلاثمائة بنحو من سبعين مركباً مشحونة بالعساكر الكثيرة ، والآلات والاستعدادات الوفيرة ، وخرجوا لقتاله في البر قريباً من سواكن ، فهزمهم وقتل أكثرهم وشتت شملهم وغنم أكثر أموالهم ودوابهم وذخائرهم وأسبابهم ، وإلى هذا الوقت وهو شهر ذي الحجة من سنة ثنتين وثلاثمائة وعثمان ذقنه ومن معه من السودان في نواحي سواكن محاصرون لهـا ، وفيها عساكر للإنكليز وصاحب مصر قيل ان جيوش محمد أحمد تبلغ ثلاثمائة الف أو يزيدون . وأما دعوى انه المهدي فمختلف فيها فمن الناس من يقول انه يدعي انه المهدي ، ومنهم من يقول لم يدع انه المهدي بل يقول انه قائم لإظهار الحق وإقامة الشريعة وإخراج الانكليز من مصر ، والأكثر من الناس يقولون انه رجل صالح على غاية من الاستقامة ، ومنهم من يقدح فيه وينسب اليه خلاف ذلك ، ويقول إن جيوشه يقـع منهم فساد كثير ، وليس لهم غرض إلا القتل والنهب ، وإنهم في استيلائهم على كردفان والخرطوم وغيرهمـا قتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين ، فيهم العلماء والصلحاء والنساء والأطفال ، وقيل إن وقوع ذلك كان من بعض المفسدين منهم ولم يرض بذلك محمد أحمد ولم يأمر به ، والله أعلم بحقيقة الحال . وقد أخبر النبي ﷺ بأن انتصار آخر هذه الأمة في آخر الزمان يكون بالسودان فيحتمل انهم هؤلاء ويحتمل أن يكونوا غيرهم ، وانتصار المسلمين بهم في آخر الزمان مأخوذ مما ذكره الخازن في تفسيره عند تفسير قوله تعالى « ثلة من الأولين وثلة من الآخرين » من سورة الواقعة [1] فإنه قال ما نصه : ثلة من الأولين يعني من المؤمنين الذين قبل هذه الأمة ، وثلة من الآخرين يعني من مؤمني هذه الأمة ، ويدل عليه ما رواه البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن رويم ، قال لما أنزل الله عز وجل قوله تعالى : « ثلة من الأولين وقليل من الآخرين [2] » بكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١) الآيتان ٣٩ و ٤٠ .
(٢) الواقعة : الآيتان ١٣ و ١٤ .

وقال : يا رسول الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل ، فأنزل الله عز وجل : « ثلة من الأولين وثلة من الآخرين » ، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب وقال له : قد أنزل الله فيما قلت ، فقال عمر رضي الله عنه رضينا عن ربنا وصدقنا نبينا ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : من آدم الينا ثلة ، ومنا إلى يوم القيامة ثلة ، ولا يستتمها إلا سودان من رعاة الإبل ممن قال لا إله إلا الله اه . ومثل ذلك في تفسير الخطيب الشربيني وفي التفسير المسمى بالدر المنثور للجلال السيوطي ان عروة بن رويم يروي هذا الحديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما عن النبي ﷺ ان الحديث المذكور أيضاً رواه ابن مردويه وابن عساكر ، لكن اللفظ الذي ذكره في الدر المنثور قال في آخره : وأمتي ثلة ، ولن تستكمل ثلتنا حتى نستعين بسودان من رعاة الإبل ممن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . فيحتمل ان المراد من السودان هؤلاء القائمون مع محمد أحمد وعثمان ذقنه ، ويحتمل أن يكون غيرهم والله أعلم بغيبه . وكل ما أخبر به النبي ﷺ لا بد من وقوعه ، وروى ابن مكرم الافريقي في كتاب له سماه لسان العرب حديثاً لم يذكر من خرّجه وقال فيه ان النبي ﷺ قال : يخرج في آخر الزمان رجل يسمى أمير الغضب ، أصحابه محسرون محقرون مقصون عن أبواب السلطان ومجالس الملوك ، يأتونه من كل أوب كقَزَع [1] الخريف يورثهم الله مشارق الأرض ومغاربهـــا اه فيمكن انهم هؤلاء السودان القائمون مع محمد أحمد أو غيرهم .

مباحث في المهدي المنتظر

وقد ذكر كثير من العلماء الذين ألفوا رسائل في ظهور المهدي وعلاماته أن من علامات ظهوره خروج السودان ، منهم الجلال السيوطي والعلامة

---

(١) القَزَع : جمع قَزَعَة ، وهي قطع من السحاب ، صغار متفرّقة .

ابن حجر والعلامة المتقي والعلامة السيد محمد ابن رسول البرزنجي في كتابه المسمى بالإشاعة في اشراط الساعة ، ففي رسالة الجلال السيوطي المسماة بالعرف الوردي في علامة المهدي ، حديث عن النبي ﷺ فيه : إذا خرجت السودان طلبت العرب ينكشفون حتى يلحقوا ببطن الأردن أو ببطن الأرض ، فبينما هم كذلك إذ خرج السفياني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتوا دمشق ، فلا يأتي عليهم شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون الفاً . والأحاديث التي جاء فيها ذكر السفياني كثيرة شهيرة والكلام عليها طويل ، وهو يريد قتال المهدي عند ظهوره ، ثم يخسف بجيش السفياني ويهلكه الله تعالى . وفي رسالة ابن حجر المسماة بالقول المختصر في أخبار المهدي المنتظر ، أن من علامات ظهور المهدي ألوية تقبل من المغرب ، وان خروج أهل المغرب إلى مصر من أمارات خروج السفياني ، وذلك إنما يكون عند ظهور المهدي ، وجهة السودان بالنسبة إلى مصر مغرب ، فيحتمل انهم هؤلاء القائمون مع محمد أحمد ، ويحتمل أن يكون المراد غيرهم ، وكذا قوله خروج أهل المغرب إلى مصر يحتمل أن يكونوا هؤلاء لأنه يصدق على الجهة التي ظهروا منها انها من المغرب بالنسبة لمصر ، ويحتمل أن يكونوا غيرهم ، والله أعلم بأسرار غيبه وأسرار أحاديث نبيه ﷺ . ومن علامات ظهور المهدي الرايات السود التي تخرج من خراسان ، وجاء فيها أحاديث كثيرة ، قال في الإشاعة : يمكن انها هي التي خرجت في زمن المهدي العباسي بن المنصور ، ويحتمل انها أيضاً تخرج عند ظهور المهدي المنتظر . وفي شرح الشجرة النعمانية للشيخ صلاح الدين الصفدي عبارات تفيد أن الدولة العلية العثمانية تبقى قوتها وسلطنتها إلى ظهور المهدي ، وأنهم يكونون من أعوانه وأنصاره بأنفسهم وأموالهم وخزائنهم وعساكرهم وآلاتهم وعددهم ، فيجب الدعاء للدولة العثمانية على

كل مسلم والذي يقاتلهم يكون باغياً خارجاً عليهم ، فالواجب على كل مسلم السعي في تشييد دولتهم وتثبيت قواعدها ، وإعانتهم في إظهار الشريعة وإحياء السنن وإماتة البدع ، والدعاء لهم بالتوفيق ، فنسأل الله تعالى أن يوفقهم لكل خير وأن يلهمهم كمال الرشد والصلاح ، وكذا سائر وزرائهم وقضاتهم وعمالهم .

ثم إن هذا القائم بالسودان وهو المسمى محمد أحمد إما أن يكون باغياً خارجاً على السلطان فيجب قتاله وإن لم يدع انه المهدي ، ويمكن أن الله أقامه لإخراج الانكليز من مصر إعانة للدولة العثمانية ولا يريد الخروج على السلطان وإنما يريد أن يكون من جملة رعايا الدولة العثمانية ثم يكون لإعانة المهدي ؛ ويؤيد ذلك ما ذكره الجلال السيوطي في رسالته التي ألفها في علامات المهدي ، فإنه ذكر فيها حديثاً أخرجه نعيم بن حماد عن أبي قبيل قال : يكون أمير بإفريقية اثنتي عشرة سنة ويكون بعده فتنة ، فيملك رجل يملؤها عدلا ، ثم يسير إلى المهدي فيؤدي اليه الطاعة ويقاتل عنه ، فيمكن انه هو هذا الرجل المسمى محمد أحمد ويمكن انه غيره والله أعلم بأسرار غيبه . وقيل ان الذين يشيعون انه هو المهدي إنما هم بعض أتباعه ليرغبوا عامة الناس في اتباعه والدخول في طاعته ، وأما هو فإنه لم يدع أنه المهدي ، بل قال بعض من اجتمع به انه سمع منه بلا واسطة أنه يقول : إني لست أنا المهدي المنتظر وإنما أنا قائم لإظهار الحق وإقامة الشريعة ، وأما ان ثبت أنه يدعي انه هو المهدي المنتظر فالأمر مشكل ، لأن المهدي المنتظر لا يدعي أنه المهدي ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها ولا يبايع إلا وهو مكره ، بل لا يبايع الناس حتى يتهددوه بالقتل وذلك ان الله يطلع بعض من اختصه من صالحي عباده عليه وعلى علاماته ، فيدلون الناس عليه فيطلبونه فيفر منهم مرارا ، ثم يمسكونه ويكرهونه على البيعة ويتهددونه بالقتل ،

ولا يكون ظهوره والبيعة له إلا والناس بلا خليفة ، أخذاً من حديث : يحصل اختلاف عند موت خليفة وهو أصح حديث روي في هذا الباب ، وأما الآن فالناس لله الحمد لهم خليفة وهو أمير المؤمنين مولانا السلطان عبد الحميد بن المرحوم مولانا السلطان عبد المجيد ، وبيعته في أعناق المسلمين ، وسلسلة سلطنته من أحسن الدول الإسلامية مقيمين للشريعة السنية ، محبين للصحابة وأهل البيت ، ناصرين أهل السنة المحمدية قامعين أهل البدعة الردية ، فلا يجوز خلع بيعته ولا الخروج عن طاعته ، ثبت الله دولته وأبد سلطنته ، فمن خلع بيعته أو ترك طاعته أو خرج عليه فهو باغ معتد . وأيضاً من علامات المهدي المنتظر أن يكون من ولد فاطمة رضي الله عنها ، وأن يكون ظهوره والبيعة له بمكة بين الركنين ، ولا يصح أن يكون ظهوره والبيعة له بغير مكة ، قال الجلال السيوطي في آخر العرف الوردي في علامات المهدي : وأما قول القرطبي ان ظهور المهدي يكون من المغرب فهو باطل ، وقد تبع السيوطي على ذلك العلامة العلقمي والعلامة الصبان في رسالته التي ألفها في علامات المهدي ، فكل منهما قال كما قال السيوطي ، ان قول القرطبي ان ظهور المهدي يكون بالمغرب باطل ، وقال بعضهم يمكن حمل كلام القرطبي على غير المهدي المنتظر ، فإن كثيراً ممن ادعى نفسه أنه المهدي وكان ظهورهم بالمغرب ، كمحمد بن تومرت وعبيد الله العبيدي جد ملوك افريقية ومصر ، وخلق كثير غير هذين ادعى كل واحد منهم أنه المهدي بالمغرب وغيره ، وذلك لأن المهديين متعددون والمهدي المنتظر واحد ، وهو الذي يكون من ولد فاطمة ويكون ظهوره بمكة ، والناس بلا خليفة ، ويبايع مكرها ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها ، ويكون في زمنه خروج المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام ، ويجتمع به . ومما يدل على أن المهديين متعددون والمهدي المنتظر واحد ، ما ذكره العلامة ابن حجر

في الصواعق المحرقة لأهل الضلال والزندقة ، حيث قال حاكياً لقول من قال ان المهدي من ولد العبـــاس ، وهو والد هارون الرشيد واسمه محمد المهدي بن عبد الله المنصور بناء على الأحاديث المذكور فيها أن المهدي من ولد العباس عم النبي ﷺ ، وقال : انه من أحسن خلفـاء بني العباس ، وهو فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية ، ثم قـــال ابن حجر موجهاً لقول هذا القائل : ويمكن انه مهدي من ولد العباس وهو غير المهدي المنتظر فإن المهدي المنتظر من ولد فاطمة رضي الله عنها ، ويكون في زمنه خروج الدجـــال ونزول عيسى عليه السلام ويجتمع به ، فهذه العبارة صريحة في تعدد المهديين ، وجمع بعضهم بين الأحاديث التي فيها أنه من ولد فاطمة ، والأحاديث التي فيها أنه من ولد العباس بطريق آخر فقال : ان المهدي المنتظر من ولد فاطمة من جهة أبيه ، ومن ولد العباس من جهة أمه ، بأن تكون أمه أو أم بعض آبائه من ولد العباس ، وكلام ابن حجر في رسالته التي في علامات المهدي يقتضي أيضاً تعدد المهديين وان المهدي المنتظر واحد فإنه قال فيها :

والذي يتعين اعتقاده ما دلت عليه الأحـــاديث الصحيحة من وجود المهدي المنتظر ، وهو الذي يخرج الدجال وعيسى عليه السلام في زمنه ، وهو المراد حيث أطلق المهدي ، وأمـــا من قبله فليس واحد منهم هو المهدي المنتظر ، ويكون قبل المهدي أمراء صالحون لكنهم ليسوا مثله ، فهو الأخير في الحقيقة ، وكذلك غير ابن حجر ممن ألفوا رسائل في علامـــات المهدي كلهم يقتضي كلامهم تعدد المهديين وان المهدي المنتظر واحد ، وإنما قالوا بذلك التعدد لأنه قيل في محمد بن الحنفية انه المهدي ، وقيل في عمر بن عبد العزيز انه المهدي ، وقيل في محمد النفس الزكية ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط انه المهـــدي ، فهؤلاء أطلق على كل واحد منهم انه المهدي ، فيثبت بذلك تعدد المهديين قطعا،

لكن ليس واحد من هؤلاء هو المهدي المنتظر ، فالمهدي المنتظر واحد وهو لم يظهر إلى الآن ، فيمكن حمل كلام القرطبي على غير المهدي المنتظر ممن كان خروجهم بالمغرب ، ولا يمكن حمل كلامه على المهدي المنتظر لأنه إنما يظهر بمكة والناس بلا خليفة كما تقدم ايضاحه ، وكذلك لا يصح قول من قال إنما يكون ظهور المهدي المنتظر من ماسة بالمغرب ، فهو قول باطل لا أصل له كما نبه على ذلك العلاّمة ابن خلدون في تاريخه ، فإنه قال : ان القول بظهوره من ماسة باطل لا أصل له ، وإنما نشأ ذلك من رجل من المتصوفة خرج بالسوس الأقصى وعمد إلى مسجد ماسة وزعم أنه الفاطمي المنتظر تلبيساً على العامة هناك بما ملأ قلوبهم من الحدثان بانتظاره هنالك ، وأفهمهم أن من ذلك المسجد يكون أصل دعوته ، فتهافتت عليه تهافت الفراش طوائف من عامة البربر ، ثم خشي رؤساؤهم اتساع نطاق الفتنة فدسوا اليه من قتله في فراشه وانطفأت الفتنة .

والحاصل أن الذي تقتضيه الأحاديث النبوية وصرح به العلماء أن المهدي المنتظر ، إلى هذا الوقت لم يظهر ، وذكروا له علامات كثيرة بعضها مضى وانقضى وبعضها باق لم يظهر ، ومن أعظم علاماته أنه يصلحه الله في ليلته ، وانه من ولد فاطمة رضي الله عنها ، وانه يبايع مُكرَهاً لا انه يطلب البيعة لنفسه ويقاتل الناس لتحصيلها ، بل لا يبايع حتى يتهدد بالقتل ، وان ظهور البيعة له إنما تكون بمكة بين الركنين ، وان ظهوره إنما يكون عند وجود اختلاف بموت خليفة ، فلا يظهر ويبايع إلا والناس بلا خليفة ، فهذه الأشياء هي أقوى العلامات عليه ، وله علامات كثيرة غير هذه ذكرها الذين ألفوا الرسائل في تحقيق أمره .

لكن تلك الاشياء ظنية ومختلف في كثير منها ، وذلك مثل اسمه واسم أبيه وموضع ولادته ومقدار عمره وقت ظهوره ، ومدة مكثه في الارض بعد ظهوره ، فكل هذه الاشياء مختلف فيها .

فما قيل في مقدار عمره وقت ظهوره انه ابن أربعين ، وقيل انه ابن عشرين ، وقيل انه ابن ثمانية عشر ، وقيل غير ذلك . وقيل في مدة مكثه بعد ظهوره انها سبع سنين أو تسع سنين وقيل انها أربعون وقيل عشرون وقيل غير ذلك . وقيل في اسمه انه محمد وقيل أحمد ، وهل هو من ولد الحسن أو الحسين أو العباس ؟ وجمع بعضهم بأنه من ولد أحد الحسنين من جهة أبيه ومن ولد الآخر من جهة أمه ، وفي بعض أمهاته من هي من ولد العباس . والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة ، فيها ما هو صحيح وفيها ما هو حسن وفيها ما هو ضعيف وهو الأكثر ، لكنها لكثرتها وكثرة رواتها وكثرة مخرجيها يقوي بعضها بعضا ، حتى صارت تفيد القطع ، لكن المقطوع به انه لا بد من ظهوره ، وانه من ولد فاطمة ، وانه يملأ الأرض عدلاً نبه على ذلك العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي في آخر الإشاعة . وأما تحديد ظهوره بسنة معينة فلا يصح لأن ذلك غيب لا يعلمه إلا الله ، ولم يرد نص من الشارع بالتحديد ، وقد ذكر كثير من المتقدمين من العلماء تحديد ظهوره في سنين عينوها بالظن والتخمين ، فلم يخرج فيها فأخطأوا في ظنهم وتحديدهم ، ويؤخذ من قوله ﷺ في المهدي انه يصلحه الله في ليلته ان المهدي لا يعلم بنفسه انه المهدي المنتظر قبل وقت إرادة الله إظهاره ، ويؤيد ذلك ان النبي ﷺ وهو أشرف المخلوقات لم يعلم برسالته إلا وقت ظهور جبريل له بغار حراء حين قال له : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » (١) وأما قبل ذلك فكان يرى منامات كثيرة تأسيساً لرسالته وتقوية لقلبه ، لكنه لم يعلم ان المراد منها تأسيس الرسالة ، حتى انه كان كلما رأى مناماً من تلك المنامات يخبر زوجته خديجة رضي الله عنها ويشكو اليها حاله ،

---

(١) الآية الأولى من سورة العلق .

فكانت تثبته وتقول له كلاماً يقوى به قلبه كما هو موضح في كتب الحديث ، فإذا كان النبي ﷺ لم يعلم بأنه رسول الله ﷺ إلا بعد ظهور جبريل عليه السلام له ، وقوله : « اقرأ باسم ربك » فبالأولى أن المهدي المنتظر لا يعلم بأنه المهدي المنتظر إلا بعد إرادة الله إظهاره ، ولذلك يمتنع من البيعة حتى يتهدد بالقتل ويبايع مكرها ، فهذا هو سر قوله ﷺ يصلحه الله في ليلته ليعلم من ذلك انه لم يعلم أنه المهدي المنتظر إلا وقت إرادة الله إظهاره ، فكل من يدعي أنه هو المهدي المنتظر ويطلب البيعة لنفسه أو يقاتل الناس لتحصيلها فهو مخالف لما صرحت به أحاديث النبي ﷺ .

وقد ادعى هذه الدعوى كثيرون فيما تقدم من الأزمان ولم تثبت دعواهم ، وكان لهم مع الخلفاء وقائع وحروب مذكورة في التواريخ ، وقد جمعت أسماؤهم ووقائعهم باختصار في رسالة مستقلة ، ليعلم من وقف عليها أن كل من ادعى هذه الدعوى لا تتم له إلا إذا جاءت على طبق ما أخبر به النبي ﷺ ، لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى .

وقد ذكر العلامة ابن خلدون في تاريخه كلاماً فيه فوائد تتعلق بهذا البحث ، فلنذكر ملخص ذلك تتميما للفائدة ، وحاصل ذلك أن الذين يدعون هذه الدعوى إما أن يكونوا موسوسين أو مجانين فلا علاج لهم إلا التنكيل بالقتل أو الضرب إن أحدثوا فتنة ، وإلا يسخر بهم وتذاع السخرية بهم ، والصفع في الطرق أو الأسواق ، وإما أن يكونوا من طالبي الرياسة والملك فيجعلون هذه الدعوى وسيلة لذلك ويغفلون عما يناله من الهلكة وإسراع الهلاك والقتل من الملوك والسلاطين عند إحداثهم فتنة بهذه الدعوى ، وقد يكون بعض من ادعى هذه الدعوى من الصالحين ويريد إظهار الحق ويتخيل له أنه هو المهدي ، فيخطىء ظنه ولا يعرف ما يلزمه وما يحتاج اليه في إقامة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

فإن الله لم يكتب عليه في ذلك إثارة فتنة وإنما أمره الله تعالى به حيث تكون القدرة عليه ، قال ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه » . وأحوال الملوك والدول قوية راسخة لا يزحزحها ولا يزلزلها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوية التي من ورائها العصبية بالقبائل والعشائر ، وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله تعالى بالعشائر والعصائب ، وهم المؤيدون من الله تعالى بالكون كله لو شاء ، لكنه سبحانه وتعالى إنما أجرى الأمور على مستقر العادة وإنه حكيم عليم . فإذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب وكان محقاً قصر به الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك ، وأما إن كان من المتلبسين بذلك في طلب الرياسة فأجدر أن تعوقه العوائق وتنقطع به المهالك ، لأن أمر الله لا يتم إلا برضاه وإعانته والإخلاص له والنصيحة للمسلمين ، ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة ، وكل أمر يجتمع عليه كافة الخلق لا بد له من العصبية ، وفي الحديث الصحيح : « ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه » وإذا كان هذا في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم ان لا تخرق لهم العوائد في الغلبة بغير عصبية ، والغفلة عن هذا هي أكثر أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء ، فإن كثيراً من المنتحلين للعبادة وسلوك طريق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر بالمعروف رجاء الثواب عليه من الله تعالى ، فليكثر اتباعهم والمتشبثون بهم من الغوغا والدهما ، ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين ، وكثير منهم يدعي أنه المهدي المنتظر ولم تصح دعواهم ، ويتبعهم كثير من العامة والأغمار ممن لا يرجعون إلى عقل يهديهم ولا علم يقيدهم ،

يستجيبون لكثير ممن يدعون هذه الدعوى لما اشتهر من ظهور فاطمي ، ولا يعلمون حقيقة الأمر ، وأكثر ما يكون ذلك في الممالك القاصية وأطراف العمران بافريقية والسوس من المغرب ، وتجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطاً بماسة لما كان بذلك الرباط بالمغرب من الملثمين من كدالة ، واعتقادهم هو أنهم قائمون بدعوة الفاطمي يزعمون ذلك زعماً لا مستند له إلا البعد عن القاصية عن مثار الدولة وخروجها عن نطاقها ، فتقوى عندهم الأوهام في ظهور الفاطمي من ذلك الموضع ، لخروجه عن رتبة الدولة ومثار الأحكام والقهر ، ولا محصول لديهم في ذلك إلا هذا الوهم ، وقد يقصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول للتلبيس بدعوة تنشأ عن وسواس وحمق ، وقد قتل الملوك والرؤساء كثيراً منهم ، ثم قال : أخبرني شيخنا محمد بن ابراهيم الاربلي ، قال خرج برباط ماسة لأول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب المريني رجل من منتحلي التصوف يعرف بالتوزيري ، وادعى أنه الفاطمي المنتظر ، واتبعه الكثير من أهل السوس من كدالة وكزولة ، وعظم أمره وخافه رؤساء المصامدة وعلماؤهم ، فدس عليه السكسوي من قتله بياتا وانحل أمره . وكذلك ظهر في غمارة في آخر المائة السابعة في عشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس ، وادعى أنه الفاطمي المنتظر ، وتبعه الدهما من غمارة ؛ ودخل مدينة فاس عنوة وحرق أسواقها ، وارتحل إلى بلد المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم أمره ، وكثير من هذا النمط .

وأخبرني شيخنا المذكور بفرسية عن مثل هذا ، وهو أنه صحب في حجه رجلاً من أهل البيت من سكان كربلا كان متبوعاً معظماً كثير التلامذة ، وكان الناس يتلقونه بالنفقات في أكثر البلدان ، وتأكدت الصحبة بيننا في الطريق ، ثم كشف لي عن أمرهم وانهم إنما جاؤوا من موطنهم

بكربلا قاصدين أرض المغرب ، لإظهـــار دعوى أنه الفاطمي المنتظر ، فلما وصل إلى المغرب وعاين دولة بني مرين ، وكان أمير المؤمنين يوسف ابن يعقوب في ذلك الوقت منازلاً تلمسان ، فلما رأوا قوة ملكه قال ذلك الرجل لأصحابه : ارجعوا بنا فقد أزرى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنـا . وهذا يدل على أن ذلك الرجل استبصر بأن الأمر لا يتم إلا بالعصبية الـكافية لأهل الوقت ، فلما علم أنه غريب في ذلك الموطن ولا شوكة له وان عصبية بني مرين في ذلك الوقت لا يقاومها أحد من أهل المغرب ، استكان ورجع إلى الحق وأقصر عن مطامعه ، وبقي عليه أن يستيقن أن عصبية الفواطم وقريش أجمع قد ذهبت لا سيما في المغرب ، إلا أن التعصب لشأنه لم يترك لهذا القول ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القريبة نزعة من الدعـــاة إلى الحق والقيام بالسنة ، لا ينتحلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره ، وإنما ينزعُ منهم في بعض الأحيان الواحد فالواحد إلى إقامة السنة وتغيير المنكر ، ويعتني بذلك ويكثر تابعوه ، وأكثر ما يعتنون باصلاح السابلة ، لما أن أكثر فساد الأعراب فيها لما فيها من طيب معاشهم ، فيأخذون في تغيير المنكر بما استطاعوا ، إلا أن الصبغة الدينية فيهم لم تستحكم ، لما أن توبة العرب ورجوعهم إلى الدين إنما يقصدون به الاقصار عن الغـــارة والنهب ، ولا يعقلون في توبتهم وإقبالهم إلى مناحي الديانة غير ذلك ، لأنها المعصية التي كانوا عليها ، ومنها توبتهم . وتجد ذلك المنتحل للدعوة والقائم بزعمه بالسنة غير متعمق في فروع الاقتداء والاتباع ، إنما دينهم الإعراض عن النهب والبغي وإفساد السابلة ، ثم الإقبال على طلب الدنيا والمعاش أقصى قصدهم ، وشتان بين هذا الطالب للدنيـــا وبين من أراد إصلاح الخلق لكل ما يحتاجون اليه من أمر دينهم ، فاتفاقهما ممتنـع ،

لا تستحكم للأول صبغة في الدين ولا يكمل له نزوع عن البـــاطل ، ويختلف حال صاحب الدعوة معهم في استحكام دينه وولايته في نفسه دون تابعيه ، فإذا هلك انحل أمرهم وتلاشت عصبيتهم .

وقد وقع ذلك بافريقية لرجل من كعب من سليم يسمى قاسم بن مرة في المائة السابعة ، ثم من بعده لرجل من بادية رياح كان أشد ديناً من الأول وأقوم طريقة في نفسه ، ومع ذلك فلم يستتب أمرهمـا ، وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يتشبهون بمثل ذلك ويلبسون فيها ، وينتحلون اسم السنة وليسوا عليها إلاّ الأقل ، فلا يتم لهم ولا لمن بعدهم شيء من أمرهم .

وأول ابتداء هذه النزعة في الملة ببغداد حين وقعت الفتنة بين الأمين والمأمون ابني الرشيد وقتل الأمين ، وكان المأمون بخراسان فأبطـــأ عن مقدم العراق ، وأراد انتزاع الخلافة من بني العباس ونقلها للعلويين ، فجعل ولي عهده عليا الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، فهاج من ذلك فتن كثيرة ببغداد ، واجتمع بنو العباس وكشفوا وجه النكير على المأمون ، وتداعوا للقيـام وخلعوه وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي ، فوقع الهرج وكثر القتل والنهب ببغداد ، وانطلقت أيدي الذعار بها من الشطار والحربية على أهل العـــافية والصون ، وقطعوا السبيل وامتلأت أيديهم من نهاب الناس ، وباعوها علانية في الأسواق ، ورفع أهلوها أمرهم إلى الحـكام وقد ضعف أمرهم فلم ينصفوهم ، فتوافر أهل الدين والصلاح وتعاقدوا على منع الفساق وكف عاديتهم .

وقام ببغداد رجل يعرف بخالد الدربوس ودعا النـــاس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأجابه خلق وقاتل بهم أهل الذعارة فغلبهم ، وأطلق يده فيهم بالضرب والتنكيل ، ثم قام من بعده رجل آخر يعرف

سهل بن سلامة الأنصاري وعلّق مصحفاً في عنقه ودعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بني هاشم فمن دونهم ، ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ، ومنع كل من أخاف المارة ، ومنع الخفارة لأولئك الشطار (١) ، فقال له القائم الأول وهو خالد الدربوس انا لا أعيب على السلطان ، فقال له سهل : لكني أقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائناً من كان ، وذلك سنة احدى ومائتين ، فجهز ابراهيم بن المهدي بعد أن بايعه بنو العباس جيشاً لقتال سهل بن سلامة ، فغلبه وأسره وانحل أمره سريعاً وذهب ونجا بنفسه ، ثم اقتدى بهذا العمل بعده كثير من الموسوسين يأخذون أنفسهم باقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون اليه في إقامته من العصبية ، ولا يشعرون بمغبة أمرهم ومآل أحوالهم . ثم ذكر كثيراً من الأحاديث التي جاءت في المهدي وضعف كثيراً منها ، ثم قال : والحق الذي يتقرر لديك انه لا تتم دعوة من الدين والملك إلا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله فيه ، وقد قررنا لك ذلك من قبل بالبراهين القطعية ، وعصبية الفاطميين بل وقريش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق ، ووجد أمم آخرون قد استعلت عصبيتهم على عصبية قريش ، إلا ما بقي بالحجاز في مكة وينبع والمدينة من الطالبيين من بني حسن وحسين بن جعفر ، منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها وهم عصائب متفرقة ، فإن صح ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته إلا أن يكون منهم ، ويؤلف الله بين قلوبهم في اتباعه حتى يتم له شوكة وعصبية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها ، واما على غير هذا الوجه فلا يتم ذلك لما أسلفناه من البراهين الصحيحة انتهى ما أردت نقله من كلام ابن خلدون .

---

(١) جمع شاطر ، وهو المتصف بالدهاء والخباثة .

ورأيت في كثير من الرسائل المؤلفة في شأن المهدي انه لا يتم أمره إلا بالقيام بالشريعة الغراء ، وانه يكون على مثل ما كان عليه النبي ﷺ والخلفاء الراشدون ، ويفيض الله على الخلق نوراً ببركته فيتبعونه ويقتدون به في جميع شؤونه وأفعاله وأقواله وأحواله ، حتى يكون حالهم كحاله ، ووصفهم كحال أصحاب النبي ﷺ ووصفهم ، لأن الناس على دين ملوكهم ، فإذا استقام خليفة المسلمين وصار كالخلفاء الراشدين فإنهم كلهم يستقيمون ، وإذا زهد في الدنيا يزهدون ، وملاك الأمر كله هو الزهد في الدنيا وعدم التبسط فيها ، ومن الأمثال القديمة : الناس على دين ملوكهم ، وذكروا أن السبب في هذا المثل ان الوليد بن عبد الملك بن مروان ، كان مشغوفاً بتشييد البنيان ، فكان الناس في زمانه ليس لهم همة إلا تشييد البنيان والقصور ، وفي ذلك طول الأمل والغرور ، ثم ولي بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بن مروان ، فكان مشغوفاً بكثرة الأكل وتنويع الأطعمة وتكثير الألوان ، فكان الناس في زمانه يتفاخرون بالتوسعة في تنويع المأكولات وينهمكون في التلذذ بالشهوات ، وفي ذلك أعظم البليات ، ثم ولي بعد سليمان ابنُ عمه عمر بن عبد العزيز بن مروان ، الملحق بالخلفاء الراشدين ، فكانت همته في الاشتغال بالطاعات والعدل وإقامة الدين ، فكان الناس في زمنه راغبين في فعل الطاعات مستكثرين من فعل الخيرات ، فقالوا الناس على دين ملوكهم ، فالخليفة الأعظم هو القدوة لجميع المسلمين ، وأعظم شيء يقتدون به هو فيه ، فيكون به صلاحهم وانتظام أمرهم واتفاق كلمتهم ، هو الزهد في الدنيا والتناول منها بقدر الضرورة والحاجة وترك الفضول الذي لا يحصل إلا بتعب ولجاجة ، فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة وبلية ، والزهد فيها أصل كل خصلة سنية ، ولا يكون الزهد من العامة

إلا بعد زهد الخاصة ، فإن الخاصة هم العمدة في ذلك ، والمراد من الخاصة : الملوك والسلاطين والأمراء والقضاة والعلماء . وأولى من يطلب منه الزهد في الدنيا الخليفة الأعظم الذي أقامه الله لإصلاح أمور الدنيا والدين ، وإحياء الشريعة وقتال الكفار ودفع المفسدين . قال الإمام الطرطوشي في كتابه المسمى سراج الملوك : ان الخليفة إذا عدل في بيت المال ، وساوى نفسه بالمسلمين في الأخذ من بيت المال بقدر الحاجة ، كان المسلمون كلهم عسكراً للإسلام اهـ .

والحاصل انه إذا زهد في الدنيا واقتصر على قدر الحاجة والضرورة في جميع الأحوال يتبعه على ذلك الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء وجميع الناس من الرجال والنساء والأغنياء والفقراء ، فإذا حصل ذلك يسهل حينئذ إقامة الشريعة والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتصير همة الجميع متوجهة لاتحاد الكلمة والاجتماع على منهج الشرع المطهر ، فتحيا بذلك السنن التي أميتت ، وتزول البدع التي أذيعت ، وتقبل الناس على جهاد الكفار وفعل كل الطاعات ، فإن الكفار إنما تغلبوا على المسلمين بسبب رغبة المسلمين في الدنيا واقتحامهم المعاصي لتحصيلها ، فلا يزيلون منكراً لأن أكثر المنكرات يتوصلون بها إلى تحصيلها ، وإزالتها مخالفة لاغراضهم الذين هم بصددها ، فلا يمكن استقامتهم على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ، وما داموا لم يكونوا كذلك لا يستقيم لهم أمر ، وقد صح عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان كثيراً ما يقول في خطبه ومجالسه : ان هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ، ولا يحتمله إلا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه . فهذه العبارة نص صريح في انه لا يستقيم أمر المسلمين حتى يكونوا كما كان الصحابة رضي الله عنهم ، وما دام الخليفة الأعظم يتبسط في الدنيا ويأخذ من بيت المال

ما أراد مما زاد عن حاجته ، ويتكرم في العطاء بما شاء على من شاء ، ولا يراعي في ذلك القواعد المشروعة ، ولا يسلك مسلك الخلفاء الراشدين ، فإن الناس يتبعونه فلا يمكن حصول الاستقامة لهم ، ولا تتحد كلمتهم ولا ينتظم أمرهم ، ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، بل يصيرون كلهم يطلبون الدنيا ويتلذذون بالشهوات ، ويرتكبون لتحصيلها أنواع الخطيئات ، لأن الله تعالى أجرى عادته بين العباد أن يكون الناس على دين ملوكهم ، فهذا هو السبب في عدم اتحاد المسلمين واتفاق كلمتهم .

وأما في زمن المهدي فإنه يسلك هو مسلك الخلفاء الراشدين ، ويزهد في الدنيا ولا يأخذ من بيت المال إلا بقدر الضرورة ، والناس يكونون في زمنه على طريقته يفعلون كما يفعل . فظهر بهذا انه إذا زهد الخليفة الأعظم في الدنيا وعدل في بيت المال وأخذ منه بقدر حاجته من غير زيادة له ولخدمه وأتباعه واتخذ له من الخدم الذين يقومون بخدمته بقدر الحاجة أيضاً من غير زيادة ، يتبعه على ذلك كافة الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء وجميع الأبرار والفجار ، والخليفة أمين على بيت مال المسلمين لا يتصرف في شيء منه إلا بحسب المصلحة العائدة النفع على الاسلام والمسلمين ، فهو مثل قيّم مال اليتيم لا يتصرف إلا بالمصلحة الظاهرة ، فإن كان له مال خاص به يسعف به عن الأخذ من مال المسلمين ، فلا يأخذ شيئا ، وإن لم يكن له مال يأخذ بقدر الحاجة كما قال تعالى[1] : « ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » فإذا فعل ذلك اقتدى به الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء وكافة الخلق فتتحد قلوبهم وتجتمع كلمتهم ، ويقبلون على فعل الطاعات ويعرضون عن فعل السيئات ، ويتركون التلذذ بالشهوات ، فيتم اجتماعهم على نصرة الدين ،

---

(١) سورة النساء ، الآية (٥)

ويصيرون كلهم عسكراً لنصرة الاسلام ، ويقوى عزمهم على قتال أعدائهم من القوم الكافرين . وأما إذا تبسط الخليفة في مال المسلمين ، وتبعه الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء ، فلا تطيب قلوب بقية المسلمين ببذل أموالهم وأنفسهم وأولادهم في قتال الكافرين ، حيث يرون ملوكهم لم يساووهم ، وما كان انتصار الصحابة على القوم الكافرين وفتحهم البلاد الواسعة مع الاتحاد واتفاق الكلمة ، إلا بسبب مساواة أمرائهم لهم في جميع شؤونهم ، وما حصل افتراق الكلمة وعدم ائتلاف القلوب ، إلا لما استبد الملوك بالأموال وتبسطوا فيها ، وترفعوا على بقية المسلمين وأكثروا من المكوسات والظلم بأخذ أموالهم ، وصرفوها في غير مصارفها ، فشق على المسلمين تميزهم عنهم وترفعهم عليهم بأموالهم التي أخذوها منهم بغير حق .

ولا يظن ظان ان الخلفاء الراشدين إنما فتحوا الأمصار وانتصروا على الكفار بكثرة الصلاة والصيام ، بل إنما كان ذلك بزهدهم في الدنيا وعدم تبسطهم بها وعدلهم في بيت المال ، والحرص على مساواتهم المسلمين ، فطابت قلوب بقية المسلمين فبذلوا أموالهم وأنفسهم وأولادهم وجاهدوا الكفار وفتحوا البلاد ، حتى كان الغزاة يتجهزون للغزو من أموال أنفسهم ويجهزون منها غيرهم ان قدروا على ذلك ، ونفوسهم طيبة بذلك ، وتأبى نفوسهم أن يأخذوا من بيت المال شيئاً إذا كان لهم ما يفي بذلك ، لأنهم يرون أمراءهم مساوين لهم في جميع تلك الشؤون ، وإذا سلك الخليفة والأمراء والعلماء هذا المسلك يرتفع عن المسلمين المكوسات والضرائب ، وينتفي عنهم جور الحكام ، لأنهم إنما يجورون عليهم ليتبسطوا في أموالهم ويتلذذوا بها ، وإذا ساوى الحكام رعاياهم وعدلوا في بيت المال ، تسخى نفوس الأغنياء باعطاء الفقراء ويواسونهم ، وتقنع نفوس الجميع بأقل القليل ، فلا يبقى في المسلمين فقير ، وينقاد الناس للحق وينصفون من أنفسهم ،

فتزول المخاصمات التي كانت بينهم وتقل مرافعاتهم إلى الحكام ، ويحصل بينهم كمال المحبة والائتلاف ، ويرتفع كل شقاق واختلاف ، وإذا عدل الخليفة في بيت المال وسلك في ترك التبسط في الدنيا طريق النبي ﷺ والخلفاء الراشدين ، كان قدوة للمسلمين ، ويكون له من الأجر مثل أجر من عمل بمثل عمله من المسلمين ، وكان سبباً في اتحاد المسلمين وائتلاف قلوبهم واتفاق كلمتهم ، وانتصارهم على القوم الكافرين ، ويكون له في ذلك من الله الرضا والرضوان في الدنيا وجنات النعيم ، وتقر بذلك عين النبي ﷺ فانه بالمؤمنين رؤوف رحيم . ويستحيل أن يحصل لهم شيء من ذلك والخليفة لم يكن كذلك ، لأنهم إنما يفعلون ما يفعل ، وحالهم عن ذلك لا يتحول ، والتبسط في الدنيا من أعظم أسباب الفسق الموجب للهلاك ، قال تعالى [١] : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » وعدم التبسط في الدنيا هو ملاك الأمر ، وليس على الخليفة في سلوك هذا الطريق مشقة ولا ضيق ، ولا منع من إدراك الحق ولا تعويق ، وينال بغيته من الأكل والشرب والنكاح بغاية الراحة والتلذذ .

والحاصل ان استقامة الخليفة حتى يكون كالخلفاء الراشدين في عدله في بيت المال ، هو السبب الأعظم في اجتماع كلمة المسلمين واتحادهم في جميع الأحوال ، وعدم عدله في بيت المال سبب للافتراق في الحال والمآل ، ولو صام النهار وقام الليالي الطوال ، وبدون استقامة الخليفة وعدله في بيت المال كالخلفاء الراشدين لا يرجى للمسلمين فلاح ، ولا يتم لهم اتحاد ولا نجاح ، أطال الله عمر هذا السلطان عبد الحميد ، ونظر اليه بعين العناية والرعاية والتأييد ، ووفقه وأعلى مقامه وجمل به لياليه وأيامه [٢] آمين .

---

(١) سورة الإسراء الآية (١٦) .

(٢) توفي سنة ١٣٣٦ هـ ١٩١٨ م رحمه الله تعالى .

عبد الحميد أبو الاقبال بن الشيخ عبد الغني الرافعي الطرابلسي

هو الشاب الأديب ، والحسيب النسيب ، قال صاحب العقود الجوهرية : ولد المترجم بطرابلس الشام سنة ١٢٧٥ هجرية ، ونشأ في حجر أبيه وقرأ عليه علوم الأدب والعربية والفقه ، وأحرز طرفاً عظيماً من الأدب ، وشعره رقيق يحتوي على كل معنى دقيق . وقد أكثر في مدح السادة الرفاعية ، والسلالة الأحمدية ، وبيتهم القديم في طرابلس الشام معمور بالصلحاء الكرام ، والعلماء الأعلام . وقال صاحب العقود الجوهرية : رأيته وهو في خدمة والده المحترم لما دخلت إلى صنعاء اليمن ، وكان إذ ذاك أبوه رئيس استئنافها ، ما بين هاشمها وعبد منافها ، وتكحلت أنظاري بطلعة ذلك الشيخ الأكبر ، وولده المومى اليه ذي الفكر الأنور ، وقد علاهما النور الفاروقي ، وقضيت من زورتها بعض حقوقي ، رعاية لما بيننا من حقوق النسب ، وروابط الأدب ، ومن نظمه مشطرا :

سرت ناقتي ليلاً فسبحان من أسرى ... بها للحمى العالي فما أحمد المسرى
أضاء له صبح الهدى منه فانبرت ... إلى الساحة القعساء والحضرة الكبرى
وحطت حمول السير مثقلة على ... حضيرة قدس يزدهي تربها التبرا
وراحت كما قد رحت ملتثماً ثرى ... أريكة باب دون جبهته الخضرا
أنخت بها والفجر سل على الدجى ... سيوفاً بقايا الشهب حليهن درا

وهي قصيدة طويلة أصلها لأبي المظفر منصور الواسطي رضي الله تعالى عنه [١] .

---

(١) الأسرة الرافعية من أشهر بيوتات العلم في ديار الشام ومصر ، وكان جلّ شهرتها في فقه الحنفية . وقد تولّى كثير من رجالها مناصب القضاء والإفتاء في الديار المصرية والممالك العثمانية ، واشتهر بعض شيوخها بالإرشاد والصلاح . وعبد الحميد بك الرافعي —

الشيخ عبد الحميد بن الشيخ عبد الوهاب السباعي الحمصي
الشافعي المفتي العام بحمص البهية

العالم العلامة ، والحبر البحر الفهامة ، صاحب التحقيقات الفائقة ، والتدقيقات الرائقة ، والمعارف العالية ، والفضائل السامية ، كان كثير العبادة ، شهير الزهادة ، عالي الهمة ، طويل الباع في كشف الوقائع المدلهمة ، مثابراً على العلم والعمل ، حسن الظن والرجا والأمل .

تولى الافتاء بحمص على مذهب أبي حنيفة النعمان ، وان كان شافعي المذهب لأنه لم يكن أعلم منه في المذهبين في ذلك الأوان ، وكانت توليته للافتاء بعد ذهاب شيخه الشيخ ابراهيم الأتاسي الى طرابلس الشام ، ولم

— هو شيخ الشعراء ، ونادرة الأدباء ، ونابغة الفيحاء . وهو في تلك الأيام — على معارضة الزمان والمكان والسلطان — مصداق لقول الغزالي : لم يكن في الإمكان ، أبدع مما كان .

نُعِت ببلبل سورية . تعلم بالأزهر ، ومكث مدة بمعهد الحقوق بالآستانة ، وتقلد مناصب في العهد العثماني ، وكان متصلاً بالشيخ أبي الهدى الصيادي أيام السلطان عبد الحميد ، ونفي في أوائل الحرب العامة الأولى إلى المدينة ، ثم إلى قرق كليسا ، لفرار ابنه من الجندية في الجيش التركي ، وعاد إلى طرابلس بعد غيبته (١٥) شهرا ، واحتفلت جمهرة من الكتاب والشعراء (سنة ١٣٤٧ هـ) ببلوغه سبعين عاماً من عمره ، فألقيت خطب وقصائد جمعت في كتاب « ذكرى يوبيل بلبل سورية » طبع سنة ١٣٤٩ هـ وقد ذكرت الصحف من مناقب عبد الحميد المحتفل به وشممه أن بعض الفضلاء ومحبي الأدب ، تبرع له بسبعين الف قرش سوري بمناسبة اليوبيل الذهبي ، فأبى أن يأخذها وعهد إلى لجنة الاحتفال بأن تنفقها في خدمة الأدب بالطريقة التي تستحسنها ، فأكبر الناس ذلك من أريحيته ، وابائه وعفته ، وله أربعة دواوين هي « القلائد الزبرجدية ، في مدح العترة الأحمدية — ط » و « الفرائد الرافعية ، في مدح الحضرة الرفاعية — ط » و « المنهل الأصفى ، في خواطر المنفى — ط » و « ديوان شعره — خط » وكانت وفاته في بلده طرابلس سنة ١٣٥٠ هـ رحمه الله تعالى .

لخصت ترجمته من مجلة المنار (م ٣٠/٦٢ — ٧٤) ومن معاجم الأعلام .

يزل بها مفتياً الى أن رحل الى الآخرة دار السلام . وبلغني من بعض العلماء والسادة الفضلاء ، انه اتى في حياته الى حمص رجل شيعي يقال له ابو مغزالة ، فنزل في أطراف حمص ليحقق آماله ، وصار يدس للعوام بعض عقائد الشيعة من حيث لا يشعرون به انه مخالف ، وكان يظهر لهم التقوى والعبادة والزهادة والمعارف . الى ان مال اليه الكثير ، من غير اعتراض عليه ولا نكير ، وصار النـــاس ينوهون بذكره ، ويميلون الى اعلاء مقامه وترفيـــع قدره ، فأخبر الشيخ المذكور بذلك ، فأحضره وسأله عن سلوكه هذه المسالك ، فأنكر وتنصل عما نسب اليه ، وأظهر للشيخ أنه لايعتقد هذا المذهب ولا يعول عليه ، فمـا زال الشيخ يلقي عليه بعض مسائل ، ويتوصل الى اختبار حاله بدقيق الوسـائل ، الى أن ظهر حاله وبان ، وزال انكاره وتوهيمه وبان ، فقام الشيخ في الحال وضربه ، وأخرجه من بلدته وأذهبه ، وأظهر للناس ماأراده من المخالفة والابتداع ، فتوجه ذلك الطاغي الى جهة بعلبك والهرمل وكان بعض أهل تلك النواحي على مذهب أهل السنة والاجتماع ، فدس اليهم عقائد الشيعة المخالفين ، فاتبعوه من ذلك الوقت ونشأ لهم هذا من ذلك الحين[1] .

---

(١) هذه مسألة دينية تاريخية وهي مهمة جدّا ، لا يجوز إغفالها أو السكوت عنها . وقد كان أهدي إلى المجمع العلمي العربي بدمشق ، كتاب « أوائل المقالات » و « شرح عقائد الصدوق ، أو تصحيح الاعتقاد » وكان كتب عنهما في مجلة (مدينة العلم) العراقية ما نصه : ومثل هذين الكتابين ينبغي لمن أراد أن يكتب عن الشيعة أو يتحدث عن مذهبهم ، أن يرجع اليهما ، ويعتمد عليهما ، لا أن يأتي إلى كتب المغرضين ، والكتب المدسوسة عن الشيعة فيأخذ بها ، وينتزع عنها البهت والتزوير فيرمي به هذه الطائفة المؤمنة ــ قلت ما خلاصته : جاء (في ص ١٠) من الكتاب الأول ما نصّه : واتفقت الإمامية والزيدية والخوارج ، على أن الناكثين والقاسطين من أهل البصرة والشام أجمعين كفار ضلال ملعونون بحربهم أمير المؤمنين (ع) وأنهم بذلك في النـار مخلدون اهـ وهذا اتفاق على عكس الآية الكريمة « ان الله لا يغفر أن يشرك به ــ

وله من المؤلفات حاشية على جمع الجوامع في مجلدين ضخمين ، وفتاوى في المعاملات في مذهب السيد ابي حنيفة النعمان رضي الله عنه في ثلاث مجلدات سماها الاقناعية ، وشرح على رسالة السمرقندي في البيان ، ومؤلف سماه بغية الطلاب في الرد على ابن عبد الوهاب اصل الفرقة الوهابية (١) توفي رحمه الله تعالى سنة العشرين بعد المائتين عن بضع وستين سنة في مدينة حلب ودفن هناك وقبره معروف .

ـــ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وكتبت : رأيت في هذا الكتاب الذي دفعه المجمع العلمي إليّ لأصفه فى باب (التعريف والنقد) ـ بعض ما يراه القارئ في غيره كالكافي والتهذيب والوافي وغيرها من كتب إخواننا الشيعة من لعن وتكفير وتخليد في النار ، لمن أورثوهم الأرض والديار ، ولم أر انتقاداً ولا اعتراضاً لأحد ممن تعاقبوا على تصحيحه أو تقريظه ، وهم من أشهر مجتهدي الشيعة في هذا العصر ، وعليه صورهم . ولا شك أن هذه الكتب تورث قراءها وَغراً وحقدا ، وعداء وبغضا ، وتنطق ألسنتهم بأفحش القول وأوحشه لرجال الصدر الأول للإسلام فمن دونهم ، وفي مقدمتهم الخلفاء الثلاثة وبعض أمهات المؤمنين ، ومن معهم من المهاجرين والأنصار ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص القرآن .

(١) قال العلاّمة عثمان بن بِشر في تاريخه :« عنوان المجد ، في تاريخ نجد » في وصف الإمام محمد بن عبد الوهاب ونهضة البلاد النجدية : جمعهم الله تعالى به بعد الفرقة ، فأعزهم بعد الذلة ، وأغناهم بعد العيلة ، وجعلهم إخوانا ، فأمنت به السبل ، وحييت السنن ، وماتت البدع ، واستنار التوحيد بعد ما خفي ودرس ، (إلى أن قال) وذلك بسبب من عمت بركة علمه العباد ، وشيد منار الشريعة في البلاد ، قدوة الموحدين ، وبقية المجتهدين ، وناصر سنة سيد المرسلين ، شيخ مشايخنا المتقدمين الشيخ الأجل ، والكهف الأظل (محمد بن عبد الوهاب) أحله الله تعالى فسيح جنانه ، وتغمده برحمته ورضوانه ، فآواه من جعل عز الإسلام على يديه ، وجاد بنفسه وما لديه ، ولم يخش لوم اللائمين ، ولا كيد الأعداء المحاربين ، (محمد بن سعود) وبنوه ، ومن ساعدهم على ذلك وذووه . (إلى قوله) « وجاء الحق ، وظهر أمر الله وهم كارهون » ثم قال ابن بِشْر : وبطلت في زمانهم جوائز الأعراب على الدروب ، فلا يتجاسر أحد من سرّاقهم وفسقتهم ـ فضلاً عن رؤسائهم ـ أن يأخذ عقالاً فما فوقه ـــ

السيد الشيخ عبد الخالق المعروف بابن بنت الجيزي

الأجل العمدة الشريف الصالح بن أحمد بن عبد اللطيف بن محمد تاج العارفين المصري المنتهي نسبه الى سيدي عبد القادر الحسني الجيلي ويعرف بابن بنت الجيزي ، وهو اخو السيد محمد الجيزي المتوفى قبل ذلك من بيت الثروة والعز والسيادة . تولى بعد اخيه الكتابة ببيت النقابة ومشيخة القادرية واحسن السير والسلوك مع الوقار والحشمة ، وكان انسانا حسناً كثير الحياء منحجباً عن الناس مقبلا على شأنه ، وفيه رقة طبع مع الأخلاق المهذبة والتواضع للناس والانكسار ، توفي سنة الف ومائتين وسنة واحدة .

— من الأثمان ، فسمّاها الأعراب سنين الكمام ، لأنهم كمّ عليهم عن جميع المظالم الصغار والجسام ، فلا يلقى بعضهم بعضاً في المفازات المخوفات إلا بالسلام عليكم ، وعليكم السلام ، والرجل يأكل ويجلس مع قاتل أبيه وأخيه كالإخوان ، وزالت سنو الجاهلية ، وزال البغي والعدوان ، وسُيّبت الإبل والخيل الجياد والبقر وجميع المواشي في الفلوات ، فكانت تلقح وتلد وهي في مواضعها آمنات مطمئنات اهـ . يقول محمد بهجة البيطار : كانت أعراب الشام كأعراب نجد قبل المحمدين الشيخ والأمير ، فقد سلبني بنو عطية جميع نقودي ونقود من معي من قاصدي المدينة المنورة وكنا نحو عشرين ، وكانوا أكثر عدداً وهم مسلحون ، فأوقفوا القطار بعد ملء السكة بالرمال ، وأنزلونا من (الترولي) وكنا في قاطرة واحدة ، وكان ذلك أيام الملك فيصل الأول ، إذ كان في ديار الشام رحمه الله ، وقلت في الحادثة :

وليل قضيناه بأرض عطية ... بقرب من الأعداء قبّح من ليل
طوينا بذاك الحي ليلة خائف ... نهدد فيها بالثبور وبالويل
فلما بدا وجه الصباح جرى بنا القطار يهاتيك الأباطح كالسيل

عبد الخالق بن علي المزجاجي الهندي رحمه الله تعالى

علامة التحقيق ، وفهامة التدقيق ، ويعسوب الأفاضل ، ونخبة الأماثل من طار في الآفاق ذكره ، وانتشر في العالم مقامه وقدره . وقد مدحه بعضهم بقوله :

نيطت تمائمه عليه بمنزل ... سام بأهليه على الأبراج
أهل الشمائل والفضائل والعلى ... سرج الهداية هم بنو المزجاجي

تربى في حجور الترقي ، وتمسك بحبال التنزه والتوقي ، وأخذ العلم عن أهله ، وترقى الى ان اعترف الكل بفضله ، ومناقبه مشهورة غنية عن الإطناب ، ومآثره معروفة لاتحتاج إلى الاسهاب . سمع صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري الجعفي من الامام العلامة السيد أحمد بن محمد مقبول الاهدل ، وسمع منه أيضاً صحيح الامام مسلم بن الحجاج ، وكثيرا من كتب الحديث الشريفة ، وكان أثريا على مذهب السلف يعمل بالحديث ، توفي رحمه الله بعد الألف والمائتين رحمه الله تعالى .

السيد الشيخ عبد الرحمن بن سليمان بن يحيى مؤلف كتاب النفس اليماني ، والروح الريحاني

الكامل الفاضل ، والعالم العامل ، والجهبذ الهمام ، والسميدع [1] الإمام ولد رحمه الله وأحسن اليه ورعاه سنة تسع وسبعين ومائة والف ، ونشأ على بديع الاستقامة وأحسن وصف ، في عيشة راضية مرضية ، وهمة في تحصيل العلوم سنية ، وطاعة وافية ، وسريرة صافية ، إلى أن صار إماماً فقيهاً ، وهماماً نبيهاً ، ومحدثاً مفسراً أصولياً ، وتقياً نقياً صوفياً عاملا بالحديث والقرآن ، تاركاً للتقليد والأخذ بقول فلان وفلان . ولم

(١) السَّمَيدَع : السيد الكريم الشجاع .

يزل مجداً مجتهداً ، مكباً على القرآن والحديث وعليهما معتمداً ، الى ان مرض مرض موته ، وآن أوان ارتحـــاله وفوته . فمات رحمه الله ليلة الثلاثاء بعد العشاء الأخيرة في الحادي والعشرين من شهر رمضـــان سنة ألف ومائتين وخمسين ، وله من العمر احدى وسبعون سنة ، وأرخ بعض الفضلاء وفاته بقوله : ليهنك الفردوس مفتي الانام [١] .

الشيخ عبد الرحمن الروزبهاني مدرس الزاوية الخالدية في بغداد

عالم علماء العصر ، وامام فضلاء مصره ذي القدر ، من انعقـــد الاتفاق على انه عالم الآفاق ، واقر له الورى بان من سواه ورا ، وقد نشأ في حجور المعارف الى ان صار كنز العوارف ، مع الزهد والتقوى في السر والنجوى ، والتخلي عن المحارم والتحلي بالمـكارم . أخذ عن سادات أهل العراق ، واستجازهم فاجازوه بالاجازة العامة على الاطلاق ، واستفاد فأفاد واقبل عليه الطالبون من أقصى البلاد ، ولا زال يسمو ومقامـــه يزكو وينمو ، الى ان اختار الآخرة على الأولى ، وسار لينال من مولاه مأمولاً وذلك في بغداد دار السلام ، سنة سبعين ومائتين والف من هجرة سيد الانام ، وقد ارخ وفاته شاعر العراق ، واديبها على الاطلاق ، السيد عبد الباقي العمري فقال :

---

(١) له من المؤلفات (غير النفَس اليماني) : « فرائد الفوائد ـ مجلدان » و « الروض الوريف في استخدام الشريف » و « تحفة النسّاك في شرب التنباك » و « فتح القوي » حاشية على المنهل الروي لوالده ، و « مجاميع » في علوم مختلفة ، و « الجنى الداني على مقدمة الزنجاني » في الصرف . ولمعاصره سعد بن عبد الله سهيل كتاب حافل في ترجمته سماه « فتح الرحمن في مناقب سيدي عبد الرحمن بن سليمان » كتبه سنة ١٢٦٣ هـ « الأعلام » للزركلي .

فاز هذا الضريح فوزاً عظيما بتقيّ يحكي الملائك سيما
هو حبر وصدره الرحب بحر أودع الله فيه قلباً سليما
ما رأى قبل لحده الناس لحدا صار كهفاً ليذبل ورقيما
بعده أم الفضل أمست كما أنـ ـه حي أبو الفضل عاقراً وعقيما
يا لبحر منه فقدنا عبابا زاخراً بالندى وغيثاً عميما
فترضوا عنه اذا زرتموه كل يوم وسلموا تسليما
فبدار السلام قد ارخوه حلّ عبد الرحمن مثوى كريما

وأرخه المذكور ثانياً :

أنت يا قبر مركز الحسنات وركاز المآثر الصالحات
بك عبد الرحمن حل فحلت معه فيك جملة البركات
وانطوت في ثراك منه علوم زاخرات تربو على الصيبات
قد قضى عمره بزهد وتقوى وصلاة مشفوعة بصلات
ببنان البيان في البحث كم قد حل للطالبين من مشكلات
وبقطر العراق محور فضل مثله لا اتى ولا هو آت
بعده اضحت المدارس حتى من حلى كل فاضل عاطلات
رجعت مطمئنة منه نفس وتسامت لأرفع الدرجات
وترقى بسلم العلم ارخ شان عبد الرحمن للجنات

وكانت جنازته غاصة بالمشيعين ، وتأسف عليه الناس اجمعين . رحمه الله رحمة واسعة .

الشيخ عبد الرحمن البوصنه لي بن الشيخ احمد المغربي الحنفي شيخ مكتب الرشدية الجقمقية في دمشق الشام

صاحب المعارف في العلوم ، والسابق في ميدان التقدم في المنطوق والمفهوم ، الثقة المشهور بالكمال ، والهمام الموصوف باشرف الأحوال ،

من رقى أوج الفضل وحل بناديه وتحلى بعقود مقاصد العلم ومباديه . كان كثير العبادة مهاباً محترماً عليه جلالة ووقار ، وهيبة بين الأعيان والصغار والكبار ، وكان حسن الأسلوب في التعليم ، صاحب معرفة في التدريب والتفهيم .

قدم من الاستانة الى دمشق الشام سنة سبع وسبعين ومائتين والف واستقام بها ، وكان موظفاً من معارف الاستانة بان يكون معلماً أول في مدرسة الجقمقية شمال جامع بني أمية ، وكانت هذه المدرسة مكتباً مقدماً على سائر المكاتب ، كما ان شيخه مقدم على سائر مشايخ المكاتب ، وحصل على يديه نفع كثير للطلبة في كثير من الفنون والألسنة من تركية وعربية وفارسية ، وبعد مدة وجه عليه تدريس الشفا في حقوق المصطفى ﷺ في تكية السلطان سليم خان ، ولم يزل قائماً بوظائفه مع كمال الهمة وبذل الجد والاجتهاد حسب الطاقة ، إلى أن توفي أواخر شهر رمضان المبارك سنة احدى وتسعين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير عند قبر العلامة العلائي صاحب الدر رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الرحمن العراقي الشافعي الاشعري (١)

قد ترجمه السيد عثمان بن سند فقال : ان المشار اليه ، ممن تضرب أكباد الابل للثم يديه ، ويعول في المنقول والمعقول عليه ، وهو ذو فنون كم من طيها من فنون ، وإشارات لها نواظر العرفان عيون ، ومحاسن يشهد بحسنها الحاسدون ، وشمائل يتنافس بها المتنافسون . وآيات

---

(١) أحببت أن أثبت هنا ترجمة سميّه العراقي ، وهو عبد الرحمن بن العباس العراقي الحسيني : فاضل مغربي ، من المالكية (أبو زيد) عالم أديب ، من آثاره : همزية عارض بها همزية البوصيري لم تكمل ، ومنظومة في آداب الدعاء وشروطه ، ومنظومة في التوحيد ، ومنظومة في شمائل المصطفى . توفي سنة ١٣١٤ هـ الأعلام للزركلي ومعجم المؤلفين للكحالة .

محكمة الآثار ، وروايات تستفيض منها الأسرار ، وسيادة بأرجها الكون معطار . فهو من الكمل الذين هزوا من العلوم فناً وفنا ، والاجلاء الذين بهم طير الفضائل تغنى ، والوجوه الذين أسفر بغررها الزمان ، والصدور الذين راق بهم كل صدر وزان ، والأقطاب الذين قدير أنظارهم رحى العرفان ، والشرفاء الذين لعالية الشرف كالسنان ، والفضلاء المرتقين على الأقران ، والأذكياء المحرزين قصب السبق في كل رهان ، والأكارم الذين افتخر بهم الأوان ، فهو لا ريب انه على كمال الصفات أبهى عنوان ، وهو الفاضل الذي أحيا للشافعي آثاره وأعلى من الفقه بالدقائق مناره ، والقمر الذي له العلوم دارة ، والمعتبر الذي أبان من روض الاسناد أزهاره ، والمتصدر الذي رفعته على صهوتها الصدارة ، والمحرر الذي شكره المحرر وعطر المحافل بما أملى وقرر ، والمدرس الذي أبرز النكت وأظهر وأدنى قطوف الفوائد ، وكان الصلة لطلاب العلم والعائد :

ولع بأبكار المعاني فكره ... فكأنها عرب اليها يطرب
صفى من العلم الدقيق زجاجة ... فوها عن السر الإلهي معرب
يا ربع فقه الشافعي بشارة ... إذ جاد روضك منه دان صيب
أصبحت مفتر الأزاهر ضاحكا ... من علمه فغناك منه مخصب
أضحت مواردك الشهية في الورى ... موروده إذ طاب منك المشرب
حكم أراها ما بدَوْنَ لعارف ... إلا سما وله أتم المطلب
ونوادر ما زلن منه شوارداً ... نادي العلوم بها مريع مخصب
رقت زجاجة طبعه فطلبته ... لأنال منه ما به أتقرب
والشيب لم يكرع بفودي ذوده ... وقضيبه برد النجابة يسحب
فصرفت عنه لسوء جد في الورى ... وبقيت لا شرف لديّ ومنصب

وبالجملة فهو مفرد علم ، وأوحد علت له في العلوم القدم ، وحيث لم تؤذن الأقدار ، بالاقامة في هذه الدار ، دعاه داعي اللقا إلى دار البقا ، وقد أثبت ترجمته السيد محمد سند ، وتلا صحيح مناقبه بأعلى سند ، وفي آخر مدته قصده للقراءة عليه حضرة مولانا الشيخ خالد ، فوجده يتقلب على فرش المرض الزائد ، ولم يمض عليه أيام حتى اختار الآخرة دار السلام ، وذلك عام الف ومائتين واثنى عشر رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

السيد عبد الرحمن افندي بن السيد طالب الرفاعي نقيب البصرة

قد ترجمه السيد أبو الهدى افندي فقال : الامام الجواد ، الطاهر الأجداد ، الرفيع العماد ، رب المحامد المشتهرة ، ينتهى نسبه من طريق السيد شعبان إلى القطب الفرد عظيم الامداد سيدنا الشيخ عز الدين أحمد الصياد رضي الله عنه . نشأ كأسلافه الكرام البررة في مدينة البصرة وشب بها وولي أمر النقابة بعد أبيه ، واشتهر أمره وحسن في البلاد ذكره ، وكان على جانب عظيم من الشهامة والمروة وحسن الأخلاق والفتوة ، وكان يضرب بجوده المثل . توفي رحمه الله في البصرة سنة احدى وتسعين ومائتين والف وأرخه شاعر العراق السيد عبد الغفار الأخرس بتاريخ بديع افتتحه بقوله رحمه الله :

قبر به سيد شريف تدفع في مثله الكروب

اختتمه بقوله

يوم به قد قيل أرخ مضى إلى ربه النقيب

الشيخ عبد الرحمن بن حسن الريمي الذماري

ولد سنة الف ومائتين وسبع . قال الامام الشوكاني في البدر الطالع : له قراءة علي وهو من عباد الله الصالحين ، ومن العلماء العاملين ، المتعبدين

بمقتضى الأدلة الشرعية ، لا يميل إلى التقليد بل يعمل بالآيات والأحاديث النبوية ، ولم يزل على قدم ثابت وطاعة وعبادة وتقوى وأوصاف أحمدية الى أن توفاه الله سنة الف ومائتين ونيف وسبعين .

الشيخ عبد الرحمن افندي المعروف بالهلواتي الحنفي المصري الازهري

نخبة عصره ، وزينة مصره ، من ألبسه الفضل رداء الكمال ، وجذبته يد العناية للاستواء على مراتب الإجلال ، وقد أثبته الجبرتي في ديوانه ونبه في تاريخه على رفعة مقامه وشأنه ، فقال : الصاحب الأمثل والاجل الأفضل ، حاوي المزايا المنزه عن النقائص والرزايا ، قد اشتغل بطلب العلم على السادة ، ولازم الاشياخ للتحصيل والاستفادة ، وحصل في المعقول والمنقول والفروع والأصول ، ماتميز به عن غيره مع حسن الأخلاق ، وشهرته في الآفاق ، وحضر الكتب الكبار على العلماء الأخيار ، وأخذ الحديث عن السيد مرتضى الزبيدي وكثيراً من المسلسلات وكتب الحديث كالصحيحين وغيره ، وألف حاشية على مراقي الفلاح ، وكان يباحث ويناضل مع عدم الادعاء وتهذيب النفس والسكون والتؤدة ، والامارة والسيادة ، ولم يزل رفيع المقام عالي المرام ، إلى أن أجاب الداعي ، ونعته النواعي ، سنة خمس ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الرحمن الجمل أخو الشيخ سليمان الجمل الازهري

تفقه على أخيه ولازم دروسه وحضر غيره من أشياخ الوقت ومشى على طريقة في التقشف والتباعد عن مخالطة الناس . ولما مات أخوه كان

يملي الدروس بجامع المشهد الحسيني بين المغرب والعشا على جمع من مجاوري الأزهر ، والعامة تجتمع لسماع قراءته أفواجاً في ذلك الوقت ، فقرأ : الشمائل والمواهب والجلالين ، ولم يزل على حالته حتى توفي ثاني عشر ذي الحجة سنة تسع وعشرين ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد الدمشقي الشهير بالحفار

العالم الفقيه ، والكامل النبيه ، الحسن السيرة والصافي السريرة ، له مشاركة في العلوم ، وله في الناس قدر مشهور معلوم ، وكان له حصة مع الحفارين في تربة الدحداح ، وكان يقري كثيراً من الطلبة في جامع التوبة . وللناس به اعتقاد عظيم وتعلق جسيم ، وله درس عام حافل بين العشائين في الجامع المرقوم . وقرأ على الشيخ عبد الرحمن الكزبري وعلى الشيخ حامد العطار وعلى غيرهما من الشيوخ العلماء الكبار ، وأجازوا له بالإجازة العامة لجودة ذهنه وحسن فهمه ، حسب شهادة شيوخه له بتفوقه وتقدمه في عمله وعلمه ، وحسن خلقه ولين جانبه وتقواه وعبادته ، وورعه وزهده وخشوعه وخضوعه وتواضعه ولم يزل ينمو مقامه ويسمو إلى أن مرض في شهر شعبان مرضاً ثقيلا ودام مرضه يزداد إلى أن توفي ثاني رمضان المبارك سنة ثمان وسبعين ومائتين والف ودفن في تربة الدحداح .

الشيخ عبد الرحمن بن محمد الكزبري الشافعي الدمشقي
محدث الديار الشامية

السيد الذي أشرقت شموس أفضاله في كل ناد ، وفاضت بحار معارفه على صدور القصاد ، وأفاد الطالبين بديع المعاني والبيان ، وأروى المريدين بزلال الكمالات والعرفان . طلع من أفق المعارف هلالا ، وأهل من ميقات المعالي إهلالا ، فوصل طيبة العرفان ، وسعى وطاف ببيت الفضل

والإحسان . الإمام العالم العلامة ، والمحدث الكبير الفهامة ، من هو لتاج المعارف اكليل ، المتسربل برداء التقديم والتفضيل ، الزاهد القنوع ذو القدر المرفوع ، مشهد الكمال ومظهر الجمال .

ولد يوم عيد الفطر سنة أربع وثمانين ومائة والف في دمشق الشام ، ونشأ وتربى في حجر والده الشمس الهمام ، إلى أن أتقن وتفنن وفاق ، وطار صيته في الأمصار والآفاق . وأخذ عن أفاضل متنوعين كثيرين تركيين وعربيين ، منهم والده الشيخ محمد والشهاب أحمد العطار والشيخ محمد الكاملي وبدر الدين بن بدير المقدسي وشهاب الدين أحمد بن علوي باحسن الشهير بجمال الليل والشيخ نور الدين الوزائي الأزهري والشيخ صالح الغلاني والشيخ زين الدين عبد الغني بن محمد بن هلال مفتي الشافعية بمكة والشيخ محمد طاهر بن سعيد سنبل الحنفي والشيخ علي الخياط والشيخ محمد السقاط، وأخذ مكاتبة عن الشيخ حسن البقلي المالكي وعن الشيخ مصطفى العقباوي المالكي وعن الشيخ أحمد العروسي الشافعي وعن ابن القيصر عبد الرحمن المغربي النحراوي وعن الشيخ محمد الشنواني الأزهري الشافعي وعن الشيخ محمد السقاط الخلوتي وعن الشيخ عبد الوهاب النجاتي .

ويروي صحيح البخاري عن البربير عن الشمس الكزبري عن والده الشيخ عبد الرحمن الكزبري عن الشيخ اسماعيل العجلوني ، ويرويه أيضاً عن والده الشمس الكزبري وهو عن والده الشيخ عبد الرحمن الكزبري عن خاله الشيخ علي كزبر عن السيد مصطفى البكري عن أبي المواهب محمد الحنبلي عن نقيب الاشراف السيد محمد بن حمزة الحسيني عن الشيخ عبد الباقي الحنبلي عن الشمس البابلي عن النجم الغزي .

وقد أخذ عنه علماء الشام ، وغيرهم من العرب والأعجام . ومن جملة من أخذ عنه سيدي الوالد فإنه روى عنه صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري الجعفي من أوله إلى آخره وقد أجازه به وبجميع ماتجوز له

روايته عن مشايخه مما هو مذكور في ثبته ، وأنا حضرته ولله الحمد على والدي في الدرس العام في جامع كريم الدين بين العشاءين من أوله إلى آخره وأجازني به وبجميع ماتجوز له روايته عن مشايخه ، وقد أردت أن أذكر سندي من هذا الوجه لعلوه عن غيره فإني أخذته من طرق كثيرة ولكن هذا السند من أعلاها إسناداً فأقول أروى صحيح البخاري عن والدي المولود سنة ١٢٠٦ المتوفى سنة ١٢٧٢ عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري المولود سنة ١١٨٤ المتوفى سنة ١٢٦٢ عن والده الشمس محمد المولود سنة ١١٤٠ المتوفى سنة ١٢٢١ عن والده عبد الرحمن المولود سنة ١١٠٠ المتوفى سنة ١١٨٥ عن خاله الشيخ علي كزبر المولود سنة ١١٠٠ المتوفى سنة ١١٦٥ عن السيد مصطفى البكري المولود سنة ١٠٩٩ المتوفى سنة ١١٦٢ عن أبي المواهب الحنبلي المولود سنة ١٠٤٤ المتوفى سنة ١١٢٦ عن السيد كمال الدين بن حمزة المولود سنة ١٠٢٤ المتوفى سنة ١٠٨٥ عن الشيخ عبد الباقي الحنبلي المولود سنة ١٠٠٥ المتوفى سنة ١٠٧٣ عن الشيخ محمد البابلي المولود سنة ١٠٠٠ المتوفى سنة ١٠٧٧ عن النجم الغزي المولود سنة ٩٧٧ المتوفى سنة ١٠٦١ عن الشهاب أحمد العيشاوي المولود سنة ٩٤١ المتوفى سنة ١٠٢٥ عن الشمس محمد الرملي المولود سنة ٨٢٦ المتوفى سنة ٩٢٦ عن البدر محمد الغزي المولود سنة ٩٠٤ المتوفى سنة ٩٨٤ عن الجلال السيوطي المولود سنة ٨٤٩ المتوفى سنة ٩١١ عن القاضي زكريا الأنصاري المولود سنة ٨٢٥ المتوفى سنة ٩٢٦ عن الحافظ بن حجر العسقلاني المولود سنة ٧٧٣ المتوفى سنة ٨٥٢ عن ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي المولود سنة ٧٦٢ المتوفى سنة ٨٢٦ عن والده عبد الرحيم المولود سنة ٧٢٥ المتوفى سنة ٨٠٦ عن الجمال عبد الرحيم الأسنوي المولود سنة ٧٠٤ المتوفى سنة ٧٧٢ عن التقي علي بن عبد الكافي السبكي المولود سنة ٦٨٢ المتوفى سنة ٧٥٦ عن الحافظ أبي الحجاج يوسف المزي المولود سنة ٦٥٤ المتوفى

سنة ٧٤٢ عن الحافظ عبد المؤمن الدمياطي المولود سنة ٦١٣ المتوفى سنة ٧٠٥ عن الامام النووي المولود سنة ٦٣١ المتوفى سنة ٦٧٦ عن الشمس عبد الرحمن بن قدامة المولود سنة ٥٧٧ المتوفى سنة ٦٨٢ عن أبي عبد الله الحسين بن المبارك الزبيدي الحنبلي المولود سنة ٥٤٥ المتوفى سنة ٦٣١ عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى الشجري المولود سنة ٤٥٨ المتوفى سنة ٥٥٣ عن الداوودي المولود سنة ٣٧٤ المتوفى سنة ٤٦٧ عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي المولود سنة ؟ المتوفى سنة ٣٨١ عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن بشر الفربري المولود سنة ٢٣١ المتوفى سنة ٣٢٠ عن الامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري الجعفي المولود سنة ١٩٤ المتوفى سنة ٢٥٦ انتهى . وبعد موت والده وجه عليه تدريس البخاري الشريف تحت قبة النسر في شهر رجب وشعبان ورمضان بعد العصر كل يوم ، وعامة العلماء تحضره للأخذ عنه . وفي عام اثنين وستين ومائتين والف توجه المترجم إلى الحجاز بقصد النسك ، وبعد العود من الوقوف رابع يوم من عيد الأضحى توفي إلى رحمة الله ودفن بعد أن غسل في محفل من الفضلاء والعلماء والوجهاء وصلي عليه في الحرم الشريف ، والجامع الأنور المنيف ، في مقبرة المعلا وقبره ظاهر يزار .

الشيخ عبد الرحمن بن علي بن العلامة عبد الرؤوف البشبيشي الشافعي

العلامة المفيد الفهامة المجيد ، نشأ في حجر والده وحفظ القرآن وحضر الأشياخ وتفقه في مذهب أبيه وجده وهم شافعيون ، واجتمع بالشيخ حسن الجبرتي ولازمه ملازمة كلية . قال الشيخ عبد الرحمن الجبرتي : وحضر

المترجم على الوالد في مذهب أبي حنيفة وحفظ كثيراً من الفروع الغريبة في المذهب والرياضيات ، وكان به بعض رعونة . ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة وأخبر الوالد بذلك يظن سروره في انتقاله فلامه على فعله وسمعته يقول له :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكـــل رداء يرتديه جميل

وانحط قدره عنده من ذلك الوقت وذلك بعد موت والده في سنة سبع وثمانين ومائة والف . واملق حاله وتكدر باله ، ثم سافر إلى دمياط وأقام بها مدة يفتي على مذهب الحنفية ، وراج أمره هناك لشغور الثغر عن مثـــله ، ثم قدم مصر لأمر عرض له فأقام بمصر وأراد بيع داره ليصرف ثمنها في شؤونه فلم يجد من يشتريها بالثمن المرغوب . وكان انسانا حسنا يذاكر بفوائد مع حسن المعرفة وصحة الذهن ، وربما تعلق ببعض فنون غريبة ، ولذا قل حظه وأنشدني لنفسه أبياتاً مدح بها قاضي الثغر واسمه محمد نصري وبيت تاريخها هذا :

رجـاه مذهب النعمان أرخ بشرع محمد نصري مقـدم

وهما تاريخان كما ترى ، توفي رحمه الله سنة سبع ومائتين والف وحيداً في داره وهو جالس من غير سابقة مرض ولا اشارة نسأل الله حسن الخاتمة .

السيد عبد الرحمن بن بكار الصفاقسي نزيل مصر

العمدة الجليل والنبيه النبيل ، العلامة الفقيه الشريف والفهامة اللطيف ، قرأ في بلاده على علماء عصره ودخل كرسي مملكة الروم فأكرم وانسلخ عن هيئة المغاربة ، ولبس ملابس المشارقة مثل التاج والفراجة وغيرها ، وأثرى وقدم إلى مصر وألقى دروساً بالمشهد الحسيني ، واتحد مع شيخ السادات الوفائية السيد أبي الأنوار فراج حاله ، وزادت شوكته على أبناء جنسه وتردد إلى الأمراء وأشير اليه ، ودرس كتاب الغرر في مذهب السادة

الحنفية ، وتولى مشيخة رواق المغاربة بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن البناني، وسار فيها أحسن سيرة مع شهامة وصرامة وفصاحة لفظ في الالقاء . وكان جيد البحث مليح المفاكهة والمحادثة واستحضار اللطائف والمناسبات، ليس فيه غلظة ولا فظاظة ، ويميل بطبعه إلى الحظ والخلاعة وسماع الألحان والآلات المطربة .

توفي رحمه الله سنة تسع ومائتين والف كما نقله الجبرتي .

الشيخ عبد الرحمن الاجهوري النحراوي الشهير بمقري الشيخ عطية الشافعي المصري

قال الجبرتي : الإمام العلامة ، المفيد الفهامة ، عمدة المحققين ونخبة المدققين ، الصالح الورع المهذب . خدم العلم وحضر فضلاء الوقت ودرس ومهر في المعقول وبرع في المنقول ، ولازم الشيخ عطية الأجهوري ملازمة كلية ، وأعاد الدروس بين يديه ، واشتهر بالمقري وبالأجهوري لشدة نسبته إلى الشيخ المذكور ، ودرس بالجامع الأزهر وأفاد الطلبة ، وأخذ طريق الخلوتية عن الشيخ الحفني ولقنه الاذكار وألبسه الخرقة والتاج وأجازه بالتلقين والتسليك . وكان يجيد حفظ القرآن بالقراءات ، ويلازم المبيت في ضريح الإمام الشافعي في كل ليلة سبت ، يقرأ مع الحفظة بطول الليل ، وكان انساناً حسناً متواضعاً لايرى لنفسه مقاماً ، يحمل طبق الخبز على رأسه ويذهب به إلى الفران ويعود به إلى عياله ، فإن اتفق أن أحداً رآه ممن يعرفه حمله عنه والا ذهب به ، ووقف بين يدي الفران حتى يأتيه الدور ويخبزه له . وكان كريم النفس جداً يجود وما لديه قليل . ولم يزل مقبلاً على شأنه وطريقته حتى نزلت به البادرة وبطل شقه ، واستمر على ذلك نحو السنة ، وتوفي إلى رحمة الله في السنة العاشرة بعد المائتين والألف .

الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي

العالم المشهور ، والهمام الذي فضله مأثور . ولد في بلاد نجد ، ثم ان محمد علي باشا وزير مصر لما أمره المرحوم السلطان محمود بمقاتلة الوهابيين أرسل ولده ابراهيم باشا ومعه معسكر عظيم من الأكراد والأرناؤوط وعرب مصر الهواره لمحاربة عبد الله بن سعود أمير نجد ، فقاتلهم وقتل ونهب وحرق وخرب ، وأسر عبد الله بن سعود وأرسله إلى مصر ، فبعثه والي مصر إلى السلطان محمود فصلبه . وأما باقي عائلة أمراء الوهابيين المعبر عنهم بآل المقرن وباقي بيت الشيخ محمد بن عبد الوهاب المعبر عنهم ببيت الشيخ فإنه نقلهم جميعاً إلى مصر وأسكنهم هناك ، ورتب لهم معاشات تكفيهم ، وكان من جملتهم المترجم المرقوم ، فالتفت إلى الطلب والتعلم والتعليم والاستفادة والإفادة إلى أن صار في الأزهر شيخ رواق الحنابلة ، وكان ظاهر التقوى والصلاح والزهادة والعبادة ، ولم يزل على حالته المرضية وطاعته وعبادته وافادته السنية ، إلى أن اخترمته المنية سنة أربع وسبعين ومائتين وألف (١) رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الرحمن الكردي النقشبندي الخالدي

السباح في بحار التوحيد ، والسياح في قفار التجريد ، المعرض عما سوى الله ، والمقبل بكليته على إلـٰهه ومولاه ، نشأ في مهد الطاعة والعبادة ،

---

(١) في الأعلام انه عاد إلى نجد سنة ١٢٤١ وتوفي فيها سنة ١٢٨٥ هـ .
له من المؤلفات « فتح المجيد شرح كتاب التوحيد » والأصل لجدّه الشيخ محمد وكلاهما مطبوع ، « الإيمان والرد على أهل البدع » ، و « مجموعة رسائل وفتاوي » وكلّها مطبوعة .

وسلك مسالك التقوى والزهادة ، واستفاد وأفاد ونفع وأجاد ، وحسنت سيرته ، وطابت سريرته ، ولازم خدمة شيخ عصره حضرة مولانا خالد قدس سره ، ولم ينفك عنه ، سافر معه إلى الهند ورجع معه إلى بغداد مرات وإلى الشام ، وسافر معه إلى الحجاز ، فكان لا ينفك عنه أينما توجه ، وقد خلفه خلافة مطلقة وأذن له بالإرشاد فأرشد كثيراً من العباد ، ولم يزل يترقى على معراج الاتصال ويسمو في مراتب الجمال ، ويقصده الواردون وينتفع به السالكون ، إلى أن توفي في الشام بعد الألف والمائتين والخمسين رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الرحمن بن سعدى بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب الكناني البعلي الشهير بالتاجي الدمشقي الحنفي

أحد العلماء الصالحين والفضلاء المعتقدين ، كان إماماً تقياً عابداً حسن المعاملة كثير الاقبال على الله ، مشتغلاً بالعلم في ليله ونهاره ، دائباً على شغل أوقاته بالاستفادة والافادة ، إلى أن انفرد في زمانه وفاق على أقرانه . مات رحمه الله تعالى ثامن شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى .

عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن علي افندي العابدي الدمشقي الحنفي

كان عالماً عاملاً كاملاً فاضلاً ، ذا شهرة حسنة وسيرة مستحسنة ، ولد بدمشق الشام ونشأ بها في حجر والده ، وكان ذا فطنة ونباهة وحذق ووجاهة ، كثير التودد لأحبابه شفوقاً على أرحامه وأقاربه ، متديناً ورعاً تقياً . مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف .

الشيخ عبد الرحمن بن علي بن مرعي
الشافعي الدمشقي الشهير بالطيبي

الشيخ الإمام والحبر الهمام، شيخ الإسلام وعمدة الأنام، وبركة الشام وكعبة العلماء الأعلام، ونخبة ذوي المعارف في الأحكام، من انتهت رياسة العلوم إليه، واعتمد الكل في معرفة الصواب عليه، فهو السامي ذروة الفضل في تحقيق الفروع والأصول، والرامي بسهام معارفه شوارد المعقول والمنقول، والقاطف بأنامل أفهامه ثمرات الدقائق والراشف من مناهل العرفان زلال الرقائق. علامة الزمان وفهامة العصر والأوان، التقي العابد والنقي الزاهد، الذي شهد بكمال صلاحه الخاص والعام، ومال الجميع إليه في تمييز الحلال من الحرام.

ولد في بلاد عجلون سنة أربع وثمانين ومائة وألف، وقدم دمشق بعد المائتين فشمر عن ساعد الجد والاجتهاد وسعى في طلب العلم وتحصيل المراد، ولازم علماءها الأعلام وفضلاءها الكرام، وكان من أعظم شيوخه الشيخ محمد الكزبري والشيخ يوسف شمس وغيرهما، ولا زال يترقى إلى أن صار يلقب بين الناس بالشافعي الصغير. ثم إنه في آخر شعبان سنة ألف ومائتين وثلاث وستين قد حضر من أمير المؤمنين السلطان عبد المجيد خان مرسوم، بطلب المترجم هو ووالدي الشيخ حسن البيطار ذو المقام الموسوم، للدار العلية والعاصمة العثمانية، يدعوهما لحضور ختان أولاده الكرام ذوي المقام والاحترام، فلبى كل منهما الإجابة، وتوجه بعد أن ودع أحبابه، فلما أن وصلا تلقتهما أيدي التكريم، وأنزلتهما في منازل الاحترام والتعظيم. وكانا متلازمين على الدوام لا ينفكان عن الاجتماع لدى يقظة أو منام. وكان لهما القدر الأعلى والمقام الأجل الأجلى، وقد قصدهما الأفاضل من كل جانب لاغتنام ما لديهما من العلم الذي هو أسنى

المطالب ، وبعد مدة دعاهما حضرة السلطان إلى حضور الختان . فدخلا حرمه السعيد ، ودعوا لعلاه بالنصر والتأييد ، ثم بعد مدة من تمام الختان قدما للذات العلية عريضة الاستئذان ، وغب برهة من الزمن صدرت الارادة السلطانية بعودهما إلى الوطن ، فعادا اليه بكل سرور وكانت مدة غيبتهما أربعة شهور . ولما قربا من الشام وعلم الناس بحضورهما بسلام ، هرع لاستقبالهما الكبير والصغير والحقير والفقير ، وامتدت موائد السرور ودارت كؤوس الحبور ، وعلى كل حال فهذا المترجم من الأفراد ومن السادة القادة الأجواد ، وفي ثاني سنة من حضوره إلى الشام خطبته المنية لدار المقام ، وذلك في رمضان سنة أربع وستين ودفن في مقبرة الشيخ ارسلان على جادة الطريق رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الرحيم البرزنجي الشافعي الاشعري

عالم عامل وإمام فاضل وهمام زاهد وناسك عابد ، أخذ عن جملة من السادة وعن كثير من القادة الى ان شهدوا له بالكمال واجازوه بما تجوز لهم روايته عن الشيوخ الأبطال ، وممن اخذ عنه من الاكابر ذوي الفضل الوافر ، مولانا الشيخ خالد شيخ الحضرة الشافعي النقشبندي الدهلوي ، فلازمه للاستفادة والاقتباس من أنوار معارف تلك السيادة ، والانتشاق من عَبْهَره [١] والاجتناء من ثمره ، والاقتطاف من كمائم زهره ، والارتشاف من ضَرَب [٢] فكره ، ولقد اجاد من قال فيه من بديع قوافيه :

من اناس يحيا بهم كل ربع ... نزلوه فاستنطق الأوطانا
نزلوا طيبة فطاب ثراها ... فاسألا عن ثنائها القرآنا
وكرام ان حدثوا في ندي ... عطروا من بروده الأردانا

---

(١) العبهر : نبات النرجس والياسمين .
(٢) الضَرْب والضَرَب : العسل الأبيض الغليظ .

واناس منهم عليّ اناس مذ تساموا الى العلا أعْلانا
فاطميون يفطمون عن الغي نفوساً تهوى التقى إعـلانا
هم عيون من الوجوه وان هم حجبوا عن زهو الدنا الانسانا

فصرف المترجم الى العلوم العناية وأمسك بزمام الرواية والدراية ، وأحيا مآثر اجداده واشتهر صيته في حاضر قطره وباده ، وسقى رحيق تحريره بكؤوس تقريره وتحبيره كلّ معاصر ذكي وجهبذ سامي الجد زكي ، وتقي فائض الأسرار وصوفي صفا ورده من الأكدار ، وأعمل اقلامه ليرفع من شرع جده أعلامه ، ويُضحك من السنة ثغراً اضحك الله سنه ، وداوى بمعارف اسناده وتنظيره وايراده كلوم البحث والمناظرة ، واجرى كميت انظاره فأفحم مناظره ، ونظر في الحكمة فكان مركز الدائرة ، وعرف علماء قطره فضلَه الذي يُري انه بدر عصره ، واقروا بأنه من الحكمة اللسان ومن عين النظر الإنسان . واقبلوا اليه فرادى ومثنى ، وزينوا من جواهر خاطره لكل فكر نحرا واذنا :

يكاد اذا تصبب في حديث يضارع مالكا حفظاً وضبطا
فقل للسامعين له اصيخوا لقول صار للأفكار سمطا
متى اصغى له ندب بسمع يجد منه لذاك السمع قرطا

وأضاف الى العلوم النقلية ما هو عقد في نحرها من الدلائل العقلية ، وتجلى على موجهات الشمسية الى أن دعي ابن بجدتها في الناحية الكردية .

لنا من أولى البيت المطهر سادة يداوون للأحكام للملة الكلما
فوارس يقرون العداة صوارما ويقرون مهديا الى سبلهم علما
فما مثلهم في العلم يوماً رأيته اذا نظروا أجلوا عن المشكل الظلما
وان قرروا في حلبة الدرس ذقت من مقاولهم عذبا تخيّلُه الظلما (١)
وللمرتضى عبد الرحيم مباحث اذا امتص منها الفكر لم يذق السقما

(١) الظَّلْم : الثلج ، بريق الأسنان .

مباحث فيهـا للنبي سرائر ... لطفن فاحيت من مطالعها الفهما
اذا نظمت في عقد درس وعابها ... حواسده قالوا هي الدرة العصما
مباحث ان قال المعاصر انهـا ... جواهر قلنا الدر من سمة الدأما (١)
فلا تنكروامنه فرائد زَينَتْ ... من الكردماضاهى باعلامةالشاما
اذا نفحت من افق درس تشيمها ... شمائل تستدعي من الناشق الشما
وان اسفرت في ليلة مدلهمة ... ارتك لأقمار الهدى القمر التما
فيحيى به يحيى اذا ما تفجرت ... ينابيع افكار له تبهر الحصما
يقرر من قول النبي فتنبري ... دقائق بالتقرير تستغرق الوهما
فيا زمناً حلاه لؤلؤ فكره ... تنور بمـا أبداه للحكم النجما
فتقريره التنوير للفكر عن صدى ... وتحريره منهاج من هديه أمـا
أهب على الطلاب أنفاس بحثه ... فأحيا بأرواح الذكا للهدى الجسما
وأقرأ من لم ينظر العصرُ مثلَهُ ... بعين ولا جاراه ذو فطنة علما
يمين التقى لا بل يسار مؤمل ... إليه أتى يشكو من الزمن العدما
ومحيي دروس العلم بعد دروسها ... بذهن إذا ما مد علماً حكى اليما
فتى عبشميا مـا وجدنا نظيره ... بزهد أرانا أنه البدر أو أسمى

توفي المترجم عام الف ومائتين واثني عشر .

الشيخ عبد الرحيم الزياري المعروف بملا زاده الشافعي الاشعري

العلم المفضال ، والأوحد الذي لم يزل مشاراً إليه بكل كمال ، والعلم الفرد في محاسن الأخلاق والخلال ، والجهبذ الهمام الذي نال بغية الآمال ، والحَبْرُ الذي لنحر العلوم نحر ، والبحر الذي بالدر المنثور تلاطم وزخر ، والألمعي الذي أدلة ألمعيته شواهد على أعلميته . سطعت أنواره في الأكراد ،

(١) الدأماء : البحر .

وتفجرت ينابيع حكمه في كل واد ، وأزهرت رياض تقريره في كل فؤاد، فهو الإمام الذي شكرت المعضلات فكره ، وعجز معاصره أن يقدر قدره ، لم يدع من الفنون فنا إلا ارتقاه ، ولا نوعاً غريباً إلا اختباه وانتقاه ، ولا خفيا من المشكلات إلا أبان محياه ، ولا دنا من دنان المباحثات إلا ارتشف حمياه ، ولا واديا من التحقيق إلا سلكه ، ولا ارتدى بُردَ تحرير إلا وشّاه وحبكه ، مع دين يشهد أعداؤه بمتانته وزهد ظهارته كبطانته ، وصبر على مضض الأيام يظهر له أنه في الكمال إمام أي إمام، وله من التحابير أحسن التحارير ، وبدائع بيان هي البديع والبيان ، وكان من أعظم المقاصد للمداح بالقصائد ، ولذلك قال عثمان افندي بن سند أمدنا الله وإياه بوافر المدد :

قصائد لم يطربن إلا لأنها ... لها من عُلا عبد الرحيم مساند
إمام زكا عرقاً فأضحى محله ... له سمرت فوق السماك مصاعد
تجسد من علم فقد قال إنه ... عباب ففيما قال لاحت شواهد
تقارير أما زهرها فسوائر ... ولو انها كالخالدات خوالد
فوائده في الدرس هن فرائد ... ولو انها للدارسين موائد
قواعد أبداهن غرا يزينها ... نوادر في الآفاق هن الشوارد
إذا جال في بحث رأيت به فتى ... له طاب من بحث العلوم الموارد
له غرر لماعة وبراعة ... لها من بديع النظم سارت أوابد

توفي المترجم عام الف ومائتين واثني عشر .

الشيخ عبد الرسول البخارلي الحنفي النقشبندي

العالم في الشريعة والحقيقة ، المرشد الكامل في آداب الطريقة ، كان أديباً كاملاً وهماماً فاضلاً ، آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ، ماجلس في

مجلس إلا وعظ وذكّر ، جواد كريم لطيف رحيم ، كثير الوداد جميل الترداد . يسعى ماشياً من مكان إلى مكان لزيارة الأحباب والاخوان ، وله أمور باهرة وكرامات ظاهرة ، ما رآه إنسان إلا وأحبه وأخلص له في المحبة ، وحينما ورد من بخارى إلى الشام أقبل عليه الخاص والعام ، وكان يصرف صرف الأكابر والأعيان ولم يعلم له جهة ولا اعتماد على إنسان . ولم يزل على حاله من سلوكه في مناهج كماله ، إلى أن توفي نهار الأربعاء الخامس والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة سبع وتسعين ومائتين والف ودفن في تربة الدحداح رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الستار افندي بن الشيخ ابراهيم افندي بن الشيخ علي افندي الاتاسي مفتي مدينة حمص البهية

العالم العامل والحبر المدقق الكامل ، والدر المختار لتنوير الأبصار ، وامداد الفتاح للصعود على مراقي الفلاح ، فلا ريب انه محيي ربع العلم بعد اندراسه ، ومنير كوكب الفضل بعد انطماسه ، وقد استوى على عرش الورع والعبادة ، واحتوى على مايوجب التقدم للمعالي والسيادة .

ولد في طرابلس الشام وتربى على أيدي السادة الكرام ، فأكب على تحصيل العلم من صغره ، كما أنه تجرد لحسن العمل في كبره ، وتولى رحمه الله التدريس في الجامع النوري . وقد حضر إلى دمشق المحمية ، فأقبل على الأخذ عن علمائها بهمة قوية كالشيخ محمد الكزبري عمدة الأخيار ، والشيخ محمد بن عبيد العطار . وأخذ الفقه على مذهب أبي حنيفة النعمان عن الشيخ نجيب القلعي والسيد شاكر العقاد وغيرهما من العلماء الأعيان . وكان مكملاً في العلوم من منطوق ومفهوم ، تهابه القلوب لفضله وتعظمه ، ويجله العموم ويحترمه ، مع انه لا تأخذه في الله لومة لائم ،

ولا تدنيه الأماني من المعاطب والمآثم ، وله شعر لطيف رقيق ، ونثر أعذب من الرحيق ، ومفاكهات أدبية ، ومناسبات لما يخل بالأدب أبية .

توفي رحمه الله في معان بعد اداء الحج الشريف ودفن هناك وقبره على يسار الداخل الى معان من جهة الحجاز ، وقد صين قبره باربعة جدر من اللبن ، وما شاع عند أهل معان من أن صاحب هذا القبر اسمه الشيخ عبد الله فهو مما جرت به العادة بين الناس غالبا من أن كل من مات غريبا في محل وكان ذا قدر ولم يعرفوه فانهم يسمونه بالشيخ عبد الله ، والتحقيق أن هذا المقام مقام المترجم المرقوم كما هو محقق عند أهالي حمص خلفا عن سلف ، وكان قد حضر دفنه في هذا المحل جماعة من أهل حمص ، وكانت وفاته سنة خمس وأربعين بعد المائتين والالف رحمه الله تعالى .

وقال هذا الموشح في مدح الشام :

حبذا الشام مقر الشرفا ... وديار الانس فيها وطني
صانها المولى لطيف اللطفا ... من صروف الدهر طول الزمن

دور

كم بها الاخبار حقا وردت ... وأحاديث روتها العلما
وكذا الابدال فيها سكنت ... وخيار من خيار الكرما
خيرة الله تعالى قد غدت ... واليها يجتبي أهل الحمى
فهي دار الأتقياء الحنفا ... من بهم يشفى عليل البدن
كنبيّ الله يحيى ذي الوفا ... وكذي الكفل جزيل المنن

دور

جامع الأمويّ حاوي العابدين ... في دياجي الليل والناس نيام
في خشوع لو تراهم ساجدين ... ووجوه زانها نور القيام

يسألون الله رب العالمين جنة الفردوس في دار السلام
وجوار الهاشميّ المصطفى أحمد المختار أوفى محسن
من له قلب رحيم قد صفا والد الزهراء جد الحسن

دور

كم رياض مع غياض حولها وبساتين زهت بالنيربين
وقصور عاليات كم لها وعيون فائقات كل عين
وسرور وحبور حلها تجمع الشمل الذي من بعد بين
طالما قضيت عمراً سلفا بين أحباب وشهم فطن
حينما قد كنت صبا دنفا خالي الافكار في عيش هني

الشيخ عبد السلام بن الشيخ عبد الرحمن بن المرحوم الشيخ مصطفى الشطي الحنبلي الدمشقي

كان عالماً لطيفاً وأديباً كاملاً عفيفاً ، محبوباً بين الناس مطلوباً لكل جمال وإيناس ، حسن الخطاب محكم الجواب ، ناظماً ناثراً شاعراً .

ولد سنة الف ومائتين وست وخمسين ونشأ في طلب العلوم الشرعية والفنون الآلية والأدبية . وله قصائد كثيرة وموشحات شهيرة ، منها قوله عارضاً حديث الرحمة :

لقد روينا حديثاً عن مشايخنا مسلسلاً أوليّاً جاء منتظما
ان ترحموا ترحموا دنيا وآخرة فإنما يرحم الرحمن من رحما

وقال مخمساً بيتين للأمير منجك :

يا من تعرض للشقا لاتنس يوم الملتقى
ان رمت فوزاً في البقا اشغل فؤادك بالتقى
واحذر بأنك تلتهي واترك لغمر حاسد

واصحب لشخص ماجد واقصد لرب واجـد
واعمل لوجه واحد يكفيـك كل الأوجه

وقال في مدح الشيخ حسن الراعي :

في حاء حبك لم أزل مترقياً وبسين سرك لا أخاف ضياعي
وبنون نورك في الأنام مهابتي ورعايتي إذ أنت نعم الراعي

وقال في مدح كتابين حنبليين :

يا من يروم بفقهـه في الدين نيل مطالب
إقرأ لشـرح المنتهى واحفظ دليل الطالب

وقال مضمناً :

أجريت من شوقي اليك مدامعي وازداد من عشقي عليك تلهفي
لو كنت تعرف حالتي لرحمتني روحي فداك عرفت أم لم تعرف

مات رحمه الله تعالى ليلة الأربعاء تاسع شهر محرم الحرام سنة خمس وتسعين ومائتين والف ودفن في الذهبية في مرج الدحداح [١] .

---

(١) هو جدّ صديقنا الشيخ محمد جميل الشطي لأمه ، رحمهما الله تعالى . وقد ترجم له في « روض البشر ، في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر » ومما جاء في ترجمته قوله : ولد بدمشق (سنة ١٢٥٦ هـ) وجاء تاريخ مولده (بالحسن ظهر) وأخذ العلوم بدمشق عن مشايخ كثيرين منهم الشيخ حسن الشطي والشيـخ عبد الله الحلبي ، وعلى كل من الشيخ محمد الجوخدار والشيخ عمر العطار ، ولازم الشيخ سليم العطار الملازمة التامة ، وحضر عليه عدة كتب في التفسير والحديث ، ولازم أيضاً في الفقه وغيره سيدي العم الشيخ أحمد الشطي . وارتحل إلى الحجاز ومصر (سنة ١٢٧٤ هـ) و (١٢٨٤ هـ) فاستجاز الشيخ ابراهيم الباجوري ، والشيخ ابراهيم السقا ، والشيخ جمال المكي رئيس المدرسين بالمسجد الحرام ، وكتبوا له إجازات بخطوطهم الشريفة (ثم قال) : وقد طبعت له سنة ١٣٢٥ هـ ديواناً صغيرا ، جمت فيه أحاسن منظوماته ، نبلغ زهاء أربعمائة بيت في فنون شتى ، (قال العم) أي عم المؤلف مراد افندي : وقد ألف المترجم رسائل —

الشيخ عبد الصمد بن محمد الأرمنازي بن محمد الأرمنازي الشافعي الحلبي

الفقيه الأديب ، والكامل اللبيب ، مولده بأرمناز (قرية من أعمال حلب) ليلة الجمعة خامس عشر رمضان سنة ثلاثين ومائة والف ، ونشأ بها في كنف والده وقرأ القرآن وحفظه وتلاه مجوداً على الشيخ المقرىء يحيى بن الحسين الحلبي الزيات ، وتفقه بأبي الحسن علي بن عبد الكريم الأرمنازي ، وقرأ النحو وغيره من بقية الفنون ، وخطب بعد والده في جامع أرمناز كأسلافه ، ولهم زمان قديم في هذا المكان . ونظم الشعر وتعاناه ، وأقبل على مطالعة الدواوين الشعرية وكان متديناً كريماً جواداً صالحا ، ومن شعره يمدح النبي ﷺ :

لست أخشى ولي اليك التجاء ... يا نبياً سمت به الأنبياء
كنت نوراً وكان آدم طيناً ... فأضاءت بنورك الأرجاء
جئتنا من إلهنا بكتاب ... عربيٍّ عنت له البلغاء
أيها المادحون طيبوا نفوساً ... إن مدح النبي فيه الشفاء
ما رماني الزمان منه بسهم ... أو دهتني الخطوب والضراء
وتوسلت بالمشفع إلا ... داركتني الألطاف والسراء
قاب قوسين قد دنا فتدلى ... وتحلى لما أتاه النداء
كان جبريل بالبراق دليلاً ... حين أسرى به فنعم العطاء

ـــ لطيفة ، منها « تحفة أهل الإيمان ، بأدعية ليلة النصف من شعبان » و « مختصر كتاب الفرج بعد الشدّة » لابن أبي الدنيا ، و « نظم مولد الامام بحرق الحضرمي » واجتمع عنده من الكتب النفيسة ما لم يجتمع عند غيره ، فأوقف البعض منها ، وبيع غالبها في تركته اه باختصار .

وبدت حين وضعه معجزات ضاق عنها التعداد والاحصاء
وضعته والكون كان ظلاماً وعن الحق في القلوب عماء
فانتفى الغي حينما حل في الأر ض ونارت أقطارها والسماء
يا رفيع الجناب أنت المرجى في المهمات إذ يعم البلاء
كن مجيري يا خير هاد لأني ليس لي في الأمور عنك غناء

وله أشعار كثيرة ، وقصائد شهيرة . توفي بعد الألف والمائتين وخمسة .

السيد الشيخ عبد الصمد بن عبد الرحمن الجاوي

أوحد العلماء مفرد الفضلاء ، الولي التقي والعارف النقي ، قال في النفس اليماني : وفد إلى مدينة زبيد عام الف ومائتين وستة ، وكان من العلماء العاملين ومن المتفننين في سائر العلوم ، أخذ عن عدة من علماء عصره وفضلاء مصره ، منهم الشيخ ابراهيم الرئيس ، والشيخ محمد مراد ، والشيخ عطاء المصري ، والشيخ محمد الجوهري ، والشيخ محمد الكردي وغيرهم . ثم أقبل على علم التصوف وكان جل اشتغاله باحياء علوم الدين درساً وتدريساً[1] ، وصار يدعو الناس إلى الاشتغال به ويعظم شأنه ويكثر من ذكر فوائده ، وأن من أقلها أن ينكشف للمشتغل به والمقبل عليه عيوب نفسه ونقصها وتقصيرها ، ويكون ذلك بعد توفيق الله سبحانه عاصماً له عن الغرور ، وقيل في هذا المعنى :

يا رب إن العبد يخفي عيبه فاستر بحلمك ما بدا من عيبه
ولقد أتاك وما له من شافع لذنوبه فاقبل شفاعة شيبه

ثم انه قد كثر من زمن الأولين الاعتناء والمطالعة في كتاب « إحياء

(١) له كتاب « فضائل الاحياء للغزالي » .

علوم الدين » حتى ان بعض علماء المغاربة ألف كتاباً حافلاً في فضائل الاحياء . ومما يحكى أن رجلاً من المشتغلين به اطلع على كتاب تنبيه الأحيا على أغاليط الإحيا ، فأقبل على مطالعته فما أتمه إلا وقد ذهب بصره ، فأكثر من البكاء والتضرع إلى الله عز وجل وعرف السبب وتاب إلى الله عز وجل ، فرد الله عليه بصره . انتهى قال شيخ الاسلام ابن تيمية : وكلامه في الاحياء غالبه جيد ، لكن فيه أربع مواد فاسدة : مادة فلسفية ، ومادة كلامية ، ومادة الترهات الصوفية ، ومادة من الأحـــاديث الموضوعة . وبينه وبين ابن عقيل قدر مشترك من جهة تناقض المقالات المصنفات . قال الشيـخ حسين بن عبد الله الحضرمي في حق الاحيا : يداوى به من سموم الغفلة ويوقظ علماء الظاهر ، ويوسع للعلماء الراسخين ، ومن أنكر عليه فهو خارج عن الصواب . ولا عبرة بقول محمد صديق حسن خان في كتابه المسمى بالتاج المكلل فإنه قال : وهو لا شك كذلك لكن بعد حذف المواد الفاسدة المشار اليها ، ومثله كتابه الآخر المسمى بكيمياء السعادة . انتهى قال صاحب النفس اليماني : قرأت على المترجم من أول كل ربـــع شيئاً وأجازني ، وكان لا يرى للدنيا قدرا ، اتصف بالسماحة وبذل المال ما أمكن . توفي سنة الف ومائتين و . . . .

السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود الثاني

تولى الملك بعد أخيه السلطان عبد المجيد وكان سلطاناً مهاباً جسوراً ذكياً نبيهاً عارفاً بدقائق السلطنة ، تولى الملك سابع عشر ذي القعدة الحرام سنة الف ومائتين وسبع وسبعين ، وفي سنة ثمان وسبعين أظهر أهل الجبل الأسود العصيان فأرسل اليهم من أرجعهم إلى الطاعة بعد حرب عظيم ،

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين والف أظهر العصيان أهل جزيرة كريد وكثير من البندقية ، فجهزت الدولة جيوشها براً وبحراً وكذلك جهز صاحب مصر جيوشاً كثيرة فكانت مع عساكر الدولة ، ووقع بينهم وبين العصاة حرب شديد كان النصر فيه لعساكر المسلمين ، وأذاقوا العصاة الوبال ، وأرجعوهم إلى الطاعة والاعتدال . وفي سنة تسع وسبعين توجه المترجم الى الديار المصرية للتنزه والتفرج ، وكان ذلك في ولاية اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا . وفي سنة أربع وثمانين توجه الى باريز تخت ملك الفرنسيس ، وكان قد دعاه نابليون حينما دعا عدة من الملوك العظام ، وكان في رحلته هذه قد مر على أدرنة وعلى قلعة بلغراد ، وكان السرب قد طلبها منه فأعطاهم إياها ، فحين عاين تحصينهـــا غضب لذلك ، وكانوا أخبروه أنها مهدومة وانها مدينة كاسدة ، فلما رآها ندم حيث لا ينفع الندم . وفي سنة ثمان وثمانين أرسل جيشاً عظيماً تحت قيادة رديف باشا إلى بلد عسير حينما خرجوا عن طاعته ، فهزمهم وقتل أميرهم محمد بن عايض ابن مرعي ، وقتل كثيراً وأمر كثيراً وأرسلهم إلى الآستانة ، وصارت بلاد عسير في حكم الدولة منضمة الى ولاية صنعا واليمن ، وفي هذه السنة أيضاً كانت فتنة عظمى بين المانيا وفرانسا آل الأمر فيها الى هزيمة الفرنسيس وأسر ملكهم نابليون الثاني . وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف سابع شهر جمادى الأولى خلع المترجم المشار اليه ومات بعد خمسة أيام ، وعمره ثمان وأربعون سنة ، ومدة سلطنته ست عشرة سنة وأربعة أشهر رحمه الله تعالى . وقد أشيع انه قتل نفسه بمقص قص به عرقاً في ذراعه فمات ، وفي سنة ثمان وتسعين ومائتين والف نفي جماعة من الوزراء إلى الحجاز ، فحبسوهم في قلعة الطائف ، منهم : مدحت باشا ومحمود باشا داماد[1]

---

(١) صهره زوج بنته .

مولانا السلطان عبد الحميد ، ونوري باشا داماد حضرة السلطـــان المتقدم ذكره ، ومعهم جماعة آخرون منهم : شيـخ الاسلام خير الله افندي . وفي سنة ثلاثمائة توفي مدحت باشا ومحمود باشا الداماد في القلعة المذكورة ، وكان خلع السلطان عبد العزيز سبباً لاضطراب كثير وحوادث شتى .

وكان القائم أكمل القيام في خلعه حسين عوني باشا ، وكان السلطان عبد العزيز هو الذي رقاه وأعلى قدره إلى أن جعله رئيساً على العساكر كلها ، بل جعله مقدماً على جميع أهل الرتب والمناصب ، فكافأه الباشـــا المذكور على هذه الأمور العظيمة بأن أدخل في أفكار الوزراء أن السلطان المذكور قد تداخل مع الروسية ، وانه يريد أن يملكهم دار السلطنة ، ولا زال هو ومن اتفق معه يسعون في الفساد ويدبرون التسلط على خلعه ، إلى أن تم لهم ذلك فخلعوه ووضعوا مكانه السلطـــان مراد ، ابن أخيه السلطان عبد المجيد . فقدر الله تعالى ان رجلاً يقال له حسن جركس وكان السلطان عبد العزيز المومى اليه متزوجاً باخته فأخذته حمية على السلطان عبد العزيز ، فصمم على قتل حسين عوني باشا ، ودخل عليه في دار الصدر الأعظم محمد راشد باشا فوجده مع جماعة من الوزراء مجتمعين للمشاورة في بعض الأمور ، وكان مع حسن چركس فرد[1] بست طلقات فقتل به حسين عوني باشا ومعه جماعة من الوزراء ، ثم قبضوا على حسن جركس وقتلوه .

وكان موت المترجم كما تقدم سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف سابع جمادى الأولى .

---

(١) مسدّس .

الشيخ عبد العليم بن محمد بن محمد بن عثمان
المالكي الازهري الضرير

الإمام الفاضل العمدة الصالح الكامل ، عمدة الخلف ونخبة من أتقن العلوم وعرف ، حضر دروس الفاضل الشيخ علي الصعيدي رواية ودراية فسمع عليه جملة من الصحيح والموطأ والشمائل والجامع الصغير ومسلسلات ابن عقيلة ، وروى عن كل من المولوي والجوهري والبليدي والسقاط والمنير والدردير والتاودي ابن سودة حين حج ، ودرس وأفاد . وكان من البكائين عند ذكر الله سريع الدمعة كثير الخشية ، وكان يعرف أشياء في الرقى والخواص وفوائد القرينة وأم الصبيان ، ثم ترك ذلك لرؤيا منامية رآها وأخبر بعض خواصه بها . أقول : ان كل ما أذن به الشارع ﷺ لا بأس به ، وقد أذن النبي ﷺ بالرقى فكان إذا أتى المريض فدعا له قال : أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقما . وكان يأخذ من ريقه على إصبعه شيئاً ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء فيمسح بها على الموضع الموجوع ، ويقول : تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا . وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه قال : قدمت على النبي ﷺ ولي وجع قد كاد يبطلني فقال لي النبي ﷺ : اجعل يدك اليمنى عليه وقل : بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات ، فقلت ذلك فشفاني الله . وعن أبي سعيد أن جبرائيل أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد اشتكيت قال : نعم قال : بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين أو حاسد الله يشفيك ، بسم الله أرقيك . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء النبي ﷺ يعودني فقال لي : ألا أرقيك برقية جاءني بها جبرائيل

قلت : بأبي وأمي بلى يا رسول الله ، قال : بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء فيك ، من شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد . توفي المترجم رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة ومائتين والف ، ودفن ببستان المجاورين بمحفل عظيم من العلماء والأعيان .

السيد عبد الغفار بن السيد عبد الواحد بن السيد وهب المعروف بالاخرس

أديب قد تحلى كلامه بقلائد العقيان [1] ، ولبيب قد احتوى نظامه على بلاغة قس وفصاحة سحبان ، فهو الفرد الذي جرت في بحور شعره سفن الأذهان ، ودارت على الندمان كؤوس نثره ونظمه فأغنتهم عن الحان والألحان .

ولد في بلدة الموصل بعد المائتين والعشرين والألف من الهجرة النبوية ، ونشأ في مدينة دار السلام المحمية ، ولم يزل يجول في نواحي العراق مرتحلاً وحلاً ، تارة مثرياً وتارة مقلاً ، فتارة في البصرة وتارة في بغداد ، يتنكب الأغوار منها والأنجاد . وفي ابان صباه كان قد أرسله المرحوم الوزير الخطير والمشير الكبير ، حضرة داوود باشا والي بغداد ، عليه رحمة الملك الجواد ، إلى بعض بلاد الهند ليصلحوا لسانه عن الخرس ، وما كان فيه من الكلام قد احتبس ، فقال له الطبيب : أنا أعالج لسانك بدواء ، فإما أن ينطلق وإما أن تسارع إلى دار البقاء ، فقال له وهو منه نافر وعنه مغضي ، إنني لا أبيع كلي ببعضي ، واتبع طريق الصواب والسداد ، وكر راجعاً إلى بغداد . وبقي فيها مدة يكابد منها بعضاً من اليسر وبعضاً من الشدة . وفي عام التسعين بعد المائتين والألف عزم على

---

(١) جمع قلادة ، ما جعل في العنق من الذهب الخالص .

التوجه إلى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، وكان ذلك الأثناء في البصرة الفيحاء ، فتمرض هنالك بعد أن أقعد فرجع إلى مدينة الزوراء دار السلام ، يكابد الشدائد والآلام ، ثم في شهر رمضان من ذلك العام ، عاد أيضاً إلى البصرة وبه من المرض حسرة وأي حسرة ، وصار نزيلاً في دار ذي المقام الموفور ، الشهم الكامل الشيخ أحمد نور . فلم يزل يثقل به المرض من جهة ما عرض لجوهر حياته من أنواع العرض ، إلى حين الزوال من يوم عرفة فتوفاه الله ، وكان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله محمد رسول الله . فتأسف عليه الخاص والعام ، وقالوا ان الأدب قد طويت اعلامه بعد هذا الهمام ، فشيع جنازته أفاضل البصرة وبقلوبهم على فقده حسرة وأي حسرة ، وأقيمت الصلاة عليه بعد صلاة العيد ، وكان ذلك المشهد دليلاً على انه ختم له بالختم السعيد ، فدفنوه بمقبرة الامام الحسن البصري خارج قصبة سيدنا الزبير ، لا زالت تنهل عليه هواطل الرحمة والخير ، فهناك طواه ضريحه ، وخفقت بحور شعره وأدبه بعد أن سكن ريحه ، وانقض بموته ذلك البنيان ، ونطقت أفواه نظمه بعد أن سكن منه اللسان ، وانطفا نور ذياك الجنان ، فسقط بسقوطه نجم النظم والبيان ، وأضحى داثر الأثر خفي العيان .

وكان رحمه الله حسن العقيدة سلفي الأثر ، ساكناً بجانب الكرخ من بغداد ، علوي النسب المفتخر . وقد ناهز عمره السبعين ، فلا زالت رحمة المعين تتولاه كل حين . ومن قصائده الحسان ، التي اشتهرت في البلدان :

أتراك تعرف علتي وشفائي ... يا داء قلبي في الهوى ودوائي

ما رق قلبك لي كأن شكايتي ... كانت لمسمع صخرة صماء

والشوق برح بي وزاد شجونه ... بأشد ما ألقى من البرحاء

عجباً لمن أخذ الغرام بقلبه أنى يعد به من الأحيـاء
هل يعلم الواشون ان صبابتي كانت بلحظ مَهاً وجيد ظباء
وتجرعى مضض الملام من التي حلت عقيب الجزع في الجرعاء
لم يحسن العيش الذي شاهدته من بعد ذات الطلعة الحسناء
فمتى ابل صدى بمرشف شاذن نقض العهود ولا وفى لوفائي
وجفا ومل اخا الهوى من بعدما كنا عقيدي الفـة وإخـاء
ونأى بركب الظاعنين عشية اين الركاب وأين ذاك النائي
أصبحت لما ماس عدل قوامه أشكو طعان الصعدة السمراء[1]
وأجيب سائل مهجتي عن دائها دائي هواك فلا بليت بدائي
لم يدر واللعس المنع طبه ان الدواء بمقتضى الادواء

إلى آخرها وهي طويلة ومن قوله رحمه الله :

هل تركتم غير الجوى لفؤادي أو كحلتم عيني بغـير السهاد
قد بعدتم عن أعين فهي غرقى بدموعي ولي فؤاد صـادي
ثم وكلتمو السهاد عليهـا يمنـع العين عن لذيذ الرقاد
من مجيري من الاحبـة يحفو ن وتعدو منهم عليّ العَوَادي
علموا انني عليـل ومن لي ان أرى طيفهم من العوّاد
نزلوا وادي الغضا فكأن الـ ـدمع مني سيول ذاك الوادي
تركتني اضغانهم[2] يوم بانوا وحـدا فيهمو من البين حادي
بين دمع على المنـازل موقو ف وشمل مشتت بالبعـاد
وفؤاد يروعـه كل يوم ذكر أيامنا الحسان الجياد
يا رفيقي وأين عهـدك بالجز ع سقاه الغمام صوب عهاد

---

(١) الرمح المستوي المستقيم .
(٢) الأضغان : ج ضِغن وهو الشوق .

إلى آخرها وله أيضاً :

أتنكر منك ما تطوي الضلوع ... وقد شهدت عليك به الدموع
ولولا أن قلبك مستهام ... لما أودى بك البرق اللموع
ولا هاجت شجونك فاتكات ... تكتم ما تكابد أو تذيع
تشوقك الربوع وكل صب ... تشوقه المنازل والربوع
ليال بالتواصل ماضيات ... بحيث الشمل ملتئم جميع

ومن كلام المترجم أيضاً :

بارق لاح فأبكاني ابتساما ... نبه الشوق من الصب وناما
ولمن أشكو على برح الهوى ... كبداً حرى وقلباً مستهاماً
ويح قلب لعب الوجد به ... ورمته أعين الغيد سهاما
دنف لولا تباريح الجوى[1] ... ما شكا من صحة الوجد سقاما
ما بكى الا جرت أدمعه ... فوق خديه سفوحاً وانسجاما
وبما يسفح من عبرته ... بَلَّ كُمّيه وما بل أواما
ففؤادي والجوى في صبوتي ... لا يلان جدالا وخصاما
ليت من قد حرموا طيب الكرى ... اذنوا يوماً لعيني أن تناما
منعونا أن نراهم يقظة ... ما عليهم لو رأيناهم مناما
قسما باللوم والحب وان ... كنت لا أسمع في الحب ملاما
والعيون البابليات التي ... ما أحلت من دمي الاحراما
وفؤاد كلما قلت استفق ... يا فؤادي مرة زاد هياما
ان لي فيكم ومنكم لوعة ... انحلت بل أوهنت منى العظاما
وعليكم عبرتي مهراقة ... كلما ناوحت في الايك حماما
ومتى يذكركمو لي ذاكر ... قعد القلب لذكراكم وقاما

---

(١) شدة الوجد .

يا خليلي ومـــالي ان أرى بعد ذاك الصدع للشمل التئاما
احسب العام لديكم ساعـــة وأرى بعدكمو الساعة عاما
لم يدم عيش لنـا في ظلكم أي عيش قبله كان فداما
حيث سالمنا على القرب النوى وأخذنا العهد منها والذماما
ورضعنا من أفاويق الطلى (١) وكرهنا بعد حولين الفطاما
اترى ان الهوى ذاك الهوى والندامى بعدنا تلك الندامى
كلما هبت صبا قلت لهـــا بلغيهم يا صبا نجـــد سلاما
وبنفسي ظـــالم لا يتقي حوبة (٢) المضنى ولا يخشى اثاما
ما قضى حقا لمفتون بـــه ربما يقضي وما يقضي مراما
لو ترشفت لمـــاه لم أجد في الحشا نارا ولو شبت ضراما
ولأطفأتُ لظى نار الجوى ولعفتُ الماء عذباً والمداما
شدّ ما مرّ جفـــا مستعذب من عذابي فيه ما كان غراما

الى آخرها وهي طويلة وقال :

وظبي دعتني للحروب لحاظه وهيهات من تلك اللحاظ خلاص
تصدى لحرب المستهام وماله سوى اللحظ سهم والنقاب دلاص (٣)
فلما أجلت الطرف أدميت خده وأدمى فؤادي والجروح قصاص

ومن قوله :

وأقمـــار غربن فليت شعري الا بعد الغروب لها طلوع
أمرت القلب ان يسلو هواها على مضض ولكن لا يطيع
وما أشكو الهوى لو أن قلبي تحمل بالهوى ما يستطيع

وقال :

وغادة لو بروحي بعت رؤيتها لكنت والله فيها غير مغبون

---

(١) الأفاويق : ج فيقة وهي ما يجتمع في الضرع من اللبن بين حلبتين . والطلى : اللذة ، والطلى : الهوى .
(٢) الحوبة : الاثم .
(٣) الدلاص أراد بها الدرع ، يقال : درع دلاص : أي ملساء لينة .

ماالبدر والغصن أحلى من شمائلها كأنها من بنات الحور والعين

وقال :

أنعم علي بشيء أستعين به على المسير لعل الله يشفيني

أقضي بنعماك أوقاتا أعيش بها وان أمت فهي تكفيني لتكفيني

وقصائده كثيرة وأشعاره شهيرة (٣) ، رحمة الله عليه وعلى والدينا ووالديه .

عبد الغفور الكردي الكركوكي النقشبندي الخالدي

العالم المحقق والفاضل المدقق ، كنز المعارف ومدار اللطائف ، وقطب الارشاد ومنهج الصواب والسداد . أخذ عن شيوخ زمانه وعمدة وقته وأوانه ، وأفاد واستفاد وكان للمريدين أحسن مراد . ثم أخذ الطريق عن علامة الدنيا ومرشدها مولانا الشيخ خالد ، وبعد أن رأى فيه كمال الاستعداد أذن له بإعطاء الطريق والارشاد ، فاشتغل بالطريق على العهد الوثيق ، وحصل منه النفع التام وعرف بالكمال بين الأنام . وكانت وفاته رحمه الله بعد الألف والمائتين والأربعين .

عبد الغفور الخالدي الشاهدي البغدادي

العالم الفقيه والولي المرشد الكامل النبيه ، العارف بالله والمستغرق في حب مولاه ، صاحب الأنفاس القدسية والمعارف الأنسية ، مربي السالكين ومفيد الواصلين ، فانه سلك أولاً على يد السيد عبيد الله الحيدري فلما دخل دائرة الكمال واستوى في تربيته على دائرة الاعتدال ، خلفه حضرة مولانا خالد خلافة مطلقة وذلك حين عود الأستاذ المرقوم من البلاد الهندية ، إلى البلاد العراقية ، سنة ست وعشرين ومائتين والف . وأذن له بالارشاد في مدينة بغداد . ولهذا المترجم كرامات وخوارق عادات ، قد ذكر بعضها صاحب المجد التالد . توفي المترجم سنة الف ومائتين ونيف وثلاثين غالبا .

(١) له ديوان شعر مطبوع ، واسمه : « الطراز الأنفس في شعر الأخرس » .

الشيخ عبد الغني بن محمد هلال مفتي السادة الشافعية بمكة المكرمة

الإمام المتحلي بحلية الكمال ، والمحتوي على أفضل الشمائل وأجمل الخلال . وكان معروفاً بالعبادة والتحقيق والزهادة والتدقيق ، واليد الطولى في المعارف والفهم العالي في عويصات العوارف .

ولد بمكة المكرمة ونشأ بها وأخذ عن علمائها وحضر مجالس فضلائها ، ومن أجلهم عمه السيد سعيد سنبل والعلامة الشيخ عمر باعلوي سبط العلامة البصري ، وبرع في العلوم وفاق في معرفة المنطوق والمفهوم ، وتولى افتاء السادة الشافعية وأخذ عنه فضلاء السادة الحجازية ، توفي ليلة الخميس لثلاث مضين من شعبان المعظم سنة اثنتي عشرة ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الغني بن عبد القادر الشهير كأسلافه بالسقطي الدمشقي

الصالحي الشافعي ، من الشيوخ المتقدمين في الفضل والعلوم ، والأفراد المعروفين بجولان ميدان المنطوق والمفهوم . زينة العُباد من العباد ، وصفوة الزهاد والسادة الأمجاد .

ولد سنة خمس وستين ومائة والف ، ونشأ في حجر والده المذكور وأخذ عنه وعن الشهاب أحمد المنيني ، وعن العلامة الشيخ علي السليمي الصالحي ، ودرس في السليمية وكان تقياً صالحاً ونقياً في العبادة ناجحا ، وقد قرأ والدي عليه أكثر الفنون ، وحصل له به الفضل المصون ، ومن جملة ما قرأ عليه مؤلفات القاضي زكريا الأنصاري ، وأجازه بسند مذكور فيه رجاله بتواريخهم إلى القاضي المرقوم ، فأحببت ذكره كذلك تتميما للفائدة أقول : يروي والدي المولود سنة ١٢٠٦ والمتوفى سنة ١٢٧٢

وقد عاش ٦٦ سنة عن شيخه الشيخ عبد الغني المرقوم المولود سنة ١١٦٥ والمتوفى سنة ١٢٤٦ وعاش ٨١ سنة عن الشهاب أحمد المنيني ولد سنة ١٠٨٩ وعاش ٨٣ سنة ومات سنة ١١٧٢ عن الشيخ عبد الغني النابلسي ولد سنة ١٠٥٠ وعاش ٩٣ سنة ومات سنة ١١٤٣ عن النجم الغزي الدمشقي ولد سنة ٩٧٧ وعاش ٨٤ سنة ومات سنة ١٠٦١ عن والده البدر الغزي ولد سنة ٩٠٤ (١٤ ذي القعدة) ومات سنة ٩٨٤ عن شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري ولد سنة ٨٢٥ وعاش ١٠١ سنة ومات سنة ٩٢٦ وبهذا السند بعينه يروى تأليف ابن حجر الهيثمي المكي ولد سنة ٩٠٩ وعاش ٦٥ سنة ومات سنة ٩٧٤ ويروى مؤلفات الشمس الرملي بهذا السند إلى النجم الغزي التهاوي عن الرملي ولد الرملي سنة ٩١٤ وعاش ٩٠ سنة وتوفي سنة ١٠٠٤ ويروى بالسند المرقوم للبدر الغزي عن السيوطي : تأليفات السيوطي ولد السيوطي سنة ٨٤٩ وعاش ٦٣ سنة وتوفي سنة ٩١٢ وبالسند المرقوم إلى البدر الغزي عن الشهاب الرملي الكبير توفي سنة ٨٥٧ ويروى كتب العارف بالله الشيخ محيي الدين العربي عن الشهاب المنيني ، عن العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي ، وأبي المواهب الحنبلي ، عن النجم الغزي ، عن البدر الغزي ، عن القاضي زكريا الأنصاري ، عن أبي الفتح المراغي ، عن القطب اسماعيل الجبرتي ، عن القطب الواني ، عن الشيخ الأكبر قدس الله سره ، ورضي الله عنهم أجمعين .

الشيخ عبد الغني بن محمد شريف بن أبي المعالي محمد الغزي العامري الدمشقي (١)

ولد بدمشق في شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين ومائة والف ،

---

(١) هو شقيق السيد كمال الدين الغزي صاحب طبقات الحنابلة والتذكرة الكمالية والوارد الأنسي وغيرها ، وهو جد جميع الموجودين الآن (سنة ١٣٢٤) من بني الغزي والمترجم أدب وشعر (من روض البشر للشطي) .

ونشأ في حجر والده المرقوم المولود سنة خمسين ومائة والف ، والمتوفى سنة ثلاث ومائتين والف ، والمدفون في مرج الدحداح .

وقرأ المترجم على سادات عظام وعلماء كرام ، إلى أن صار من أعلم علماء الديار الدمشقية . وتولى من بعد والده إفتاء الشافعية . وهذه الوظيفة قد توارثوها عن آبائهم إلى الجد الأعلى الشهاب أحمد الغزي المولود في غزة سنة ستين وسبعمائة ، وتوفي في دمشق الشام يوم الخميس سادس شوال سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ، وكانت وفاة صاحب الترجمة عاشر ربيع الثاني سنة الف ومائتين وست عشرة ، ودفن في مرج الدحداح رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الغني السادات الدمشقي الحنفي

الإمام الكامل والعمدة الفاضل ، زين العلماء وصفوة الفضلاء . له تقييدات لطيفة ورسائل شريفة . مات سنة خمس وستين ومائتين والف ودفن في الدحداح . وكان له أخذ عن سيدي الوالد ، وله عليه اعتماد زائد . ولما ألف رسالته في حكم الحائط المشترك أرسل هذه الأبيات لسيدي الوالد ضمن مكتوب طويل محتو على نثر بديع جميل ، ويطلب منه أن يقرظ له على الرسالة المرقومة ، ونص الأبيات :

أرجوك يا بهجة الأيام مبتغياً ... أسامة الطرف في تنميقها الحسن
فإن ترى حسناً فالحسن وصفكم ... فطرزوا حسنها بالمنطق اللسن
لا غرو إن كسيت ثوب الجمال اذاً ... وقد هدى بسناها حائد السَّنَن
لا زال منك يراع الحسن يَنشُرُ في ... أسماعنا لؤلؤ الألفاظ بالسكني
ما دبج الروض من حب الغمام وما ... قد غردت صادحات الطير في فنن

وللمترجم رسائل كثيرة وقصائد وأبيات شهيرة ، وأبحاث لطيفة

وتحقيقات طريفة [١] . وكان تقياً عابداً نقياً زاهداً ، جميل العبارة والتقرير حسن الأسلوب والتعبير . قرأ على المشايخ العظام كالشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ حامد العطار ، والشيخ عبد الرحمن الكردي ، والشيخ صالح القزاز ، وغيرهم من السادات الأفاضل ذوي الفضائل والفواضل ، وانتفع وحقق واجتهد ودقق ، ونوع الأسباب في إفادة الطلاب ، غير أن زمانه قد عانده وخالفه وما ساعده ، فلذلك قصّر به جواد التقديم ، عن الوصول إلى مراتب ذوي الرفعة والتكريم ، وكان أخبرني من كان يعرف حقيقة أطواره ، ولم يخف عليه شيء من ظواهره وأسراره ، بأن السبب الكبير في هذا التأخير ، كونه ألف رسالة في تكفير أبوي النبي عليه الصلاة والسلام ، وظن أن ذلك إنما يوجب له الكرامة والاحترام ، وما عرف انه لو لم يفعل لكان أولى ، أو لو انتصر لهما لكان قدره عند السيد الأعظم أعلى ، أعاذنا الله من كل بلوى وأحسن الينا واليه في السر والنجوى آمين .

ومن نظمه البديع الشاهد له بالمقـــام الرفيع ، قوله يمدح الوزير علي باشا المعزول عن بغداد :

علوت لمجد فوق ما أنت آمله ... وفزت باقبال لك العز حامله
لك السعد ما هذا العلو لمبتغ ... سواكم وما في الدهر شهم يحاوله
يمينا بعلياكم لقد حزت في الورى ... مقاما على الجوزاء تعلو منازله

---

(١) في روض البشر للشطي ما ملخصه : ولد بدمشق في حدود (سنة ١٢٠٠) وكان والده من تجار دمشق ، ألف مؤلفات عديدة ، أكثرها متفرق ، ومنها « الدر اليتيم ، في حكم مال اليتيم » و « جمع اللآلي في الشبك ، في حـــكم الحائط المشترك » و « نشر الخزام ، في المحاماة عن تكفير أهل الإسلام » و « سناء النيرين ، في اعجاز الآية والآيتين » وكان يتعاطى وكالة الدعاوى لدى المحاكم الشرعية ، وينافش بعض القضاة في المسائل الفقهية .

بنيت من العز المنيع دعائماً وقمت على بحر تفيض سواحله
أبيت (وبيت الله) ذما وسبة وحزت نوالا فوق ما أنت نائله
شرعت من المعروف فينا شرائعا بها البطل الكرار تحيا فواضله
أقام بها راجيك يبسم ضاحكا ينال من الخيرات ما هو آمله
وقمت باحياء الوزارة حاملا لسيف غدت للنصر تعزى حمائله
زرعت من الألفاظ روض محاسن لنا أثمرت در المعاني خمائله
يرى منك في الهيجاء بأس وشدة وفي غيرها لطف تروق محامله
رؤوف بأحوال الرعية منصف رحيم إذا المظلوم عزت وسائله
أهنيه بالشام المنيرة منصبا يطرزه السعد المبين تكامله
له منصب من بعدها مصر غانما ومن بعدها يشتد بالختم كاهله
شهامة كسرى في سخاوة حاتم من المهد عنه قد حكتها قوابله
أتى شامة البلدان فاخضر عيشها وأصبح منها الغصن يحلو تمايله
متى ذكرت في الحي أوصاف وصفه يفوح به نشر من المسك شامله
فاضحى كروض البان فاح عبيره نسيم الربا أخلاقه وشمائله
مهاب جسور لا يُسَمَّى مَهابَةً وان كان شعري قد حكته أوائله

إلى هنا ما وجدته من هذه القصيدة . وله قصائد كثيرة ومقاطيع بالمدح جديرة ، رحمه الله وأعلى علاه ، وجعل الجنة مثواه ، وأعطاه مراده في الآخرة ومناه . ومن نثره ما كتبه لوالدي رحمهما الله تعالى يطلب به منه أن يقرظ له على رسالة كان ألفها فأرسل له هذه العبارة وهي : سيدي المحترم دام بالنعم وسيع الرحاب والحمى والحرم ، ما انهلت صيتبات سوابغ الديم . قد تعود الداعي المتطفل على ساحة الفضل والرحاب مِنْ عليّ القدر والعز العريض والجناب ، أن تشرفوا رسائله بسلاسل سطور ألفاظكم العنبرية ، وتشنفوا المسامع بدرركم الجوهرية ، وأن تلبسوها قباب الاحسان

وتجلببوها بجلباب الامتنان ، وتحلوها بسوار القبول وتقرطوها بقرط المعقول والمنقول . وتقرظوها بتقرير نظركم الاكسير ، فيكون لها سير الشمس في المسير ، وتصيغوا لها خلخال الجمال والبها ، وتحلوا جبينها الأغر بعقود تجلت للمحاسن بها ، وتوشحوها بنطاق الدلائل ، وترشحوها بسلاسل السطور العنبرية والجدايل ، وتكونوا أبا عذرها نصراً وفتحا وتذبون عن عرضها المصون سبة وقدحا ، ذبّ الغيور عن الحرم ، وذلك من محض الفضل والكرم ، ولا تدعوا فيها للملام والمذمة غصة ونزهوها كالعروس على منصة . وقد علم القوم أنكم لا تأخذكم في الله لومة لائم ، ولا ترنم طير على غصن الهوى حائم ، فمنوا جنابكم كما هو عادتكم الجميلة العميمة واحاسن محاسن أخلاقكم الكريمة ، وليس عليكم في ذلك ضير « ولباس التقوى ذلك خير » ولئن منعتم ذلك لخاطر الغير وحاشا لباس تقواكم ، فعندنا شاهدا عدل خطكم الشريف ولفظكم الجزل ، كيف وقد قام بصدق الحديث الدليل والله يدعو إلى الحق ويهدي إلى السبيل . فكنت كما كنت سابقاً ، بلسان بُلبُل الحق ناطقاً ، وحنانيك البدار البدار ، فإني قد لبست ثوب الانكسار ، وتقمصت بثوب البهار ، وابتهلت بظلمي للأخذ بالثار بالواحد القهار . والآن قد قمت للاهاب للسفر بعصا الترحال ، والحروب سجال . والله يعز بوجودكم الدين المحمدي والاسلام ، وسلام الله عليكم ورحمته ممزوجاً بمسك الختام .

الشيخ عبد الغني بن طالب بن حمادة بن ابراهيم ابن سليمان الميداني الحنفي

بحر علم لا يدرك غوره ، وفلك فضل على قطب المعارف دوره ، لم يقنع بالمجاز عن الحقيقة ، حتى تبوأ البحبوحة من تلك الحديقة .

ولديه من المعلومات ما يشق على القلم حشره ، ويتعسر على الألسنة نشره ، وتأليفاته التي يحق لرائيها أن ينافس بها ويفاخر ، محشوة من الفوائد بما يعقل الأفكار ويقيد الخواطر . ولد في الشام في الميدان سنة ألف ومائتين واثنتين وعشرين ، وربي في حجر والده ، ثم بعد تمييزه قرأ القرآن ، ثم طلب العلم الشريف بكل جد واجتهاد ، فقرأ على الشيخ عمر افندي المجتهد وعلى الشيخ سعيد الحلبي وعلى الشيخ عبد الغني السقطي وعلى السيد محمد عابدين وعلى الشيخ عبد الرحمن الكزبري وعلى الشيخ أحمد بيبرس وعلى والدي الشيخ حسن البيطار ، فانه لازمه ملازمة المرضعة للرضيع ، وكان يكثر المديح في حقه لدى كل رفيع ووضيع ، ولما طلب منه الإجازة حضرة المحترم السيد سلمان افندي القادري نقيب بغداد كتب له بها أسماء مشايخه المرقومين ، ولما ذكر والدي قال وكان جل انتفاعي به . وكان ذا زهد وتقوى وعبادة في السر والنجوى ، وهمة عالية ومروءة سامية ، ولسان على الذكر دائب ، وشهرة قد سارت في المشارق والمغارب ، ومنزلة في القلوب حميدة وعقيدة في كماله وحيدة ، له من المؤلفات : الشرح المسمى باللباب على متن القدوري وقد طبع مرتين لكثرة طالبيه ، وشرح المراح في علم الصرف ، وشرح رسالة الطحاوي في التوحيد ، ورسالة وشرحها في الرسم ، ورسالة سماها إسعاف المريدين لإقامة فرائض الدين وقد شرحها ولده الشيخ اسماعيل ، وسل الحسام على شاتم دين الإسلام ، ورسالة في صحة وقف المشاع ، ورسالة في مشد المسكة ، ورسالة في رد شبهة عرضت لبعض الأفاضل ، ورسالة سماها كشف الالتباس في قول البخاري قال بعض الناس . وله نظم ونثر يفوق اللآلي والدر ، فمما نظمه قصيدته التي مدح بها أستاذه سيدي الوالد التي صدرها بقوله : لمحررها عبد الغني يمدح فيها جناب شيخه وقدوته

العالم الرباني والوالد الروحاني ، من تفاخرت به الأقطار ، سيدي الشيخ حسن بن ابراهيم البيطار ويهنيه بوصوله بالسلامة من الرحلة الحجازية إلى وطنه دمشق المحمية ، دام كما رام والسلام :

ومضت بروق الحيّ في الظلماء ... سحراً أهاجت لاعج الأحشاء
ونضت سيوف الهند في إبراقها ... فهمت عيون مدامعي بدماء
ما شمتها إلا وملت ترنماً ... كتمايل النشوان بالصهباء
وشفت فؤاد المستهام من الضنى ... نعم الدواء يكون إثر الداء
وفكرت عهداً قد مضى فينا سقى ... عهدي القديم به غمام بكاء
زار الحبيب ونوره متشعشع ... يمحو ظلام الليلة الليلاء
لما بدا أنشدت في تلك الرُّبى ... شق الصباح غلالة الظلماء
نادمته والشوق بين جوانحي ... أذكى لهيب الوجد والأهواء
في ليلة جنت فأنور بدرها ... يحكي محيا مرتع البلغاء
من قد رعى حب القلوب وقد حوى ... روض الربيع معنبر الأرجاء
المرتقي رتب الفضائل والعلا ... فيها ارتقى للذروة العلياء
اللوذعي[1] الألمعي ومن غدا ... عَلَم العلوم ومرجع العلماء
المفرد العلم الذي آثاره ... دلت عليه بأصدق الأنباء
إن قيل من هذا الذي تعني فقل ... من مدحه فرض على الشعراء
الفاضل النحرير بدر قد سما ... (حَسَنٌ) ولكن سيد الحسناء
ميداننا بقدومه قد فاخرت ... أمثالها فيه مع الندماء
صدر الشريعة والحقيقة والتقى ... من قلبه كالدرة البيضاء
من أتقن المعقول والمنقول وافـ ... ـتخرت به شام على الزوراء
مغني اللبيب فكفه قطر الندى ... ومطول التمداح فيه شفائي
قد قام في ذكر الإله ملاحظاً ... بسوابغ الآلاء والنعماء
بطريقة الصديق قد يروي الظما ... بخلوص صدق ساعة الظلماء
كهف ترى النجباء في أعتابه ... تأتي له بالنظم والإنشاء

(١) الذكي الذهن ، الحديد الفؤاد ، الفصيح اللسان . والألمعي : الذكي المتوقد .

لا عيب فيه غير أن نظامه ... خلب العقول ببهجة وسناء
وجميع من في الكون من عشاقه ... في الدين والدنيا من السعداء
فجعلته بين البرية حليتي ... هو ملجأ الفقراء والغرباء
لا زال كالبيت الحرام محرما ... عند استلام الركن والايماء
والعذر لا يخفى فاني مادح ... يأتي إلى أعتابكم بعناء
متخلصا من بطؤه متشفعاً ... بالهاشمي وسيد الشفعاء
المجتبى المختار من كل الملا ... وهو الذي قد خص بالإسراء
صلى عليه الله ربي دائماً ... ما ناح قمري (١) على الورقاء (٢)
وعلى قرابته الذين تقدسوا ... والآل مع أصحابه النجباء
من بعد ختتم أتى تاريخها ... أمواج (٣) كافور سرت كرباء (٤)

سنة ١٢٤٢

ومن نثره ما كتبه لوالدي حين كان في الحجاز سنة الف ومائتين واثنتين وأربعين : غب إهداء سلام تنطبق كلياته وجزئياته على قضايا الأشواق ، وتثبت مقدماته من الأشكال ما يعجز عن وصفه خاصة الرسم والحد من الاشتياق ، نخص بذلك جناب سيدنا ذي القضية الموجّهة إلى كل مجد ، الحملية على مقدمات العز المعدولة عن العكس والطرد ، حضرة مولانا الشيخ حسن البيطار ، لابرح لواء فضله منشوراً في الآفاق والأمصار ، ولا زال قدره بالرفعة مشفوعا ، ومقامه الأسمى على عاتق الجوزاء محمولاً وموضوعا (٥) ، وعدوه عقيما عن بلوغ الآمال ، ذميما على ممر الأيام والليالي إلى آخره .

ومن كلامه في مدح الذات المحمدية ، ذات الصفات الأحمدية :

هما مقلتي طير على البان ساجع ... وتغريده المسموع للقلب صادع
كأن صروف الدهر القته بالنوى ... فناح على إلف له وهو خاضع

---

(١) القُمْرِيّ : ضرب من الحمام حسن الصوت .
(٢) شجيرة لها ورق ناعم .
(٣) مادة عطرية تستخرج من شجرة الكافور .
(٤) ربّا الراية رباء : علاها .
(٥) الموضوع والمحمول ، وكل ما سبقه : اصطلاحات منطقية ، وإجراؤها في هذا المقام يدل على سعة علم وأدب .

فقلت له يا طير قطعت مهجتي ... وهيمت مضنى وهو بالحب والع
وذكرتني يوماً رمى القلب في العنا ... ومن لي وقلبي في جوى الحب واقع
فهاك حديثاً عن حقيق محبتي ... تسلسله عني دموع هوامع
فقد رمقت عيني لوامع ظبية ... لها برق وجه في دجى الشعر لامع
وحاجبها قد فاق حسناً وثغرها ... فريد نظام للفرائد جامع
ولما بدت للصب ماست وقد رنت ... فما البدر ما الأغصان ما الريم راتع
وفي البعد عنها واسع الأرض ضيق ... وفي القرب منها ضيق الأرض واسع
وكل محب ما اهتدى بجمالها ... فذاك كذوب في الضلالة واقع
اليها جميع الحسن يعزى اصالة ... وحسن سواها في البرية تابع

إلى أن قال :

إذا أقبلت فالشمس تسجد هيبة ... وإن خطرت فالغصن في الروض راكع
ولي مخلص من صدها بتشفعي ... اليها بمن لي في القيامة شافع
فلولاه لم نعرف لدين ولا تقى ... ولولاه لم يوجد مدى الدهر طالع
ولا عيب ان قيل الغنيمي مادح ... رسول إله عبده فيه طامع
فذاك عبيد للغني ومن له ... سواه إذا اشتدت عليه الموانع

وله قصائد كثيرة ، وفضائل معروفة شهيرة ، وخيريات حسنة وتعميرات مستحسنة . وكانت الناس تأتيه بالهدايا وتقصده بعظيم الوصايا ، وقد جدد عمارة الجامع الذي بجانب داره في الميدان في محلة ساحة السخانة وأنشأ له منارة عظيمة متينة . وبالجملة والتفصيل ، قد كان شهما ما له من مثيل ، وقد اتسع جاهه وكثر في الناس ثناؤه ، وخالطت هيبته القلوب فكان لها أجلّ مطلوب ومرغوب . ولم يزل على استقامته في طاعته وعبادته ، وإفادته لطالبه ووارده ، وإحسانه لراغبه وقاصده ، الى أن سجع على دوحه حمام الحمام ، ودعاه الى الرحلة داعي الأنام . فتوفي رحمه الله تعالى رابع

ربيع الأول سنة الف ومائتين وثمان وتسعين . ولقد صلي عليه في جامع الدقاق بإمامة ولده الفاضل الشيخ اسماعيل ، قدمه للإمامة شيخنا الفاضل الطنطاوي ، وكان لجنازته مشهد قد غص به واسع الطريق ، ودفن في تربة باب الله في أسفل التربة الوسطى من جهة الشرق ، وطلب مني ولده أن أنظم له أبياتاً تكتب على القبر فقلت :

همـــام فاضل شهم إمـــام جليل ذو مقامات شريفـــة
ثوى في رمسه فاعجب لرمس حوى بحراً شمائله منيفـة
فوا أسفا قضى عبد الغني سريعـاً نحبه ونحا (١) حليفة
ربيع الفضل حيـاً في ربيع بروح وارتياح مستضيفة
بكاءً قد أتى تاريخـه زد لقد ماتت علوم أبي حنيفة

الشيخ عبد الغنى أبو محمد عز الدين بن علي بن صلاح ابن أحمد الحلبي الحنفي الحسيني

العالم الأستاذ والفاضل الملاذ ، والفقيه الصالح والنبيه الفالح ، ولد سنة الف ومائة وثلاثين واجتهد في الطلب والتفت إليه ، وأقبل بجده واجتهاده عليه ، وسمع وقرا وفهم ودرى ، وأخذ عن جماعة ذوي فضالة وبراعة ، منهم أبو عبد القادر صالح بن عبد الرحمن البانقوسي ، فتفقه عليه وأخذ عنه الحديث ، وقرأ على والده أبي محمد عبد القادر البصير ، وحضر كثيراً من دروس أبي محمد مصطفى بن عبد القادر الملقي ولازمه مدة وانتفع به ، وسمع من أبي العدل قاسم بن محمد النجار الجـــامع الصغير في الحديث . وأخذ الطريقة القادرية عن أبي عبد القادر محمد بن صالح بن رجب المواهبي ، والطريقة الرفاعية عن أبي الحسن علي الصعيدي المصري ، والطريقة الشاذلية عن أبي محمد عبد الوهاب بن أحمد الأزهري البشاري المصري ، والطريقة

---

(١) نحا ينحو : أي قصد .

السعدية عن العماد اسماعيل السعدي . وكان حريصاً على الاستفادة والإفادة ، كثير التقوى والعبـــادة ، وفي آخر أمره انقطع الى الذكر والارشاد وأقبل عليه المريدون من كثير من البلاد ، فانتفع به كثير من الناس ، ولم يزل على صلاحه وتقواه وعبادته ودعايته الى الله ، الى أن دعته المنية ، الى المنازل العلية بعد الألف والمائتين وخمسة رحمه الله .

أخي وشقيقي الشيخ عبد الغني [1] بن المرحوم الشيخ حسن بن الشيخ ابراهيم بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد البيطار

العالم الذي هو بكل وصف جميل متخلق ، والعامل الذي هو بكل خلق كريم متحقق ، روضة الفضل التي أشرقت أنوارها ، ودوحة المجد التي أينعت ثمارها ، وسماء العلم الذي تنورقت مشارقه ومغاربه ، وأمطرت بالمعارف والعوارف سحائبه ، سلك منذ نشأ منهج العلم والعمل ، وملك من الكمالات ما يتعلق به الأمل ، وقادته يد المعالي إلى الفضائل ، وألبسته حلل المآثر وكسته أعلى الشمائل .

ولد سنة أربعين ومائتين وألف ، ونشأ في حجر والده ، ثم بعد

---

(١) هو جدي لوالدي وشقيق جدي لوالدتي مؤلف هذا التاريخ ، ولهما ولوالدي الشيخ بهاء الدين ، تراجم وجيزة في منتخبات التواريخ لدمشق للشيخ محمد أديب آل تقي الدين الحصني (ج ٢ ص ٧٦٠ و ٧٦١) وقد سجّل فيه عتباً علي بقوله في ترجمة الشيخ عبد الغني : نشأ في حجر والده ، وتخرج عليه ، وكان أكثر انتفاعه منه ، وأخذ عن بعض علماء دمشق لم يصل الينا أسماؤهم ، وكنت طلبت ذلك من حفيده . . . محمد بهجة من أعضاء المجمع العلمي بدمشق ، وطلبت منه أيضاً سنة وفاته ، وقال عني في ترجمة والدي : جهل علينا تاريخ وفاته ، ولم يسعفنا نجله الأديب بها إلى اليوم اه وأقول : كان ذلك تقصيراً مني ، أستغفر الله منه ، ولم أكن عارفاً تراجمهم معرفة صحيحة لأقدمها اليه ، فتدون باسمي ، رحم الله الجميع رحمة واسعة .

(فائدة) : الحفيد هو ولد الولد مطلقاً كما في كتب اللغة ، فأنا حفيد الشقيقين عبد الغني وعبد الرزاق (رح) .

قراءة القرآن الشريف حفظه مع الشاطبية على شيخ القراء في الديار الشامية الشيخ أحمد الحلواني ، بالروايات السبع مع غاية الإتقان والتجويد ، ثم قرأ على والده مدة من كتب النحو والصرف والفقه والحديث والتفسير والتوحيد والمنطق والمعاني والبيان والبديع ، وحضر الكتب العظيمة كالتحفة لابن حجر والبخاري بطرفيه رواية ودراية والاحياء للغزالي وللخطيب التفسير والمختصر للسعد والمواهب اللدنية وغير ذلك . وقرأ أيضاً على الشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ سعيد الحلبي وعلى الشيخ سليم العطار وعلى الشيخ عبد الغني الميداني وعلى الشيخ عبد القادر الخطيب وعلى غيرهم من العلماء الأعلام والسادات العظام ؛ وأخذ طريق السادة الشاذلية على المرشد الكامل السيد محمد المغربي الفاسي واشتغل به كثيرا ، ودأب على مطالعة كتب القوم إلى أن طالع الفتوحات المكية مع الفهم من ابتدائها إلى انتهائها ، مع ترك الانهماك على الدنيا ، والزهد فيما يؤدي إلى تحصيلها ، وليس له شغل سوى الإفادة والاستفادة وما يوجب له التقدم الأخروي ، متباعداً عن الشهوات النفسانية ، كثير التحرز مما يوجب الملام عند الله ، مستقيم الأطوار ، يحب العزلة عن سوى الكمل الأخيار ، كثير المذاكرة ، جميل المحاضرة ، لطيف العبارة خصوصاً في علم الإشارة ، إن حضر في جمعية لا يتكلم غالباً إلا في المسائل العلمية .

قد اجتمعت معه حينما كنت مشتغلاً بترجمته ، وذكر شمائله وحليته ، فسألني وإن كنت لا أصلح للسؤال ، وأعلم أنه مستو على درجة الكمال ، عن قول السيد أحمد بن إدريس : لو أطال الله عمر رجل من زمن أبينا آدم إلى قيام الساعة وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ورجل قال لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله ، مرة واحدة ، في القيمة يسبق ذاك ! ما المقصود من هذه العبارة ، وهل

هي على ظاهرها أم سلك فيها مسلك الحقيقة والإشارة ؟ فطال بيننا الكلام ، في هذا المقام ، إلى أن قال لي : ان بعض الناس وقع من هذه العبارة في التباس ، فبعضهم أنكرها وبعضهم توقف في المقصود منها وأمرني أن أكتب عليها ما يزيل حجاب الاعتراض عنها ، فامتثلت أمره ، وأجلت بالقبول قدره ، وقلت مستعيناً بالله معتمداً على فضله وعلاه ، مستمداً من فيضه العميم ، انه رؤوف رحيم :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره ، ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره ، فأطمع المطيع والعاصي والداني والقاصي ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وخيرة الأصفياء ، وعلى آله والتابعين ، وأصحابه السابقين الأولين ، ما ذكر الله ذاكر وشكره على قبوله شاكر . **أما بعد** فيقول سيدي الشيخ الإمام أحمد بن ادريس المغربي الحسني نسباً الادريسي من ذرية سيدنا ادريس بن عبد الله قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه : **لو أطال الله عمر رجل من زمن أبينا آدم إلى قيام الساعة وهو يقول** (أي بلسانه مع تصديق جنانه لكثرة الأجر والثواب والخلاص من سوء العذاب) **لا إله إلا الله محمد رسول الله** بدون أن يكون مستغرق القلب بالله ، متخلياً عن شهود ما سواه ، بل قلبه مشغول بالأمور الدنيوية ، وفكره محصور بالأحوال الدنية ، قد استولى على قلبه الحجاب ، على سبيل الاستيعاب ، فلم يبق مع ذلك لديه مطمع لتجلي الحقائق فيه ، لعدم نورانيته بتراكم ظلم الحجب على عين بصيرته ، لم يطلب من ذكره مع الحجاب سوى الأجر والثواب ، قد غفل عن السير في مناهج الوصول ، وظن أن حالته هي المنى والمأمول ، مع أن أهل الله ما ألقوا نفوسهم في المهالك ، وسلكوا أصعب المسالك ، وفعلوا الفرائض والنوافل وذكروا الله في البكر والأصائل ، الا ليكشف لهم الحجاب ويُشْهِدهم بعين قلوبهم

رب الأرباب ، فيتمتعون بوصال المحبوب ، ويحوزون على المنى والمرغوب ، فهذا السائر الكامل الذي لم يكن سيره طلباً لثواب ، ولا رهبة من عقاب ، بل كان سيره في مقامات السائرين إلى رب العالمين . وهذه المقامات ثلاثة : مقام الاسلام ومقام الإيمان ومقام الإحسان ، وانما انحصرت مقامات السائرين إلى الله تعالى في هذه الثلاثة ، لأن الانسان لما كان من مبدأ ظهوره في النشأة الدنيوية الحسية إلى أن يبلغ مبلغ التمييز والعقل ، انما كان الغالب عليه أحكام الطبع والجهل بمبدئه ومعاده ، عاملاً بحكم طبعه وهواه ومراده ، فعندما عقل وأحس بالمبدأ والمعاد وأخذ في السير من طبعه إلى ربه بحكم شرعه ، إمّا أن يكون في مبدأ هذا السير مع غلبة حكم الطبع وغلبة اقتضاء النفس الملهمة فجورها ، فهو في مقام الإسلام ، وهذا مقام الذي قال لا إله إلا الله محمد رسول الله من زمن سيدنا آدم على الفرض إلى يوم القيامة . وإما أن يكون في وسطه وذلك بظهور أحكام الروح الروحانية على أحكام الطبع والنفس حتى تصير مقتضيات الأمور الحسية والإرادات الطبيعية والجهالات النفسية ، مقهورة تحت روحانيته ، ومقتضاها من الإرادات العقلية والإدراكات العلمية ، فهو في مقام الإيمان الذي هو مقام قبول الروح لما غاب عن الحس ، وهو مقام غربة النفس . وإما أن يكون في آخر سيره من نفسه إلى ربه فهو في مقام الإحسان ، وذلك بأن يخلص من الاعتلال ، لاستغنائه بالشهود عن الاستدلال ، ولخلاصه من شتات الأسفار ، بالحصول في محل القرار ، فاتحدت العين بالعين ، وزال الأين من البين ، فحينئذ أفناه التوحيد عن توحيده ، وجرده الوجود عن تجريده ، فانطمست عين تكثيره في تفريده ، وأشرقت شمس واحديته في تعديده ، قد وحد الحق ذاته عنه ، وأوصل بصفة البقاء إليه بعد الفناء لطيفة منه ، فصح فيه قول من قال :

توحيده إياه توحيده فهو الواحد الموحد لنفسه

تعالت واحديته سبحانه عن التوحيد بالتوحيد في قدسه

وهذا هو المراد بقول سيدي أحمد بن إدريس : **ورجل** أي آخر **قال لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لحة ونفس عدد ما وسعه علم الله مرة واحدة في القيمة يسبق ذاك** لأنه قالها في حضرة الشهود حين انمحت الذات بالذات ، والصفات بالصفات ، وغابت العين بالعين وزال التعبير بالاثنين (١) ، فحينئذ ما قالها إلا الله (٢) ، ولا نطق بها سواه ، وصح له أنه نطق بالكلمة الكريمة في كل لحة ونفس ، لأن ذلك وما فوقه لم يخرج عن كونه من الوسع الإلهي الذي هو عبارة عن التجلي بجميع المظاهر الوجودية والوجوبية والامكانية والصورية والمعنوية والحكمية والأثرية والعينية والعلمية والفرضية والقولية والفعلية والحسية والتنزيهية والتشبيهية فكان عين جميع ذلك من وجه واحد من كل الوجوه ، وكان غير ذلك جميعه من وجه واحد من كل الوجوه ، فهو الواسع الذي قبل الضدين وتجلى بالوصفين ، وكان عين الشيء وخلافه وتقيد فهو مقيّد وانطلق فهو منطلق ، وتقيد في الانطلاق وانطلق في التقييد فصدقت عليه جميع الاعتقادات ، ووقعت عليه جميع العبارات ، كلت الألسن عن حصر ما هو عليه ، وانحسرت العقول السليمة عن الوصول إليه ، أحاط بالكون عدماً ووجوداً ، ولم يحط الكون به ، ووسع الأشياء كلها علماً وعيناً وذاتاً وصفات ولم يسعه شيء . وأما قوله في الحديث القدسي ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن ، فهذا الوسع عند المحققين إنما هو عبارة عن قبول القلب للألوهية من حيثه

---

(١) « كلّ من عليها فانٍ ، ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام » هي الآية الأخيرة من سورة الرحمن (٧٨) .

(٢) « شهد الله أنه لا إله إلاّ هو » آل عمران /١٨ .

وهنا نورد الآيات الكريمة بلا تفسير ولا تأويل « وما يعلم تأويله إلاّ الله » آل عمران /٧ .

لنفسه على أنه الله ، وهذا المعنى لا يتسع له شيء من المخلوقات سوى قلب الإنسان الكامل لأنه مظهر الذات ، وما سواه فمظاهر الأفعال والأسماء والصفات ، والإنسان الكامل ولو عرف أنه هو الله [١] وتحقق بما تحقق به من الأسماء والصفات ، فإنه لا يبلغ غاية الكنه الذاتي ولا يستوفيه بوجه من الوجوه ، ولهذا قال الصديق الأكبر : العجز عن درك الإدراك إدراك ، وقال سيد المقربين وخاتم المرسلين : لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال تعالى « وما قدروا الله حق قدره » يعني المقربين والكمل المحققين من الأنبياء والمرسلين ومن دونهم من الأنبيـاء والصديقين وسائر عباد الله المؤمنين والكافرين ، بل هو فوق ما عرفوه وقدره فوق ما قدروه ووراء ما دروه .

فائدة

في معنى (لا إله إلا الله) ليكون السالك عندقولها ملاحظاً لذلك ، أي لا مستغن عن كل ما سواه ومفتقر إليه كل ما عداه ، إلا الله تعالى ، ولا شك عند العقلاء جميعاً أن الوجود الواحد الحق مستغن عن كل ما سواه من صور العالم ومقاديرهم ، وتعينات أرواحهم ونفوسهم ، وأشباحهم وجميع أحوالهم ، لأنه الوجود المطلق حتى عن قيد الإطلاق ، وجميع العوالم مفتقرة إليه لتظهر به وتتعين فيما هي متعينة به ، وهذا معنى وحدة الوجود وهو معنى الكلمة الطيبة .

عائدة

لا بد للمريد السالك إن كان مراده الوصول ، إلى مراتب أهل الحصول ،

---

(١) « هو الله الذي لا إله إلاّ هو ، الملك القدوس ، السلام المؤمن المهيمن ، العزيز الجبّار المتكبر ، سبحان الله عما يصفون » الحشر/٢٢ .

من الاشتغال بالذكر دائماً بأي نوع كان من الأذكار ، وأعلاها الاسم الأعظم وهو قولك الله الله لا يزيد عليه شيئاً ، لأن الله ما وصف بالكثرة شيئاً إلا الذكر ، وما أمر بالكثرة من شيء إلا من الذكر ، فقال « والذاكرين الله كثيراً والذاكرات »[١] وما أتى الذكر قط إلا بالاسم (الله) خاصة معرى عن التقييد فقال : « اذكروا الله ذكراً كثيراً »[٢] وما قال بكذا وقال : « ولذكر الله أكبر »[٣] ولم يقل بكذا وقال : « واذكروا الله في أيام معدودات »[٤] ولم يقل بكذا وقال عليه السلام : « لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول : الله الله »[٥] فما قيده بأمر زائد على هذا اللفظ لأنه ذكر الخاصة من عباده الذين يحفظ الله بهم عالم الدنيا وكل دار يكونون فيها ، فإذا لم يبق في الدنيا منهم أحد لم يبق للدنيا سبب حافظ يحفظها الله من أجله ، فتزول وتخرب . وكم من قائل الله الله باق في ذلك الوقت لكن ما هو ذاكر بالاستحضار الذي يستحضره أهل الله ، فلهذا لم يعتبر اللفظ دون الاستحضار ، فعلم من ذلك ان المريد لا ينتفع بأي ذكر كان إلا مع استحضار المعنى . والأدب الذي ذكره أهل الله في رسائل السلوك من التقوى والطاعة والعبادة والعمل بما في الكتاب والسنة وغير ذلك من المجاهدات .

« وصل »

اعلم ان الطرق شتى ، ولكل طريق مرشدون يدلون الناس على الطريق الموصل إلى الله ليسلكوه ، ومن المعلوم أن المرشد لابد أن يكون على طريقة النبي ﷺ من كونه يخاطب الناس على قدر أحوالهم ، فيخاطب المبتدي بما لا يخاطب به السالك . ويخاطب مريد السلوك بما لا يخاطب به مريد البركة والثواب ، وله أساليب متعددة في دعاية الخلق إلى الله ، لأن

---

(١) سورة الأحزاب (الآية ٣٥) .
(٢) الأحزاب /٤١ .
(٣) العنكبوت /٤٥ .
(٤) البقرة /٢٠٣ .
(٥) رواه مسلم وأحمد والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه .

أكثر النفوس لها ميل إلى الدنيا والراحة من تكلف مشقات العبـــادة ، ولا تهوى أن تعمل عملاً إلا بجائزة يسهل عندها القيام بالعمل ، وإن الشيخ أحمد بن إدريس كان من كبار السادة المرشدين ، والقادة الداعين إلى الله والمنشدين ، فأتى لهم بهذه الصيغة التي تقتضي زيادتها الأخيرة زيادة ثواب لقائلها مرة ، على من يقولها طول عمره من غير هذه الزيادة .

وليس مقصوده اقتصار القائل على مرة في تحصيل مراده ، بل مراده أن يقول للناس في ترغيبهم إذا كان قولهـــا مرة له من الثواب ذلك فما بالك بالذي يلازم عليها آناء الليل وأطراف النهار ، فحينئذ يلازم الانسان على تلاوتها والحجب تتمزق شيئاً بعد شيء حتى يقـــع الشهود القلبي ، فإذا حصل الشهود استغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور (١) ، فلو ذكر العبد ربه في تلك الحضرة كان غير عارف بالأدب كما أن من كان بين يدي السلطان لا يناسبه تكرار اسمه جهراً على التوالي ، بل ربما نسبوه إلى الجنون وأخرجوه من حضرة السلطان لقلة أدبه ، وكيف يكون منه ذلك وقد فني عن شهود السوى بحصوله في مقام الشهود ، وقد ارتقى بفنائه عنه إلى مقام الوجود ، فأي شيء له حينئذ وجود مـــع الله حتى ينفيه بتوحيده ؟ ومن المعلوم أن النفي فرع الثبوت ، وقد شهد هذا الكامل حينئذ أن الوجود لله وحده لا شريك له ، وان ما سواه ما شم رائحة الوجود أصلاً .

« مهم »

نقل أهل الشرع انه لو قال إنسان لا إله إلا الله الف مرة من غير أن يكررها وإنسان آخر قالها الف مرة بالفعل هل يكونان متساويين ؟ فأجابوا بأن كلاً منهما حصل العدد غير أن الذي قال ذلك مرة واحدة حصل له هذا العَدد من غير مضاعفة ، والذي كررها العدد المعلوم حصل له العَدد مضاعفاً ، وأمر المضاعفة شيء موكول علمه إلى الله عز وجل ،

(١) وهذا إنما يكون في الآخرة ، قال تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة » .

فلا يمكن إدخاله تحت حصر مخصوص ، وقد علمت أن أهل الله لا يسألون عن ثواب ولا عن عقاب [١] ، بل مرادهم الوصول إلى حضرة الحكيم الوهاب ، فرضي الله عنهم ورضوا عنه ، ومنّ عليهم بما طلبوه جوداً وكرماً منه . نسأل الله أن يمن علينا بالمرام ، وأن ينعم من فضله بحسن المبدأ والختام . وإلى هنا كان انتهاء الكلام بإذن الملك العلام ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين . حررت غرة محرم الحرام سنة خمس وثلاثمائة والف ، وتوفي هذا الأستاذ والأخ اللاذ ، ليلة الثلاثا مساء سابع عشر رجب الفرد عام خمسة عشر وثلاثمائة والف ودفن في تربة باب الله رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الغني البقاعي الشافعي القادري

الدمشقي المعروف بكل معروف والموصوف بكل فضل موصوف ، كان من العلماء والسادة الفضلاء ، مع عبادة وتقوى ومجاهدة في الله في السر والنجوى ، وزهد وصيانة ، وكمال وأمانة ، وقدر وعلا ، ورفعة بين الملا ، واعتقاد في قلوب الناس . وكان جميل المعاشرة حسن الإيناس ، وله كرامات شهيرة وخوارق كثيرة . توفي في دمشق الشام ثامن عشر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الفتاح بن عبد الله بن صالح الكردي الشافعي الدمشقي

بقية السلف الصالح ، ونخبة الخلف الناجح . أخذ عن أبيه وغيره من السادة الكرام ، والقادة العلماء الأعلام ، مات حادي عشر رجب سنة خمس وخمسين ومائتين والف .

---

(١) « إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما » (النساء/٣٩) .

من هذا السؤال والجواب يعلم وقوف المؤلف رحمه الله على ما عند القوم من مقام الحق والخلق ، والوجود والشهود ، والبقاء والفناء .

عبد الفتاح بن أحمد بن الحسن الجوهري الشافعي الأزهري

عالم أذعن له في العلوم العقلية والنقلية كل فاضل ، وقال العارف بمراتب علمه لمن حاول تناولها : أين الثريا من يد المتناول ، كان نزهة الأبصار ولمحة البصائر ، وكعبة الأبرار ونفحة الأكابر ، وملجأ المتعلم والمستفيد ، وأول متصدر يستفاد منه فيفيد ، أضاءت الدنيا بأنوار علومه ، وتزينت بدرر منثوره ومنظومه .

ولد سنة إحدى وأربعين ومائة والف ونشأ في حجر والده ، وحضر دروس العلامة الملوي وبعض دروس أبيه وغيره ، ولم يكن معتنياً بإظهار جلالة العلم ولم يلبس لباس الفقهاء ، بل كان يعاني التجارة والكسب . ولما توفي أخوه الأكبر الشيخ أحمد وقع الاتفاق على جلوسه في مكانه واقرائه الدروس والتفاته للطلبة ، وتقدم أمره وراج قدره ، واتسعت دنياه . ولم يزل حتى حصلت حوادث الفرنساوية في مصر ، فصادرته فرنسا وأخذت منه خمسة عشر الف ريال فرنساوي ، فعظمت همومه وتفاقمت غمومه ، وسافر الى بلدة جارية في التزامه يقال لها كوم النجار ، فأقام بها أشهراً ثم ذهب الى شيبين الكوم بلدة اقاربه ، وأقام بها الى أن مات رحمه الله تعالى سنة خمس عشرة ومائتين والف ، وذلك بعد وفاة أخيه الشيخ محمد بنحو خمسة أيام ، ودفن هناك في قرية شيبين .

الشيخ عبد الفتاح العقري النقشبندي الخالدي

المرشد الولي الفقيه العابد ، والمقصد التقي الناسك الزاهد ، صاحب الهمم العلية ، والأخلاق المرضية ، كان من أهل الاستقامة في التقوى منقطعاً الى الله في السر والنجوى ، أخذ الطريقة النقشبندية الخالدية فأحسن بها الاشتغال وقام على ساق الخدمة بها في الأيام والليالي ، ثم لما رآه حضرة الأستاذ مولانا

خالد قد استعد للارشاد وصار عنده أهلية الدعوة الى المراد ، خلفه خلافة مطلقة يعطي الطريق لمن أراد من ذوي الهمة والاستعداد . وكان رحمه الله تعالى حسن الأخلاق صافي السريرة متواضعاً متذللاً كثير الخدمة هاضماً لنفسه . توفي رضي الله تعالى عنه بعد الألف والمائتين والخمسين .

الامير الكبير السيد عبد القادر بن محي الدين الجزائري المغربي

هو الهمام الكامل العارف ، والإمام المتحلي بأعلى العوارف ، الراسخ القدم في العلم الإلهي والكاشف عن أسرار الحقائق حتى شهدها كما هي ، قد حل من طَرْفِ الفضل في سواده ، وتبوأ من صدر الشرف أوج فؤاده ، فمحامده تملأ المجامع والمسامع ، ومناقبه تنير المطالع وتقف عندها المطامع ، فلا ريب أنه مفرد الزمان القائم مقام الجمع ، المستجمع لصفات الكمالات الانسانية لدى كل منطق وسمع ، فهو البحر الذي سارت فيه سفن الأذهان فلم تدرك قراره ، وعجزت أفكار النظراء وألباب البلغاء عن أن يخوضوا تياره . ما برز جواد علمه في ميدان البحث إلا وازدان على قاص ودان ، ويقال لمن سأل عن حقيقة حاله ليس الخبر كالعيان . وأما جوده فهو القطر الذي عم الفجاج نتاجه ، والبحر الذي طاولت الأبراج أمواجه . فلله دره من كامل قد استدارت منطقة المجد حول قطب سيادته ، واستنارت كواكب المعالي الزاهرات بأضواء شمس سعادته . فهذا الذي تقتبس من مشكاته أنوار التقوى والصلاح ، وتختلس من جانب طوره أطوار النجاة والنجاح . وحلّ من الشرف في طالع سعوده ، واستوى على ذروة الغرف المشيدة لبذل نداه وجوده ، وشهرته قد فاقت ضوء المصباح والصباح ، وسيرته قد رقت وراقت فهي لسامعها الراح

المباح . ولا غرو فهو فرع الشجرة الطيبة المنابت ، قد ثبت أصلها وزاحمت أغصانها الثوابت ، تسامت بالنسبة إلى شرف النبوة أعاليها ، واخضرت بماء الفتوة أدواح معانيها ومعاليها :

كل المفاخر والمناقب جمعت فيه على الاطلاق والتقييد
والمجد مقصور عليه أثيله والعز تحت ظلاله الممدود
تلقى برؤيته المنى أو ما ترى عنوانه يجبينه المسعود
لو تشعر الدنيا لقالت إن ذا مضمون أشعاري وبيت قصيدي

ومع ذلك فهو فارس ميدان اليراع والصفاح ، وليث الرماح الخطية [1] والأقلام الفلاح . فهو لعمري الموصوف حقاً ببسط الكف ، ما أعرض يوماً عن بذل المعروف ولا كف . فهيهات أن يصفه الواصف وإن أطال الكلام ، أو ان يحكيه العارف وإن ملأ بطون الدفاتر وبرى ألسنة الأقلام . **واما ذكر نسبه الموصول بأشرف نبي وأجل رسول** ، فهو التقي العابد والغازي المجاهد ، الأمير عبد القادر المغربي الجزائري بن السيد محيي الدين بن السيد المصطفى بن السيد محمد بن السيد المختار بن السيد عبد القادر بن السيد أحمد المختار بن السيد عبد القادر بن السيد أحمد المعروف بابن حنّه مرضعته بن السيد محمد بن السيد عبد القوي بن السيد علي بن السيد أحمد بن السيد عبد القوي بن السيد خالد بن السيد يوسف ابن السيد أحمد بن السيد بشار بن السيد محمد بن السيد مسعود بن السيد طاووس بن السيد يعقوب بن السيد عبد القوي بن السيد أحمد بن السيد محمد بن السيد إدريس الأصغر بن السيد إدريس الأكبر بن السيد عبد الله ابن السيد الحسن المثنى بن السيد الحسن السبط بن السيد علي بن أبي طالب

---

(١) الخطيّة : الرماح المنسوبة إلى الخط ، وهو مرفأ للسفن بالبحرين حيث تباع الرماح .

وفاطمة الزهراء بنت سيد العالمين ، وإمام الأنبياء والمرسلين ، محمد ﷺ وشرف وعظم وكرم :

نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا

وقد نظم هذا النسب الشريف صاحب المقام العالي المنيف السيد محمود افندي حمزة مفتي دمشق الشام رحمه الله تعالى فقال :

يا حبذا الوعد والانجاز يصحبه حاشا علاكم بأن الخلف يعقبه
حيا فأحيا ظنوناً غير نائية لولاه كانت قضت مما تراقبه
وافى البشير به والفكر في قلق والقلب في حرق همّ يقلبه
والجفن في أرق والعين في غرق والصبر في فرق كرب يداعبه
ومذ تفوّه قام الحزن مرتحلاً عنا بعسكر لوم لست أنحبه
وباشر البشر في ضرب الخيام على قاع السرور فكم ذا كنت أرقبه
فالحمد لله حيث الفضل في ملك مسلسل الأصل يعلو حين تنسبه
العالم العامل الغازي أخو ورع الزاهد المنتقى للخير ينتبه
السيد الفرد عبد القادر الحسني من سيفه ملك الافرنج يرهبه
نجل المحقق محيي الدين سيدنا من ضاء من علمه شرق ومغربه
ابن الامام الهمام المصطفى كرماً من كل محمدة في الكون تطربه
ابن المجد ركن العز أوحدهم محمد من غدا في الحمد مذهبه
ابن الهمام هو المختار قدوتنا عند الثريا مقاماً كنت تحسبه
ابن السميدع (١) عبدالقادر الورع المز دان بالقدر رفعاً لست تنصبه
ابن الشريف هو المختار أحمد من فعل المحامد والاحسان مشربه
ابن المجد عبد القادر الحسن الـ أخلاق فوق الدراري كان مطلبه
ابن المسمى بجده عند نسبتهم أخدوده واصل لله راكبه

---

(١) السيد الكريم الشجاع .

ابن التقي الذي سموه أحمد من ... وسائط الحمد للتوفيق تجذبه
ابن الذي مر في عز وفي شرف ... محمد من لذيل الفخر يسحبه
ابن المسمى بعبد للقوي لِمَا ... أبداه في دين مولاه تصلبه
ابن الكريم عليٍّ من سما عظما ... حتى غدا في علاه البدر يرقبه
ابن الجواد العفيف السمح أحمد من ... اعي اليراع لفضل فيه حاسبه
وهو ابن عبد القوي الله سدده ... قواه في ضمن تقواه تقربه
ابن الذي خلد الفردوس خالدهم ... فالحور في روضة الرضوان تخطبه
ابن السمي الى الصديق يوسف من ... قميصه من عفاف قدّ جاذبه
ابن الهمام جليل القدر أحمد من ... ساد المعالي بطرق المجد يركبه
ابن المبجل بشار الكرام ومن ... سمت لدى الخلق بالبشرى مراتبه
ابن المكرم فرع المجد واحده ... محمد من صفات الحمد تصحبه
ابن المهذب مسعود الطوالع من ... في الشرق والغرب لا يخشى تحجبه
ابن المفاخر طاووس بنسبته ... الى المعالي ولا عجب يصاحبه
ابن المسمى الى يعقوب سيدنا ... من صبره لم تضق فيه مذاهبه
ابن الشديد لأمر الله قدوتنا ... عبد القويّ فذا يحلو تعصبه
ابن الكريم المفدى ذاك أحمد من ... ركن المعالي به تسمو جوانبه
ابن المعظم نسل الملك قسوره ... محمد من سمت فينا رغائبه
ابن المتوج تاج الملك في رحم ... إدريس أصغرهم تزهو كتائبه
ابن المسمى بإدريس المليك فكم ... خاض المفاخر فيه الدهر اشهبه
ابن المكمل عبد الله كاملهم ... من حصر أوصافه يعيي تطلبه
ابن الإمام المثنّى فضله حسن ... من جمع احسانه ما لست اكتبه
وهو ابن سبط الرسول المنتقى حسن ... من كان سيده المختار ناسبه
وهو ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء م طراً كما الأخبار تعربه
وهي ابنة الخاتم الهادي محمدنا ... من شرف السلك في الأنساب كوكبه

صلى عليه مع التسليم خالقنا ما ضاء في العالم العلوي موكبه
والآل والصحب ما ارخت أي وطر ياحبذا الوعد والانجاز يصحبه

ولد رضي الله تعالى عنه وأرضاه في القَيْطَنة من أعمال معسكر بالمغرب الأوسط يوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف من الهجرة النبوية ، ونشأ رحمه الله تعالى في حجر والده إلى أن شب بالعفة والصيانة والطاعة والأمانة مرضي الحال محمود الأقوال والأفعال ، مشهوراً بين أقرانه بالجد والاجتهاد دائباً على المطالعة والحفظ والرياضة والانفراد ، قد ظهرت عليه من صغره لوائح الفلاح ، وتقلد منذ تميزه بقاليد الصلاح والنجاح ، وأخذ الفقه عن والده عمدة المحققين إمام الكل في الكل السيد محيي الدين ، والفقه وغيره عن غيره من العلماء والسادة القادة الفضلاء ، ثم رحل للطلب إلى وهران ، فأخذ عن علمائها ذوي الإتقان . وكان يحفظ أكثر البخاري متضلعاً باللغة العربية ، وله بذلك وبغيره اليد العلية ، ولم يزل يكرع من شراب العلم كؤوساً روية ، ويلبس للجولان في ميدان القيام بأنواع العبادات دروعاً قوية ، وعين الرعاية ترعاه وتساعده على ما قصده وعناه ، ويد الرفعة تشير اليه وتطرح تقاليد السعادة بين يديه ، الى ان صار عين زمانه وحدقة انسان عصره وأوانه ، وقد افتخر به من خلف على من تقدم من الأعلام وسلف ، ومع ذلك فكان ذا شجاعة علوية ، واخلاق وأوصاف محمدية . ولما قصد حضرة والده البلاد الحجازية ، أخذه معه للتشرف بتلك الأماكن والأخذ عن ذوي المراتب الالمعية ، فمشى مع والده براً الى تونس ، ثم ركب معه البحر الى الاسكندرية ، ومنها سار الى مصر ثم الى السويس فركب معه الى جدة ومنها الى مكة ، فحج مع والده وزار واعتمر وأدى بقية المناسك

كما أخبر النبي وأمر ، ثم سار معه الى المدينة المنورة ، فزار قبر جده الشريف وصلى بالمسجد النبوي المنيف ، ثم سار معه الى دمشق الشام ، فأقام بها مدة وأخذ عن علمائها السادة الأعلام ، كما أخذ عن أهل غيرها ممن مرّ عليهم في طريقه ، غير انه قد استقام في دمشق الشام مدة ، قد بذل بها في طريق النقشية اجتهاده وجده ، ثم سار الى مدينة بغداد لزيارة السيد عبد القادر الجيلاني كعبة الاسعاد ، فتكمل بهذه الرحلة ، ونال ممن اجتمع بهم من ذوي الفضل كل نحلة ، ولبس الخرقة القادرية من يد الاستاذ نقيب الأشراف وخليفة السيد عبد القادر سيدي السيد محمود القادري ذي الفضل الباهر ، ثم رجع الى مكة المشرفة مرة ثانية فحج وزار وتبرك بتلك الآثار السامية ، ثم رجع مع والده الى الأوطان وحالها مضمحل معدوم الراحة والأمان ، وقد طال عليهم الأمد وتوالى عليهم الكرب والنكد ، وتطاولت اليهم يد الأجانب ، وأحاط بهم الهم والغم من كل جانب ، وكثر بينهم الفساد وانحازت طوائفهم نحو التخالف والعناد ، فتارة يرون كف العدو فرضا ، وتارة يحارب بعضهم بعضا ، وقد يئسوا من نجدة الدولة العثمانية التي لها عليهم السيادة الحقيقية ، وظهر لهم عجز جارهم سلطان المغرب الأقصى ، وبحر الفتن لديهم لا تُحَدُّ أمواجه ولا تحصى ، فاجتمع العلماء والأشراف وأعيان القبائل من العرب وذوي الإنصاف ، وقدموا على حضرة والد المترجم السيد محيي الدين وألزموه إما أن يقبل بيعتهم على الملك لنفسه وإما أن يقبلها لولده المترجم المرقوم ، ولم يقبلوا له من اعتذار بل أصروا عليه غاية الإصرار ، فنظر في هذا الأمر فوجد الاهتمام به واجباً ، وقد خطبته هذه الإمارة ولم يكن لها طالباً . بيد أنه لا يقدر على القيام بها بنفسه لكبر سنه وعجزه ، فاختار لها ولده المترجم المذكور ذا الفضل الباهر المشهور ، حيث انه بلغ أشده ونال من الكمال حده ، وترشح للامامة وتأهل لها ، حتى لم تكن تصلح

إلا له ولا يصلح إلا لها ، لما كان محتوياً عليه من علو الهمة واستقامة الأطوار ، وقوة الملكة وتحمل المكاره وحسن الاصطبار ، والشجاعة والعلم والسماحة والحلم ، والقوة والعزم والازماع والحزم ، والنباهة والتيقظ والمواراة من المخاوف والتحفظ ، والعبادة والتقوى في السر والنجوى ، الى غير ذلك من أنواع الفضائل وبديع الشمائل ، التي لا بدّ للملك منهـا ولا غنى له عنها . فلما علموا من والده الشريف الإجابة ورأوا ما عند المترجم من البسالة والنجابة ، نادى المنادون بلا توان باجـتماع الأكابر والأعيان . فاجتمع العلماء والأشراف ، وأهل الصولة من الأطراف ، وكان اجتماعهم بوادي فروحه من غريس فجلس سيدي المترجم تحت دردارة [1] هناك عظيمة ، وتقدم والده اليه فبايعه ثم بايعه الناس بيعة عميمـة . وفي الحال لقبه والده بأمير المؤمنين ناصر الدين ، وكانت هذه البيعـة خصوصية في محل معلوم ، لكنه لما تسامع خبرها حضر اليه الناس من كل جانب وبايعه العموم ، حتى انه لم يبق أحد ممن لم يحضر إلا وقد صدق على بيعته وانقاد لسلطنته وإمرته ، وكان ذلك سنة ألف ومائتين وثمان وأربعين ، فأسس ربوع الخلافة والسلطان ، وشيد أركان دولته برفع الظلم وهدم جدار الطغيان ، ثم قامت الحروب بينه وبين الفرنسيس على ساق ، واتسع الخرق وقوي الشقاق ، ولم يزل يصول عليهم ويوجه سهام الموت الأحمر اليهم ، إلى آخر تلك القصة ، التي لا يساعدنا الاختصار على ذكر تفصيلها . وقد ألف سعادة ولده الأمير السيد محمد باشا كتاباً مستوفى في ذلك ذكر فيه ترجمة حاله مفصلة من ابتدائها إلى انتهائها . وكتب المؤرخ الفاضل الشيخ محمد بيرم التونسي في كتابه صفوة الاعتبار ، فقال : اعلم أن الدولة الفرنساوية لما ترقت في المعارف لا سيما في الأعصر

---

(١) الدّردار : شجر عظيم من فصيلة الزيتونيات .

الأخيرة لازمها حب الظهور ، وعدم تحمل الهوان ، وكانت الدولة العثمانية في شغلها الشاغل من أعمال الينكشارية وحروب الروسية وثورات اليونان وطغيان ولاة الأقاليم وعدم امتثالهم للأوامر ، وكان والياً على الجزائر ، حسين باشا وكان مستبداً ظلوماً مرتشياً قليل التدبر ، وحصل منه إهانة لقنصل فرانسا ، وذلك على ما في تاريخ ابن الضياف أن أحد التجار اليهود الأغنياء الجزائريين الملقب ببقرى أبو جناح ، له خلطة مالية مع تجار من الفرانسيس ، وتداعوا في خسائر من الجهتين ، وانتصر حسين باشا لرعيته بالالحاح على قنصل فرانسا في انصافه ، وآل الأمر إلى صلح يدفع على مقتضاه التجار الفرنساويون إلى التاجر الجزائري مالاً عظيماً وافرا ، وأضمر حسين باشا أخذ المال لنفسه لمّا رآه ذريعاً وراجعاً لرعيته ، وتلك كانت من عادته المألوفة له عن أمثاله . ولما قرب دفع المال وإذا بتجار أخر فرنساويين قاموا على بقرى المذكور بدين أوقفوا عليه المال الذي يريد قبضه ، فتكدر حسين باشا لذلك كدراً عظيماً وطلب من القنصل رفع الايقاف ، وقال : إن أرباب الدين الفرنساويين يتبعون ذمة المديون بعد قبضه المال ، حيث انه لا حق لهؤلاء الطالبين في المال الذي يدفعه الفرنساويون ، فامتنع من ذلك القنصل مستنداً إلى أن المال مال المديون والغرماء حقهم عليه ، فحجزوا على المال لاستيفاء حقهم منه ، وكان المديون قد دبر هذه الحيلة خوفاً على ماله من الهلاك باستيلاء الباشا عليه ، فأعرض الباشا عن القنصل ، وكاتب دولة فرنسا فأرسلت الدولة المكتوب بعينه إلى القنصل وأمرته بالجواب عنه ، فذهب القنصل عند الباشا لمآرب أخر ، فخاطبه الباشا في استبطاء جواب مكتوبه الذي أرسله لدولة فرانسا ، فقال له القنصل إن المكتوب أرسلته الدولة إلي وأمرتني

بالجواب عنه ، فسأل عن سبب عدم إجابة الدولة له ، فأجابه بما فهم منه احتقاره ، وكانت بيد الباشا منشة يطرد بها الذباب فضرب بها وجه القنصل وطرده ، وبقي آسفاً على ما فاته من مال بقرى . ثم ان فرانسا تهددت الوالي المذكور على إهانة نائبها ، وألحت عليه بأن يطلب منها الرضى ويعترف بالخطأ فأبى وأصر على غلطه ، مع ان الدولة العثمانية والدول الأجانب وخواص الأهالي قد حسنوا ذلك له ، ودولته أمرته أمراً قطعياً بذلك فأبى ، وقد كانت فرانسا في شغل من داخليتها في ذلك الوقت لأن ذلك كان أثر حرب نابليون الأول ، وكانت أيضاً متوقية المشاحنة مع العرب ومع الدولة العثمانية ، حتى رضيت فرنسا بأن يكلف الباشا أي إنسان كان في باريس بطلب الترضية لكي تندفع هذه المعرة ، ولا تلحقه هو مذلة بارسال أحد من متوظفيه إلى « القنصلاتو » ولا إلى باريس ، وكان قصدها بذلك اجتناب الحرب ما أمكن لاشتغالها بحروبها وأحزابها الداخلية ، فأصر الوالي على رأيه ، وأرسلت فرانسا أسطولها وحاربت بلد الجزائر ، واستولت عليها ، وحمل ذلك الوالي إلى باريس ، ثم مات في اسكندرية .

فدا ء الجزائر قد ابتدأ منذ انخرم أمر الينكشارية [1] في القسطنطينية التي هي مقر الدولة العامة ، ونشأ عنه ما نشأ من فساد الادارة والولاة ، إلى أن أصيبت عدة جهات وباء حسين باشا بالخزي ، واثم الظلم والخراب والتهور الذي كان أعظم النكبات ، وانتقلت حالة الجزائر بل وحالة السياسة في شطوط أفريقية الشمالية إلى طور اخر انتهى .

وكان مبدأ استيلاء فرانسا على الجزائر سنة ست وأربعين ومائتين والف ،

---

(١) الانكشارية : هو الجيش المنظم الذي أحدثه العثمانيون في القرن الرابع عشر (م) وقد تقدم ذكره .

في مدة كارلوس العاشر ملك فرانسا ، وتمكن الفرانسيس أولاً من القاعدة وما حولها ، لكن بقية الجهات أصروا على الامتناع من الطاعة لفرانسا ، لأنها إنما أرادت الانتقام من الوالي حسين باشا وقد حصل ، فالجهات الشرقية من القطر انفرد بالحكم فيها الحاج أحمد باي قسنطينة ، والجهات الجنوبية والغربية تشتتت تحت رؤساء القبائل ، ورام الفرنساويون محاولة تطويعهم بالرفق بان يتولى الأمر في وهران والي تونس ، بارسال احد عائلته أو أحد متوظفيه ، فأرسل والي تونس واحداً من جهته ومعه شرذمة من الحرس ، فلم ينفذ أمره في مدينة وهران فضلا عن خارجها ، فرجع من حيث اتي .

ثم اجمعت الجهات الغربية والجنوبية على مبايعة الرجل الوحيد سلالة النسل المطهر الامير السيد عبد القادر الجزائري بن محي الدين الحسني ، وقام لله حق القيام وصحبته النصرة الالهية في كثير من الوقائع ، الى أن كان في بعضها ما هو خارق للعادة من الكرامات ، كطفر فرسه الأزرق به ستين متراً وحيث أحاطت به العساكر الفرنساوية كالحلقة ، وراموا مسكه باليد فطفر به فرسه على رؤوس العساكر واسلحتهم ذلك المدى ونجا راكضاً الى منعته ، ودام محاربا لهم نحو سبع عشرة سنة ، واستقامت له حكومة ضرب فيها السكة باسمه وانشأ المدافع والبنادق ونفذ امره وخشيته فرانسا ، وأرسل الى الحاج احمد باي ليتحدا ويكونا يدا واحدة ، فامتنع تجبراً وطغياناً ، وكان ذلك سبباً لتأخر أمره وحطته وغدره ، وتنكيس أعلامه واستيلاء الفرنساوية على ما كان تحت أحكامه . وبقى الأمير السيد عبد القادر مدافعاً ومهاجماً الى أن سولت الغلطات النفسانية المخالفه للديانة الإسلامية لسلطان المغرب الاتحاد مع الفرنسيس على محاربة الأمير السيد المشار إليه ، وقطع عنه سلطان المغرب خط التجائه الى جهات الصحراء ، فاضطر

حضرة الامير الى التسليم للفرنسيس ، بعد المشاورة مع وكلائه ووزرائه وأمرائه ، حيث سدت المناهج والمسالك وعز الخلاص ، ولات حين مناص ،

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا فما حيلة المضطر إلا ركوبها

فأرسل المترجم رسوله الى قائد الفرنساويين بالميل الى التسليم ، على شروط أرسلها له في رقيم ، فقبلها القائد واظهر الفرح ، وزال عنه الغم والترح ، ووجه الى المترجم هدية ذات شان ، مفيدة للتودد والأمان ، وصدق له على عهده ، وأظهر له من الاحتفال غاية جهده . ثم بعد أيام نزل بعائلته ومن معه من خاصته في البارجة الحربية الى أن وصل الى مدينة امبواز (Amboise) وبداخلها صرايا[1] عظيمة حصينة ، فوضع المترجم بها هو ومن معه ، وكان ذلك في شعبان سنة ألف ومائتين وأربع وستين ، ثم نقل الأمير منها الى مدينة بوردو (Bordeaux) ، ثم إلى مدينة نانت (Nantes) ، ولما فصل رئيس جمهورية فرانسا وتولاها البرنس لويس نابليون ، فاجتهد غاية الاجتهاد وسلك مناهج السداد ، في تخليص الأمير من سجنه ، وتسريحه إلى مكان يحول بينه وبين كدره وحزنه ، فلم يزل يوجه اليه الرسائل ، ويعمل في الحضور لديه الوسائل ، إلى أن توجه نابليون إلى امبواز ، ووعده بالوفاء بالعهد على الحقيقة لا المجاز ، وقال له انك بعد أيام تكون في باريز عاصمة ملكنا ، ويكون لك كمال القدر عندنا ، وكان قد أقام في امبواز أربع سنوات ، فما مضى قليل من الأيام إلا وجاء الأمر بحضور الأمير إلى باريز بالجلالة والاحترام ، فدخل في موكب لم يكن لغيره ، وساق الله إليه جميل بره وإحسانه وخيره . ولم يزل في عز واحترام وجلالة وإعظام . يدور حيث شاء ويجتمع مع الأكابر والعظماء ، إلى أن صدر الأمر من الذات الامبراطورية بتسريح

---

(١) قصر الحكومة .

حضرته الآستانة العلية ، وذلك في ربيع الأول سنة تسع وستين ومائتين والف ، فسافر هو ومن معه إلى الآستانة ولا يمر في طريقه على بلدة إلا ويتلقاه أهلها بالحبور وغاية السرور الى أن وصل الى الآستانة دار الخلافة العثمانية ، واجتمع بأمير المؤمنين مولانا السلطان عبد المجيد فأجله وعظمه وأكبره واحترمه ، وقال له أنت صاحب الرأي في سكناك في أي محل شئت من الممالك العثمانية والبلاد الاسلامية ، فخرج من عنده حامداً شاكرا ، داعياً له بدوام السعادة أولاً وآخرا ، وأنشأ هذه القصيدة وقدمها لحضرته العالية السعيدة ، وهي :

الحمد لله تعظيماً وإجلالا ... ما أقبل اليسر بعد العسر اقبالا
والشكر لله اذ لم ينصرم أجلي ... حتى وصلت بأهل الدين ايصالا
وما أتت نفحات الخير ناسخة ... من المكاره أنواعاً واشكالا
وامتدعمري الى ان نلت من سندي ... خليفة الله افياء واظلالا
فالله اكرمني حقاً وأسعدني ... وحط عنى أوزارا وأثقالا
قد طال ماطمحت نفسي وماظفرت ... لكن للوصل أوقاتاً وآجالا
اسكن فؤادي وقر الآن في جسدي ... فقد وصلت بحزب الله أحبالا
هذا المرام الذي قد كنت تأمله ... هذا مناك فطب حالا بما آلا
وعش هنيئاً فأنت اليوم آمن من ... حمام مكة احراماً واحلالا
فانت تحت لواء المجد مغتبطا ... في حضرة جمعت قطباً وابدالا
وته دلالا وهذا العطف من طرب ... وغن وارقص وجر الذيل مختالا
آمنت من كل مكروه ومظلمة ... فبح بما شئت تفصيلا واجمالا
هذا مقام التهاني قد حللت به ... فارتع ولا تخش بعد اليوم انكالا
وابشر بقرب أمير المؤمنين ومن ... قد أكمل الله فيه الدين اكمالا
عبد المجيد حوى مجداً وعز علا ... وجل قدراً كما قد عم أفضالا

كهف الخلافة كافيها وكافلها ... من لا عهدنا له في القرن امثالا
يا رب فاشدد على الأعداء وطأته ... واحفظ حماه وزده منك اجلالا
واظهرن حزبه في كل متجه ... وسددن منه أقوالاً وأفعالا
وابسط يديه على الغبراء قاطبة ... وذللن كل من في الأرض اذلالا
فالمسلمون باقصى الغرب طامحة ... ابصارهم نحوه يرجون اقبالا
كم خائف يرتجي أمناً بسطوته ... وحائر يرتجي للحَزْن تَسهالا
فرع الخلافة وابن الأكرمين ومن ... شادوا عرا الدين أركانا وأطلالا
كم أزمة فرجوا كم غمة كشفوا ... كم فككوا عن رقاب الخلق اغلالا
هم رحمة لبني الإيمان سائرهم ... هم الوقاية اسواء وأهوالا
أنصار دين النبي بعد غيبته ... في نصره بذلوا نفسا وأموالا
قد خصهم ربهم في خير منقبة ... ما خص صحباً بها قبلا ولا آلا
كم حاول الصحب والآل الكرام لها ... والله يختص من قد شاء افضالا
ما زال في كل عصر منهم خلف ... يحمي الشريعة أقوالا وأفعالا
حتى أتى دهرنا في خير منتخب ... من آل عثمان املاكا وأقيالا (١)
قد كنت مضمر خفض ثم أكسبني ... رفعا وقد عمني جودا وافضالا
وبالاضافة بعد القطع عرفني ... وقد نفى عني تصغيراً واعلالا
هذا وحق علاه منتهى أملي ... قد حط عني بمحض الفضل اثقالا
لا زال تخدمه نفسي وامدحه ... مستغرق الدهر أبكاراً وآصالا
اهدي مديحي وحمدي ماحييت له ... أفادني انعما جلت واقبالا
جزاه عني إله العرش أفضل ما ... جازى به محسناً يوماً ومفضالا

ولم تزل الباخرة واقفة على الاستانة عشرة أيام ، وهو في كل يوم يزور الكبراء والعظماء والوكلاء ويزورونه ، وقد كفله السلطان عبد المجيد

(١) جمع قيل وهو الملك والرئيس .

حينما طلبت دولة فرانسا من السلطان المومى اليه أن يكفله ، وبعد أن استقام عشرة أيام ، والطعام في كل يوم يأتيه من السرايا الى الباخرة ، توجه الى بروسة [١] فدخلها يوم الاثنين السابع من ربيع الثاني سنة ١٢٦٩ وتلقاه واليها خليل باشا صهر الذات الشاهانه ومعه العلماء والوزراء والكبراء ، ثم انه لم يستقر به الأمر أياماً حتى جاء عنده خليل باشا بأمر السلطان المعظم يخبره بأن مراد الدولة العلية أن تعين له معاشاً يكفيه مع الاتساع هو ومن يلوذ به ، فسر المترجم بذلك ، ووجه لأمير المؤمنين ما يليق من الدعوات ، غير انه اعتذر بأن امبرطور فرنسا قد عين له ما يكفيه ويكفي من معه ، وأما حضرة أمير المؤمنين فان ما أسداه اليه من كفالته عند فرنسا فانها هي المنة التي لا تقابلها منة ، حيث انه لولاها لم يتيسر له الخروج من بلاد فرنسا . ثم انه لما رأى ما عرا هذه المدينة من كثرة الزلازل ، ورأى ان جماعته قد ضاقت صدورهم من الإقامة بها ، وقد تحسن عندهم تبعاً لسعادة الأمير الرحلة الى دمشق الشام ، فسافر الى الاستانة أول ذي الحجة سنة احدى وسبعين ومائتين وألف ، ثم الى باريز فتلقاه الامبراطور ورجال الدولة بكل عظمة واجلال ، ثم رجع الى الاستانة وقدم الاستئذان من الباب العالي بالرخصة له أن يرحل الى دمشق الشام ، فصدرت أوامر الدولة العلية لمحمود نديم باشا والي دمشق بالاستعداد لقدومه ، واعداد محل لائق به . ثم ان الأمير المرقوم غب حضور الاذن له رجع الى بروسة [١] ، وفي خامس ربيع الثاني خرج منها بمن معه وكانوا مائتي نفس فركب بهم باخرة فرنساوية الى بيروت ، فاستقبله الخاص والعام واهتزت لقدومه أنحاء الشام ، وبقي قليلاً من الأيام ثم رحل ودخل الشام ، وكان قد خرج للقائه أهل البلد ، ولا يبعد أن يقال ما شذ منهم أحد ،

---

(١) مدينة في تركية آسيا ، فتحها ارخان بن عثمان (١٣٢٦ م) .

فتألف الكبير والصغير وشملهم بامتنانه وبشره الغزير ، ثم بعد أن استراح من السفر وزال عنه النصب والكدر ، توجه الى بيت المقدس للزيارة الشريفة ، وكان ذهابه من طريق صفد ، وايابه من طريق حوران ، تتميماً للزيارات الواقعات في الطريقين وذلك سنة ١٢٧٣ .

وبعد ذلك في رمضان من تلك السنة ، قرأ في المدرسة الأشرفية المشهورة بدار الحديث الواقعة في العصرونية صحيح الإمام الحافظ المجتهد أبي عبدالله البخاري ، وكان ختامه في اليوم الرابع والعشـــرين من شوال سنة أربع وسبعين ومائتين وألف .

وفي نصف ذي الحجة الحرام سنة ألف ومائتين وست وسبعين حينما وقعت الحادثة الكبرى في نصارى الشام ، وكان قد تعدى عليهم بعض الأشقياء المتوحشين فقتلوا وأضرموا النيران في أملاكهم ونهبوا متاعهم ، فحصل من الأمير المرقوم ما يدل على كمال غيرته ومروءته وتمدنه من خلاصهم والاحسان اليهم ، وبذل كمال المعروف ، وقد كافأه حضرة أمير المؤمنين السلطان عبد المجيد خان بالكتاب الذي أرسله اليه بخطاب التفخيم والاحترام ، مع النيشان (١) المجيدي من الرتبة الأولى ، وتواردت عليه كتابات بقية الملوك مع النياشين ذوات الفخر والقدر .

وتفصيل ذلك مذكور في كتـــاب مناقب المترجم من تأليف ولده المحترم سعادة محمد باشا الذي سماه بالكوكب الزاهر ، في اخبار الأمير عبد القادر . وفي سنة سبع وسبعين ومائتين والف توجه إلى حمص وحماه وغيرهما بقصد الزيارة للمشاهد العظيمة ، ولما وصل إلى حمـــاة ونزل في طيارة بني الكيلاني ، ورأى الناعورة أنشد :

---

(١) الوسام .

وناعورة ناشدتها عن حنينها حنين الحُوار[1] والدموع تسيل
فقالت وأبدت عذرها بمقالهـا وللصدق آيات عليه دليل
الست تراني القم الثدي لحظة وادفـع عنه والبلاء طويل
وحالي لحال العشق بات مخالفاً يدور بدار الحِب وهو ذليل
يطأطىء حزنا رأسه بتذلل ويرفع أخرى والعويل عويل

وفي أول رجب سنة الف ومائتين وتسع وسبعين توجه إلى الحجاز من جهة البحر ، فنزل من بيروت إلى الاسكندرية ثم إلى مصر ، بكل عز وإكرام ، ثم إلى مكة ، وبعد أيام أخذ الطريقة الشاذلية عن العارف بالله الشيخ محمد الفاسي واختلى مدة في غار حراء فبلـغ مطلوبه ونال مرغوبه ، وفتحت له كنوز الأسرار وكشف له عن رموز الأستـار ، وبرقت له البوارق ووردت عليه الواردات من المنهل الرائق ، وبعد خروجه من غار حرا ، توجه إلى الطائف الشريف فمكث هناك نحو ثلاثة أشهر ، وهو على اشتغاله واجتهاده في الطريق ، ونظم هناك قصيدته التي يذكر بها بدايته ونهايته ، ويمدح بها شيخه ويذكر خلافته وولايته ، وأولها :

أمسعود جاء السعد والخير واليسر وولت جيوش النحس ليس لها ذكر

إلى أن قال :

أتاني مربي العـارفين بنفسه ولا عجب فالعسر من بعده يسر
وأعني به شيخي الإمام وعدتي لهيبته تغضي له الأسد والنمر
محمد الفـاسي له من محمد كمال الرضى والحال والشيم الغر
أبو حسن لو قد رآه أحبه وقال له أنت الخليفة يا بحر

إلى آخرها ، وهي طويلة ذكر بهـا أسراراً وأموراً تدل على بعض ما حصل له من الفتح الرحماني والكشف الصمداني .

---

(١) ولد الناقة قبل أن يفصل عنها .

وفي أول يوم من رجب سنة ثمانين ومائتين والف ، توجه إلى المدينة المنورة من طريق جدة ، فدخلها في اليوم السادس والعشرين من رجب ، واستقبله أشرافها وحكامها وعلماؤها ، ثم بعد مدة طلب من حضرة الهمام الشريف صاحب المقام المنيف السيد أحمد أسعد أن يهيء له محلاً يختلي فيه للعبادة مدة ، فهيـــأ له المحل الذي كان لسيدنا الصديق قدس الله سره وبابه من المسجد الشريف ، فاختلى فيه شهرين ، وحصل له ما حصل ووصل إلى ما اليه وصل ، ولم يزل في المدينة الشريفة والبلدة المنيفة ، إلى أن حضر ركب الشام فتوجه معه إلى مكة والبلد الحرام ، وبعد إتمام حجه توجه إلى جُدّه في الرابع عشر من ذي الحجة الحرام ، وفي التاسع عشر ركب في الوابور [١] المصري ، ولم يزل تستقبله الولاة والكبراء والعلماء والوزراء ، إلى أن دخل دمشق الشام ، في التاســـع عشر من المحرم سنة اثنتين وثمانين ومائتين والف فاستقبله الخاص والعام ، فقابلهم كعادته بالبشر والسرور والفرح والحبور ، وبعد استراحته من رحلته وسياحته سنة اثنتين وثمـــانين ومائتين والف ، عزم على السفر إلى الآستانة لزيارة الخليفة الأعظم والسلطان الأفخم ، مولانا السلطان عبد العزيز خان ، فقابلته الدولة بما لاق وعاملته بما اشتهر في الآفاق ، واتاه حضرة الصدر الأعظم من طرف أمير المؤمنين بالنيشان العثماني من الرتبة الأولى ، وكان إذ ذاك مسند الصدارة العظمى حضرة فؤاد باشا . وفي تلـك الأيام قدم المترجم الرجا والشفاعة لحضرة أمير المؤمنين في تسريح الذوات الشاميين المنفيين الى قبرص [٢] ورودس [٣] فقبلت شفاعته وخرج الأمر العـــالي

---

(١) الباخرة .

(٢) جزيرة في البحر المتوسط ، أرضها زراعية ، وجبالها غنية بمناجم الذهب والنحاس.

(٣) جزيرة شرقي الأرخبيل اليوناني وهي الآن تابعة لليونان .

بتسريحهم ، وقد تعرض لذلك العالم الجليل والفاضل النبيل ، مفتي اللاذقية السيد عبد الرزاق افندي فتاحي الحسيني في موشحه الذي قدمه لحضرة مولانا المترجم المرقوم وهو :

سلت لفتكي من الأحداق هنديا خود حكى قدها بالميل خطيا

دور

رشيقة القد بالأعطاف تسبيني تسمو بطلعتها حسناً على العين
رضابها العذب منه الرشف يحييني وقد دعاني بفرط الوجد مسميا

دور

يا بانة اللطف كم ذا تهجرين الصب منّي بطيب اللقا وارعي حقوق الحب
متى تجودين يا أخت المها بالقرب لمغـــرم قد غدا بالشوق مضنيا

دور

مالي إذا ماجفا الأحباب أو بعدوا سوى الأمير الذي وافى به الرشد
السيد الشهم عبد القادر السند مولى غدا عَرفه في الكون عطريا

دور

سليل ذي الفضل محي الدين والحسن في نسبة منتهاها صاحب السّنن
بدر الجزائر من وافى على سَنَن غدا به عند رب العرش مرضيا

دور

في فتنة الشام كم وفى من الهمم حتى حكى صنعه ناراً على علم
وقد حبته ملوك الأرض بالنعم وللفخار نياشينا زهت زِيا

دور

وقد أتم صنيع الخير حيث سرى لباب سلطاننا الأسمى الرفيع ذرا
يرجوه اطلاق من في النفي فاعتبرا منه المقـــام وبالبشرى له حيا

دور

وقد بلغنا جميعاً غاية الأمـــل بحسن اقدام هذا السيد البطل
من فاق فينا بحسن العلم والعمل لازال دهراً من الأسواء محميا

وله في ذلك أيضاً :

بشرى فقد نلنا المنى والغم زال والعنـــا

دور

الله عـودنا الجميـــل من فيض احسان جزيل
لابد للخطب الجليـــل من منحة فيها الهنـــا

دور

كم شدة ذاب الفؤاد منها وجـــافانا السهاد
قد حفها لطف فعاد فيها لنـــا يسر دنا

دور

صبرا أخا العقل السليم ورضى بتقدير الحكيم
فالله ذو الفضل العظيم فبفضـــله قد عمنـــا

دور

بالصبر قد حزنا الفرج وبه لنا فـــاح الأرج
والغم زال كذا الحرج مع كل كرب أحزنا

دور

قد فاز عبد القـادر رب الكمال البـــاهر
بجزيل أجـــر وافر لمـــا بذا الخير اعتنى

دور

بدر الجزائر ذو العلا من فاق قدراً في الملا
بحـــر لورّاد حـــلا وفي العطـــا مولى الغنا

دور

ليث الوغى رب الندى سامي الذرا شمس الهدى
أهـل التقى نور بدا يمحو الدياجى بالسنـا

دور

في فتنة الشام الشريف قد سكن الخطب المخيف
بحزمه الوافي المنيف خف البـلا عن قطرنا

دور

للوسـع أضحى باذلا وقد رقى منـازلا
وله المـلوك عاجـلا أهدوا نياشين الثنـا

دور

ثم انتضى العزم الوفي لرد من منـا نُفِي
فنحا حمى الليث الصفي بدر المـلوك عزنا

دور

سلطاننا عبد العـزيز غوث الملا الحرز الحريز
سامي الذرى الغوث المجيز من بالمـراد أمـدنا

دور

الى حمـاه قد ورد قد فـاز منه بالمدد
وأجـابه فـيما قصد وعفـا له عمن جنى

دور

وحباه نيشان افتخـار وأحـله أوج الوقار
فسما له ذكر وسار مع ما من الخير اقتنى

دور

ندعوك رب العـالمين بالمصطفى طـه الأمين
أيد أمـير المؤمنين سلطـاننا غوث الدنا

دور

واعطف بفضـــل وافر للشهم عبد القـــادر
سبط النبي الطـــاهر من قد هدانا سبلنـــا

دور

واحفظ لنـــا اشباله وامنحهم اقبـــاله
يســـر له آمـــاله وافتح له يا ربنـــا

وبعد أن أقام حضرة الأمير المترجم مدة شهرين في الآستانة ، توجه الى فرنسا فاهتز القطر لقدومه ، وتحرك لاستقباله ركن العاصمة من حاكمه ومحكومه ، ونال من القدر أعلاه ومن الاحتفال اجلاه وأولاه . وقابل الامبراطور نابليون وجلس معه ساعة وبذل له من الاحترام اتساعه ، ثم بعد أيام رحل الى لوندرا مملكة الانكليز ، وحصل له من الدولة والأهالي كل قدر عزيز ، ثم بعد تمام اطلاعه على تلك المحلات رجع الى باريز ، وغب وداع الامبراطور ورجال الدولة توجه إلى وطنه دمشق الشام ، وكان قد زيد له في معاشه في كل سنة خمسون الف فرنك ، فصار جملة معاشه في كل شهر ستمائة ليرة فرنساوية ، اثنا عشر الف فرنك ، ولا زال في طريق رجوعه إلى الشام إلى أن وصلها ، لايمر على بلدة إلا ويقابل بكل مقام عال ، ولما أقبل على الشام خرج أكابرها وعلماؤها لاستقباله والسلام عليه ، فعاملهم بأحسن معاملة ولاطفهم غاية الملاطفة ، وكان يحادثهم بما أنعم الله به عليه تحدثا بنعمة الله تعالى .

وفي تشرين الثـاني سنة الف وثمانمائة وتسع وستين الموافق سنة الف ومائتين وخمس وثمانين ، دعي الى حضور فتح خليج السويس كما دعي الى ذلك أعيان العالم ، فاجتمع في مصر بامبراطورة فرنسا وكان له منها الاحتفال العظيم والالتفات الجسيم ، ثم عاد إلى الشام بعد مدة قريبة . وفي سنة الف ومائتين وتسع وتسعين ، خرج ومعه بعض أولاده السادات

وبعض خواصه وخدمه إلى طبرية وصفد ونواحيها للتنزه والفرجة ، وكان الوقت وقت الربيع ، وأقام في تلك الرحلة نحو أربعين يوماً ، وكان لي بحمد الله منه الحظ الأوفى الأوفر والالتفات الأجدى الأجدر ، والعناية العالية والبشاشة السامية ، وحضرت عليه مع من حضر كتاب فتوحات الشيخ الأكبر ، ورسالة عقلة المستوفز له ، وكتاب المواقف المترجم المرقوم ، وهو كتاب كبير في الواردات التي وردت عليه [1] ونسبت إليه . وكنا لايرد علينا إشكال من آية أو حديث أو غير ذلك إلا وأجاب عنه بأحسن جواب ، من فتح الملك الوهاب ، وكان في كل مدة قليلة يدعونا إلى بعض محلاته خارج البلد ، فكان يدخل علينا كل سرور ويفرغ علينا كل حبور ، وفي كل سنة في أيام الصيف كان يخرج إلى قصره في أرض دمر ، فكان يأمرني بالخروج معه ، ولا زلت ملازماً لها إلى أن توفي .

وفي غرة رجب سنة الف وثلاثمائة ابتدأه مرض المثانة وحصر البول ، ولا زال يقوى عليه إلى الساعة السابعة من ليلة السبت التاسع عشر من رجب ، فدعاه مولاه إلى جنابه وفسيح رحابه ، وذلك في قصره في قرية دمر ، فلما أصبح الصباح ماج الناس بالعويل والصياح . ونقل في عربته من قصره في دمر إلى داره في الشام ، ثم غسل في داره بحضرة العلماء الأعلام ، وصلي عليه في جامع بني أمية في مشهد لم يسبق لمثله ، وخرج معه الناس أجمع مع الخضوع والتذلل ، إلى أن دفن في الصالحية من دمشق في مدفن الشيخ الأكبر محي الدين العربي شمالي قبره الشريف ، ليس بينه

---

(١) وله « ذكرى العاقل » في العلوم والأخلاق و « الصافنات الجياد » في الخيل وصفاتها و « المواقف » ثلاثة أجزاء في الواردات الإلهية (تصوف) و « ديوان شعر » وكلها مطبوعة .

وبين الحائط الشمالي قبر آخر وكتب على بلاطة القبر الشريف من نظم الأخ الفاضل عبد المجيد افندي الخاني .

لله أفق صار مشرق دارتي قمرين هلا من ديار المغرب
الشيخ محيي الدين ختم الأوليا قمر الفتوحات الفريد المشرب
والفرد عبد القادر الحسني الأمير قمر المواقف ذا الولي ابن النبي
من نال مع أعلى رفيق أرخوا أزكى مقامات الشهود الأقرب
في تاسع عشر رجب سنة ألف وثلاثمائة

وقد رثاه كثير من العلماء الأعلام والشعراء الأدباء الكرام ، منهم العلامة محمد اسحق افندي الأدهمي الطرابلسي :

قامت عليك قيامة العلماء يا سيد العلماء والأمراء
وبكتك أجفان المكارم والعلا يوم النوى ممزوجة بدماء
هذا مصاب ما أصيب بمثله الإسلام بعد السادة الخلفاء
من لليتامى والأرامل يا ترى بعد الأمير ومن إلى الفقراء
ومن الذي يولي الجميل تفضلا ويجود بالصفراء والبيضاء
ومن الذي يرجى لهذا الدين إن خفقا عليه سطوة الأعداء
من للمساجد والرياضات التي ارضيت فيها عالم السراء
تا لله من بعد الأمير المرتضى ماثم إلا كاشف الضراء
مات الأمير السيد الحسنيّ عبد القادر ابن السادة الكرماء
أسفي على قمر بأفق سما العلا قد كان يحلف[1] غرة الظلماء
القانت الأوّاب من أحيت موا قفه لنا العربيّ ذاك الطائي
علامة الآفاق ذاك العارف الغو ث المعظم بضعة الزهراء
أسفي على من كانَ يستسقى به صوب الغمام وصيّب الأنواء

إلى أن قال .

أما الأمير فقد غدا في جنة المأوى وجاور أكرم الكرماء

---

(١) كذا في الأصل ولعلها : يكشف .

وغدا ينادي نلتُ ما أملتُه من خالقي وبلغتُ كل مناء
وسعادة الدارين حزتُ فأرخوا طيبا بحسن الظن من مولائي

سنة ١٣٠٠

وهي قصيدة طويلة تزيد على ثمانين بيتاً .

ورثاه أيضاً الشيخ طاهر افندي المغربي السمعوني فقال .

خطب جسيم عم بالأكدار ما بعده لسواه من مقدار
لو يعتري صم الجبال لأصبحت دكا تنثر مثل نثر غبار
ولو اعترى نوع النبات لما نما ولصار مثل الترب والأحجار

إلى أن قال :

لو كان في الموت الفداء فداه م كل سميدع ندب من الأحرار
لكنه أمر على كل الورى متحتم في سابق الأقدار

إلى آخرها :

وممن رثاه حسن افندي بيهم البيروتي :

بأي جناح سامنا صرفه الدهر أم الدهر خب من خلائقه الغدر
وعن حسد ما انتابنا من خطوبه وما نابنا إلا الخديعة والمكر
هو الدهر لم يحسن لمن كان قبلنا ولا يرتجى خير الذي طبعه الشر
يمد لنا بالنائبات أكفه أليس لهذا المدّ عن مسّنا جزر
ويبغي ولا يبغي البقاء لغيره ولابدّ يوماً أن يذوق الردى الدهر
ويحسدنا في كل شهم سميدع ولا عجب إذ كان في طبعه كبر
فليس من الحزم الوثوق بعهده فما عهده إلا الخلابة والخفر
لقد زادنا طعناً فأدمى قلوبنا وقابلنا بالكسر فامتنع الجبر
وأورثنا ريب المنون مصيبة لها ارتجت الأفلاك وانقضت الزهر
لها الأرض مادت والجبال تزلزلت لها صعق الأحيا وقد قضي الأمر

ومنها :

بها جاء ناعي البرق يرعد قلبنا ... فأمطرت الآماق ما ضمه الصدر
عشية عين الغرب حجّب نورها ... دجى الشرق حتى لا يخال له فجر
مصاب به العلياء تبكي أميرها ... وكل امرىء من ذا المصاب به شطر
أجل مات عبد القادر الحسنيّ مَنْ ... به سادت السادات وافتخر الفخر

ومنها :

به ملتقى البحرين للعلم والندى ... ففي صدره بحر وفي كفه بحر
وكانت أياديه ولا منّ بعدها ... مناهل جود ليس يسبقها نهر

وهي طويلة تنوف عن خمسين بيتاً

ومن رثاه أيضاً الأديب الأريب أبو النصر افندي السلاوي المغربي فقال :

على نفسه فليبك من كان باكيا ... فما مات من نال الحظوظ العواليا
هو الحق والدنيا لعمرك باطل ... ومن ينأ عنها كان للخير دانيا
وما الناس الا بين نوم ويقظة ... يسومون بالبخس النفوس الغواليا
رأي امرىء آتاه مولاه رشده ... غدا زنده نحو الترحل واريا
ومن لم يسر في يومه سار في غد ... الى حيث القى السابقون المراسيا
بلى كل نفس سوف يأتي كتابها ... ويحظى بعقبى الدار من كان راضيا
لنا في رسول الله يا قوم اسوة ... نقضّي بها أيامنا والليـــاليا
وليس سوى التسليم والصبر ملجأ ... اذا زلزل الخطب الجبال الرواسيا
لئن ساءنا فقد الأمير فإننـا ... بمطلوبه العالي نمني الأمانيا
تولاه مولاه الذي يبسط العطا ... لمن شاء بالحسنى ويجزي الموالياً
ترقت به النفس الشريفة للعلا ... ولبت الى نعم الرفيق المناديا
وما ذاك الا انه كان سالكا ... سبيل الهدى بعد النبيين راعيا
مشيداً عماد الدين من شرع جده ... مقيماً حدود الله بالعهد وافيا

رؤوفاً رحيماً دائم الشكر والرضى ... حليماً عليماً للفضائل حاويا
سميعاً بصيراً لا ارى غير انه ... سواء لديه الأمر جهراً وخافيا
يمد أيادي المحسنين بفضله ... ويغفر للمستغفرين المساويا
ويبسط للراجين من بحر جوده ... على الرفد والإقبال منه الأياديا
وكم من سحاب كان للناس ممطرا ... سواريه تحكى من عطاه الغواديا
وكم نعمة من فضله طاب غرسها ... لدينا ونرجو أن تدوم كما هيا
وانا وان كنا فقدناه واحدا ... وقد عز ان يأتي به الدهر ثانيا
فأنجاله الأمجاد فيهم كفاءة ... بإحرازها حازوا الثنا والمعاليا
على انه القى إليهم زمامها ... فقادوا باسباب الكمال النواصيا
وارشدهم حتى أتاه يقينه ... وجد الى دار السعادة ساريا
فهم بعده أقمار مجد صفاتهم ... نجوم عن الأرجاء تجلو الدياجيا
ونعم الكرام الفائزون بألفة ... ترد الردى عنهم وتردي الأعاديا
الا يا بني قطب الوجود تمسكوا ... بحسن التواخي تشكرون المساعيا
وكونوا من الدنيا على قلب واحد ... تنالون بالحزم الحظوظ القواصيا
ولا تأسفوا فالصبر أجدر بالفتى ... إذا أبرم الرحمن ما كان قاضيا
هنيئاً له بالبشر والفوز انه ... غدا مكرماً في جنة الخلد راضيا

وله أيضاً مؤرخاً

يا طالب الإمداد دونك روضة ... قد حل في أرجائها القمر المنير
الفرد عبد القادر الحسنيّ من ... هو في الحقيقة وارث القطب الشهير
تاقت لحضرته الكريمة نفسه ... فحوى بحسن جواره حسن المصير
بشرى لمن وافى رحاب ضريحه ... يرجو اغاثته اذا عز النصير[1]

(١) مغيث المستغيثين هو الله رب العالمين جلّ وعلا « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم » .

فبسرّه تقضى الحوائج كيفما كانت بعون عناية الملك القدير
ولذا لسان الحال قال مؤرخاً حيّ بدار الخلد مولانا الأمير

وممن رثاه العالم المجيد ، والشاعر الذي حكى شعره شعر لبيد ، فقال

انما الدنيا وان طال مداها ليس للمرء بقاء في حماها
دأبه الفكر بما يعمرها وهو منقول الى دار سواها
لو درى مقدار ما يحيا بها آثر الزهد ولم يعشق غناها
هو منها دائماً في خطر وترى خاطره في مشتهاها
انه عما جرى منه بها غافل كالعين لم تنظر قذاها
لا يلم من لامه في حبها حيث يعطي نفسه فيها هواها
هي شوهاء عجوز انما تتجلى كعروس في حلاها

الى أن قال :

فجعتنا بأمير كامل كان يهدي كل نفس لهداها
هو عبد القادر الشهم الذي قد حوى بين الملا عزاً وجاها
سيد ان ذكرت أوصافه يعبق المحفل من طيب شذاها
أصله في الأرض أضحى ثابتاً وله فرع تسامى لسماها
كان ذا علم وحلم وتقى ووقار وسماح لا يضاهى
كان للآداب سوقاً أهلها ربحت انفسهم منه مناها
كان في الغرب وفي الشرق حمى يرتجي الناس به دفع أذاها
ودمشق الشام منه قد خلت كسماء فقدت شمس ضحاها
اسفا لو يقبل الموت الفدا لفدته كل نفس برضاها
أي عين قد بكته دهرها فلتلك العين عذر في بكاها
قبره لو انه يدري بما حازه ساكنه تاه وباهى

الى آخر القصيدة . وممن رثاه أيضاً الشيخ ابراهيم الأحدب :

أصم نداء الخطب للمجد مسمعاً ... وراع المعالي والعوالي بما نعى
وهذا منار العز لفح سمومه ... وماصدّ عن هام العلى حين صدعا
تداعى لهركن الفخار وقد هوى ... به كوكب العلياء هولاً بما دعا
فلا كان يوم السبت يوم مصائب ... فقد جاء ظهرًا فيه للنجم مطلعا
وقدراع أصحاب العباوقع حادث ... بفقد امام جل في الكون موقعا
والوى بعبد القادر الدهر عاديا ... على قدر ساء الكرام وروعا

الى آخرها ، وهي طويلة تنوف عن ستين بيتاً .

وممن رثاه تاج الأدباء وقطب مدار الشعراء ، محمد افندي الهلالي الحموي فقال :

سهام قضاء الله ليس لها ردّ ... وكأس الردى ما من إذاقته بدّ
بلى كل شيء هالك غير وجه من ... له الحكم حتما لا شريك ولا ضد
محال اذا جاء المقدر حيلة ... لمستعصم من أن يلمّ بد كد
عناء حياتي كلها بعد سيد ... به فجع الإسلام والعلم والمجد
واظلمت الأوطان حين يجسمه ... تنورت الأكفان وابتهج اللحد
سقى وابل الرضوان اعطر مرقد ... حوى بحر فضل ما لتياره حد
كأن لم يكن برّ كأن لم يكن تقى ... كأن لم يكن صدق كان لم يكن رشد
طوى الكل بعد النشر بعض من الثرى ... فلم يبق إلا الذكر والشكر والحمد
مضى الجود والاحسان والعفة انقضت ... وصاحبها العرفان والحلم والزهد
مضى ابن بني الزهراء حقاً لجده ... فيا حبذا الأبناء والأب والجد
معز اليتامى والأرامل كنزهم ... اذا الضبع الشهباء ذلت بها الاسد
بروحي بروحي آه لو يفتدى بها ... أمير بأمر الله جد به الجد
هنيئاً لجنات النعيم بقرب من ... أرانا جحيم الحزن من بعده البعد

هنيئاً لمحيي الدين قدس سرّه ... بجار حماه اليمن للجار والسعد
مصاب اصاب الدين لو ان بعضه ... على أُحد لاندكّ من هوله أُحد
قيامة رزء لو ترى الناس بالبكا ... محاجرهم جرحى وأعينهم رمد
لهم زحل (١) بالذكر لله والدعا ... وأدمعهم سحب وأهواهم رعد
سكارى وما هم بالسكارى وانما ... وفاة ابن محيي الدين حق بها الوعد
سرى نعشه فوق الرقاب وحوله ... ملائكة الرحمن أنوارهم تبدو
لقد جل عن أن يدفنوه بروضة ... هي الروح والريحان والمسك والند
تقي نقي جاور الله في البقا ... وأقبل بالبشرى على القادر العبد
وقور غيور ناسك متواضع ... على انه المقدام والأسد الورد
على أنه البسام يوم كريهة ... إذا عبست من تحت فرسانها الجرد
فتى من رجال الله كان على العدى ... حساماً صقيلا لايفل له حد
فتى كان لايخشى من الخصم سطوة ... وليث الشرى (٢) حاشا يروعه القرد
فتى في سبيل الله كان مجاهدا ... وليس له إلا رضى ربه جهد
همام كميّ كم ازاح ملمة ... بسيفٍ رقابُ المعتدين له غمد
هزبر هصور في الجزائر كم له ... وقائع لايقوى على حصرها عدٌّ
سراج على سرج الجواد كأنما ... من الرعب والارهاب يقدمه جند
نعيناه للمحراب والحرب والندى ... فكل علاه الحزن والسهد والوجد
عطاء ولا منّ وعفو ولا حقد ... وجبر ولا كسر وودّ ولا صد
حسان مزايا بانتقال حليفها ... تعطل جيد المجد وانفصم العقد
لحى الله دارا للزوال نعيمها ... وأولها مهد وآخرها لحد
غرور حياة وهي غراء حية ... بأنيابها سم يمازجه الشهد

---

(١) كذا في الأصل ، ولم يظهر لي معناها ، ولعلّ أصلها : لهم زَجَلات الذكر والزجلات : صوت الناس وضجيجهم .

(٢) الشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل فيقال : « هو كأسد الشّرَى .

فتاة تراها وهي شر عجوزة ... كما الدهر لم يصرم حبائلها الشد
تصيد البرايا واحداً بعد واحد ... فلم ينج منها لا كريم ولا وغد
مجـــربة تبأ لهـــا من خؤونة ... فلا موثق منها يدوم ولا عهد
عروس ولكن المحـال حليها ... لها المين مِرط والخداع لها بُرد (١)
لعوب كما الصهبا بألباب أهلها ... تروح بهم طوراً وطوراً بهم تغدو
فما نصحت إلا وغشت وهكذا ... قياس قضاياها بنا العكس والطرد
شكوناونرد (٢) الدهر ليس بسامع ... وهل تنفع الشكوى إذا حكم النرد
فليس لنا إلا التوكل والرضى ... بما قد قضاه الواحد الأحد الفرد
فصبراً جميـــلاً انها لمصيبة ... يذوب أسىً من حرّها الحجر الصلد
ولكن إذا في نار حزن ثوى الحجا ... خبت ومع التسليم أخمدها البرد
وآل رسول الله أولى من الورى ... بأن يتحلوا بالوقار ويعتدّوا
هم الحسنيون الألى صوت صيتهم ... به ألسن الاحسان ما برحت تشدو
هم الكاظمون الغيظ والصابرون هم ... رياحين زهراء النبي إذا عدّوا
وهم عُدّتي في شدتي وذخيرتي ... بدنياي والاخرى هم القبل والبعد
ولا سيما أنجال من قد مضى ومن ... رحيق شراب الانس طاب له الورد
مصابيح فضل عظم الله أجرهم ... ولا ساءهم من بعد مَن فقَدوا فقْد
وأبقاهم الرحمن للناس رحمة ... سحائبها يروى بها الغور والنجد
نعم كلهم نجب كرام ثوابت ... لدى الروع حتى ان أصغرهم طود
وأكبرهم من دونه الدهر همة ... بغيرة ندب أوحد ماله ندّ
محمد السامي ســـماء مقامه ... على الشمس لا نكر هناك ولا جحد
أمير وجيه الوجه والجاه كوكب ... منير به العلياء تم لهـا السعد
لاحسانه تصبو العفاة وحسنه ... تحن له ليـلى وتشتاقه هند

---

(١) المِرْط : كل ثوب غير مخيط ، وكساء من صوف وغيره يؤتزر به ، والبُرد : ثوب مخطّط ، وكساء من الصوف الأسود يلتحف به .

(٢) النرد : لعبة وضعها أحد ملوك الفرس ، وتعرفها العامة بلعب الطاولة (فارسية) .

بديع معان عن اداء بيانها لقد كلت الأقلام والألسن اللدّ
كفى بشذاه سيرة وسريرة فما الشيح ماالقيصوم والبان والرند
وما غايتي بالمدح إلا تشرفي بأروع من بيت القصيد هو القصد
إليه سرت أسرار والده الذي بعدن مع الأبرار طاب له الخلد
وسار إلى المأوى بتاريخه وقد دعاه بجنات البقا رجب الفرد

سنة ١٣٠٠ ﻫ

عليه من الرب الرحيم السلام ما بكت مقلة وابتل من دمعها خد
وما ابن هلال راح ينشد قائلا سهام قضاء الله ليس لها رد

ومن رثاه مصطفى افندى رشدي :

قد طالما حاربتُ ضمن ضمائري جيش الخطوب ولا تجوب بخاطري
بل طالما خاطبت خطبي قائلا خاطرت ويحك ما الزمان بقاهري
هل كيف يقهرني الزمان ولى إلى فخر العلا نسب بود باهر
فأجاب وا أسفا على حامى الحمى مَهْ يافتى واندب بدمع وافر
ناديت مات المجد بل مات الندى من بعد ذي النعماء عبد القادر

إلى أن قال بعد أبيات كثيرة :

مذ قيل فاز بجنة أرخت كم بجنان خلد فـــاز عبد القادر

سنة ١٣٠٠

ومن رثاه طيب الله ثراه الشاعر الشهير عمر افندي البربير فقال :

لِمَ اسودت الدنيا ولم يك غاسق وأظلمت الآفاق حتى المشارق
خليلي رعاك الله قل لي ما الذي لقد صار في الدنيا فانك صادق
فهل آن خلي للقيامة وقتها ونفخ بصور ثم يصعق صاعق
وبعث الورى والحشر ثم وانه تقوم لرب العالمين الخلائق
أرى الكون مسودّاً أرى الشمس لم تبن أرى البدر لم يسفر وما هو شارق
وان نجوم الأفق غير طوالع فلم يبد مسبوق ولم يبد سابق

وأين السما غير الظلام فلا يُرى ... ولو جَد بالتحديق والوثق وامق
أزالت وإلا بالظـــلام تحجبت ... فما شأنها قل لي فصدري ضائق
وما لي أرى الأطواد ليست بحالها ... فكم قدهوى طود وكم دك شاهق
ومالي أرى الأطيار خرسا ولم يكن ... عن الصدح والتغريد يسكت ناطق

إلى أن قال :

وها لم أزل فيه إلى أن أجابني ... وأدمعـــه من مقلتيه دوافق
بصوت خفي قد يدق سماعه ... اجابة باك وهو بالدمع شارق
وقال نعم أودى خليفة مالك ... ومالك هذا العصر من لا يسابق
وجيه أولي التدقيق وهو أميرهم ... له نشرت فيهم عليه البيـــارق
هو الشمس عبد القادر السيد الذي ... على فضله أهل العلوم تصادقوا

إلى آخر ما قال وقد أسهب فيها وأطال في حق هذا السيد المفضال .

وممن رثاه أيضاً خليل افندي البربير البيروتي فقال :

خطب ألم بنا أجرى العيون دما ... لقد شكى الخلق من أهواله ألما
فلينذب المجد في الأكوان مظهره ... إذ راع ركن العلا والعز فانهدما
يا للمصيبة من خطب سطا وعدا ... فلم نجد أحدا من حزنه سلما
يا للنوائب من هول به كسفت ... شمس الهدى فكسا آفاقنا ظلما
رزء تداعت به شم الجبال وقد ... ألوى بها زعزع أضحت به عدما
يا للرزيئـة من رزء بوقعتـــه ... انار في كل قلب بالأسى ضرما
كادت به الأرض من حزن تميد كما ... غدت هشيما به من هول ما صدما
هل بعدذا الخطب ما بين الأنام يرى ... خطب به كل جفن يرسل الديما
أو هل نرى بعده في الكون مزعجة ... تخفي السرور وتبدي الحزن والسقما
كلا لعمري فهذا الخطب صدمته ... قد زعزعت كل رأس قد غدا علما
أضحى به رجب يبدي لنا عجبا ... عشنا به فرأينا رزءه دهمـا
شهر أصم به في الكون قد ظهرت ... نوائب أوقرت أسماعنا صمما

يد المنون به اغتالت أمير علا فاغتالت المجد والمعروف والكرما
نتيجة الدهر عبد القادر العلم المـــــولى الذي في البرايا قدره عظما
السيد السند الشهم الذي عظمت اخلاقه فاغتدى بين الملا علما
دوح السيادة تاج المجد بهجته ثغر المعالي بها قد كان مبتسما
انسان عين أولي العلياء سيد من سيب المكارم منهم سح وانسجما
أمير مجد سما هام السهى (١) شرفا وكان للعز والعلياء خير حمى
أمير حزم حكت آراؤه شهبا لكل مارد خطب رائع رجما
غوث الطريد وغيث اللائذين الى حمـــاه يطرهم من جوده نعما
ناديه مصدر أنواع الندى أبدا ما مَنّ يوماً بما يعطي ولا سئما
أربى على كل ذي فخر بنسبته لسبط خير رسول بالفخار سما
بمجده سادت السادات وافتخرت وعقـــدهم بعلاه كان منتظما
أقواله درر أفعـــاله غرر وجه المعالي بها قد كان متسما

هذا وكان المترجم معظماً عند سائر ملوك البلاد الافرنجية فـكانوا يطلبون صورته ويطلبون أن يكتب عليها ، فكتب على بعضها ما صورته :

لئن كان هذا الرسم يعطيك ظاهري فليس يريك النظم صورتنا العظمى
فثم وراء الرسم شخص محجب له همة تعلو بأخمصهـــا النجما
وما المرء بالوجه الصبيح افتخاره ولكنه بالفضل والخلق الأسمى
وإن جمعت للمرء هذي وهذه فذاك الذي لا يبتغي بعده نعما

وله نظم بديع ، ونثر فائق رفيع ، غير انها بعضها في الرقائق ، وأكثرها في الحقائق ، تدل على سمو معارفه ، وعلو عوارفه ، نفعنا الله به في الدارين بجاه محمد سيد الكونين . آمين .

---

(١) كوكب خفيّ من بنات نعش الصغرى ، ومنه المثل « أريها السهى وتريني القمر » للذي يسأل عن شيء فيجيب جوابا بعيدا .

الشيخ عبد القادر بن أحمد بن عطاء الله بن اسكندر الحلبي الحنفي المقري

أحد الحفاظ والقراء الموجودين بحلب الشهباء . ولد بها سنة ثلاث وخمسين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه وجوده على الشيخ المقري المتقن أبي محمد عبد الرحمن بن ابراهيم المعري نزيل حلب ، ولازم أبا عبد الله محمد بن صالح بن رجب المواهبي القادري وقرأ عليه الدرر الفقهية والجامع الصغير في الحديث وسمع عليه الكثير من الأحاديث وغيرها ، وأخذ عنه الطريقة القادرية . وبعده لازم ولده أبا المواهب اسماعيل المواهبي وجدد عليه الأخذ في الطريقة وغيرها ، وسمع عليه الكثير من الأحاديث الشريفة ، ولازمه السنين العديدة وانتفع بمجالسه ، وكان ينشد الموشحات والقصائد في حلقة ذكره والخلوة الأربعينية ويلازمه غالب الأوقات . وكان متوطناً في قلعة حلب وخطيباً بجامعها المعروف بجامع النور . وكان من القوم الأخيار ذوي الفضائل والآثار ، واجتمع به سنة الف ومائتين وخمس خليل افندي المرادي مفتي دمشق بحلب ، وشهد بفضله وعلمه وكماله . وتوفي المترجم المرقوم بعد ذلك ولم أقف على تعيين وفاته [1] .

الشيخ عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد القادر بن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن ابراهيم برهان الدين الدمشقي الصالحي البقاعي الأصل العدوي المعروف بالسقطي الحنفي

إمام الفضائل وعمدة ذوي الفواضل ، العالم المحقق والهمام المدقق ، عمدة الأكابر ونخبة ذوي المفاخر .

ولد بصالحية دمشق في منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائة والف ، ونشأ

---

(١) في تاريخ حلب الشهباء أنه توفي في حدود (سنة ١٢٢٥ هـ) رحمه الله تعالى .

بها وقرأ القرآن الكريم على الشيخ علي بن سليم الصالحي ، وأخذ عن شيخه المذكور وعن العلامة الشيخ علي كزبر والعلامة عبد الله البصروي والعلامة الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي ، وأجاز له الماجد محمد بن عيسى كنان الكناني والشمس محمد بن ابراهيم التدمري والشيخ علي البرادعي ، وأخذ العربية والعقائد عن محمد بن أحمد قولقسز والعلامة الشيخ موسى بن أسعد المحاسني ، وسمع حديث الرحمة من علامة الوجود ابن عقيلة المكي ، والعلامة محمد بن الطيب المغربي وأجازوه جميعاً ، وحضر دروس العلامة الكبير الشيخ اسماعيل ابن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي . وأخذ عن صاحب الترجمة أجلاء دمشق وعلماؤها ، وتوفي سنة خمس ومائتين والف ، ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى . وتولى وظيفة مشيخة الحرم السليمي ودرس بالمدرسة العُمرية وتولى إمامتها ، وقبره قريب من قبر الشيخ موفق الدين والعلامة الشيخ عبد الرحمن الداودي .

الشيخ عبد القادر بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن زين الدين بن عبد الكريم الدمشقي الشافعي الشهير كأسلافه بالكزبري

العالم الهمام ، والعامل الإمام ، ولد بدمشق في اليوم السابع عشر من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ومائة والف ونشأ بها ، وأخذ عن علمائها الكرام كالشيخ محمد الكزبري والشيخ أحمد العطار وغيرهم . مات سنة تسع وعشرين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح .

الشيخ عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد بن وهبة بن عيسى بن محمد رشيد بن عبد الرزاق بن محمد بن خالد بن شمس الدين ابن أبي محمد رشيد بن شمس الدين بن عثمان بن أحمد شهاب الدين ابن تاج الدين عبد الرزاق بن أبي النصر محي الدين بن محمد نصر بن عبد الرزاق بن العارف بالله عبد القادر الجيلاني قدس الله سره

الشافعي الدمشقي الشهير بالخطيب . ولد بدمشق سنة خمس عشرة ومائتين والف ، وقرأ على بعض العلماء الدمشقيين ثم انقطع للعلم وسافر إلى الأزهر وأخذ عن العلماء المصريين ، إلى أن صار يشار اليه ويعتمد عليه ، ثم عاد إلى وطنه دمشق الشام ، ولم يزل معدوداً من السادة العلماء الأعلام ، إلى أن توفي رحمه الله خامس شهر رمضان سنة ثمان وثمانين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح .

السيد عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر الكوكباني

قال في البدر الطالع : هو شيخنا الإمام المحدث الحافظ المسند المجتهد المطلق . ولد كما نقل من خطه سنة الف ومائة وخمس وثلاثين ، نشأ بكوكبان ، ثم ارتحل إلى صنعاء ، فأخذ عن أكابر علمائها كالعلاّمة السيد محمد بن اسماعيل الأمير . وإني أذكر وأنا في المكتب مع الصبيان اني سألت والدي رحمه الله من أعلم الناس بالديار اليمنية فقال السيد عبد القادر يعني صاحب الترجمة . وبالجملة فلم تر عيني مثله في كمالاته ، ولم أجد أحداً يساويه في مجموع علومه ، ولم يكن بالديار اليمنية في آخر

مدته له نظير ، وهو رحمه الله تعالى من جملة من رغبني في تأليف شرح المنتقى ، فشرعت فيه في حياته وعرضت عليه كراريس من أوله فقال : إذا كمل على هذه الكيفية كان في نحو عشرين مجلداً وأهل العصر لا يرغبون فيما بلغ من التطويل إلى هذا المقدار ، ثم أرشدني الى الاختصار ففعلت ، فكمل بحمد الله وبيضته في أربع مجلدات ، ولم يكمل إلا بعد موته بنحو ثلاث سنين . وترجمه في النفس اليماني والروح الريحاني بقوله : السيد الإمام إنسان عين الأعلام ، صدر العلماء المعتمدين بدر الأئمة المجتهدين ، له العلوم الزاخرة ، والأحوال الشريفة الفاخرة ، والأخلاق النبوية والسيرة المحمدية ، من مشايخه الشيخان العلامتان عبد الخالق بن أبي بكر ومحمد بن علاء الدين المزجاجيان ، ومن أهل الحرمين السيد الإمام العلامة محمد بن الطيب المغربي الفاسي . وله من الأساتذة الكملة نيف وثمانون شيخا ، ومن المؤلفات ما يزيد على الأربعين مؤلفاً : منها حاشية القسطلاني وحاشية الجلالين وحاشية المطوّل ومختصره وشرح كفاية المتحفظ ، ومن مشايخه أيضاً محمد حياه السندي المدني ، وقد ترجمه وامتدحه عمدة من العلماء الأعلام ، منهم القاضي العلامة قال في جملة ترجمته : تسامى له السند العالي مع النسب الغالي ، مظهر السنة النبوية على رؤوس الأشهاد ، مبكتاً لأهل البدعة في الحاضرة والباد . ولقد قام بهذا الواجب أتم قيام ، وذب عن سنة جده بين الأنام ، وأدخلها إلى أذهان الفقهاء المقلدين ، وقبلها من له الفهم المكين ، والذهن السمين وسلك طريق المتقين ، ومال عن الاعتساف وآض إلى الانصاف ، فلله دره من عالم هَدَى وأمَالَ عن طريق الردى. امتدحه السيد العلامة علي بن محمد بن علي بن أحمد اليمني بقصيدة أبان فيها أوصافه الجميلة ، وأياديه الجزيلة . توفي رحمه الله سنة الف ومائتين وسبع .

السيد عبد القادر بن السيد درويش بن السيد محمد ابن السيد حسين بن السيد يحيى الشهير بابن حمزة الدمشقي الحنفي الحسيني

أحد أعيان دمشق الشام وأوحد علمائها الأعلام ، كان نبيهاً ذكياً وفقيهاً زاهداً تقيا ، عالماً عاملاً ماجداً فاضلا .

ولد بدمشق سنة خمس وثلاثين ومائتين والف ، ونشأ بها في الانكباب على التحصيل والطلب ، والتضلع في علوم الشريعة والأدب ، وحضر دروس الشيوخ الأعلام والسادة الفضلاء الكرام ، كالشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ حامد العطار والشيخ محمد أكرم الأغواني . وله مؤلفات كثيرة ، منها رسالته في التوحيد المسماة بالرسالة الحمزاوية بالتوفيق بين الماتريدية والأشعرية ، ورسالته في فضل آل البيت ، ورسالة في الرد على من قال ان قراءة الفاتحة خلف الإمام أحوط . وقد ولي أمانة الفتوى أيام حسين افندي المرادي مفتي دمشق الشام . مات رحمه الله تعالى بدمشق سنة تسع وسبعين ومائتين والف ، عاشر شهر رمضان المبارك ودفن في مرج الدحداح .

الشيخ عبد القادر افندي بن عبيد الله الكردي ثم الماوراني البغدادي الحيدري

قد ترجمه عثمان افندي الحيدري بن سند فقال ما ملخصه : البليغ المنطيق المفلق السري ، جمع الفصاحة في برود كلماته ، والنباهة في مطاوي مبدعاته ، إذا أخذ في أخبار الماضين وجدته بحراً عجّاجا ، وإن سرد الأحكام أبدع تقريراً وإنتاجا ، كأنما الأحكام في صدره مرقومة ، واللطائف

في لسانه مصورة منظومة . (إلى أن قال) : اجتمعت به سنة أربع عشرة بعد المائتين والألف فرأيته قد استكمل من الكمال أعلاه ومن العلم أولاه . طلب العلوم على جهابذة سادة وأفاضل قادة ، وكان لطيف المجالسة حسن المؤانسة ، له شعر ذو أمثال سائرة ، وتشبيهات بديعة نادرة ، وفوائد أدبية ونوادر قريضية [١] :

وإذا نظرت إلى نوادر شعره ... أبصرت فيه فصاحة لا توصف

يذر النوادر للبيان كأنها ... درر بعقد أو جُمان [٢] يوصف

تولى قضاء البصرة مرتين ، فكان للقضاء والحكم بالحق قرة عين . وقد مدحه عثمان افندي سند سنة الف ومائتين واثنتين وثلاثين بقوله :

حُكمٌ إذا حققت فيه رأيته ... لا جهل فيه ولا تعسف أو شطط

كم حكمة أبدى لنا في مشكل ... لو لم يزله لكان ليلاً لم يمط [٣]

ما أشار إلى معنى إلا أبداه ولا مشكل إلا أجاب إذ ناداه ، ولا غرو فآباؤه كلهم نجوم ، وأعمامه ولاة المنثور والمنظوم . توفي رحمه الله بعد الخمس والثلاثين والمائتين والألف . رحمه الله تعالى .

عبد القادر بن أحمد بن محمد بن مسلم بن ابراهيم بن عيسى بن مسلم الصمادي

القادري شيخ الطائفة الصمادية بدمشق الشام ، ومرشد الفرقة القادرية ذات الاحترام ، كان مستقيم الأطوار مقصوداً لبلوغ الأوطار ، مشتغلاً بالطريق والاستمداد حسن السلوك والارشاد ، زاهداً عابداً خاشعاً متواضعا ، نبيهاً فقيهاً عالماً بعلمه فائقاً في فهمه . مات سنة ثمان وعشرين ومائتين والف ، ودفن في باب الصغير قرب قبر الشمس الكزبري .

---

(١) شِعْرية .

(٢) الجمان : اللؤلؤ ، والواحدة : جُمانة .

(٣) لم يُنحّ ، ولم يُبْعَد .

الشيخ عبد القادر بن الشيخ ابراهيم بن الشيخ مصطفى الخلاصي الحنفي الدمشقي الطبيب

ولد في دمشق الشام وأخذ عن والده علم الطب حتى برع به ، ثم قرأ بقية العلوم على شيوخ دمشق وأجازوه بما تجوز لهم روايته به . وكان كثير الاستفادة حسن الإفادة ، ذكياً بارعاً عارفاً بدقائق الطب ، استاذاً قد انتهت اليه رئاسة معرفة الأمراض وتشخيصها وكان له في رؤية المرضى أمور خارقة للعادة تدل على كمال علمه ومعرفته . وكان كثير التردد على والدي المرحوم وكان يسأله كثيراً عن بعض مشكلات ، وقد أخذ عنه واستجازه فأجازه . وكان حسن الهيئة لطيف المعاشرة جميل الملاطفة غزير العلوم . شرح الدر المختار وألفية ابن مالك وله عدة تآليف وجملة من التصانيف . مات بدمشق سنة الف ومائتين و . . . . ودفن بباب الصغير .

الشيخ عبد القادر الديلاني النقشبندي الخالدي

إمام في العلم والعبادة ، قد استوى على عرش القناعة والزهادة ، ثم أقبل على الطلب إقبال المشغوف وحضر دروس الأفاضل حضور الملهوف ، واعتصم بحبل العمل وفاز من دهره بالأمنية والأمل ، وساد بين الناس وكان مشهوراً باللطف والإيناس ، ثم بعد مضي أيام الطلب وفوزه بما رجا وطلب ، أخذ الطريقة الشريفة النقشية عن عالم الوقت والعصر الشيخ خالد شيخ الحضرة العلية ، فخدمها حق الخدمة واجتهد بها اجتهاداً عالي الهمة ، ولم يزل إلى أن وجد به الأستاذ كمال الاستعداد للإرشاد ، فخلفه وأذن له باعطاء الطريق لذوي الأهلية لنوال المراد ، وكان الأستاذ كثيراً ما يحيل تربية المريدين اليه ويعتمد في عمل اللوازم عليه . توفي سنة الف ومائتين ونيف وأربعين .

السيد عبد القادر البرزنجي النقشبندي الخالدي

العالم العامل الزاهد الورع العابد الخاشع الناسك . أخذ عن علماء عصره ، ثم أخذ الطريقة النقشية عن عالم زمانه ومرشد وقته وأوانه الشيخ خالد شيخ الحضرة ، ولما وجد فيه الأهلية أذن له في الإرشاد . توفي سنة الف ومائتين وخمس وأربعين تقريبا .

القاضي عبد القادر الرضوي لاورتقباوي من أدباء الهند والعجم

غواص لجج البيان ، المقرط بدرر بدائعه الآذان ، فمن لطيف شعره :

صدر الورى فخر أهل الهندقاطبة ... علامة العصر مولانا غلام علي
لقد أقر على الأفلاك أخمصه ... وجل في المنصب العالي عن البدل
في قلبه من سنا العرفان بارقة ... وفي يديه زمام العلم والعمل
أملى لنا سبحة المرجان مرحمة ... وأثبت المنة العظمى على المقل
أتى بمعجزة غراء ناسخة ... صحائفاً صنفت في الأزمن الأول
كجده باهر الإعجاز حيث محا ... كتابه صحفاً من معشر الرسل
أبقى إله الورى فينا إفادته ... ما نضر الغيث نبت السهل والجبل

السيد عبد القادر افندي بن السيد تقي الدين القدسي الحلبي الكاتب الثاني في المابين [1]

قد ترجمه سعادة أحمد عزت باشا في كتابه المسمى بالعقود الجوهرية في مدائح الحضرة الرفاعية فقال :

صاحب الخصائل الممدوحة والآداب والمعرفة ، تدفق ذكاء وتجسم حياء

---

(١) في الديوان الملكي .

قد صيغت أخلاقه من النسيم ، وتهذبت أطواره بحكم التجاريب من الحديث والقديم ، فهو من بيت شرف وعز مستديم . كان أبوه نقيب حلب الشهباء ، وجده مفتيها ومرجع العلماء ، فهم فيها عماد الشرف والمحامد ، وركن الطارف والتالد .

ولد حفظه الله بحلب سنة ست وأربعين ومائتين والف ، وترعرع في حجر والده ونشأ على حال عظيم من الكمال والتقوى والأدب ، وتلقى علوم العربية والفقه وغيرها من علوم السنة عن أفاضل حلب ، ثم أتقن بعدها اللغة التركية والفارسية ، وأحسن المنثور والمنظوم في اللغتين العربية والتركية ، وله فيها الآثار الحسنة ، والأفكار المستحسنة ، ومن أعظمها انه ترجم كتاب البرهان المؤيد مؤلف حضرة الغوث الرفاعي رضي الله عنه من العربية إلى التركية ، ورسالة رحيق الكوثر التي هي من كلام الغوث الرفاعي الأكبر أبدع فيهما كل الابداع ، وترجم المجالس الأحمدية . وله غير ذلك من المآثر العديدة والآثار الحميدة ، ما تتزين به الصحائف والأوراق وتهتز لها الأغصان بالأوراق . وقد تقلب منذ نشأ في خدمة الدولة العثمانية حتى أحرز المراتب العلية والمناصب السنية ، وهو الآن الكاتب الثاني في المابين للجناب العالي السلطاني لا زال ملحوظاً بالأنظار الخفية والجلية بكل غدوة وعشية ، وله نظم رقيق ونثر بكل مدح حقيق ، ومن نظمه تخميسه على قصيدة حسن افندي البزار الموصلي في مدح السيد أحمد الرفاعي قدس الله سره آمين وهي :

ياسادتي فضلكم في الصحف مكتوب وحبكم بلسان الشرع مندوب
والحمد لله اني فيه مسلوب قلبي اليكم بأيدي الشوق مجذوب
والصبر عن قربكم للوجد مغلوب

ولست أبغي براحاً عن مودتكم حسبي أعدّد خيلاً في عشيرتكم

وقد فتيت بكم من فيض همتكم لا أستفيق غراماً في محبتكم
وهل يضيق من الأشواق مسلوب

عسى باسعافكم أستحصل الأملا فالصبر مُرٌّ وفيكم للمحب حلا
كم ذا أقول وقيد البعد قد ثقلا يا قلب صبراً على هجر الأحبة لا
تجزع لذاك فبعض الهجر تأديب

لعل يوماً بلطف منهم يصلوا[1] أسير هجر وحبل الوصل يتصل
فلا تحد عنهمو مهما بدت علل همو الأحبة إن صدوا وإن وصلوا
بل كل ما صنع الأحباب محبوب

والقصيدة طويلة ذكرها بتمامها صاحب العقود الجوهرية، وهي تدل على كمال صاحب الأصل والتخميس، والأصل مذكور بتمامه في ترجمة صاحبه[2] توفي في الآستانة سنة الف وثلاثمائة وعشر تقريبا .

الشيخ عبد الكريم البرزنجي

من سلسلة طيبة طاهرة ذي نسبة باهية باهرة، لهم الفضل الأعلى، والقدر الأجل الأجلى . وقد ترجمه الإمام الكامل والهمام العالم العامل، أديب العصر وزينة كل قرية ومصر، السيد عثمان بن سند العراقي في كتابه أصفى الموارد فقال : العالم الذي عرفت العلوم مقداره وأرتعه روض الدقائق نوره وبهاره، والمحقق الذي أقعده التحقيق على ربوة الصدارة، والمدقق الذي نشر فضله على النيرين ازاره، والنسيب الذى شرف الجوزاء

(١) نصب (يصلوا) على إعمال أن قبلها مقدرة .

(٢) نقل هذه الترجمة الأستاذ الطباخ، وعزاها إلى المؤلف، وذيّلها بما كتبه ابن أخي المترجم السيد تقي الدين إلى الشيخ راغب، بما تولاّه عمه من المناصب في ديار الشام وفي الآستانة، وكان نائباً في المجلس النيابي (سنة ١٢٩٢ هـ وسنة ١٢٩٣ هـ) وتولى مناصب في تركية، عيّن آخرها كاتباً ثانياً في الديوان الملكي وبقي فيه إلى تاريخ وفاته (سنة ١٣٠٩ هـ) .

ذكره والشريف الذي أعرق في الشرف سره ، والسيد الذي مكانه من السؤدد صدره . قرأ على السادة الأفاضل وأخذ عنه ذوو الفضائل والفواضل ، ممن طار ذكرهم في الأقطار وافتخرت بهم مصرهم على الأمصار . وممن قرأ عليه وجلس للأخذ عنه بين يديه ، العالم الشهير والفاضل النحرير ، والعارف بالله والمقبل عليه في سره ونجواه الشيخ خالد شيخ الحضرة النقشبندي الكردي الشافعي ، فقرأ على المترجم كتباً جمة ، وحضر مجالس علومه بالجد والاجتهاد وعلو الهمة ، وكان رفيع المقام شامخ القدر والاحترام ، ليس له من عيب لقالٍ سوى انه في عصره فرد بلا مثال ، وإقباله على الله دائم ولا تأخذه فيه لومة لائم . ولم يزل كذلك إلى أن توفي رحمه الله تعالى وذلك في السليمانية عام الف ومائتين واثنى عشر ودفن بها .

الشيخ عبد الكريم بن محمد بن عبد الجبار بن محمد الحلبي الحنفي الماتريدي

أبو محمد كمال الدين العالم الواعظ الفقيه والإمام الفاضل النبيه . ولد سنة أربع وعشرين ومائة والف وقرأ القرآن العظيم ، واشتغل بالأخذ والتلقي والسماع والقراءة ، فقرأ على والده وسمع عليه الكثير من الأحاديث وكتب المتون والأسانيد وانتفع به ، وعلى أبي الفتوح علي بن مصطفى الميقاتي الدباغ والبدر حسن بن شعبان السرميني وقاسم بن محمد النجار وأبي عبد الفتاح محمد بن حسين الشهاب وأبي محمد عبد الكريم بن أحمد الشراباتي وأبي المحاسن يوسف بن حسين بن درويش الدمشقي الحسيني المفتي والنقيب بحلب وأبي الثنا محمود بن شعبان البرستاني وأبي محمد عبد السلام بن مصطفى الحريري وآخرين ، وأجازوه ، وارتحل إلى دمشق وسمع بها على أبي النجاح أحمد بن علي المنيني الخطيب في جامع بني أمية وشرف الدين موسى ابن أسعد المحاسني وأبي الفدا العماد اسماعيل بن محمد جراح العجلوني

وأبي الحسن علي بن أحمد كزبر وأبي الثناء محمود بن عباس الكردي العبدلاني نزيل دمشق وآخرين وسمع منهم غالب المسلسلات كالأولية وغيره وأجازوا له وكتبوا له بخطوطهم ودخل القدس وأخذ بها عن أبي الارشاد مصطفى ابن كمال الدين بن علي البكري الصديقي الدمشقي الخلوتي وأجاز له بخطه في أواسط سنة ستين ومائة والف وانتفع به وقرأ عليه البعض من تآليفة ، وسمع عليه الكثير واستقام عنده أيامـــا ، ثم ارتحل الى مصر بقصد الأخذ والتلقي وقرأ بها على النجم الحفناوي والبدر حسن بن أحمد المدابغي والشمس محمد بن محمد الدّفري والشهاب أحمد بن عبد الفتاح الملوي والزين أبي حفص عمر بن الطحلاوي وسمع عليهم غالب كتب الأحاديث الشريفة والمسلسلات وأولها حديث الرحمة ، فإنه سمعه من جميـــع شيوخه كما هو مصرح في إجازاتهم ، ولازمهم مدة أشهر وقرأ عليهم ، وكتبوا له بخطوطهم الإجازات المؤرخة سنة أربع وستين ومائة والف ، وعزم على الحج من مصر وحج تلك السنة ، وسمع الأولية وبعض المسلسلات من أبي عبد الله محمد بن محمد الطيب المغربي الفاسي المالـكي نزيل المدينة المنورة وأجاز له بخطه ، ثم عاد إلى حلب ودرس بها ووعظ بجامعهـــا الأموي الكبير . توفي بعد الخمسة والمائتين والألف .

الشيخ عبد الله الدهلوي المعروف بشاه غلام علي بن شاه عبد اللطيف الدهلوي

شيخ مشايخ السادة النقشبندية (١) ، وأستاذ أهل الطريقة الفاضلة العلية ، وهو من رجال الحدائق الوردية ، في حقائق أجلاء النقشبندية . فقـال

(١) نسبة إلى نَقْشَبَنْـد ، كلمة فارسية ، ومعناها نقّـاش ، رسّام ، والمراد عندهم : ربط النقش ، وهو صورة الـكمال الحقيقي بقلب المريد ، كما في (ص ٨) من الحدائق الوردية للخاني .

شاه [١] العارفين ، ومليك المرشدين الكاملين ، مظهر علوم الدين ، ومُظهر سر الهداية واليقين ، المحقق بمقام التلوين في التمكين ، شيخ مشايخ الديار الهندية ، ووارث المعارف والأسرار المجددية ، سباح بحار التوحيد ، سياح قفار التجريد ، قطب الطرائق ، وغوث الخلائق [٢] ، ومعدن الحقائق . نال قدس الله سره من العلوم الإلهية ما نال ، ومن المقامات العلية مالا يخطر ببال . وذلك ان هذا العزيز ، بعد ما بلغ سن التمييز ، أكب على تحصيل الفضائل ، والتحلّي بأحسن الشمائل ، حتى صعد بهمته إلى سماء علوم الرسوم ، فتناول من ثرياها أعظم النجوم ، إلى أن أصبح في كل علم إماماً ، فزاد إقداماً على الترقي في المعالي واهتماما ، فصعد النظر إلى قمر المعارف ، فرأى نوره مستمداً من شمس أستاذه العارف ، فقصد على جنائب العزم جنابه ، ويمم بالهمم الكبار رحابه ، فأقبلت به نسمة القبول ، على حرم مراحم الوصول ، إلى ذلك المقام المأمول ، مقام المرشد العظيم ، فحنا عليه بقلبه السليم ، حنو المرضعات على الفطيم ، وجعل يمده بمدده الروحاني ، ويربيه بنفيس نفسه الرحماني ، ويرقيه إلى مدارج الأخيار ، ويقيه أغيار الأغيان [٣] وأغيان الأغيار ، حتى إذا جذبه إلى مقام حق اليقين ، وانتهى به إلى سدرة منتهى المقربين ، عاد إلى عالم الشهادة وقد خلع عليه خلع السيادة ، وأصبح من غيث إحسانه غوث زمانه ، وعهد اليه بعده بإرشاد المسترشدين عنده ، فوفى عهده ، وصدق وعده ، وكان خير خلف ، لأشرف سلف . قام بتأييد الشريعة المحمدية ، وتجديد معالم السنة السنية ، واداء حقوق الحقائق ، واحياء

---

(١) كلمة فارسية ، ومعناها ملك ، وسلطان ، ورئيس .

(٢) غوث الخلائق هو الله الخالق المالك ، جلت قدرته ، وقد تقدم مثل هذا الغلوّ من قبل ، وحذرنا من خطره وضرره .

(٣) غان على قلبه : تغشته الشهوة .

جميع الطرائق ، القادرية والسهروردية والكيروية ، والجشتمية والنقشبندية ، رافعاً لواءهـــا بين الخلائق [١] ، فأقبلت القلوب تستظل بظله ، ولبت الألباب نداء فضله ، وانتهت اليه رتبة الإرشاد ، ورحلت اليه الأبدال [٢] والأوتاد [٢] ، فنال ببركته كل مريد أقصى المراد .

شذرة من خبره وذرة من أثره

ولد قدس سره عام ثمان وخمسين ومائة والف في قصبة بتاله ضلـــع پنجاب وجاء تاريخ ولادته **مظهر جود** وهو من آل البيت الكرام غير اني لم أقف على نسبه الشريف . وكان والده الشريف الشاه عبد اللطيف عالماً عارفاً صالحاً زاهداً كبير الشأن قادري الطريقة ، تلقاها عن العارف الكبير الفائز بصحبة الخضر عليه السلام [٣] الشاه ناصر الدين القادري قدس سره ، واشتغل بالرياضات الشاقة والمجاهدات التامة . وكثيراً ما كان يخرج إلى الصحراء فيذكر الله تعالى ويتغذى بالنبات بقي مرة أربعين يوماً

---

(١) جاء (في ص ٣) من كتاب الحدائق بعنوان : (طليعة) ما موجزه : اعلم أن الطريقة النقشبندية . . هي طريقة الصحابة الكرام (رضي الله تعالى عنهم) على أصلها لم يزيدوا فيها ولم ينقصوا منها ، بـكمال التزام السنة ، وتمام اجتناب البدعة اه قلت : إذا كان الأمر على ما يقول ، لزمهم العمل بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أفليس بهما غنى عن هذه الطرائق ، وعن رفع لوائها بين الخلائق ؟ ألم يكن الصحابة الكرام على هدى من ربهم ؟ فلماذا نبتدع ما لم يكن موجوداً في عهدهم ، ثم نعزوه اليهم ؟

(٢) واحده : بدل ووتد ، وهو اصطلاح صوفي لمن يطلقون عليهم أوتاد الأرض ، وكلّما قضى واحد منهم ومضى إلى ربّه ، أُبدّل بواحد آخر غيره ، وليس في الشريعة لذلك اسم ولا مسمّى .

(٣) قدّمنا أن الخضر عليه السلام لو كان حيّاً لآمن بالنبي وصَحِبه كغيره ، والتاريخ والحسّ ينفيان وجوده .

لم يكتحل طرفه بنوم ، ولم يذق الطعام إلا ليلاً قليلاً ، ومع ذلك لم ينو الصيام مقاومة لرعونة نفسه ، وكان له انتساب أيضاً للطريقة الجشتية والشعارية ، ورأى والده في منامه قبل ولادة الشيخ قدس الله سره سيدنا عليا كرم الله وجهه فقال له : سم ولدك باسمي فلما ولد سماه عليا ، إلا أنه لما بلغ قدس الله سره سن التمييز سمى نفسه تأدبا غلام علي ، ورأت أمه في المنام رجلاً جليلاً يقول لها : سميه عبد القادر ، قال مترجمه الشيخ عبد الغني المعصومي : ويمكن أن يكون هذا العزيز هو الغوث الجيلاني رضي الله عنه وسيأتي أن رسول الله ﷺ سماه في المنام عبد الله .

وكان قدس سره في الذكاء آية باهرة ، حفظ القرآن المجيد في شهر واحد ، وأكب على تحصيل العلوم معقولها ومنقولها ، حتى أصبح عالم عصره . وكتب المترجم في بيان أحوال نفسه فقال : إني بعد تحصيل علم الحديث والتفسير تشرفت في أعتاب حضرة الشهيد قدس سره ، فبايعني على الطريقة العليه القادرية بيده المباركة ، ولقنني الطريقة العلية النقشبندية فتشرفت بالحضور في حلق الذكر ، والمراقبة عنده خمس عشرة سنة حتى تفضل على هذا الحقير بالإجازة المطلقة في الإرشاد العام ، وقد ترددت أول الأمر في انه هل يرضى الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أن اشتغل في الطريقة النقشبندية أولا ، فرأيته في واقعة جالساً في مكان وحضرة الشاه نقشبند في مكان تلقاءه ، فخطر لي حينئذ أن أحضر عند شاه نقشبند فقال الغوث الجيلاني في الحال : المقصود هو الله تعالى فاذهب فلا مضايقة ، وكان لي جهة تعيش فتركتها ، فاشتدت عرى الفاقة عليّ فاعتصمت بالتوكل واتخذته سجية ، ولم يكن يومئذ عندي غير خلق حصير أفترشها ، ولبنة أتوسدها ، فبلغ بي الضعف أقصاه ، فلفرط ما نالني أغلقت باب حجرتي ، وقلت هذا قبري حتى يأتي الله بالفتح أو بأمر من عنده ، فما لبثت أن فتح الله تعالى علي يد من لا أعرفه ، فمكثت في زاوية القناعة خمسين سنة اه .

قيـــل : لما أغلق باب الحجرة وقال ما قال أدركته العناية الإلهية ، فجاءه شخص وقال له : افتح الباب ، فقال : لا أفتح ، فقال له : إن لي معك شغلاً فافتح لي ، فلم يفعل ، فألقى له من خصاص الباب جملة من الدراهم الهندية المعروفة بالروبية وذهب ، فمن ذلك اليوم لم تنقطـــع الفتوحات عنه .

ولما توفي شيخه حضرة الشهيد قام مقـــامه في مسند تربية المريدين وإرشاد الطالبين فأكب الناس عليه ، وشدوا الرحال اليه ، من أماكن بعيدة من الروم والشام والعراق والحجاز وخراسان ومـــا وراء النهر ، بل من أقصى أرض الخطا إلى غاية أرض المغرب ، بعضهم بأمر رسول الله ﷺ كحضرة مولانا خالد والشيخ أحمد الكردي والشيخ اسماعيل المدني ، وبعضهم بإشارة السادات كالشيخ محمد جان ، والبعض برؤيتهم له في المنام . وكان موصوفاً بأعلى مراتب الأخلاق الحميدة ، فمن السخاء بحيث كان يوجد في رباطه دائماً ولا ينقص عن مائتي مريد إلا قليلا ، وكان يقدم لهم كفايتهم على أتم وجه ، ولم يدخر لغد قط ، ومن الحياء والتواضع بأنه لم يضطجع مادّاً رجليه أبدا ، ولم ينظر وجهه في المرآة ، وإذا دخل إلى داره كلب ليطعم شيئاً يقول إلهي من أنا حتى أكون واسطة بينك وبين أحبـــابك (١) فأسألك بحرمة مخلوقك هذا وكل من قصدني إلا ما رحمتني وقربتني اليك . ومن التمسك بالسنة المطهرة ما لا يدرك شأوه ، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لا يهاب معه الأمراء والملوك كما يعلم ذلك من مطالعة مكتوباته ، حتى انه لما حضر السيد اسماعيل المدني بأمر رسول الله ﷺ إلى رحابه وأحضر معه بعض آثار نبوية بإشارة منه

---

(١) ضرب الله تعالى مثلاً للذين كذّبوا بآياته بالـكلب في أسوأ أحواله ، فقال تعالى : فمثله كمثل الـكلب إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، ذلك مَثَل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصَص لعلهم يتفكرون (الأعراف/ ١٧٦) .

عليه السلام أن يضعها في المسجد الجامع الذي في دهلي ، فوضعها ، عرض ذلك إلى حضرة الشيخ ، فقال له انه وإن تكن بركات فخر العالم ﷺ في ذلك المكان محسوسة ولكن لا يخلو من ظلمة الكفر ، ففتشوا ذلك المكان فإذا فيه صورة بعض الأكابر ، فرفعوا الأمر إلى السلطان وأزالوا التصاوير منه .

وكان قليل النوم جداً ، فإذا قام إلى التهجد أيقظ النوام ثم يتهجد ويجلس للمراقبة ، ويتلو من كلام الله تعالى ما شاء . وكان ورده في كل يوم عشرة أجزاء ثم يصلي الصبح جماعة في وقت الغلس ، ثم يلتفت إلى حلقة الذكر والمراقبة إلى وقت الإشراق . وكان رباطه لا يستوعب المريدين لكثرتهم ، فلذلك كان يكرر الأذكار لطائفة بعد طائفة ، ثم يجلس لقراءة الحديث والتفسير إلى قرب الزوال ، فيتناول الغداء . وكان إذا أرسل اليه أحد الأغنياء طعاماً نفيساً لا يأكله بل يكره أيضاً أن يأكل منه المريدون ، وإنما يهديه لجيرانه ، ومن كان حاضراً عنده من أهل البلدة ، وربما ترك أواني الطعام في مكانها فيأخذها من شاء فيأكلها . نعم لو أرسل اليه شخص دراهم ولم يكن مظنة شبهة يخرج أولاً زكاتها على مذهب الإمام الأعظم من جواز إخراج زكاة المال إذا بلغ النصاب قبل الحول ، لأن صدقة الفرض أفضل من النفل ، ثم يعمل فيما بقي حلواء وغيرها ويرسل بها إلى فقراء الشاه نقشبند ، وفقراء والده ، ويؤدي ما كان عليه من دين في نفقة رباطه ، ويعطي من قصده من ذوي الحاجة ، وربما يأخذ الشخص من هذه الدراهم شيئاً في حضوره فيطلع عليه ويعرض عنه بوجهه ولا يتعرض له . وكان بعد تناول الغداء يقيل قليلا ، ثم يشتغل بمطالعة الكتب الدينية والحقائق وغيرهما والتحارير الضرورية ، ثم إذا صلى الظهر قرأ درسي حديث وتفسير إلى العصر ، فيصلي ثم يقرأ حديثاً وتصوفاً كمكتوبات الإمام الرباني وعوارف المعارف ورسالة القشيري ، ثم يجلس

في حلقة الذكر والتوجه العام إلى الغروب ، وبعد صلاة المغرب يتوجه لخواص السالكين ، ثم يتناول العشاء حتى إذا صلى العشاء أحيا عامة ليله بالذكر والمراقبة ، فإذا غلبه النوم اضطجع في مصلاه وربما نام وهو جالس ولم يعلم أنه مد رجليه لفرط حيائه كما تقدم . وكان لا يجلس إلا محتبياً كما نقل عن النبي ﷺ وكبار الأولياء كالغوث الجيلاني حتى توفي على هذه الحالة . وكان حريصاً على إخفاء الصدقة فإذا فتح عليه بشيء يقسمه على الفقراء وهم في المراقبة لئلا يشعر أحد منهم بالآخر ، وكان يلبس الخشن من الثياب ، ولو أهدي اليه ثوب نفيس باعه واشترى عدة أثواب وتصدق بها ، وهكذا في غير ذلك ويقول لأن يكتسي جماعة خير من واحد . وورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها أخرجت يوماً ازاراً ورداء خشنين وقالت : قبض رسول الله ﷺ في هذين .

وكان رضي الله عنه شديد الشفقة على المسلمين يكثر من الدعاء لهم وأكثر ما يكون في جوف الليل ، وكان له جار يسمى حكيم قدرة الله يصرف أكثر أوقاته في غيبته ، فحبس يوماً فسعى كل السعي في خلاصه ولم يذكر ذلك له ، وكان مجلس المترجم كمجلس سفيان الثوري لا ترفع فيه الأصوات ولا تنتهك المحارم ، مبرأ عن حديث الدنيا فلا يذكر فيه الأمراء ولا الفقراء ، وقد استغاب بعض الحاضرين في مجلسه شخصاً فذكره وقال : أنا أحق بما قلتَه منه ، ونال شخص في حضوره من سلطان الهند وكان صائماً فقال : وا أسفاه لقد فسد صومي فقيل له : أنتم ما ذكرتم أحداً بسوء ، فقال : نعم ولكن سمعت ، والذاكر والسامع في الإثم سواء ، وكان عاشقاً لرسول الله ﷺ فانياً فيه بحيث إذا سمع اسمه الكريم اضطرب وغاب . وقد أحضر له خادم اقدامه يوماً ماء للتبرك وقال له : أنت منظور رسول الله ﷺ فارتعد عند سماع هذا الكلام ، ثم قام فقبل الخادم وقال له : من أنا حتى أكون منظور رسول الله ﷺ وبالغ

في إكرامه ، وكان شديد الحرص على اتباعه ﷺ في اقواله وأفعاله قوي التمسك بالسنة دؤوباً على مطالعة حديثه ، حتى توفي وسنن الحكيم الترمذي على صدره ، ولم يبلغه أنه ﷺ فعل شيئاً إلا وتأسى به .

وكان له في القرآن المجيد ذوق عظيم ، وكان كثير التلاوة له كثير المحبة لسماعه ، وكان يحب سماعه من أحد خلفائه العظام الشيخ أبي سعيد المعصومي ويتأثر تأثراً بليغا ، فإذا ازداد من السماع اضمحل وتلاشى له ، وقال : حسبي لا طاقة لي بأكثر . ويحب سماع أشعار القوم والمثنوي ويحصل له من ذلك وجد ، غير أنه كان لثباته وكمال تمكنه لا يظهر عليه ، ويقول : رقص أبو الحسين النوري يوماً والجنيد جالس قال : « إنما يستجيب الذين يسمعون » فقال الجنيد : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » فالجنيد كان في غاية الثبات . ومن جملة كلامه الدال على علو مقامه ، قوله : إن التخلق بالأخلاق الحسنة واجب على كل أحد ، وهي الحلم والتواضع والشفقة والنصيحة والموافقة للأصحاب والإحسان والمداراة والإيثار والخدمة والالفة والبشاشة والكرم والمروءة والتودد والمودة والجود والعفو والصفح والحياء والسخاء والوفاء بالعهد والسكينة والوقار والثناء والدعاء إلى الله تعالى دائماً وحسن الظن وتصغير النفس واحتقار ما عندك واستعظام ما عند غيرك .

وأما المقامات فأولها الانتباه ثم التوبة ثم الإنابة ثم الورع ثم محاسبة النفس ثم الارادة ثم الزهد ثم الفقر ثم الصدق ثم الصبر ثم الرضى ثم الاخلاص ثم التوكل . وأما الأحوال فمن ذلك المراقبة ثم القرب ثم الرجا ثم الخوف ثم الحياء وهو حصر القلب عن الانبساط ثم الشوق ثم الانس ثم الطمأنينة ثم اليقين ثم المشاهدة وهي آخر الأحوال ، واليها الإشارة بقوله ﷺ : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » **ومن ذلك ما كتبه في إجازته** للشيخ أبي سعيد المعصومي والشيخ بشارة الله ، ولغرابة

اسلوبها نقلتها بتمامها فقال : **بعد الحمد والصلاه** ، من المعلوم أن المقامات والاصطلاحات التي هي في طريقة الإمام الرباني مجدد الألف الثاني ، مقررة ، ينبغي أن تشاهد في كل درجة منها كيفيات وأحوال وأنواع وأسرار تلك الدرجة ، وإلا فاختيار الطريقة عبث ، فلم إضاعة العمر ، وإن لم تكن المقامات العشر التي أولها التوبة وآخرها الرضا لازمة للباطن فما الفائدة من هذه الطريقة ، فإنه يحصل في سير لطائف عالم الأمر كيفيات كثيرة ففي سير لطيفة القلب المفيدة لمراقبة الأحدية الصرفة بعد مراقبة المعية ، يحصل الفناء والاستغراق وقطع العلائق والآمال وغيرها ، وفي سير لطيفة النفس المفيدة لمراقبة الأقربية والمحبة ، يحصل الاستهلاك والاضمحلال ، وفناء أنا وغيره ، وفي سير عالم الخلق ينهل الفيض الإلهي على العناصر الثلاثة ما عدا عنصر التراب ، وتوجد المناسبة لتجليات اسم الباطن والملأ الأعلى وتهذيب اللطيفة القالبية ، ويصير الاحسان في الكمالات الثلاثة بالصفاء ولطافة نسبة الباطن ، وتحصل في الحقائق السبعة ، وسعة الأنوار وبداهة الأمور النظرية ، وزيارة حضرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وثبوت أذواق المحبة الذاتية ، فإن أدرك سالك هذه الطريقة هذه العلوم والمعارف فهو مبارك ، وإلا فقد اكتسب العجب والأنانية فويل له . وكل شيء يحصل في الصحبة من هذه الحالات فهو حسن ، وإلا فهو تحقير للطريقة ، ويلحق المشايخ من ذلك الشخص عار ، والمريدين عجب وترذيل للطريق ، ودعوى الانتظام في سلك المشايخ هداهم الله سبحانه إلى رضائه واشتياق لقائه آمين . وإذ قد وصل ولله الحمد صاحباي حضرة المولوي بشارة الله وحضرة الحافظ أبو سعيد سلمهم الله تعالى وجعلهم سرجاً لإشاعة أشعة الطريقة لهذه المقامات ، والمرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتفضل على بقية أصحابي الأعزاء وأحبابي وعلى هذا الذليل المقصر ، بالتوفيق للاستقامة واتباع السنة ومحبة المشايخ ، والترك والانزواء ، واليأس من الخلق ،

والترقي لهذه الحالات ، فإني مع تمام الخجل أكتب لأن المرشدين يكتبون في الإجازات هاتين الكلمتين ، فأقول : يد هذين العزيزين التي هي أحسن من يدي ، هي يدي ، وبيعة خدمتهم التي هي أقوى ذريعة للسعادة والنجاة بيعتي ، بارك الله بهما ، بشرط أن يعرضوا عن أهل الدنيا ، ويلازمون بقدم مكسورة باب الحق ، مع صدق الوعد الكريم المطلق جل سلطانه ، فإنه أركان طريقي وتربية توجهات حياتي ، اللهم وفقني وإياهم لمرضاتك ومرضات حبيبك ﷺ ، واجعل آخرتنا خيراً من الأولى آمين .

وكان رضي الله عنه يقول : إني أحب الشهادة في سبيل الله تعالى ولكن أتذكر ما حصل للناس في شهادة شيخنا مرزا جان جانان رضي الله عنه من البلاء ، إذ قحطوا ثلاث سنين ، ومات بذلك خلق كثير ، ووقع قتل وحروب لا تعد ، فأترك سؤالها . وقد غلب عليه البواسير آخر مرضه ، وكان الشيخ أبو سعيد وقتئذ في مدينة لكهنو فأرسل اليه في برهة يسيرة كتباً كثيرة يحثه على الحضور ليكون قائماً مقامه ، وأن يستخلف مكانه نجله الشيخ أحمد السعيد أحد خلفاء حضرة مرشد المكرم ، فترك أهله وأتى مخفا ، فلما تشرف بلقائه قال له : كان مرادي إذا لقيتكم أبكي كثيراً ولكن أتيتني في وقت لا يمكنني فيه ذلك ، ثم التفت بكليته اليه وأوصى له بخلافة الارشاد العام . وكان من عادته المستمرة أنه إذا حصل له شائبة مرض أوصى قلماً وأكد لسانا بمداومة الذكر وتحسين الأخلاق وتقوية النسبة الشريفة ، ومجاملة المعاملة مع الجميع ، والاعراض عن الاعتراض بلو ولم على مجاري القضاء ، وملازمة الاتحاد مع الاخوان ، والتفرغ للعبادة مع الفقر والقناعة والرضى والتسليم والتوكل ، فجدد هذه المرة تلك العادة المستمرة ، وقال : إذا قضي الأمر فاحملوني إلى المكان

الذي فيه الآثار النبوية التي في جامع دهلي ، واطلبوا لي من صاحبها الشفاعة [١] وأوصاهم أن ينشدوا أمام جنازته هذين البيتين :

وفدت على الكريم بغير زاد من الحسنات والقلب السليم
فحمل الزاد أقبح ما رأينا إذا كان القدوم على الكريم

فلما كان وقت الاشراق من يوم الاثنين ثاني عشرى صفر أمر بحضور أبي سعيد من داره سريعا ، فنظر اليه ثم وضع رأسه في صدره ، وهو جالس على هيئة الاحتباء وقتئذ ، فالتحق بالرفيق الأعلى ، فغسل بأمواه الأنوار ، وكفن بأثواب الأسرار ، وحمل على أطراف الأصابع إلى المسجد الجامع ، وقد انفضت لأجله المجامع وهرعت لرباطه الناس حتى غصت بالمشيعين الشوارع ، فصلى عليه الإمام أبو سعيد ووضعوه تبركا عند الآثار النبوية ، ثم أتوا به الخانقاه فدفنوه في الجانب الأيمن من البقعة المباركة التي ضمت المرحوم مرشده الشهيد . وكان لمشهده في دهلي يوم مشهور ، وأرخ أدباء الهند ذلك بتواريخ متعددة أحسنها تاريخان ، أحدهما نثر وهو « نور الله مضجعه » وثانيهما ضمن مقطوعة بالفارسية وهو قوله : « في روح وريحان وجنات النعيم » فنظمتها تبركا به فقلت [٢] في الأول :

حضرة القطب الدهلوي رغب الحق مرجعه
فلهذا إذ أرخوا نوّر الله مضجعه

١٢٤٠ ٩١٨ ٦٦ ٢٥٦

وقلت في الثاني :

الدهلوي الشاه عبد الله ذا الغوث العظيم

---

(١) النبي صلوات الله عليه هو صاحب الشفاعة ، ولكن مالكها هو الله تعالى ، فتطلب منه ، كالخلق والرزق والاحياء والاماتة .

(٢) أي قال العلاّمة الشيخ عبد المجيد الخاني مؤلف الحدائق الوردية ، وهذه الأبيات في اواخر هذه الترجمة ، ولها عنده تتمة . رحم الله الجميع .

أرخه في روح وريحـــان وجنـات النعيم ١٢٤٠

ومن ذلك بيت فيه تاريخ ولادته وحياته ووفاته قدس سره :

بمظهر جود جاء مُدّة عيشه إمام قضى قل نوّر الله مضجعه

وله رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه خلفاء حنفاء هم علماء الأولياء ، وأولياء العلماء ، ملؤوا الخافقين إرشاداً [١] والثقلين إمداداً . انتهى بتصرف

الشيخ عبد الله أبو الكمال بن عطا الله بن عبد الله بن بركات الحلبي الشافعي الكتبي

الفاضل الأديب والشاعر البارع الأريب . ولد بأحد الجمادين سنة أربع وسبعين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم على مصطفى بن سليمان الحموي المقري وأبي بكر بن عمر الحلبي وحفظه برواية حفص ، واشتغل بالأخذ والتحصيل ، فقرأ على والده العربية وتخرج عليه ، وقرأ بقية العلوم على جمـاعة منهم أبو محمد مصطفى بن أبي بكر الكوراني وأبو محمد عبد القـادر بن عبد الكريم الدري وأبو اليمن محمد بن طه العقاد وأبو عبد الله محمد بن حجازي الخفـاف ومحمد بن يوسف الاسبيري المفتي وزين الدين عمر بن عبد الله الخفاف وقاسم بن علي المغربي المالـكي التونسي ، وسمع صحيح البخاري بطرفيه [٢] على عماد الدين اسماعيل بن محمد المواهبي وحضر دروسه وأجازه بخطه ، وسمـع حديث الرحمة المسلسل بالأولية من أبي الفتوح محمد كمال الدين بن مصطفى البكري الصديقي ، وهو ابن ثمـاني سنين ،

---

(١) في طبقات الأمم للقاضي صاعد بن أحمد الأندلسي (المتوفى سنة ٤٦٢ هـ) مانصه : فكان (الهند) عند جميع الأمم — على ممّر الدهور وتقادم الأزمان — معدن الحكمة ، وينبوع العدل والسياسة ، وأهل الأحلام الراجحة ، والآراء الفاضلة ، والأمثال السائرة ، والنتائج الغريبة ، واللطائف العجيبة اهـ .

(٢) رواية ودراية .

هو ووالده لما قدم حلب وأجازه بخطه ، وسمعه أيضاً من أبي البركات عبد القادر بن عبد اللطيف النيسابوري الطرابلسي ، وأجازه غالب شيوخه ، وتفوق وتنبل ومهر وأقبل على نظم الشعر فنظم ونثر ، وكان من الأدباء البارعين . ولما سافر العالم المؤرخ الفاضل محمد خليل افندي المرادي إلى حلب سنة خمس ومائتين والف اجتمع المترجم به فأخذ عنه واستجازه ونظم هذه القصيدة يمدحه ويهنيه بعيد الفطر :

أبدت لنا الورقاء من ألحانها ... سَجْعاً ينوب عن السّلاف وحانها
تثني على أيامك الغر التي ... هي عندنا الأعياد في أعيانها
فترنحت تلك الغصون صبابة ... وسرت حميا الأنس في عيدانها
وتأرجت أزهارها وتبلجت ... أنوارها وافتر ثغر أوانها
فالنشر ند والمحاسن غادة ... وطغى الحباب على عقود جمانها
طارحتها شكوى الغرام وحالتي ... وهوى أقام على حمى أوطانها
أخبار حب قد روتها أدمعي ... وتسلسلت في الخد عن نعمانها (١)
كادت بلطف حديثنا وسماعه ... أن ترسل العبرات من أجفانها
حتى درت ماذا أكابد في الهوى ... وتعرفت صدق الهوى بعيانها
ذكرت لتجديد العهود مواعداً ... يجب الوفاء بها على ندمانها
واستقبلت عود الأماني باللقا ... لقدوم عيد الفطر من ابانها
فيه يهنى واحد المجد الذي ... ثنى ذكاء في سمو مكانها
المشتري رتب الكمال من العلا ... والواهب الجوزاء من كيوانها
المنتقى من أكرمين أعاظم ... نالوا الثوابت من لدى دورانها
شم العرانين الفخام إلى السهى ... من غير ما يزهو على أخدانها
فهم الصدور مهابة وجلالة ... وهم البدور طوالعا في آنها
والجود ألقى في ذراهم رحله ... إذ كذبوا الأنواء في هتانها

(١) النعمان هنا : الدم .

والعلم والتقوى شعار مقامهم وسنا المحامد مخبر عن شانها
ماثم إلا وارد أو صـــادر شكر السحائب في ندى إحسانها
فاذكر مرادك عندهم تلق المنى وتساعد الأقدار في جريانها
كم رائد في المكرمات مرادهم ومشمر عن ساعد وبنانهـــا
والموهبات تقول ألسُنُ حالها إن المواهب في يدي منانها
فبنو المرادي هم أساطين الملا تعنوهم الفصحاء في أوزانهـــا
لا سيما المولى الخليل المجتـــلي نور البراعة من سنا حسانهـــا
العالم النحرير من وضحت له سبل الهداية سالكاً بأمانهـــا
بحر الفضائل ملتقى مجموعها همع الهوامـــع مرتوي ظمآنها
ضوء السراة منارهم نحو الهدى كنز العفاة الطب من أحزانها
صدر الشريعة والحقيقة نجمها يبدي الدليل الحق من برهانها
حلى بسلسلة الجواهر فضـــله عن مالك قطب العلا سلطانها
طرقاً تعانى جمعها أحيا بها سَنَن الرواة أجاد في إتقانها
وأطاعه الخبر العويص عن النهى وتنقب الآثار من أكنانهـــا
وأبان عمن في العصور تقدموا بغراسة يمتاز في عرفانهـــا
وغدا مخلد جلها أسفـــاره بعبارة لم تنأ عن سحبانها
قس المخضرمة الذين تخيروا الـكلم النوابـغ بانتقا عدنانها
كاسي القريض محاسناً من لفظه كالخود زينها حلى عقيانهـــا
الملبس الألفاظ لما حاكهـــا شبه الملوك تتيه في تيجانها
فالنظم يلثم من ثنـــايا دره والدر ينظم في ثنا مرجانها
وحلاوة القند[1] الشهي سلافها وسلاف أهل الشوق خمرة حانها
ونضارة الحسن البهيج نضارها وغضارة الولدان شرب دنانها
لا زال سيدنا مدير كؤوسها في سائر الأعياد بدر زمانها
صافي السريرة لا يشاب بشائب ومنيع ذات مجتني أقرانهـــا

(١) القَنْد جمعه قنود : عسل قصب السكر إذا جمد (معرب كند الفارسية) .

وتظل تصدح بالثنا لجنابه أهل البسيطة شامها ويمانها
وملاحظين جنابه بدعائهم لاسيّ مخلصه فتى فتيانها
ما لاح في القصوى هلال الفطر أو طلعت شموس السعد من ميزانها

وكتب يمدحه أيضاً

بحقكما هبا فقد سطع الفجر وأذن داعيه ألا وجب الأمر
وفي الطير والافنان شادٍ ومائسٌ غناء ولا هجر ، ووصل ولا هجر
ومن نشرها ريح الصبا زهر الربا إذا ضمها من نحو كاظمة النشر
ودارت حميانا على البر والتقى حميا عفاف ما على ربها حجر
سلافة قوم لم يذوقوا مدامة ولا خامروا خمراً ولا نالهم وزر
نعم سمعوا يوماً أحاديث ماجد هي الدر قد وافى بتنظيمها الثغر
هو البحر يرجى للعواطل دره كما أنه يحوي مناهله القطر
ثمال عفاة في المآتم والأسى وحين صروف الدهر حان لها الغدر
بقية أسلاف كرام تقدموا ومن سنن الآداب أن يختم الصدر
إمام المعالي يقتدي أهلها به وقطب العوالي رقه الشمس والبدر
بجد وجد ساد أمة جيله وشاد ذرى ما فوق ذروته قدر
غذاه لبان الفضل من هو يافع وتوجه التوفيق والفتح والنصر
فدانت له الأعلام من كل وجهة وقيل لأبناء الرجا هذه مصر
فإن قصروا عن شأو علم أمدهم وإن مدت الأوغاد حاولهم قصر
إذا ابن نجيم قاسه بنظائر ترى الفرق مثل الفجر ما دونه سر
تنائى حبيب إن تدانى حبيبنا وأما زهير أين أنجمه الزهر
وقس يقاسي العي عند خطابه وعمرو بن عثمان حوى زيده عمرو
هنيئاً بني شهبائنا بقدومه فقد لعبت فينا الصبابه والخمر
وحيا فأحيا بالتحية مغرماً يقلبه ليلاً على الكبد الجمر
وباعد أحزانا تحصن جيشها على قلب صب لا يناصره ذمر

فيا من به يستطلع البدر سعده ... وفاقاً لعلياه كما اتضح الأمر
لأنت مراد الفضل وابن مراده ... وعامر ركن المجد طال لك العمر
بقيت مدى الأيام اربا لأهلها ... يسود بها الراجي ويتضع الغمر
ويثني عليك الحظ أبيض ناصعاً ... وتخرس أعداك الأبالسة الحمر
وعيشك والأيام والدهر والمنى ... رضيّ وأعياد وطوعك والأمر

وكتب اليه أيضاً يمدحه

يا درّ درّ الجمال ما صنعا ... أسيره دون نيله قنعا
أعز قوماً بعز منصبه ... وكلنا هيبة له خضعا
فمن مجيري من أسر غانية ... غيداء في القلب طيفها رتعا
رخيمة رخصة المعاطف والـ ... ـبنان تشكو من حيلها الجزعا
أهدى إليّ السقام ناظرها ... قاسيت سهداً لكنه هجعا
عسالة القدر والمباسم وال ... حديث تشفي الطعان والوجعا
فالغصن في الروض فرع قامتها ... والبدر في أفق وجهها طلعا
كأنه ازدان من محاسن من ... حاز التقى والكمال والورعا
بقية السادة الألى جمعوا ... مناقب العلم والصلاح معا
حيث مراد العلياء كوكبهم ... يزهو على الكون كلما لمعا
ومن سناه وعز طالعه ... نور عليّ على العلا سطعا
فخلد الله أصل دوحتهم ... وصان باللطف فرعها ورعى
أعني خليل الكرام سيدهم ... ومن نداه السحاب ان همعا
الباسل الشهم والخضم إذا ... داعي الكمالات والنوال دعا
الحائز الرفق والتعطف ان ... وافاه جان فحلمه وسعا
والعالم الفاضل الذي ذكرت ... أبحاثه ان ضده منعا
والناظم الناثر المجيد بما ... أبرزه الفكر والحجا تبعا
الفاظه الدر والجمان حلى ... فالقرط في اذن كل من سمعا

أو هيَ سِحْرٌ ومن يعارضها ... يخال في الحال أنه طبعا
أو هي بنت الكرام روقها ... أين الندامى يسقونها جرعا
لازال فوق النسرين طائره ... يصدح بالشكر كلما سجعا
ومن يعاديه خاسراً حزنا ... ثاوي درك الحضيض متضعا
ما افتر نور الخزام مبتسما ... عن روق حسن صفاؤه نصعا
وما العطائي جاء معتذرا ... وراجيا أن يقال حيث لعا (١)
فان جهد المقل مغتفر ... بقيت ما ارتاح مخلص ودعا

وكتب له يمدحه أيضاً

ولهي بكم في غدوتي ورواحي ... وَلَهَ العليل إلى شذى الأرواح
وترنمي في مدحكم بين الملا ... روحي وندماني وملء الراح
وصدى يراعي إذ يراعي ذكركم ... عودي الرخيم ورنة الأقداح
وطروسي اللاتي حوين سناءكم ... صفحات غراء الجبين رداح (٢)
ومدادها نقش البنان من الدمى (٢) ... والنقط خيلان البياض الماحي (٣)
أبي الأيادي الهاشمية والأكف ... الحاتمية والندى الميتاح (٤)
الصاعدين إلى الكمال بلا انتها ... والمحرزين المجد دون براح
من منكم قطب الوجود مرادنا ... روح المكارم بلبل الأفراح
وحفيده علامة العصر الذي ... هو جوهر من فالق الاصباح
السائر الأخبار في آفاقه ... ذكر يضوع بنشره الفواح
من ليس يرغب عن مدائحه شج ... متهيم وأطاع فيه اللاحي
ويك اقتد ياعاذلي أنا مغرم ... في وصفه أصبو إلى التمداح

---

(١) يقال للعاثر : « لعاً لك » دعاء له ، أي أنعشك الله وأقامك من عثرتك .
(٢) امرأة رداح : عجزاء ثقيلة الأوراك تامة الخلق .
(٣) الدُّمية : الصورة المزينة فيها حمرة كالدم (ج دُمى) .
(٤) مَن يستقي الماء مغترفا .

سكنت محبته القلوب باسرها خلقا بدون تعرض الأشباح
سِرٌ أبان إلى النهى مرموزه ان الوفاق بعالم الأرواح
أخلصت تهنيتي له بالصوم في هذا الربيع الوارق الأدواح
لرجاء نيل القرب من ساحاته ثم التملي بالسنا الوضاح
ظل ظليل في المهامه وارف خل خليل بحر كل سماح
لازال يبقى كل عام رافلا متوشحا بالمجد كل وشاح
ماأهديت لجنابه تحف الثنا من مخلص مثل المودة صاح
أو مايقول أبو الكمال مصدرا ولهي بكم في غدوتي ورواحي

وله مخمسا أبيات الصفي الحلي

سايرتنا إلى الليوث الحوامي مرهفات إلى الدماء ظوامي
ما الاعادي إذاعدوا ماالروامي ان اسيافنا القصار الدوامي
صيرت ملكنا طويل الدوام

قد وعينا التلويح من كل مور[1] وقدحنا من الزناد لموري
لم يشب حزمنا ارتشاف خمور نحن قوم لنا سداد أمور
واقتحام الأخطار من وقت حام

من يَفِدْ حيّنا يَعُدْ بسلام ليس يخشى من سطوة وملام
ولنا القرن[2] طائع كغلام واصطلام[3] الأعداء من وسط لام[4]
واقتسام الاموال من وقت سام

مات رحمه الله عام الف ومائتين وبعد الخمسة رحمه الله تعالى .

---

(١) لوّح فلاناً بالسيف علاه به وضربه . والمَور : الطريق ، والطعنة تمور إذا مالت يميناً وشمالا .
(٢) القَرن من القوم : سيدهم .
(٣) اصطلم الشيء : استأصله .
(٤) اللام : الهول .

الشيخ عبد الله بن مصطفى بن احمد بن موسى الحلبي الحنفي الشهير كوالده بالجابري نسبة الى القاضي جابر بن احمد الحلبي والد ام جده احمد

الفاضل الأديب الفقيه الكاتب البارع المنشىء ، مولده في ربيع الاول سنة تسع وستين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم واشتغل بالتحصيل والأخذ ، فقرأ على أبي الهدى صالح بن سلطان وأبي محمد مصطفى بن أبي بكر الكوراني وأبي المواهب اسمعيل بن محمد بن صالح المواهبي وسمع الكثير عليهم وعلى غيرهم ، وأجاز له جماعة كأبي جعفر منصور بن مصطفى ابن منصور السرميني وأبي البركات عبد القادر بن عبد اللطيف البيساري الطرابلسي وغيرهم ، وكان يكتب أنواع الخطوط مع الاتقان وكانت الافاضل تشهد بنبله ونجابته .

وفي سنة أربع وثمانين ومائة والف دخل دمشق مع والده وعمه ، ونزل في دار بني المرادي ، وكانوا يشهدون له بالنبل والفضل . وفي سنة أربع وتسعين دخل دمشق المرة الثانية قاصداً الحج بالنسك ، ونزل أيضاً في دار بني المرادي عند خليل افندي صاحب التاريخ ، وكان أيضاً مع والده ، وكان يعرف اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية ، وكانت علماء الروم يحررون ما يكتبه من الترسل التركي ويقيدونه عندهم ، ويشهدون بتفوقه ونبله . وكان مع والده يشتغل بتحرير الوثائق الشرعية والصكوك لدى قاضي قضاة حلب ، وكان والده رئيس العدول والكتاب بالمحكمة الكبرى . ولما صار والده نقيب الأشراف بحلب والمفتي العام بها صار ولده المترجم مكانه رئيس الكتاب ، وشهد الناس بأدبه وعقله ،

واحترمته الصدور والأعيان [1] وكان ينظم القليل من الشعر ، ومن كلامه مشطراً بيتي الجواليقي :

ورد الورى سلسال جودك فارتووا ... بزلال فيض فضائل ومراحم
فقصدت مقصدهم وجئتك راجياً ... ووقفت خلف الورد وقفة حائم
حيران اطلب غفلة من وارد ... ولهان أرجو نجدة من راحم
فاقمت منتظراً ببابك واقفاً ... والورد لا يزداد غير تزاحم

وشطرهما أيضاً الأديب أبو بكر بن مصطفى الكوراني الحلبي :

وردالورى سلسال جودك فارتووا ... وكأنهم ظفروا بمنهل حائم
فقصدته مُتَتَبِّعاً وُرّاده ... ووقفت خلف الورد وقفة حائم
حيران أطلب غفلة من وارد ... كي ارتوي وأنال عطفة راحم
فبقيت ظمآناً اكابد لوعة ... والورد لا يزداد غير تزاحم

وقد خمس تشطير الجابري الفاضل عبد الله بن عطاء الله الكتبي الحلبي .

ياذا الذي عنه الأكارم قد رووا ... وعلى نداه ورحب كفيه لووا
وبك الملا كعب الايادي قدطووا ... وردالورى سلسال جودك فارتووا
من فيضكم بمكارم ومراحم
امّوا من الأنواء صوباً هامياً ... يحيي مرابع للكرام خواليا
واخضل عود الدهر طلقاً باهياً ... فقصدت مقصدهم وجئتك راجيا
ووقفت خلف الورد وقفة حائم
اتراك يا حظي الحؤون مساعدي ... ارد الظلال بمعصمي وبساعدي
حتى م أبقى في عنا وتباعد ... حيران اطلب غفلة من وارد
ولهان أرجو نجدة من راحم

---

(١) قال الأستاذ الراغب ـ بعد أن نقل ترجمة الجدّ له ، اقول : وقد تقلد منصب الإفتاء في حلب (سنة ١٢٠١ هـ) .

لابدع ان جانبت ظلا وارفـاً أو كنت من حر الأوام مشارفاً
وافيت اثر الناس بيتك طائفاً واقمت منتظراً ببابك واقفـاً
والورد لا يزداد غير تزاحم

مات المترجم المذكور سنة الف ومائتين ونيف [1] .

الشيخ عبد الله بن محمد بن طه بن احمد العقاد الحلبي الشافعي

أبو البركات جمال الدين العالم الفاضل والمحدث الكامل ، شيخ القراء في حلب الشهباء ، زين الثقات ، جمال الرواة .

مولده يوم عيد الأضحى سنة خمس وستين ومـائة والف ، وقرأ القرآن وحفظه وتلاه مجوداً ، وقرأ القراءات السبع من طريق الشاطبية ، واشتغل بالتحصيل والاخذ والانتفاع ، وقرأ وسمع وأخذ الفنون المتنوعة عن كثير من السادة المشايخ في المدة الطويلة ، منهم والده وجل انتفاعه به وعليه ، وأبو السعادات طه بن مهنا الجبريني ، وأبو محمد عبد الكريم ابن أحمد الشرابلي ، ومصطفى بن عبد القادر الملقي ، وأبو عبد الله محمد ابن محمد الاريحاوي ، وأبو عبد الله محمد بن صالح المواهبي ، وأبو محمد عبد القادر بن عبد الكريم الديري ، والشمس محمد بن مصطفى البصيري شيخ القراء بحلب ، والمقري زين الدين عمر بن شاهين ، والتاج عبد الوهاب ابن أحمد المصري ، وأبو عبد الله محمد بن محمد التافلاتي ، ولطف الله بن أحمد الأرضرومي ، وعلاء الدين محمد بن محمد الطيب المغربي ، وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم الطرابلسي مفتي الحنفية ، وأبو الحسن عـلي الرابقي ، وأبو داود سليمان بن أحمد الكليسي المفتي ، وأبو بكر بن أحمد الهلالي القادري ، وأبو اسحق عبد الجواد بن أحمد الكيـالي ، وأبو الفرج عبد الرحمن بن

---

(١) وفي تاريخ حلب الشهباء انه توفي بعد (سنة ١٢١٦ هـ) .

عبد الله الحنبلي ، والشهاب أحمد بن عبيد الله العطار الدمشقي ، والشمس محمد حاجي بن علي المفتي ، وعبد الرحمن الدمشقي بن ابراهيم المصري ، والشهاب أحمد بن ابراهيم الاربلي الكردي نزيل حلب ، وأبو عبد الله محمد الصوارني الكردي ، وأبو العدل قاسم بن علي التونسي المغربي ، وأبو جعفر منصور بن مصطفى السرميني ، وأبو الفضل فخر الدين عثمان ابن عبد الرحمن العقيلي ، وأبو عبد الله طاهر الحنفي ، وأبو العباس أحمد ابن أحمد المصري نزيل حلب ، والشهاب أحمد الكعّاك ، وأبو عبد الله محمد بن حجازي السختياني ، وأبو عبد الله محمد الفرضي ، والشيخ شرف الدين المقري ، وأبو عبد الله عبد الكافي بن حسين الامام ، ومحمد بن زكريا المقري ، ومهذب الدين سعيد بن عبد الله السويدي البغدادي ، ومحمد بن يوسف المفتي ، وأبو الاخلاص حسن بن عبد الله النجشي ، وأبو الحسن محمد بن صادق السندي نزيل المدينة المنورة ، وأبو الفيض محب الدين مرتضى بن محمد بن محمد الزبيدي اليمني نزيل مصر وغيرهم .

وسمع الكثير من كتب الأحاديث الصحيحة والمسلسلات لحديث الرحمة وغيره وفضله لا زال في ازدياد إلى أن اخترمته المنية بعد الألف والمائتين وخمس سنوات رحمه الله رحمة واسعة .

عبد الله باشا والي عكا ابن علي آغا الخزندار [1]
احد مماليك احمد باشا الجزار

نقل صاحب المناقب الابراهمية ، والمآثر الخديوية ، ان المترجم المذكور ، كان لا يركن اليه في أمر من الأمور ، عديم الوفاء ، متقلب الآراء ،

(١) هذه الترجمة لا تخلو من تحامل على عبد الله باشا وتعصب لابراهيم باشا كما يعلم من ترجمة ابراهيم باشا في هذا التاريخ ولا لوم في ذلك سوى على صاحب المناقب الابراهيمية سامحه الله (جميل الشطي) .

لا يرعى عهداً ، ولا يحفظ وداً ، عاكفاً على الملاهي واللذات ، مشغوفاً بسماع الأغاني والأصوات ، فساعدته يد العناية ، حتى تمكن من الولاية ، وطابت له الأيام ، وبلغ القصد والمرام ، وكان دأبه الاهتمام باقامة العمار ، وتحصين عكا بالابراج والأسوار ، وجمع الأموال من جميع الأقطار ، وكان قد استولى عليه الطيش ، واستخفه البطر وطيب العيش ، حتى حاد عن الطريق المحمود ، وتجاوز في الأحكام الحدود ، وأشهر العصيان على الدولة ، ذات الشوكة والصولة ، أملاً بالاستقلال ، وطمعاً في الجاه والأموال ، ولما بلغ حضرة السلطان محمود خان ، ما هو عليه من الجنون والهذيان ، والتمرد والعصيان ، وارتكاب الظلم والعدوان ، غضب من سوء فعاله ، وأرسل عسكراً لتربيته وقتاله ، تحت راية البطل الهمام ، درويش باشا والي دمشق الشام ، فحاصره زمناً طويلاً ، وأذاقه عذاباً وبيلاً ، ولما اشتد عليه القتال ، وأحاطت به الأهوال ، وانقطع عنه الامداد ، من سائر البلاد ، صحا من غفلته ، واستفاق من سكرته ، وداخله الخوف والفزع ، واضطرب من الهلع ، وأيقن أنه إذا طالت عليه تلك الحالة ، يؤخذ أسيراً لا محالة ، فابتدر بالعجل ، لاستدعاء الأمير بشير حاكم الجبل ، وكان من أفراد الرجال ، موصوفاً بالفضل والكمال ، وحسن التدبير وجميل الخصال ، ولقد أجاد من وصفه فقال :

انما أنت واحد غير أني لست اعطيك منزل الآحاد
فبما ذا يبالغون وهم لا يبلغون الانصاف بعد الجهاد
لك خوف لو صادف العين في م الحلم لصارت تخاف طيب الرقاد
تفخر الناس بالجدود ولكن انت فخر الاباء والاجداد

وارسله الى الديار المصرية ، ليستميل له خاطر الحضرة الخديوية ، لاصلاح أمره مع الدولة العلية ، وكان محمد علي باشا له وجاهة كبيرة ، ومنزلة عند الدولة رفيعة خطيرة ، فلبى دعوته ، وأجاب طلبته ، وكتب

في شأنه الى القسطنطينية ، واسترضى الدولة بموجب ارادة سنية ، ورفع عنه تلك الشدة ، بعد ما أقام في الحصار مدة ، وصار له عليه حق الجميل والاحسان ، على مدى السنين والأزمان ، غير ان عبد الله باشا كبرت نفسه بعد ذلك عليه ، وجحد فضل محمد علي باشا وإحسانه اليه ، وحصول العفو له على يديه ، وسلك معه سلوك اللئام ، الذين لا عهد لهم ولا ذمام ، وتكلم في حقه بما لا يليق من الكلام ، فلما بلغ محمد علي باشا هذا الخبر ، زاد به الغيظ والكدر ، وكتب الى حضرة السلطان محمود خان ، يعلمه بهذا الشأن ، ويلتمس من جلالته ، خلع عبد الله باشا عن ولايته ، فلم يكترث بخطابه ، ولا أجابه على كتابه ، واستعظم منه ذلك الأمر ، ورآه من عجائب الدهر ، ولم يعد يمكنه الاصطبار ، على ذلك الذل والعار ، فجهز ولده المعلوم بالعناد ، والمبغوض لدى العباد ، ابراهيم باشا راس الفساد وخراب البلاد ، ان يسير لحرب الديار الشامية ، واردفه بالعمارة البحرية ، واصحبه بثلاثين الفاً من العسكر ، الذين لا يبالون بالخطر ، ولا يهابون الموت الأحمر ، فسارت العساكر ، بالمهمات والذخائر ، قاصدة الديار الشامية ، على طريق البرية ، وأما القائد العام ، لهؤلاء العساكر الطغام ، وهو ابراهيم باشا فانه نزل في العمارة البحرية ، مع باقي الجيوش العسكرية ، وكان من جملة معاونيه ، عباس باشا ابن أخيه ، وابراهيم باشا الصغير ، وغيرهما من القواد المشاهير ، وكانت العمارة المصرية ، مؤلفة من ست عشرة قطعة حربية ، وسبع عشرة سفينة وَسْقِيّة ، تحت رياسة أحد القوادين من الضباط المصرية ، عثمان بك نور الدين ، وكان خروجه من بغاز [1] الاسكندرية ، في غزة جمادى الأولى سنة ١٢٤٧ هجرية ، فوصل في خمسة أيام ، إلى حيفا إحدى أساكل [2] بر الشام ، وهي بلدة تبعد عن عكا ثلاث ساعات ، وأهلها

---

(١) هو الخليج ، أو المضيق (تركية) .

(٢) مفردها : إسْكَلَة ، وهي المرفا أو المينا (ج) مرافيء وموانيء .

يبلغون نحو ثلاثة آلاف من النسمات ، ولما ألقت المراكب مراسيها ، نزل ابراهيم باشا اليها وخيم في نواحيهـا ، فتزلزت بقدومه الديار الشامية ، وارتجت من هيبته رجة قوية ، وأما باقي الجيش والعسكر ، الذي سار على طريق البر الأقفر ، فإنه كان قد واصل التسيار ، وجد في قطـع البراري والقفار ، فأشرف على عـكا من الجهة الجنوبية ، في عشرين من تشرين الثاني (سنة ١٨٣١ مسيحية) ، وانضم إلى باقي الجيوش المصرية ، وكان لما بلغ عبد الله باشا هذا الخبر ، وأبصر الجيش والعسكر ، أحاط به الخوف واندعر ، وطار من عينيه الشرر ، ففرق الأموال ، وجمـع الفرسان والأبطال ، وشرع في تحصين القلع والأسوار ، واستعد للقتـال والحصار ، وأرسل يستدعي من حوله من الأكابر والأعيان ، وكتب بخط يده إلى الأمير بشير حاكم لبنان ، يستنجده لهذا الأمر ، ويقول له : ان المشايخ بني الجرار وبني صقر وعرب السلط وبني صخر ينتظرون قدومه اليهم ، ليكون رئيساً عليهم . وفي أثناء ذلك يذكره بالصداقة القديمة والمحبة ، ويثني على أمانته وحفظه المودة والصحبة ، متمثلاً بقول الشاعر :

وأنت الخالص الذهب المصفى بتزكيـتي ومثلي من يزكي

وكانت عكا في تلك الأيام ، من أشهر مدن بر الشام ، وكرسي الولاة والحكام ، ذات أبراج حصينة ، وقلاع متينة ، مشحونة بالذخائر والمهمات ، وآلات القتال والجبخانات [١] ، وفيها من رجال الحرب ، وفرسان الطعن والضرب ، نحو خمسة آلاف مقاتل ، بين فارس وراجل ، وكان ابراهيم باشا صاحب الهمة العلية ، قد تقدم نحو عكا في فرقة قوية ، من الفرسان والطوبجية [٢] ،

---

(١) جمع جبخانة : وهو موضع حفظ الأسلحة .

(٢) طوب : مدفع ، والطوبجية : هم مطلقو المدافع . وهي وما سبقهـا : كلمات تركية ، غلب استعمالها في بلاد العرب .

وبنى أتراساً متينة ، على تل هناك تجاه المدينة ، يقال له تل الفخار ، ووضع عليه المدافع والقنابل الكبار ، وأرسل إلى عبد الله باشا يقول ، ضمن كتاب مع رسول ، أن يسلم المدينة ، بطريقة أمينة ، ويربح دم العباد ، وسلامة البلاد ، ويبادر إلى ملتقاه ، ويعتذر مما جناه ، ويدخل تحت لواء الحضرة الخديوية ، ويعيش باقي أيامه في عيشة رغد ورفاهية ، وعين له أجلا للحضور وتسليم الحدود والثغور ، ان تجاوزه ولم يخضع لأمره ، يضربه بالمدافع ويجعل كيده في نحره ، وحينئذ يأخذه أسيراً ، ويرسله إلى مصر ذليلاً حقيراً ، ولا يعود يفيده الندم ، بعد فوات الفرصة وزلة القدم ، فلما وقف على كتابه ، وفهم فحوى خطابه ، شق ذلك عليه ، وعظم الأمر لديه ، وحدثه عقله السقيم ، بعدم الطاعة والتسليم ، وتصلب على المحاصرة والمقاومة ، وأصر على المدافعة والمصادمة ، ورفض أمر الصلح والمسالمة ، وسعى بسوء تدبيره ، على خرابه وتدميره ، ولم يعلم ان أيامه قد مضت ، ومدة أحكامه زالت وانقضت ، واستمرت بينهما المخابرة نحو عشرة أيام ، وعبد الله باشا يحاوله بالكلام ، ولا يقدر عواقب الأيام ، وكان مستر بيتر أبوت ، قنصل دولة الانكليز في بيروت ، لما بلغته هذه الأخبار ، سار قاصداً تلك الديار ، واجتمع في ابراهيم باشا في الخيام ، بعد مسيرة ثلاثة أيام ، وأخذ يلومه بالكلام ، على قدومه الى بر الشام ، بدون رخصة سنية ، من الدولة العلية ، بقوله له ان هذا العمل ، لا توافق عليه بقية الدول ، لا سيما الدولة الانكليزية ، المتحدة مع الدولة العثمانية ، على حفظ الصداقة واخلاص الطوية ، فاغتاظ ابراهيم باشا منه وتأثر ، غير أنه لم يظهر له من غيظه ما اضمر ، وقال له اعلم ، أيها الصديق الأكرم ؟ اني حضرت بالعساكر

الجهادية ، لاستخلاص الديار الشامية ، انتقاماً من عبد الله باشا بأمر الحضرة الخديوية ، فان كان ذلك لا يوافق دولة الانكليز ، فعليها أن تخاطب به جناب والدي العزيز ، فمتى امرني بالرجوع ، عدلت عن هذا المشروع ، والا فلا ارجع بدون ذلك ، ولو قامت علي جميع الممالك ، ثم نهض على الأثر وتوجه قاصداً المعسكر ، ولم يلتفت الى حديث مستر أبوت وكلامه ، ولا اكترث بتعنيفه وملامه ، واستمر على ما كان قد قصد . من ضرب الاسوار وهدم البلد ، فلما انقضت مدة الميعاد المعهود ، وفات وقت الأجل الموعود ، وعبد الله باشا ما زال مصراً على عدم تسليم المدينة ، معتمداً على قوته وعلى اسوارها الحصينة ، استعد ابراهيم باشا وتأهب ، في اليوم الرابع من شهر رجب ، الى ضرب المدينة ، وهدم أبراجها المتينة ، فأرسل الى رؤساء الطوبجية ، وقائد العمارة الحربية ، يأمرهم باطلاق النار ، على الأبراج والأسوار ، فامتثلوا ما أمر ، ولم يمض إلا لحة بصر ، حتى اطلقت المدافع والقنابل ، على الحصون والمعاقل ، وكان الضرب متواصلاً من الخارج والداخل ، كالغيث الهاطل ، وكان قد أرسل الى الأمير بشير حاكم الجبل ، كتاباً يستدعي حضوره بالعجل ، ليقرره في مركز حكومته ، ويعيش في ظل نعمته ، فلما وقف على هذا الخطاب ، داخله الخوف والاحتساب ، وجمع أكابر لبنان ، ومن يعتمد عليهم من الأعيان ، واستشارهم في هذا الشأن ، فاستقر رأي الجمهور ، على عدم التسليم والحضور ، خوفاً من عواقب الأمور ، فلما ابطأ في قدومه ، واصر على عدم تسليمه ، استشاط ابراهيم باشا غضباً ، وتبدل واسع حلمه لهباً ، وكان قد صمم النية ، على أن يدهمه بالعساكر النظامية ، ويقبض عليه جبراً ، ويستولي على لبنان قوة وقهراً ، ثم توقف وعدل ، عن هذا العمل ، لأن أباه كان أوصاه به قبل خروجه من القاهرة ، بالعساكر الظافرة ، نظراً لما كان وقع له عنده ، من التقرب في المودة ، وذلك عند زيارته الديار المصرية ، وتمثله أمام

الحضرة الخديوية ، في طلب العفو والأمان ، حسبما قررناه قبل الآن ، فكتب الى والده بمصر ، يعلمه بهذا الأمر ، فلما وقف العزيز على هذا الخبر ، داخله الغيظ والكدر ، وتأثر من مخالفة الأمير ، وكتب اليه كتاباً على سبيل التنبيه والتحذير ، يعاتبه على ذلك القصور ، ويتهدده بسوء العاقبة إن تأخر عن الحضور ، ومن جملة فحواه ، ومضمون ما حواه إن لم تحضر إلى خدمة ولدي ابراهيم باشا سريعا ، وتكون لأوامره سريعاً مطيعا ، فليكن عندك يقينا ، اني سأخرب مساكنك وأغرس أرضها عنباً وتينا ، وقد بالغنا في النصيحة ، وحذرناك بأقوالنا الصحيحة ، فاستيقظ من رقادك ، واحذر عاقبة عنادك ، قبل أن تهجم العساكر عليك ، وتأخذ ولايتك من بين يديك . فاضطرب الأمير بشير ، من هذا التهديد والتنذير ، وأثر فيه هذا الكلام ، وخاف عواقب الانتقام ، فصمم على التأهب والمسير ، للورود على ابراهيم باشا من غير تأخير ، وركب من يومه ، في مائة فارس من قومه . ولما أقبل على المعسكر ، خرج إلى ملتقاه أميرالاي [1] العسكر ، وتبعه بحري بك رئيس الكتبة ومصطفى آغا بربر ، وبعض رؤساء العساكر والجنود ، بالموسيقى وإطلاق البارود ، فدخلوا به الأوردي [2] بموكب عظيم ، ونزل في الخيمة المعدة له قرب خيمة ابراهيم . وكان ابراهيم باشا حينئذ يجول بين الجيوش والقواد ، ويرتب الصفوف والأجناد ، وينشطهم على الهجوم والثبات ، والحرب قائمة على عكا من جميع الجهات . وعند رجوعه في المساء استدعى الأمير اليه ، فطيب قلبه وصفّى خاطره عليه ، ولاطفه بالحديث والكلام ، وأجلسه معه على سفرة الطعام ، وفوض اليه أحكام جبل لبنان ، واتخذه من جملة الحواشي والأعوان ، وكان قد أرسل فريقاً من العساكر ، بالمهمات والذخائر ،

---

(١) قائد اللواء .

(٢) الجيش .

لاستخلاص الثغور والأساكل ، تحت قيادة حسن بك المناسطرلي الرجل الباسل ، فاستولى على صيدا وصور ، وبيروت وطرابلس وباقي الثغور ، وكانت العمارة الرابطة تجاه عكا قد تعطل بعضها من شدة العواصف والأنواء ووقوع الكلل [١] الكبار ، التي كانت تسقط عليها كالأمطار ، من الأبراج والأسوار ، في الليل والنهار ، فأقلعت بأمر ابراهيم باشا إلى الاسكندرية ، في آخر كانون الثاني سنة الف ومائتين وسبع وأربعين هجرية ، والف وثمانمائة واثنتين وثلاثين رومية .

ولما بلغ السلطان محمود خان ، قدوم ابراهيم باشا إلى عربستان [٢] ووضع يده على المدن والبلدان ، استولى عليه الغيظ والغضب ، وكتب إلى محمد باشا والي حلب ، يقول له من جملة الكلام : اعلم أيها الوزير الهمام ، قد انتهى الينا في هذه الأيام ، مجيء ابراهيم باشا بالعساكر المصرية ، لفتح البلاد الشامية ، والاستيلاء على ولاياتها ، ومدنها وباقي ملحقاتها ، واستولى على أطراف البلاد ، وانقادت اليه العباد ، فلذلك قد أصدرنا الأوامر والمراسيم ، بتجهيز العساكر وإرسالها إلى تلك الأقاليم ، تحت راية السردار [٣] الأكرم ، حسين باشا الأفخم ، فيجب عليكم ، بوصول أمرنا هذا اليكم ، ان تحصنوا القلاع والمعاقل ، وتجمعوا العساكر والجحافل [٤] ، وتستخلصوا منه تلك الأساكل ، قبل قدوم الجيوش المذكورة ، والعساكر المنصورة . فلما وصل هذا المنشور ، إلى الوالي المذكور ، شرع في تحصين البلد ، بالسلاح والعدد والعُدد ، وجمع العساكر والجنود ، وعقد الرايات والبنود [٥] ، وسار إلى حمص من غير توان ، في سبعة آلاف عنان ،

---

(١) القنابل .
(٢) بلاد العرب .
(٣) السَّرْدار : أمير الجيش .
(٤) جمع جحفل ، وهو الجيش الكثير .
(٥) الأعلام الكبيرة (جمع بَنْد) .

من الأرناؤوط والهواري والعربان ، وعنـــد وصوله إلى المدينة ، حصن قلاعها بالمدافع والأبنية المتينة ، وأقام بفرسانه فيها ، وعسكر في جهاتها ونواحيهـــا ، منتظراً قدوم العساكر العثمانية ، ومجيء حسين باشا من القسطنطينية ، وأرسل أمامه عثمان باشا كامل ، في أربعة آلاف مقاتل ، بين فارس وراجل ، لقتال العساكر المصرية ، واستخلاص المدن البحرية ، فسار بهمة وحمية ، واستولى على اللاذقية ، ثم تقدم بعزم وثبات ، الى نواحي طرابلس وتلك الجهات ، فالتقاه من عساكر مصر شرذمة ، نحو خمسمائة نسمة ، وكان في مقدمتهم الأمير خليل الشهير ، ابن الأمير الشهابي بشير ، وبمعيته ستمائة بطل ، من عسكر الجبل ، ولما وقعت العين على العين ، اشتعلت نيران الحرب بين العسكرين ، والتقت الفرسان بالفرسان ، والأقران بالأقران ، واختلف الضرب والطعان ، وسالت الدماء على أديم الصحصحان [1] ، وأخذ حده السيف والسنان ، ولم تكن إلا ساعة من الزمان ، حتى تضعضعت من عثمان الأركان ، فولى الادبار ، واستنجد بالفرار ، ورجع بمن معه من الفرسان والأنفار ، الى قلعة الحصن وبلاد عكار ، وهو في حالة الذل والانكسار ، وحينما بلغ ابراهيم باشا هذا الخبر ، ومجيء محمد باشا الى حمص بذلك العسكر ، وهو إذ ذاك محاصر عكا الحصينة ، وقد كاد أن يفتحها ويهدم أسوارها المتينة ، تجهز من يومه وسار ، في أربعة آلاف فارس كرار ، قاصداً تلك الديار ، وترك عكا تحت الحصار ، ثم عجل في السير ، وسابق بمسيره الطير ، فادرك عثمان باشا في أرض الزراعة بقرب القصير ، وكان محمد باشا قد أمده بالمهمات والذخائر ، وأضاف اليه فرقة من العساكر ، فناوشه الحرب ، وبادره بالطعن الضرب ، فقهره وكسره ، وفرق جيشه وعسكره ، وفر عثمان باشا من ساحة المعمعـة ، وترك الذخائر والمهمات والامتعة ، ولجأ الى حمص بمن سلم من جنده معه ، بعد ما قتل من عسكره

(١) ما استوى من الأرض وكان أجرد .

نحو الف قتيل ، ومن المصريين نفر قليل ، ثم رجع ابراهيم باشا على الأثر ، بعد ما غلب وقهر ، وفاز وانتصر ، وغنم واسر وبلغ القصد والوطر ، واتى دير القمر ، وترك فيها الفاً وخمسمائة نفر ، من شجعان العسكر ، وعاد الى عكا بعد ذلك الانتصار ، وشدد عليها الحصار ، وكان قد ارسل عباس باشا الى بعلبك في اليوم الخامس عشر من نيسان ، وأصحبه بألا يَيْن من الفرسان ، ليقيم محافظاً في ذلك المكان ، وكانت الحرب على عكا قائمة ، والمدافع على أبراجها متصلة دائمة ، حتى هدم أكثر حصونها وأسوارها ، وسقط رونق مجدها وفخارها ، من وقوع الكلل والقنابل ، وهجوم الأبطال والجحافل ، وكانت سكان البلد ، من الشيخ إلى الولد ، في خوف واحتساب ، وقلق واضطراب ، من سقوط الكلل وأصوات البارود ، فكانوا يستترون تحت العقود ، واستمر القتال ، على هذا المنوال ، مدة سبعة شهور ، بلا انقطاع ولا فتور ، وكان المصريون في أثناء الحصار ، يحفرون حفراً تحت أساسات الأسوار ، ويضعون فيها البارود ويضرمونها بالنار ، فتهدم ما فوقها من البنيان .

ولما كان يوم الجمعة الموافق من ذي الحجه سنة ١٢٤٧ هجرية ، صمم ابراهيم باشا النية ، بقيام هجمة قوية ، لينتهي بها الحال ، وتكون واقعة الانفصال ، فجمع أركان حربه اليه ، وأخبرهم بما قد عول عليه ، وأعطاهم الأوامر والارشادات اللازمة ، المتعلقة بكل واحد منهم في تلك المهاجمة ، وعين لها اليوم الثاني من ذلك النهار ، وهو السابع والعشرون من ذي الحجة والثامن والعشرون من أيار ، ولكن لما كان الأحسن قبل القتال طلب التسليم على أحسن حال ، أرسل إلى عبد الله باشا قائداً من العمد ، يطلب اليه أخيراً أن يسلم البلد ، قبل أن تفوته فرصة الأمان ، ويقع في قبضة الأسر والهوان ، وانه غير منفك عن هذا الشأن ، ولو تحزبت عليه جبابرة الأرض ومردة الجان ، فلم يلتفت عبد الله باشا إلى هذا التحذير والتنذير ،

وعده من باب الخوف والتقصير ، وقال للقائد المذكور : ان مدة الحصار لم تتجاوز بعد سبعة شهور ، والمدينة بحمد الواحد الأحد ، مشحونة بالسلاح والعدد ، وفيها من الجبخانات [1] ، والذخائر والعلوفات ، ما يكفيها خمس سنوات ، فمتى جاء الوقت المعهود ، وفرغ الزاد والبارود ، وانقطع عنا الامداد والاسعاف ، ننظر حينئذ في إنهاء هذا الخلاف . فلما عاد القائد إلى مولاه ، وبلغه جواب عبد الله ، تعجب من وقاحته وحار وأمر بإطلاق المدافع على الحصون والأسوار ، فأطلقت طول ذلك الليل ، وانصبت على البلد كعارض السيل ، ولما كان الصباح ، تأهب العسكر للهجوم والكفاح ، فقرعت الطبول ، ولمعت النصول ، وخفقت الرايات ونفخ النفير ، وانقسمت الآليات إلى فرق وطوابير ، وسارت العساكر ، كالأسود الكواسر ، بحسب صدور الأوامر ، طالبة القلاع والابراج ، بدون خوف ولا انزعاج ، وفي مقدمتها هاتف السعد والاقبال ، ينشد قول من قال :

هيا بنا هيا بنا ... للحرب نلقى ضدنا
نحن الأسود الكاسرة ... نحن السيوف الباترة
من أرض مصر القاهرة ... سرنا وقد نلنا المنى
هيا بنا هيا بنا ... للحرب نلقى ضدنا
نحن الجهاديون لا ... نخشى غباراً إذ علا
ولم ندق في البلا ... صدراً إذا الموت دنا
هيا بنا هيا بنا ... للحرب نلقى ضدنا
بارودنا شراره ... يشوي الوجوه ناره
وسيفنا بتاره ... من العدى تمكنا

---

(١) مواضع حفظ الأسلحة ، والأسلحة .

ولم تكن إلا ساعة من النهار ، حتى أشرفوا على الأسوار ، واندفقوا عليها كالبحار ، وكان أول من هجم بأمر ابراهيم ، طـابور من الالاي العاشر على برج كريم ، الكائن في الجهة الغربية ، من الأسوار الشمالية ، ثم اتبعه على الأثر ثلاثة طوابير [١] أخر ، تحت قيادة الشجاع الشهير ، ابراهيم باشا الصغير ، وهو والد جناب حيدر باشا وخليل باشا يكن ، أصحاب الخلق الجميل والصيت الحسن ، وانعطفوا بحملاتهم أسرع من البرق ، على الكائنة تجاه الشرق ، وكانت أكثر هذه المواضع ، مثقوبة بكل المدافع . وأما أسد الآساد ، وسيف الجهاد ، وقائد القواد ، فكان سائراً على أثر العساكر ، وبمعيته طابوران من الالاي [٢] الخامس والعاشر ، وكان يجول على ظهر جواده ، بين صفوف فرسانه وأجناده ، وهو يشجعهم بالكلام ، وينشطهم على الهجوم والاقتحام ، ويعدهم بالمكافاة والانعام ، فلله درهم من فرسان وأبطال ، ما أشدهم في الحرب والقتال ، وأثبتهم في ميدان النزال ، على المخاطر والأهوال . وكان الرصاص يتناثر عليهم كالبرد ، من الأبراج ومتاريس البلد وهم ثابتون ثبات الجبابرة ، أو الأسود الكاسرة ، غير مبالين بالخطر ، طمعاً بالنصر والظفر ، وبلوغ القصد والوطر ، بل كانوا يهجمون ، على الأسوار والحصون ، بهمم وعزائم ، أمضى من الصوارم ، وينصبون عليها السلالم ، ويتسلقون فوقها كالضراغم ، هـذا ولم ينتصف النهار ، حتى تمكنوا بالقوة والاقتدار ، على أكثر الحصون والأسوار ، ونشروا عليها بيارق الانتصار ، فاستولى الطابور الثاني ، على المراكز والمباني ، التي في الناحية الشرقية ، المتصـلة بأطراف الأسوار الشمالية ، واستولى الطابور السادس ، من الالاي الخـامس ، على جميع الصوايح ، التي في جهة النبي صالح ، وهكذا استولى الالاي الاحتياطي ،

(١) جمع طابور (تركية) وهو فوج أو كتيبة .
(٢) كتيبتان من الجيش .

على المتاريس الواقعة بقرب الشاطىء ، فلمـا رأى عبد الله باشا ذلك الهول العظيم ، والخطب الجسيم ، ندم على عدم الطاعة والتسليم ، وعلم ان نجمه قد سقط ، وعقد عزه قد انحل وانفرط ، وانه عما قريب يؤخذ أسيراً ، ويقاد أمام عدوه ذليلاً حقيراً ، بعد أن كان والياً ومشيرا ، ولكنه أظهر الصبر والجلد ، وسار بالعسكر الى خارج البلد ، بقصد المدافعة والممانعة ، وسد أبواب الهجمات المتتابعة ، فخاض ساحة المعركة ، وجرت بينهم وقعة مهلكة ، قتل فيها من قواد المصريين ، وأبطالهـا المشهورين ، الشجاع المقدام ، اسماعيل بك القائم مقام ، وبموت هذا الأسد الغضنفر ، ارتد جيش المصريين وتأخر ، وضعفت عزيمته وتقهقر ، فلمـا رأى ابراهيم باشا أن العسكر ، قد أمسى في ارتباك منكر ، خشي من الهزيمة والانكسار ، بعد ذلك الفوز والاستظهـار ، فتقدم نحو جنوده بحرسه ، وهو راكب على ظهر فرسه ، وجعل يحرضهم على الثبـات والجهاد ، ويحثهم على الصبر والجلاد ، ويقول هذا يوم الانتصار ، هذا يوم الافتخار ، هذا يوم بلوغ الأوطار ، فكانوا تارة يتقدمون وتارة يتأخرون ، فعند ذلك سل سيفه من غمده ، وانعطف بالحملة أمام جنده ، واقتحم مواكب الأعداء فشق الصفوف والكتائب ، وأظهر بشدة شجاعته وبسالته العجائب ، فتشجعت عزيمة العساكر ، من هيبة هذا البطل الكاسر ، وداخلتهم الحمـاسة والفتوة ، وكروا على أعدائهم بكل نشاط وقوة ، فسدوا عليهم الطرق والطرائق ، وأثخنوهم بضرب السيوف والبنادق ، وأزاحوهم إلى ما وراء الخنادق ، ثم قويت عزيمة المحصورين ، وانعطفوا بالحملة على المحاصرين ، وحينئذ اختلط الرجال بالرجال ، والأبطال بالأبطال ، والتحم القتال ، واتسع المجال ، وعظمت الأهوال ، وجرى الدم وسال ، وتمكنت الصوارم ، في الرقاب والجماجم ، والحراب والخناجر ، في الصدور

والخواصر ، وكان يوماً من أعظم الأيام ، وساعة يشيب من هولها رأس الغلام ، لأن الدمـــاء كانت تسيل كالمطر ، والجثث تتساقط على الأرض كأوراق الشجر ، والسهول والتلال ، تهتز من ضجيج الرجال ، وأصوات المدافع التي تزعزع الجبال ، حتى خيل للنظار ، في ذلك النهار ، ان الساعة اقتربت ، والأرض ارتجت واضطربت ، والسماء غابت واحتجبت ، والمدينة احترقت وانقلبت ، ولقد أحسن المقال ، وصدق من وصف عكا في ذلك وقال :

قد قيل ان جهنما تحت الثرى ما لي أراها فوق عكة تضرم
لو لم تكن دار الشقاوة عكة ما أضرمتهـــا بالشرار جهنم

واستمرت تلك المعاركة ، والمهاجمة المتداركة ، من الصباح إلى بعد العصر ، حتى هبت ريح النصر ، وكانت قد كلت جموع عبد الله باشا ، وانحل عزم نشاطها وتلاشى ، وعجزت عن حماية البلد ، ولم يعد لها أدنى ثبات ولا جلد ، فألقوا سلاحهم ، وسلموا أرواحهم ، خوفاً من حلول البوار ، ونزول الدمار ، وطلبوا لأنفسهم الأمان ، واختـــاروا الأسر والهوان ، وانصبت العساكر المصرية كالسباع ، واندفعوا على البلد أشد اندفاع ، بقلوب لا تخشى الموت ولا ترتاع ، وتسلموا باقي الأبراج والقلاع ، واستولوا على مدينة عكا عنوة وقهرا ، بعد انحصار سبعة أشهر براً وبحراً ، وتسلم ابراهيم باشا زمام تدبيرها ، وقبض على عبد الله باشا وزيرهـــا ، وألقاه تحت الحفظ والترسيم ، بعد ما وبخه على فعله الذميم ، وسلوكه الغير المستقيم . وفي اليوم الثاني وهو يوم الأحد ، نزل في قصر البهجة خارج البلد ، وهو أحد القصور ، المختص بعبد الله باشا المذكور ، ولما استقر في ذلك المكان ، خرج اليه الأكابر والأعيـــان ، وطلبوا منه الأمان ، فأجابهم إلى ذلك الشان ، وعاملهم باللطف والاحسان ، ثم أمر

بكتابة الأوامر والمراسيم ، إلى ولاة المدن والأقاليم ، يعلمهم بذلك الفتح والنصر ، وانه استولى على عكا بالقوة والقهر ، فكتبت في الحين ، وأرسلت إلى الولاة والمحافظين ، وهذه صورتها :

بعد السلام عليكم ، المنهى اليكم ، انه نهار أمس ، عند طلوع الشمس ، زحفت عساكرنا المصرية الظافرة ، بالقوة والسطوة القاهرة ، واندفعوا على مدينة عكا اندفاع الأسود الكاسرة ، وبادروها بالمهاجمة ، واقتحموها بالمصادمة والمقاومة ، إلى أن فتحوها بقوة الحرب والنار الدائمة ، وصعدوا أسوارها الرفيعة ، ووطئوا أبراجها المنيعة ، وغدت عساكر الأعداء مقهورة ، أمام عساكرنا المنصورة . ولما تضعضعت منهم الأركان ، ورأوا ما جرى وكان ، ورفعوا الرايات وطلبوا الأمان ، فأجبناهم إلى سؤالهم ، وبلغناهم غاية آمالهم ، وعاملناهم بالرفق والاحسان ، شفقة على الأهالي والسكان ، ورأفة بالبنات والصبيان ، والأطفال والنسوان ، وأخرجنا عبد الله باشا وكتخداه [١] ، وقواد عسكره وزعماه ، واستولينا على عكا قهراً بإذن الله ، ولأجل إعلان هذه البشرى حررنا لكم هذا المنشور ، من ديوان عسكرنا المنصور ، لتعلنوا مضمونه بالشنلك [٢] والسرور ، وتواظبوا تأدية الدعوات الخيرية ، إلى حضرة باري البرية ، بدوام بقاء سعادة ولي النعم ، جناب والدنا المعظم . حرر في ٢٨ ذي الحجة سنة الف ومائتين وسبع وأربعين وختمه تحت الامضا : سلام على ابراهيم .

وبعد ذلك استدعى بعبد الله باشا فحضر بين يديه ، وسلم عليه ، واعتذر اليه ، وتصور الموت نصب عينيه ، فلاطفه وطيب قلبه ، وسكن روعه ورعبه ، وأجلسه بالقرب من حضرته ، وقابله بما يليق بمقامه ورتبته ،

---

(١) أمين نفقته ، أو بيت ماله .

(٢) بالفرح والتزيين .

ثم أرسله إلى أبيه أسيرا ، وعند دخوله على أبيه وقع على قدميه مستجيرا ، ملتمساً منه الرضى ، والعفو عما قد مضى . فلما رأى حاله ، صفح عنه وأذهب أوجاله ، وأنزله في أحسن السرايات ، وأجرى له ما يلزمه من الحوائج والنفقات ، ثم أرسله بالتكريم إلى دار السعادة ، فبعد وصوله أرسلته الذات الشاهانية شيخاً على حرم المدينة الشريفة ذات السيادة . ولم يزل في المدينة عدة سنين ، حتى توفي بها سنة الف ومائتين ونيف وخمسين (١) .

الشريف عبد الله باشا بن الشريف محمد بن الشريف عبد المعين ابن الشريف عون بن الشريف عبد المعين بن الشريف عون بن الشريف محسن المكي

بدر فضل قد ترقى على مدارج الصعود ، ومشكاة أصل قد اقتبس من نورها طالع اليمن والسعود ، وبحر نوال قد احتوى على أفنان الرغائب ، وجد كمال قد استوى على عرش المناقب ، سرى في معارج السعادة حتى وقف على الأعلى ، وجرى في مناهج السيادة إلى أن كشف الجلي منها والأجلى :

طيب النبوة فيه عنه يخبرنا ... بأنه ثمر من دوح (٢) طوباها
كريم نفس من الاحسان قد جبلت ... منه الطباع وإن الفضل أعلاها
ذات من اللطف صاغ الله عنصرها ... وقد كساها حلاها حين سواها
لم يظفر الوهم يوماً في تصورها ... ولا يزور خيال الوهم مغناها

تردى برداء الفضائل فكان لها مظهرا ، وتصدى لورود الأفاضل فكان لها مورداً ومصدراً ، وجمع المحاسن الداعية لطواف الأحاسن حول

---

(١) يلاحظ أن الألفاظ التركية العسكرية وغيرها ، كانت شائعة ومستعملة ، ومفهومة المعنى إذا لفظت أو كتبت في الجمل العربية ، ولكننا فسّرناها للجيل الجديد الذي أبطل استعمالها .

(٢) الدوح جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة المتسعة .

كعبة ذاته ، وطبع القلوب على الشغف بمديح أفعاله ومليح صفاته ، واشتهر قدره في العالم اشتهار الحسن للقمر ، وانتشر ذكره بين الأنام انتشار العبير في حدائق الزهر ، وتسامى علاه بالمجد إلى أن سما فوق المجرة (١) ، وترامى على أقدامه فرقد (٢) السعد وحفه بأنواع المسرة ، وبسم له ثغر الدهر مبشراً له بنوال مناه ، ورسم له من جلي القدر وعليّ الذكر ما تقر به عيناه ، ولاحظته عين الامداد بايثار البر والندى ، وصافحته يد الاسعاد براحة الارشاد والهدى :

انظر اليه ترى بدراً وشمس علا ... وقطب فهم وعلم زان بالعمل
وليس يشبه هطل السيل نائله ... هذا الذي جوده قد جل عن ملل
هيهات يحصي ذوو الأقلام ما اجتهدوا ... أوصافه الغرّ ذات العز والجزل
حقق ترى جملة الأوصاف شيمته ... كأنه قد براها الله في رجل

قد ألبسه الفخار تاج التوقير والاجلال ، وحرسته عين الحماية عن معاكسة الآمال ، وجذبته يد الأماني نحو كل مطلوب ، وجبذته يمين التهاني إلى كل محبوب ومرغوب ، وتهادت بنشر أريجه زهر الربا ، وتوالت بنقل عطر أخباره نسمات الصّبا ، وتبدى في أفق السمو فكان شمسه المنيرة ، وتردى بموجب الثناء فاستوجب قليله وكثيره ، وتكلل بإكليل المعالي فكان لإمارة الحجاز ولي عهدها ، وتسلسل نسبه الشريف في الأعالي فكان لراية الاعتزاز عَلَمِيّ مجدها :

هذا هو الشهم الذي حاز العلا ... وجلت لنا الألطاف رفعة قصده
والماجد البطل الذي للارتقا ... لا زال يرفعه الزمان بجده
تالله هذا للفضائل حلية ... ولجيد هذا العصر لؤلؤ عقده

---

(١) المجرّة : منطقة في السماء قوامها نجوم كثيرة ، والعامة تسميها « درب التبّانة » .
(٢) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى منه فهما فرقدان .

فلعمري لقد أنار الله به ربوع الفضائل ، وأدار على محور علمائه مدار شمائل الأفاضل ، ونشر للخافقين أجنحة الثناء عليه ، وجمله بما كمله به من العواطف النبوية الآيلة بالارث اليه ، وخفضت هيبة جلالته العيون عن النظر في محياه ، وحجبت عظمة ذاته المصطفوية الظنون عن توهمها احصاء نعته وحلاه :

فهو الهمام الذي صحت سيادته ... واشتق من خير خلق الله عنصره
مهذب فطن كادت فراسته ... عما بقلبك قبل القول تخبره
من معدن المجد حقاً كان هيكله ال ... عالي وكاد فؤاد اللطف يضمره

هذا وان غوامض فكره تحكي الدراري عدا ، وفرائض شكره لم تبلغ الألسنة لها حدا ، فاق على الكرام بكرمه المشهور ، وراق لديه الإنعام حتى صار به كالعلم المنشور ، ونحته المعالي إلى أن وقفت ببابه ، وتخيرته لأن تكون مقصورة على سموها بجنابه :

ربيع إذا ما زرته زرت روضة ... يفتح فيها جوده حدق الزهر
إذا يده البيضاء أخرجها الندى ... فقد نلت ما ترجوه من وافر البر
فكم من بيوت شادها فيض كفه ... فأضحت تجيد المدح بالنظم والنثر
فحدث وقل ما شئت في شأن فضله ... فقد صح عندي انه زينة الدهر

فلا ريب انه عماد بيت قد ارتفعت بالشرف علائه ، ومفرد وقت قد ارتقت على ذروة المجرة دعائه ، وملاذ يمن لمن أمّ ساحة اشراق بدره ، ومعاذ أمن لمن يممه مشفقاً من املاق دهره ، كيف لا وهو الذي استرق الأفئده نوالاً ، واستحق الأثنية جمالاً وكمالاً ، مع كونه مجلي دقائق العلوم ، ومولى من تحلى بفهم حقائق المنطوق والمفهوم :

من كان يجهل في الأنام كماله ... فأنا الذي أرويه من أنبائه
فيمينه كنز العطية والغنا ... وشماله لم تدر جود عطائه

وصفاته نجم السماء يعدهـا وجبينه للدهر بدر سنـائه
وكلامه الدر الثمين وعلمـه قد فاق ضوء الشمس في اهدائه

ولد حفظه الله تعالى وأبقاه ، وأعلى في معارج السعادة والسيادة مرتقاه ، في أوائل ذي الحجة الحرام ، سنة الف ومائتين وتسع وخمسين من هجرة جده سيد الأنام ، فبسمت له ثغور الأفراح ، وحل طالع سعده في برج الاقبال والنجاح ، ولحظته عين الرئاسة منذ كان طفلاً ، ونظرته حدقة الفراسة فوجدته لكل رفعة أهلاً ، ولقد تمثل الدهر لوالده المعظم بـين يديه ، وغدا يشدوه مهنئاً له بما لديه :

بلاذنا غوث الأنام[1] لك الهنا أبداً وقابلك الزمـان بسعده
قد خصك المولى الكريم به وقد ود الهلال يكون خادم عبده

فرفع قدم الصعود منذ كان صبياً ، وارتفع على كاهل السعود فكان من ابتداء أمره علياً . ولم يزل مذ كان في حجر أبيه ، تنميه يد الإجلال وتربيه ، وهو يعرج على مدارج الكمال ، وينتقي أعلى الشمائل والخصال ، ويتخلق بأخلاق السادة ممن سلف ، ويتحقق بحقائق ذوي السعادة والشرف ، وذلك في البلدة المكرمة ، والبقعة الشريفة المعظمة ، مكة التي بها أميطت عنه التمائم[2] ، وتحلت بعقود حلاه أجياد الفضائل والمكارم ، محوطـاً بسور إمارة والده على الأقطار الحجازية ، وكان الذي ولّى والده هذه الإمارة العلية ، حضرة المرحوم السلطان محمود سنة الف ومائتين وسبـع وستين . وحينما انفصل والده من الامارة توجه إلى الآستانة العلية بطلب أمير المؤمنين ، فتوجه معه المترجم وكان عمره ثماني سنين ، فقرأ القرآن العظيم وأجاده ، ثم أقبل على طلب العلم فوق العادة ، ونهج مناهـج

---

(١) غوث الأنام أو المخلوقات : هو الله الذي لا إله إلاّ هو .
(٢) جمع تميمة ، وهي خرزة أو ما يشبهها ، كان الأعراب يضعونها على أولادهم للوقاية من العين وإماطة التمائم كناية عن الكِبَر .

الصدور والأعيان ، وعرج معارج السادة ذوي الفضل والشان ، واستدام حفظه الله على ذلك ، سالكا في مستقيم هذه المسالك ، إلى أن عاد والده الشريف إلى الإمارة العلية ، سنة الف ومائتين واثنتين وسبعين هجرية ، فعاد مع والده لوطنه وبلدته ، ومحل ولادته ونشأته ، فنما بها ونحا نحو المعالي والصعود ، وسما إلى أن استوى على مطالع اليمن والسعود ، ولازم أهل العلم والفضل ، وتحلى بالعبادة واللطافة والعقل ، متكللا باكليل النباهة والأدب ، متكملا بجميل المجد وجليل النسب ، حاسما مادة الخروج عن المنهج الأكمل ، راسما على نفسه أن يترقى في أطواره عن كل جميل إلى أجمل ، ولم يزل إلى أن طلع في سماء الهداية بدرا ، وارتفع على أسرة العناية فكان لها هامة وصدراً ، وزرع في القلوب حب المحبة ، فأثمرت سنابلها كل سنبلة الف حبة .

وفي سنة الف ومائتين وأربع وسبعين في شهر شعبان ، توفي والده الشريف وانتقل لأعلى الجنان ، وكان قد بلغ من العمر سبعين سنة ، جعل الله ذروة الفردوس مقره ومسكنه ، وكانت مدة إمارته أولاً أربعة وعشرين عاما ، وثانياً سنتان وجملة امارته ستة وعشرون عاماً تنقص أياما ، وبقي المترجم بعد موت والده مستقيما في البلد الحرام ، وكان له بها التقدم ورفعة المقام .

وفي سنة سبع وتسعين توفي أخوه الشريف حسين باشا وكان بعد موت والده على الحجاز أميرا ، فمات شهيداً وفاز مع الذين جزاهم بما صبروا جنة وحريرا ، فتولى حضرة المترجم الامارة بطريق الوكالة ، الى أن حضر الشريف عبد المطلب الى الحجاز أميراً بالأصالة ، ثم في السنة المذكورة في رجب ، توجه الى الآستانة وكان قد توجه له من الخليفة الأعظم طلب ، وفي ذي الحجة من السنة المذكورة ، عاد بالرخصة الى وطنه وبلدته المشهورة ، وبقي هناك الى سنة تسع وتسعين ، فانفصل الشريف عبد المطلب

آخر شوال فكان المترجم لوكالة الامارة خير أمين ، ولم يزل إلى أن شرف أخوه عون الرفيق باشا من الدار العلية ، فاستوى من إمارة الحجاز على سدتها السنية ، وفي أواخر ربيع الأول سنة ثلاثمائة والف ، عاد سيدنا المترجم إلى دار السعادة بكل تكريم ولطف ، فعينه مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان ، عضواً في شورى الدولة مع توجيه الوزارة ذات القدر والشان ، وهو بحمد الله لم يزل عالي القدر ، رفيع المرتبة عميم الشهرة والذكر ، وافر العلم والعمل ، نائلاً من الرغائب كل مرام وأمل . وفي سنة الف وثلاثمائة وسبع في ذي القعدة الحرام ، حينما توجهت لدار السعادة دار العز والاحترام ، تشرفت بالحضور لديه ، والمثول بين يديه ، فأفرغ علي حلة سروره ، وقابلني ببشره وحبوره ، وأنالني من اقباله فوق ما يتعلق به الأمل ، وأولاني من افضاله والتفاته ما ألبسني ثوب الخجل ، وحباني من رعايته ما أغرقني ببحر فضله ، ولا غرو فإن الشيء لا يستكثر على أهله (١) .

الأمير عبد الله باشا فكري بن الأمير محمد افندي بليغ بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد المصري رحمهم الله تعالى أجمعين

هذا الأمير حيا الرضوان منه تلك الشيم ، وعامله بالمن والإحسان والجود والكرم ، إن لم يكن فوق أبي تمام (٢) ، فهو نظيره في النثر والنظام ، وإن كل ناطق بلسان ، وعارف بحسن واستحسان ، مجمع على

---

(١) في أعلام الزركلي انه توفي سنة ١٢٩٤ هـ وهنا يذكر المؤلف انه قابله في الآستانة (سنة ١٣٠٧ هـ) ولعلّ هذه الرواية أضبط والظاهر أنه كتبها في حياته ، ولم يذكر من بعد تاريخ وفاته .

(٢) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، أحد أمراء البيان ، وله ديوان الحماسة وديوان شعره ، وكلاهما مطبوع . (توفي سنة ٢٣١ هـ) .

فضله الذي اقتضى لذكره التخليد ، فالعالم عرفه بعلمه والجاهل قال بالتقليد وهو من منذ لاح هلاله في أوجه ، وحل نجم سعوده في برجه ، يطير صيته في الأقطار ، ويسير ذكره في البلاد والأمصار ، وحينما شرف إلى الشام هو وولده امين بك الهمام حصلت بيني وبينه مودة ، ومجالس اجتماعات لمذاكرة الأدب معدة ، ولقد رأيت من فضله مالم أكن رأيته قبل ذلك ، وشاهدت من بديع كمالاته مالم أكن شاهدته من قبله لسالك . فلعمري هو المعروف بأصله وفصله ، والمشهود له بنبله وفضله ، له المقام الأحظى ، والمعارف التي ملأت سمعاً ولحظاً ، وهو منذ حلت عنه تمائمه ونيطت عليه عمائمه مخطوب الحظوة عند الأنام ، مطلوب الاتصاف بكل فضل ومرام .

تروى محاسن لفظه وكأنها درر وآراء كمثل دراري
ومآثر قد خلدت فكأنهـا غرروعزم مثل حد غرار [1]

ولد رحمه الله في أوائل شهر ربيع الأول ، من شهور سنة الف ومائتين وخمسين من هجرة السيد المكمل ، ومن غريب الاتفاق الموقع في العجب العجاب ، أن تاريخ ميلاده وافق جمل قوله تعالى [2] : « قال إني عبد الله آتاني الكتاب » وجمل ذلك الف ومائتان وخمسون ، وهذه الموافقة المتفاءل بها على كماله من أعجب مايكون ، وكان له في الكتابة النفس العال ، والاسلوب الذي ليس له مثال ، حتى قيل فيه انه لو تقدم به الزمان ، لكان له بديعان ، أعني المترجم وعلامة همذان [3] ، مع الديانة والعبادة ، والورع والزهادة ، والصلاح والتقوى ، والاخلاص في السر والنجوى . ولقد حفظ القرآن المجيد ، وأتقنه وجوده غاية التجويد ، ثم اشتغل في طلب العلم في

---

(١) الغرار : حد السيف .

(٢) الآية (٣٠) من سورة مريم .

(٣) أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني أبو الفضل أحد أئمة الأدب ، وقد اشتهر بمقاماته المطبوعة (توفي سنة ٣٩٨ هـ) .

الجامع الأزهر ، والمكان الأنور ، وتلقى العلوم المعروفة المنقولة ، والرياضيات المشهورة المعقولة ، عن سادة أفاضل ، معروفين بالفضائل ، كالشيخ ابراهيم السقا والشيخ محمد عليش والشيخ حسن البلتاني وغيرهم من السادة العظام والعلماء الأعلام ، من أهل الفروع والأصول ، والمعقول والمنقول ، ثم اتصل بخدمة الحكومة السنية ، بعـــد أن أتقن اللغة التركية ، وذلك في أوائل جمادى الآخرة ، سنة الف ومائتين وسبع وستين من الهجرة الفاخرة ، ولم يزل ينتقل من مكان إلى أعلى ، ومن محل إلى أولى ، إلى أن توفي وزير مصر سعيد باشا رحمه أرحم الراحمين ، وذلك سنـة الف ومائتين وتسع وسبعين ، وخلفه الوزير اسماعيل باشا على البلاد المصرية فذهب المترجم المرقوم معه إلى الآستانة العلية ، لاستلام تقليد الولاية واداء التشكر للحضرة السلطانية . وفي عام اثنين وثمانين ترقى إلى رتبة (بيك) المعروفة بالرتبة الثانية ، ولم يزل بعد ذلك يتنقل إلى المقامات السامية ، وفي سنة ست وثمـانين نقل إلى ديوان المالية ، وفي سنة ثمان وثمانين جعل وكيل ديوان المكاتب الأهلية ، وفي سنة أربع وتسعين وجهت اليه رتبة المتمايز ، وفي سنة ست وتسعين صار وكيلا لنظارة المعارف العمومية فكان لها حـائزاً وأي حائز ، وترقى إلى رتبة ميرميران[1] ، ثم ضمت اليه وظيفة الكاتب الأول بمجلس النواب مع بقاء الوظيفة المتقدمة الذكر العالية الشأن ، وفي سنة تسع وتسعين فوضت اليه نظارة المعارف العمومية ، في ضمن النظار الذين كان منهم عرابي باشا صاحب الوقعة المصرية ، وفي سنه تسع وتسعين استقال من وظيفته ، مع بقية النظار الذين كانوا في معيتـه ، بناء على ماحصل من الفتنة والاضطـــراب ، والخلف بين العرابيين وحضرة الخديوي فخيم الجناب ، أثناء الحادثة العسكرية المشهورة ، وفي أواخر السنة المذكورة

---

(١) أمير أو رئيس الأمراء (فارسية) .

عقب الثورة العرابية ، طلب المترجم إلى الضبطية ، وسجن مع المتهمين من العلماء ، وغيرهم من الأكابر والأمراء ، ومَنَعُوا عنه معاشه ، وتكلم فيه بعض حاسديه بكل قباحة ووحاشه ، بما ليس له حقيقة ، ولا أصل ولا طريقة ، وتكرر عليه السؤال ، وتكدرت عليه الأحوال ، ولما ظهرت براءته ، وانفرجت عنه مساءته ، خرج من السجن المعلوم ، وظهرت براءته لدى العموم ، فنظم قصيدة بارعة سارت مسرى الأمثال ، يمدح بها الجناب الخديوي (١) ويتبرأ مما افتراه عليه الجهال ، ولما عرضت على حضرة الخديوي أجلّها ، وأحلها من القبول محلها ، وطلبه للمثول بين يديه ، وأقبل عليه بكليته وأعاد معاشه اليه ، فنظم قصيدة ثانية ضمنها واقعة الحال ، مع التنصل مما نسب اليه والتشكر على مانال ، وفي سنة ثلاثمائة واثنتين توجه إلى الأقطار الحجازية ، لأداء فريضة الحج الشرعية ، فاجتمع بأكابر علمائها ، وأفراد فضلائها وأدبائها ، فاعترفوا له بقدره ، وصدق كل منهم على ارتقائه في سره وجهره ، وله في هذه السفرة رحلة جليلة ، قد احتوت من بديع النظم والنثر على كل نكتة جميلة . وفي سنة ثلاثمائة وثلاث سافر من مصر لزيارة بيت المقدس والخليل والشام ، ومعه حضرة نجله عز تلو أمين بك الشهم الهمام ، فحينما حضر اعترف له الجميع بكماله ، وانه يندر في هذا الوقت وجود مثاله ، وشهد له فقهاؤهم بالتضلع من علوم الشريعة ، وفصحاؤهم بالبراعة في كل بديعة ، ومحدثوهم بصحة الرواية ، وعقلاؤهم بكمال الدراية ، ولا يزال أثره بينهم مأثورا ، وفضله على ألسنتهم مذكورا ، ثم رجع من دمشق إلى بعلبك وأخذ طريق الجبل الى بيروت ، وألوان الزهور في طريقه وأرجها يغني عن الشراب والقوت . وقد كان رحمه الله من الطبقة الأولى في النظم والنثر ، ومن الفرقة الذين انفردوا بالجاه والرفعة والقدر ، قد اشتهر ببراعة القلم في

---

(١) توفيق باشا .

ريعان شبابه أيام كانت مصر خالية من الكتاب ، يقل فيها الناظرون إلى لباب الآداب ، وكان على تأخره في الزمان ، يذهب في نثره مذهب أهل القرون الوسطى من أبنـــاء اللسان ، تمتزج عباراته بالأرواح رقة ، وتسري معانيه إلى عمائق القلوب دقة ، ولا شيء أسلس من سجعه ، إلا ما وهب من طبعه ، وغاية ما أقول ان شهرته رحمه الله في النثر والشعر معلومة تغني عن إطالة الكلام .

وكان من حال شبابه له في أكثر العلوم تضلع والمام ، فكان يكتب للملوك والأعيان ، على لسان الدولة المصرية ذات القدر والشان ، ولا يقدر أحد من أهل الأدب ، أن يقلده إذا أنشأ أو كتب ، فكأن هذا الأمر قد انتهى اليه ، ودار مدار قطبه عليه ، وقد نوه بفضله وعلو قدره ، كثير من ذوي مصره وأهالي عصره ، منهم الأديب المـــاهر ، والناظم الناثر ، أحمد افندي فارس صاحب الجوائب والرأي العال ، فقد ذكر في كتابه سر الليال ، حين تكلم على السجع فقال : وممن برع فيه في هذا العصر ، وحق لديه العلو والفخر ، في الانشاآت الديوانية ، وهي عندي أوعر مسلكا من المقامات الحريرية ، الأديب الأريب الفـاضل العبقري ، عبد الله بيك فكري المصري ، فلو أدركه صاحب المثل السائر ، لقال كم ترك الأول للآخر . فسبحان المنعم على من يشاء بما شاء ، ومن أجلّ تلك النعم الانشاء .

ومن إنشائه كتاب له في زمن جناب اسماعيل باشا الخديوي السابق على لسان سعادة علي باشا مبارك ناظر المعـــارف العمومية الى المرحوم سلطان باشا حين كان مفتش الأقاليم الصعيدية يستحثه فيه على ترويج جريدة روضة المدارس وهي صحيفة استحدثت إذ ذاك في ديوان المدارس .

قال رحمه الله بعد ديباجة الكتاب :

لا يخفى أن تقدم الأمة في طريق التمدن ، ورسوخ أقدامها في ذروة التمكن ، انما يكون بواسطة عظمائها وعلمائها ، وفضلائها ونبلائها ، وهذا انما يمكن الوصول اليه ، والحصول عليه ، بنشر آثار بيانهم ، واستفادة العامة من استفاضة أنوار أذهانهم ، وهذا أيضاً لا يتأتى إلا بالوسائل النشرية ، أي بوسائط الصحف الدورية العلمية والخبرية ، وهذه إنما تستقيم سوقها ، وتنفق سوقها ، بواسطة أعيان الأمة الكرام ، وترويجهم لها عند الخاص والعـــام ، وهذا كما يقال تشبيب بعده مديح ، وتلويح يعقبه توضيـــح وتصريح ، والغرض من هذه الوسائط المتصلة ، والوسائل المتسلسلة ، إنما هي روض المدارس وهي روضة ابتدىء غراسها ، وجنة أنشىء أساسها ، فإن ساعدها الاقبال باقبال سعادتكم عليها ، وتوجيه نظر أولي العوارف والمعارف اليها ، رويت بماء الفضل والافضال ، وانتعشت بنسمات الكمال والجمال ، فعند ذلك تتنوع أشجارها ، وتتضوع أزهارها ، وتينع ثمارها ، وتثبت أصولها ، ويكثر محصولها ، وتتسع مزارعها ، وتعم الأمة منافعها ، وان نالها من الاغماض سموم الادبار ، وأصابها من الإعراض إعصار فيه نار ، خصوصاً وهي قريبة العهد بالوجود ، عاطشة لماء الفضل والجود ، ذبلت أغصانها ، وذوت أفنانها ، وانتثرت أوراقها ، وسقطت ساقها ، وأنتم أولى من يغار للفضل وأسبـابه ، وينهض ويستنهض غيره لفتح بابه ، لا سيما واقليم الصعيد ، أول ما عمر من هذا القطر السعيد ، وقد صار والحمد لله سلطان الفضل به ظاهراً ، وصادف من العناية العلية الخديوية قوة وناظراً ، والمرتب فيه الآن ، من روضة المدارس نسختان لا غير ، وهو أقل من القليل بالنسبة لمن به من أهل الفطنة والخير (إلى آخره) . ومن إنشائه مقدمة وجيزة له ، في محاسن آثار الداوري المعظم محمد علي الكبير وأخلافه

قال : بك اللهم نستفتح باب النجاح ، ونستمنح أسباب الفلاح ، وبالثناء عليك بجلائل أسمائك ، نستوهب المزيد من جزيل نعمائك ، وباستدعاء صلات صلاتك على خير الشفعاء لديك ، نتقرب به ونستشفع به اليك ، فإنه أكرم الخلق عليك ، باسطين على أبوابك أكف السؤال ، متوسلين إلى جنابك ببضاعة الرجاء وضراعة الابتهال ، أن تديم دولة أمير المؤمنين ، وأمين أمور المسلمين ، خليفة رسولك الأمين ، على من استرعيته من العالمين ، وتعزّ به الملك والدين ، ابد الآبدين ، وأن تمتع بطول الدوام ، وحصول المرام ، حضرة عزيز مصرنا ، وغرة وجه عصرنا ، وتحفظ له أنجاله الأمجاد ، وتبلغه من حسن أمرهم ما أراد ، وأن تديم توفيقه لما فيه صلاح حالنا ومآلنا ، ونجاح أعمالنا وآمالنا ، وفوز أوطاننا بأوطارنا ، وسمو أقدارنا بأقطارنا ، وأن تعين أمراءه وعماله وأمناءه ، على معاضدته في أعماله الناجحة ، ومساعدته على آماله الراجحة ، وأن توزعنا شكر نعمك ، وتودعنا برّ كرمك ، وتهدينا سبيل الرشاد ، وتوفقنا للخير والسداد ، « كي نسبحك كثيراً ، ونذكرك كثيراً ، إنك كنت بنا بصيراً »[1] .

وبعد فلما كان التحدث بالنعمة طاعة ، والشكر عليها واجباً على قدر الاستطاعة ، كان علينا أن نحلي بنان البراعة ، ونطلق في ميدان البلاغة عنان اليراعة ، بذكر ما أنعم الله به على هذه الديار السعيدة الجد في عهد عزيزها الأسعد ، ووالده الماجد وجده الأمجد ، وقد أفادت التواريخ العظيمة باجماعها ، وشهدت الآثار القديمة بلسان ابداعها ، ان هذه الديار ، كانت في سالف الأعصار ، قدوة الأمصار ، في المجد والفخار ، وكعبة الفضل التي يحجها كل ناجب ، من كل جانب ، ومدينة العلم التي يقصدها كل طالب ، من الأجانب ، ليستفيدوا من أهلها عوارف معارفهم ، ويستزيدوا في طرائف لطائفهم ، ويتعلموا عليهم ، ما لم يكن إلا لديهم ، من الصنائع العجيبة ، والبدائع الغريبة ، فهم الذين سهلوا سبل البراعة لسالكيها ،

(١) سورة طه (٣٣ — ٣٥) .

وذللوا أعنة الصناعة لمالكيها ، على حين كان غيرها لم ينشقّ عن صبح المعارف ظلامها ، ولا انزاح عن وجه التمدن لثامها ، فكانت مِصْر أمّ الدنيا تقدماً وتقديماً ، وأهلها آباء الناس تربية وتعليما ، وكان الكل عيالاً عليها ، وأطفالاً بالنسبة إليها ، وناهيك دلالة على فضلها القديم ، ما حكاه أفلاطون الحكيم ، أن سولون الفيلسوف الكبير ، أحد حكماء اليونان المشاهير ، لما قدم إلى اقليم الغربية ، ليمارس العلوم والمعارف الحكمية ، وذلك قبل المسيح عليه السلام ، بنحو من سبعمائة عام ، قال له قسوسها : يا سولون انما أنتم معاشر اليونان بالنسبة إلينا أطفال ، ليس فيكم من شيخ يعد في الرجال ، إلى آخر ما قال . وحسبك من بقاياها ، ما تراه في خبايا زواياها من بدائع الأسرار المرموزة ، في روائع الآثار المكنوزة ، التي سارت بأحاديث فضلها الأيام فهي نجائب ، وعقمت عن انتاج مثلها حبالى الليالي التي تلد العجائب ، فهي أحدوثة الزمان ، وأعجوبة الامكان ، وبكر الفلك الدائر ، ويتيمة الدهر الداهر ، وقد طالما حاولت يد الزمان الغالب أن تعفّي آثارها ، وطاولت همم المتغلبين عليها من الملوك الأجانب دمارها ، فلم تزل منها بقية يغالبهم افناؤها ، ويعاندهم بقاؤها ، حتى شلت عنها يد الأعادي ، وملت منها غوادي العوادي ، وحتى خضعت لديها أرباب الأفكار العالية ، وتقطعت عليها رقاب الأمصار الخالية ، وحتى لقد هرمت الأيام ، وهي متباهية بشبابها ، وتصرمت الأنام ، وهي باقية بين أترابها ، ناطقة ببراعة عبارتها ، شاهدة في اشارة حسن شارتها ، شاهدة لمصر بما لها من قدم المجد المؤيد ، وقدم الصدق في السبق إلى كل سؤدد ، على أنها لو جحد الخصم دعواها وهيهات ، وطالبها خصمها في محافل الفخر باثبات ما فات ، لكفاها أن تقيم شاهديها الكريمين ، من هرميها الهرمين ، فيخبرا بما كان ، من قبل الطوفان ، ويشهدا بما علم من فضلها ، وما كان من مجد أهلها ، وأنهم كانوا أثبت الناس في التمدن قدما ، وأسبقهم إلى

التفنن قدماً ، وأطولهم في محاسن الفضائل باعاً ، وأميلهم إلى محاسن الشمائل طباعاً ، ثم تناولتها الأيادي المتطلبة ، وتداولتها الأعادي المتغلبة ، فنددوا فضلها ، وبددوا شملها ، وأتلفوا ما استطاعوا من تلك المعالم ، وتفننوا في أنواع المظالم ، حتى أصبح مزاج الفضل بها فاسداً ، وسوق العلم فيها كاسداً ، وربع المعالي خالياً ، وبيت الأماني على عرشه خاوياً ولم تزل كذلك إلى أن انتهت إلى المرحوم محمد علي علي الشان ، سقى الله ضريحه سحائب الغفران ، وأحل روحه رياض الرضوان ، فخلصها من مصاعب المصائب ، واستخلصها من نيوب النوائب ، وصيرها موطنه ومأمنه وحماه ، ومنع جانبها من صنوف الصروف وحماه ، وبذل الجد في لمّ شعثها ، ولم يأل الجهد في تسهيل دعتها ، وأعاد ما سلب الفقرُ من نضارة نضارتها ، ورد ما غصب الدهر من غضارة حضارتها ، حتى زهت بحسن علاها وحلاها ، ونسيت ما كان من بلائها وبلاها ، إلى آخره .

ومن كلام هذا الشهم المصان عليه سحائب الرحمة والرضوان مقالة تليت يوم توزيع المكافأة على تلامذة المدارس والمكاتب بحضور الخديوي السابق اسماعيل باشا المعظم تلاها أحد التلامذة بحضوره وقد جعل في أثناء المقالة أبياتاً مرتبة في مواضع منها ، فكلما وصل التالي إلى موضع ترنم بما فيه من النظم جماعة من التلامذة بألحان معجبة ، وأنغام مطربة ، صنع ذلك حسب الاقتراح ، والمقالة المذكورة هي هذه (قال) : يا مفيض الجود على الوجود ، ويا جامع الناس ليوم مشهود ، نحمدك اللهم حمداً يكافىء مزيد نوالك ، ونشكرك اللهم شكراً يستتبع دوام افضالك ، ونسألك أن تهدي لسيد الشاكرين ، وأشرف الأولين والآخرين ، صلة صلاة تليق بجنابه ، وتعم جميع آله الكرام وأصحابه :

أزكى صلاة وأسناها يرادفها ... أزكى سلام على المختار هادينا
وآله الطهر والصحب الأماجد من ... بهديهم قد أقاموا للهدى دينا

ونتوسل اللهم بهم لديك ، باسطين أكف الضراعة إليك ، سائلين من فضل كرمك ، متمسكين بحبل نعمك ، أن تديم عزة عصرنا ، وقرة عين مصرنا ، من أعاد لهذه الأوطان العزيزة قديم اشتهارها ، وجدد ما اندرس من معالم فخارها ، وأجرى ما نَضَبَ (قوله نضب أي غار) من منابع يسارها ، فأضحت تباهي سائر بلاد الدنيا وأمصارها ، ونشر أنوار الفنون والمعارف بين أبنائها ، بما أنشأ من المدارس والمكاتب في جميع أنحائها ، وما صرف من جزيل كرمه عليها ، وما عطف من جليل همه إليها ، حتى أصبح نور العلم والعدل في ظل أيامه فاشيا ، وظلام الظلم والجهل بحكمة أحكامه متلاشيا .

في ظل دولة اسماعيل قد ظهرت ... في مظهر الشرف الأعلى معالينا
وساعدتنا الليالي وازدهت فرحاً ... أوطاننا وسعدنا في أمانينا
أدامه الله محفوظ الجناب على ... طول الزمان وهناه المنى فينا
ودام أنجاله في عز دولته ... مدى الليالي فهم عز لوادينا

فحق على جميع أهل الوطن الكريم ، شكر هذا الجناب الخديوي الفخيم ، على ذلك الخير العظيم ، والبر العميم ، ولا سيما نحن أبناء المدارس الميرية ، والمكاتب المحلية ، الأهلية والخيرية ، فقد نشأنا في ظل عدله ، وربينا على موائد فضله ، وتعلمنا كل ما تعلمنا بحسن ارشاده ، وتقدمنا فيما تعلمنا بمساعدته وإسعاده ، فنحن صنائع كرمه ، وربائب نعمه ، وغرس أياديه الكريمة ، وثمرات مساعيه الجسيمة ، غرسنا في أرض افضاله ، وسقانا زلال نواله ، وتولانا بكامل عنايته ، وتعهدنا بعليّ رعايته ، وسنكون بمشيئة الله وعونه أرواح نجاح ، ونشمر بمنه ويمنه للوطن حسن صلاح وفلاح ، وها هو أدام الله أيامه ، وبلغه من جميع الخير ما رامه ، شرع يكافئنا على نعمه بنعمه ، وشرفنا في هذا المحفل الباهر بنقل قدمه ، كرماً على كرم ، ونعمة على نعم ، فعلينا من الواجب البين ، وجوب الفرض

المتعين ، أن نجعل أيامنا ظرفاً لشكر نعمته ، وأجسامنا وقفاً على حسن خدمته ، والسنتنا مدى الدهر ناطقة بمدحته ، وقلوبنا مدة العمر متفقة على طاعته ، ومحبته ، وأن نبذل في تحصيل رضاه غاية امكاننا ، ونجاري إن شاء الله مقاصده الكريمة في نفع أوطاننا ، وحق لنا الآن أن نتهادى بيننا علائم التهاني . ونبشر نفوسنا وأوطاننا بغايات الأماني ، وعلينا أن نعلن بعدَ شكرِهِ وشكر حضرات أنجاله الفخام ، بالثناء على من شرفنا في هذا المقام ، من حضرات الأمراء العظام ، واعلام علماء الاسلام ، وسائر الحضائر الكرام ، أدام الله معاليهم ، وأسعد بهم أيامهم ولياليهم ، وعلينا أيضاً أن نعترف بحسن اجتهاد رؤسائنا معنا في التربية والتعليم ، على وفق مقاصد الجناب الخديوي الفخيم ، ونقوم لهم بواجبات الشكر والتكريم ، شكر الله أياديهم ، وتقبل مساعيهم ، وأعاد لنا وللجميع في مثل هذه الأيام ، عيد هذه العادة الحسنة الخديوية كل عام ، ببقاء ولي النعم ، الخديوي الأفخم ، متعه الله بدوام توفيقه واقباله ، وكامل أشباله الأماجد وأنجاله ، وسائر ذويه الكرام ، وبلغه غاية المرام .

ندعو له وإله العرش يسمعنا فضلاً ويعلن بالاخلاص داعينا
دعاء صدق إذا الداعي استهل به يقول سامعه آمين آمينـــا

ومن كلامه رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة متقلبه ومثواه ، ما كتبه لبعض أصحابه ذكر فيه من أحوال الذين يلبسون لباس العلم على تماثيل الجهل ، وينتحلون النسبة إلى الفضل ، وليسوا منها في كَثْرٍ ولا قل ، وقد جاء في ذلك الكتاب على ذكر اللغة العربية وقواعدها ، وآدابها وفرائدها ، بما فيه تنبيه لغافل ، وعظة لعاقل ، بعبارات تأخذ بالألباب ، إلى جادة الصواب ، قال رحمه الله في وصف أشخاص : أما فلان وأترابه ، وفلان وأضرابه ، فهم اعجوبة الأيام ، واحدوثة الأنام ، أحوال متناقضة ، وأفعال متعارضة ، فكبر وفقر ، وعجز وفخر ،

وأنف في السماء ، وقدم في الماء ، وحال تحت التراب ، ونفس فوق السحاب ، ان صدقتهم كذبوا ، وان أرضيتهم غضبوا ، وان تباعدت عنهم لاموا وعذلوا ، وان تقربت منهم سئموا وملوا ، كلاب في جلود أسود ، وجوه بيض وقلوب سود ، صغيرة السيئة عندهم كبيرة ، وكبيرة الحسنة لديهم صغيرة ، عيون منتقدة ، وقلوب متقدة ، والسنة حداد ، وأفئدة شداد ، وأجسام صحيحة وقلوب مريضة ، وجهل طويل ودعاوٍ عريضة ، النصح لديهم خيانة ، والسوء عندهم ديانة ، وقد بذلت في مرضاتهم جهدي ، وأجنيتهم مري وشهدي ، وقابلتهم باللطف والعنف ، وعاملتهم بالنكر والعرف ، فلا وأبيك ما زادوا إلا فجورا ، وعتوا عتواً كبيرا ، ومكراً وشرورا ، وكبراً وغرورا ، ولو وقفت عليهم ليلتي ويومي ، وهجرت لديهم راحتي ونومي ، وفديتهم بعشيرتي وقومي ، ثم أطعمتهم من جسمي ، وآثرتهم من العافية بقسمي ، لما بلغت من نفوسهم رضاها ، ولا أديت من حقوقهم على زعمهم مقتضاها ، بل ولو صاحبهم جبريل ، وخاطبهم بالتنزيل ، وأهداهم الجنة في منديل ، وأنزل الشمس اليهم في قنديل ، ونظم لهم النجوم عقودا ، وشق لهم من المجرة برودا ، وصير الانس والجن لهم عبيدا ، وجعل الملائكة لهم بعد ذلك جنودا ، وأطلعهم على غيب السماء والأرض ، وخبرهم بما كان وما يكون إلى يوم العرض لما أصبح عندهم إلا مذموما ، ولا أمسى لديهم إلا ملوما ، ولكان منسوبا للقصور والتقصير ، والاخلال بالقليل والكثير ، قوم هذه طباعهم وتلك أوضاعهم ، من ذا يرضيهم بحال ، ولو فعل لهم المحال إلى آخر ماقال .

ومن ذلك ماكتبه رحمه الله تعالى إلى الأديب الفاضل ، والأريب الكامل **الشيخ عبد المجيد افندي الخاني** ، يصف له رحلته من الشام إلى بعلبك وما رآه من الرياض البديعة ، والمناظر الرفيعة ، والمياه الصافية الجارية

والنسمات العليلة السارية مما يشرح الخاطر ويسر الناظر ، فقال : أهدي اليك من منعشات التحية والسلام ، واتلو عليك من مدهشات الشوق والغرام ، مايجمل اجماله لواصفه ، ولا يلزم تفصيله لعارفه ، وأحمد اليك الله سبحانه على كرامة السلامة ، ومنحة الصحة ، حمدا أستفيض به غمام عطائه ، وأستفيد به دوام نعمائه ، وأقص عليك من أمر الرحلة البعلبكية ، نظير ماسلف من خبر الرحلة المكية ، وذلك أنّا سرنا ، يوم ثرنا ، من دمشق في طريق دمر ، نستحث اليها الضمر ، بين مياه تتكسر في مجاريها ، ونسائم تتعثر في مساريها ، وأشجار تميد بأغصانها ، كما تميس الخود بين أخدانها ، وأحاديث عن الشام ومبانيها وبهجة مغانيها ، ولطف أهليها لاسيما بيت خانيها ، تستطيبها الشفاه ، وتتعطر بها الأفواه :

فان أك قد فارقت نجدا وأهله فما عهد نجد عندنا بذميم

وأقول :

يا أهل جلق لازالت مفاخركم في المجد تسمو علاها فوق كيوان
اغنت مكارم خانيها نزيلكم عن أن يعرج في المثوى على خان
ورب واصف خان لي ألم به فقلت حسبك ماقصدي سوى الخاني

فلما جاوزنا دمر عرجنا تعريجة ، نبتغي الطريق إلى الفيجة ، وبين يدينا مكار ، جاهل بها ممار ، لايهتدي اليها سبيلا ، ولا يستهدي عليها دليلا ، فمشى يخبط بنا خبط عشواء ، في بهماء دهماء ، لايدري في أي أنحائها يسير ، ولا إلى أي أرجائها يصير ، فما زال يخطونا ويخطي ، ويسرع ويبطي ، حتى وافينا على طريقنا شجرا ، الفينا عنده نفراً ، فسلمنا عليهم ، وجلسنا اليهم وعرفناهم مانحن فيه ، وعرفونا الطريق الذي نقتفيه ، ثم أكلنا ورحلنا ، وانبرى معنا شاب منهم خفيف الخطا ، وأهدى من القطا ، فمضى يتخلل بنا شجر التين ، ذات الشمال وذات اليمين ، حتى وصل بنا إلى درب دمّأتْهُ الأقدام ، وقال لنا الأمام الأمام ، فقال المكارى عرفت الدرب

بشاراته ، وفهمت اشاراته ، فلا تخافوا دركا [١] ولا نضل من بعد مسلكا ، فلم يكن إلا أن غاب الشاب ، في خلال الغاب ، وسرنا نحو ماقصدنا قاب قوسين أو أدنى ، وتفرقت على المكاري الشعاب ، فأخطأ صواب الصواب [٢] وأضل الأسباب ، فسلك ذات اليمين طريقاً ترجح عنده ، وانقلب على عقبه فسلك ضده ، ثم ارتد ثانيا ، ولوى عطفه ثانيا [٣] ، ولعن الحصان الذي تحته وسبه ، وألحق به دينه ومذهبه ، ومن باعه ومن ركبه ، وأمواته وأحياءه ، وعشائره وأحياءه ، ووقف بين الطرق وقفة المتخير ، والأحرى في العبارة أن نقول وقفة المتحير ، يتنفس حسرة ، ويتلفت يمنة ويسرة ، بنفس يائسة بائسة ، بين جبال يابسة عابسة ، في معطشة تجفف الريق في الحلوق ، وتكاد تسيل الدم من العروق ، فصرنا نتردد بين تلك الجبال ، تردد الحب بين جوانب الغربال :

كريشة بهب الريح ساقطة لا تستقر على حال من القلق

ثم جاز بنا إلى طريق توخيناه ، « وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » ، فوافينا خضرة ونضرة ، وجمال سعة ونظرة ، وأشجاراً وأنهاراً ، وأثماراً وأزهاراً ، وحدائق ذات بهجة ، وحقائق تنعش المهجة ، حتى انتهينا الى موضع غدير ، من ماء نمير [٤] ، غزير الموارد ، عذب بارد ، غير مزدحم بالصادر والوارد ، ونهر أحلى من لمى [٥] العذراء ، يعرف بالعين الخضراء ، وجدناه أبهى من العين السوداء ، وأشهى من الوجنة الحمراء ، وأغلى من البيضاء والصفراء ، وأحسن ما تحت الزرقاء ، وفوق الغبراء ، تحف حافتيه أشجار بديعة

---

(١) الدَّرَك (بسكون الراء وفتحها) اللحاق والتبعة .
(٢) الحق أو اللائق ، « والصواب » الثاني هو ضد الخطأ .
(٣) أي ثنى جانبه .
(٤) عذب كثير .
(٥) سمرة أو سواد في باطن الشفة .

الائتلاف والاصطفاف ، مكللة بآلاف من الفاكهة متنوعة الأصناف ، عليها من رونق الورق المونق ، ثيـــاب سندس خضر واستبرق ، ومن الثمر والزهر ، أنواع زمرد وجوهر ، والنهر بفرط صفائه ، ورقة مـــائه ، ينم على ما بأسفل أجزائه ، من رمله وحصبائه ، كأنها در منثور ، في باطن بلور ، أو كافور مذرور ، في غلائل من نور ، يظفر فيه كل من الحواس الخمس بحصته ، من نعيمه ولذته ، فالباصرة بحسن رؤيته وبهجته ، واللامسة بلطف ملمسه مع برودته ، والذائقة بعذوبته ، والسامعة بخرير تياره ، والشامّة بعبير أشجاره وأزهاره ، فلم نتمالك ان ملنـــا اليه ، وترامينا عليه ، لائذين من خطر ما مر ، عائذين به من ضرر الظمأ والحر ، لنتبوّأ به مقيلا ، ونتفيأ منه ظلاً ظليلاً ، ونتلو « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلا »[1] ، ونتمثل بقول الأول :

وقانا لفحة الرمضـــاء واد ... سقاه مضـــاعف الغيث العميم
يرد الشمس انى واجهتنـــا ... فيحجبهـــا ويأذن للنسيم
نزلنا دوحه فحنا علينـــا ... حنو المرضعـــات على الفطيم
وأرشفنـــا على ظمأ زلالاً ... ألذ من المدامة للنـــديم

إلى آخر ما قال وبالجملة فلا عيب يذكره لهذا المنظر ، سوى اعجاز واصفيه ، عن وصف ما فيه . فلما أخذنا بغيتنا من الراحة والاستقرار ، وخشينا أن ينهار جُرْف[2] النهار ، نهضنا الى الترحال فشددنا الرحال وملأنا المزاود من ذلك الماء الزلال ، ونزعنـــا عنه والنفس نازعة اليه ، حائمة عليه ، مرفرفة حواليه ، ثم سرنا نخبط ، ونصعد ونهبط ، والنهر

---

(١) سورة الفرقان (الآية ٤٥) .
(٢) جُرْف النهار : أي جانبه .

يبعد ويقرب ، ويشرق نوره ويغرب ، حتى وصلنا الفيجة فوجدناها مغلقة الأبواب ، خالية الدروب والشعاب ، لا يرى سالكها من أنيس ، ولا اليعافير [١] ولا العيس [٢] ، إلا كما قال الأعرابي :

عجائزاً مثل السَّعالى [٣] خمسا يأكلن مـا يُلقى لهن همسا

لا ترك الله لهن ضرسـا

كأن الانسان يمر بها في جبانة قبور ، وأرض متناسقة [٤] الصّخور ، أو مساكن قوم بور [٥] فجاوزناها واستمر مريرنا في المسير ، وان كنا لا ندري كيف يكون المصير ، نسأل عن الدرب والسؤال ذل ، إن وجد في طريقنا من يدل ، وما زلنا في صعود وهبوط ، ورجاء وقنوط ، حتى وصلنا إلى رأس السوق ، وكأنا قد ظفرنا ببيض الانوق ، فصادفنا بها مجمع فئام [٦] ، بين قعود وقيام ، فزعموا أن ليس بها دار للمقام ، غير ما سبق اليه بعض مأموري الحكام ، فأخبرناهم بانا لسنا من اولئك الأقوام ، وانا لانبخل ببذل الحطام ، فمضى معنا بعضهم إلى دار لبعض أهاليها ، من خير مبانيها على ما فيها ، وسألنا عما ينبغي للمأكول ، من اللحم والبقول ، فلم نجد غير دجاجـات أضلتهن أيدي الحدثان ، وافلتتهن مخالب أنسر لقمان ، قد وعين الطوفان وتطاول عليهن تقادم الزمان ، فما زلن يصاولن الأيام ، ويواصلن الصيام ، حتى يبسن وسمجن ، وفني عليهن الحطب ولم ينضجن ، فرغبنا عنهن ، ويئسنا منهن ، وملنا على بقية

---

(١) جمع يَعفور وهو الغزال .

(٢) مفرده أعيس ، والواحدة : عَيساء وهي كرام الإبل .

(٣) مفردها : السِّعلاء ، والسِّعلاة ، والسِّعلى : أنثى الغول ، أو الغول .

(٤) على نَسَق واحد .

(٥) البور الفاسد ، الهالك ، ومالا خير فيه ، وقد روعي فيها لفظ المفرد (قوم) .

(٦) الجماعة من الناس (ولا واحد له من لفظه) .

مامعنا من الزاد ، وسارعنا بعد ذلك إلى الرقاد ، فهاجمتنا بالسير الحثيث ، جيوش البراغيث ، تدب الضراء ، وتمص الدماء ، ولله در القائل :

وليلة بتنـــا لدى معشر قد غرت الناس أحـــاديثهم
فما أكلنا عندهم قدر مـــا قد أكلت منـــا براغيثهم

ولكنا غلب علينا النوم ، من تعب ذلك اليوم ، حتى عطس الفجر بالأذان ، وتنفس الصبح باذن الرحمن ، وأقبلت جيوش النهار من شرقها ، وولت رايات الليل الى غربها ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، فبادرنا الى المسير ، يدل بنا على الدرب فارس خبير ، جمعنا معه في الطريق لطف التقدير ، لا عمل التدبير ، حتى انفصل عنا منحرفاً لبعض القرى ، بعد أن أشار لنا الى طريق واضحة المسالك لمن يرى ، فمضينا حتى انتهينـا الى الزبداني وهي قرية كثيرة الغراس ، عامرة بالناس ، فمكثنا بها حيناً للاستراحة من تعب السفر ، وأخذنا منها للوازم الغذاء بعض ما حضر ، وأردنا أن نستأجر من أهلها من يرشدنا الى المسالك ، فكأن المكاري [1] أنف من ذلك ، فزعم انه لن يضل بعد الآن ، وانه يعرف باقي الطريق حق العرفان ، وأكد الكذب بالأيمان :

وأكذب ما يكون أبو المثنى اذا آلى يمينـــاً بالطلاق

فخرجنا ، حتى وصلنا ، رأس عين سائغة صافية ، لدى ظلال سابغة ضافية ، فنزلنا وأكلنا ، واسترحنا وانشرحنا ، ثم سرنا أميالاً ، نعدها طوالا ، فصادفنا رجلين من السفّار [2] ، من أهل تلك الأقطار ، فعرفنا منهما اننا قد انصرفنا عن القصد ببعد ، وانحرفنا بالكلية عن الطريق ولله الحمد من قبل ومن بعد ، فاستصحبنا منهما من ردّنا الى الطريق المقصود ،

---

(١) المُكاري : مكري الدواب ، ويغلب الآن على الحمّار والبغّال .
(٢) جمع سافر ، وهو المسافر .

بعد بذل المجهود ، في الهبوط والصعود . ثم وصلنا سرغاية فنزلنا واسترحنا ، وبتنا حتى أصبحنا ، فاتخذنا دليلاً من أهلها لما عرفناه مما أسلفنا ، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين بل مرارا ، ولا يلقي المرء بيده الى مهالك التيه اختيارا ، والحاصل انه مشى معنا ساعات من الزمان ، بين جبال ووديان ، في طريق تتلوى تلوي الأفعوان (١) يضل فيها الخريت (٢) ، ويخاف بها العفريت ، الى أن وصلنا الى الصراط المستقيم ، بعون الله الكريم ، فقال من ها هنا طريق بعلبك واضحة الأعلام . ثم ودعنا وانصرف بسلام ، وسرنا حتى وصلناها بنية المقام فيها عدة أيام ، وأعدنا المكاري بالدواب وباقي الاجرة الى دمشق الشام ، وتلونا بعد مفارقة طلعته ، « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته » ، وفي العزم الجولان ، أياماً في جبل لبنان ثم العودة لبيروت ومنها ان شاء الله للأوطان .

ومن توسلاته العلية حين زيارته للذات النبوية قوله :

يا أكرم الثقلين دعوة آمل ... عان ضعيف جاهد مجهود
يا أكرم الثقلين ضيف وافد ... وفداك أجدر بالقرى لوفود
يا أكرم الثقلين هذا سائل ... وافى لسدة بابك المقصود
يرجو لبانته ويشكو ضره ... ويرى منال السول غير بعيد
ويمد كف الذل روما للعطا ... وللاعتصام بحبلك الممدود
فامدد إليه يداً تعوّد جودها ... أن لا يرد يدا لطالب جود (٣)

---

(١) الأُفعُوان : مذكر الأفعى وهي الحيّة الخبيثة .

(٢) الدليل الحاذق الذي يهتدي الى مضايق المفاوز وطرقها الخفية .

(٣) هذه الأدعية التي سماها المؤلف توسلات ، لا يملك الاستجابة لها ، وكشف الضر عن ناظمها وغيره إلاّ الله وحده ، وأغرب ما في الأمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلّغ ما نُزّل اليه من ربه ، ومنه قوله تعالى : « قل إنما أدعو —

ومن غرر قصائده ودرره وفرائده ، تهنئته السنية ومدحته البهية ، يمتدح ويهني بها الحضرة التوفيقية يوم جلوسه على الأريكة الخديوية ، وهي بنت ليلتها مع عذوبتها وبلاغتها ، وسهولتها وسلامتها ، وذلك أنها بعد الموكب التوفيقي بليلة عرضت على مسامعه الشريفة الجميلة وهي :

اليوم يستقبل الآمال راجيها ... وينجلي عن سماء العز داجيها
وتزدهي مصر والنيل السعيد بها ... والملك والدين والدنيا وما فيها
قد أطلع الله في سعد السعود سنى ... بدرٍ بلألائه ابيضت لياليهـا
وقام بالأمر رحب الباع مضطلع ... بالعبء جم شؤون النفس ساميها
ذو همة دون أدنى شأوها قصرت ... غايات من رام في أمر يدانيها
وراحة لو تحاكيها السحائب في ... فيض الندى هطلت تبرا غواديها (١)
يزهو بهـا قلم سام يسوس به ... أمر الأقاليم نائيها ودانيهـا
يجري بما شاء من حكم ومن حكم ... يصبو لحسن مَعانيها مُعانيها
ورافـة بعباد الله كافلة ... بخير ما حدثت نفساً أمانيها
مؤيد بالهدى والحق ملتمس ... رضا البرية لاسترضاء باريها
تربو على وصف مُطْرِيهِ محاسنه ... وهل يعد نجوم الأفق راعيها
توفيق مصر ومولاها وموئلهـا ... وركنها ومفداها وفاديها
وغصنها النضر أنمته منابتهـا ... من دوحة أينعت فيها مجانيها
خديوها ، ابن خديويها ابن فارسها ... أميرها البطل الشهم ابن واليها
رأى الخليفة فيه رأي حكمته ... وللملوك صواب في مرائيها

— ربي ولا أشرك به أحدا ، قل إني لا أملك لكم ضرّاً ولا رَشدا ، قل إني لن يجيرني من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحدا » الآيات : (٢٠ و ٢١ و ٢٢) من سورة الجن ، ومعنى الملتحد : الملجأ ، وبعد : أفليست هذه الأبيات معصية لله فيما أمر ، والرسول فيما بلّغ عن ربه وزجَر ؟

(١) جمع غادية — وهي مطرة الغَداة .

رآه أجدر أن يرعى رعيته ... وأن يقوم بما يرجوه راجيها
وأن ينحي عنها ما أحاط بها ... من الخطوب التي هالت أهاليها
فجاء مرسومه السامي تطير به ... نجائب البرق يطوي البر ساريها
لله يوم جلا عن نور غرته ... كالشمس مزق برد الغيم ضاحيها
في موكب مثل عقد الدر في نسق ... أو كالنجوم الدراري في مساريها
يسير في مصر والبشرى تسابقه ... من حيث سار وتسري في نواحيها
يحفه أخواه الماجدان به ... مع الوزير شريف النفس عاليها
مشير صدق بحزم الرأي قد غرفت ... أفكاره بين باديها وخافيها
لا تنثني عن صواب الراي رغبته ... لرهبة كائنا ما كان راعيها
حتى أتى القلعة الفيحاء فانطلقت ... فيها المدافع بالبشرى تواليها
واستقبلته صفوف الجند قد نظمت ... نظم القلائد زانتها لآليها
داعين تعلن ما في النفس ألسنهم ... بدعوة الخير والتأمين تاليها
فلتفتخر مصر اعجاباً بحاضرها ... على محاسن ماضيها وآتيها
ايه لقد أبدت الأيام سرّ منى ... طالت عليه الليالي في تماديها
وأسعد الطالع الميمون أنفسنا ... بخير أمنية كانت تناغيها
هذا الذي كانت الآمال ترقبه ... دهراً وتعتدّه أقصى مراميها
ما زال في قلب مصر من محبته ... سر تبوح به نجوى أهاليها
تصبو له وأمانيها تطاوعها ... في حبه ولياليها تعاصيها
وترتجيه من الرحمن سائلة ... حتى استجيب بما ترجوه داعيها
فالحمد لله شكرانا لأنعمه ... فالشكر حافظ نعماه وواقيها
يا ابن الذين لهم في المجد قد عرفت ... أخبار صدق لسان الحمد راويها

قادوا الجنائب [١] من مصر مسومة ... إلى الحجاز إلى أقصى أعاليها
غرا سوابق مشهوراً سوابقها ... مقرونة بأعاليها عواليها
قُبّاً [٢] ضوامر كالآرام يكنفها ... ليوث حرب بأيديها مواضيها
تموج في زرد الماذي سابحةً ... تحدي بأرجلها عدواً أياديهـا
رموا بهن صدور البيد معنقة [٣] ... على نحور أعاديها عواديها
قد عددوهن أن لا ينثنين عن الـ ... ـهيجاء إلا إذا كفت عواديها
وان يطأن على هام الكماة [٤] إذا ... لف الوغى بهواديها تواليها
فاستنقذوا حرم الرحمن من عصب ... لم يرع حرمة بيت الله راعيها
وأوردوا الخيل نجداً فاستبوه ولم ... تعسر عليها عسير في مساعيها
وكان تأييدها أمر الخلافة في ... مواطن الحرب من جلى معاليها
مولاي دعوة اخلاص يكررها ... داع أياديك أرضته أياديهـا
هنئت علياء قد وافتك خاطبة ... تختال تيهاً وتزهو في تهاديها
علياء فاقت علوّاً كلّ منزلة ... فلم يكن في سواها ما يساويها
رأت علاك فشاقتها حلاك فلم ... تسمح لغيرك من خل يخاليها
وكم سَمَتْ نحوها نفس تؤملها ... من قبل لكنها ضلت مساعيها
تجاذبوها فرثت في أناملهم ... حبالها وتمادت في تنائيها
قضوا غراماً ولم يقضوا بها وطراً ... فكان أصل منایاهم أمانيها
فاسلم أقرّ بك الرحمن أعيننا ... ولا برحت لها مولى تواليها
وأقر سمعك من حلو الثناء حلى ... يلهو بلحن المثاني صوت شاديها
حلى كما انتظم العقد الفريد على ... لبات حسناء تجلوه تراقيها

---

(١) الدابة تقودها إلى جنبك .
(٢) الأقبّ : الضامر وجمعه : قُبّ .
(٣) من أعنقت الدابة : إذا سارت سيراً سريعاً ممتدا .
(٤) جمع كمي ، وهو الشجاع أو لابس السلاح .

وهاك غراء من حر القريض إذا ما أنشدت خلب الألباب تاليها
وفخرها أنها في المدح قد صدعت بقول صدق فلا حيّ يلاحيها
يسهو بها الراكب المزجى مطيته عن حاجة راح يغدو في تقاضيها
يسائل الناس أي الناس قائلها وأي برّ به الممدوح جازيها
وانما حسبها براً وتكرمة منه قبول واقبال يوافيها
تدري القصائد أني لست أقصدها إلا وللحب داع من دواعيها
ولا تجافيت عنها قبل من حصر بحمد ربي ولا ضنت قوافيها
لكنها نفس حر لا تهم بما لا يستوي فيه باديها وخافيها
تسعى إليك وفرط الشوق قائدها إلى رحابك والاخلاص حاديها
وافت تهنىء مولاها مؤرخة توفيق مصر بأيد الله راعيها

سنة ١٢٩٦ ٥٩٦ ٣٣٠ ١٧ ٦٦ ٢٨٧

وله أيضاً رحمه الله تشكراً للحضرة الفخيمة الخديوية بناءً على احسان سموه الى حضرة نجله عز تلو أمين بيك فكري بالنيشان العثماني من الدرجة الرابعة قوله :

لمولاي العزيز عـلي فضل بنعمته على ولدي الأمين
تحقق في مقام الشكر عجزي فآثر أن أرى ولدي معيني

ومن ذلك قصيدته التي تلاها يوم فتح المؤتمر العلمي السويدي بحضرة جلالة الملك اشكار المعظم وأمراء دولته ، ووجهاء الوفد المذكور ، وقبل ذكر هذه القصيدة نذكر فصلاً خفيفاً مما حصل قبل فتح المؤتمر في السويد (Suède) والنرويج (Norvège) فنقول : انه لما وصل الوفد العلمي الى أُسْتُكْهُلْم (Stokholm) ونزلوا الأوتيل (الفندق) وكان هناك الكونت لاندبرج فحضر وسلم عليه ومضى بهم الى مكتب المؤتمر محل اشغاله ، فأطلعهم على المحل المعد لانعقاد المؤتمر في جلساته العامة والخاصة ،

وموضع كل من الوافدين فيه ، وفي ذلك الموضع محل معد للوفد المصري ، وهو في جزء مرتفع عن باقيه بدرجة ، وبه كرسي الملك ، وخلف ظهره كراسي العائلة الملوكية ، وعن يساره موقف من يخطب ، وكراسي لجلوس الوفد المصري ، وهو الجزء المذكور ، وعن يمينه بعض وزرائه ، وسفير العجم في الآستانة العلية محسن خان ، والوفد العثماني وبقية وفد العجم ، وبين يديه الكتب المهداة اليه ، وفي باقي المحل أسفل من هذه الدرجة مواضع باقي الناس أعضاء المؤتمر ، والمحل يسع الخمسمائة نفس ، وفي أعلاه محل مرتفع مشرف عليه لجلوس النيابة ، يسع نحو مائة وخمسين . وقد حضر جلالة الملك في أثناء وجودهم في المحل المذكور ، فرآهم وعرفه بهم الكونت لاندبرج ، فسلم عليهم بيده واحداً واحدا ، وقابل الجميع بغاية البشاشة ، ولما سلم على سعاد تلو المرحوم عبد الله باشا فكري المترجم أظهر له محبته الزائدة ، ومحبة جنـــاب الخديوي المعظم ، وشكره على ارسال هذا الوفد للمؤتمر العلمي الذي كان سبباً لحضور المترجم ، ولما سلم على حضرة نجله عز تلو أمين بك فكري وكان أحد أعضاء الوفد المصري ، قال له أنت ترجماني لوالدك ما دمتما ها هنا ، ولم تكن مقـــابلتهم هذه رسمية . وفي ثاني يوم طلبهم الملك الى سرايته [١] وأرسل اليهم عربات مخصوصة حضرت اليهم لمقابلة جلالته المقابلة الرسمية فتوجهوا بالكساوي التشريفية والنياشين [٢] كما أشير عليهم بذلك ، فلمـا دخلوا عليه وجدوه بالكسوة التشريفية والنيشانات فأعلن المسرة والممنونية ، والثناء على الجناب الخديوي الفخيم ، فسلم اليه المترجم المحرر الكريم الذي أرسله الخـــديوي لجلالة الملك ، وأجاب رحمه الله قائلاً : مولاي أقدم لجلال مقامك الرفيع الشان تحايا التعظيم والاجلال والثنـــاء الفائق من لدن مولاي خديوي

---

(١) دار الحكومة .

(٢) الأوسمة .

مصر المعظم ، مؤيداً ذلك بتقديم محرر سموه المنطوي على خالص المودة ، المتضمن تعييني وتعيين رفاقي الماثلين بين يدي عظمتكم للحضور في المؤتمر العمومي العلمي الذي توجهت خواطركم الملوكية لانعقاده في هذه المملكة العامرة ، لما يترتب عليه من الفوائد المهمة لنشر العلم وتقدمه واتحاده باشتراك القريب والبعيد والشرقي والغربي فيه ، ولم يكن ذلك ليأتي إلا بتوجيه همة الملوك اليه . فلك يا مولاي الفضل الجزيل على ذلك المسعى الجميل ، وأختم قولي بتقديم واجب تشكراتي لما نلت من لطف الرعاية الملوكية في هذا الموقف النبيل ، لا زال موقع إجلال ومنتهى كمال .

وكان ذلك يوم الأحد غرة سبتمبر سنة ١٨٨٩ وانصرفوا

وفي ثالث يوم اجتمع الناس لافتتاح المؤتمر ، وحضر الملك وحضر الناس ، وأخذ كلٌ موضعه ، فافتتح الملك المؤتمر بخطبة حسنة ألقاها وأجاد فيها وفي حسن أدائها ، قال في ضمنها : ان السلطة قبل كانت للقوة والاستبداد ، وليست الآن إلا للعلم ، ومضى فيها حتى أتمها واقفا ، والناس بين يديه وقوف ، ثم جلس ، وخطب بعده المسيو كريمر وافد النمسا ، ثم سفير العجم ، فخطب خطبة باللغة الفارسية ، ثم وافد السلطنة العلية العثمانية أحمد مدحت بيك ، فتلا مقالة باللغة التركية . ثم أشير إلى سعادة المرحوم المترجم ، فأنشد قصيدة وهي بألفاظها الرائقة ، ومعانيها الشائقة ، قوله :

اليوم أسفر للعلوم نهار ... وبدت لشمس سمائها أنوار
وزهت فنون العلم وازدهرت به ... أفنانها وتناسقت أزهار
وغدت لأرباب المعارف دولة ... غراء صاحب ملكها أسكار
اسكار الثاني الذي اعترفت به الأقطار وارتفعت به الأقدار
ورعى حقوق العلم يعلي قدره ... فنما بهمته له مقدار
ودعا له الفضلاء دعوة ناصر ... للعلم فهو بهم له أنصار

هي دعوة طنت بآذان العلى ... وتناقلت أخبارهـا السّمار
عرفت بقيمتها البلاد وأهلها ... وملوكها وتسامـع الأقطار
أمر أمير المؤمنين أعاره ... نظراً وأنظار الكبار كبار
فسرى به في مصر من توفيقه ... نورٌ ومن بركاته أسـرار
وإذا المليك أراد ينجح مقصداً ... نالته من توفيقـه آثار
مولى له في كل مكرمة يد ... ولكل موقع مقصد أنظـار
وأعان كل زعيم مملكة له ... بشؤون أهل بلاده استبصار
يحدو إلى أرض السويد أماثلاً ... من قومه أمثالهم أخيـار
مستظهرين بدعوة الملك التي ... عمت وما لسماعها انـكار
فتسارع العلمـاء تلبية له ... بالطوع تسبقهم له الأخيـار
بفنائهم صيت يشوق سماعه ... ويسوقهم شوق اليه مُثار
سمعوا بشهرته وصيت ثنائه ... سمعا يذكرهم به التكرار
وسما بهم في أُسْتُكـلْمَ بأمره ... نادٍ تشاخص دونه الأبصار
جمعته من شرق البلاد وغربها ... وجنوبها وشمالهـا الأقدار
القت بافلاذ الكبود اليه من ... أبنائها في حبه الأمصـار
نادٍ به احتفل الأفاضل حفلةً ... بحديثها تتقادم الأعصـار
جمعت لنا من مرة معدودة ... في الدهر لا ينسى لها تذكار
جمعتهم الأقدار جمع سلامة ... والله في أقداره مختـار
متـآلفين بعيدهم بقريبهم ... والفضل أقرب وصلة تمتار
من كل فياض القريحة ورده ... عذب وبحر علومه زخـار
تتدفق الأفكار نحو يراعه ... فيفيض من انبوبه تيـار
من كل معنى شف عنه لفظه ... كالخمر نم بها الزجاج تدار
ومؤزرٍ بالفضل مشتمل به ... منه شعـار زانه ودثار
حبر إذا ولى اليراع بنـانه ... زان الطروس بوشيها الأحبار

ويغوص أعماق المباحث باحثاً عن كشف كل فريدة تختار
درر يروق الطرفَ منها رونقٌ بهج تحار بوصفه الأفكار
لذوي المفاخر من حلاها زينة تبقى ولا يبلى لهن فخار
لا زال ملك الفضل معمور الذرا بذويه ممدوداً له الأعمار

ولما فرغ رحمه الله من قراءتها ، كل من في المؤتمر استحسنها وصفق ، وخاطبه ناس منهم في ذلك اليوم باستحسانها ، وحضر اليه كاتب المؤتمر على أثر الفراغ منها وسارّه بطلب نسختها ، فأخذها في الحفلة وخطب بعد ذلك أناس منهم الموسيو شِفْر وافد فرانسا ، وغيره ، وكانت هذه الحفلة خاصة بذلك ليس فيها تقديم موضوعات علمية ، وبعد ذلك صارت الناس تجتمع في المؤتمر في أوقات مخصوصة ، ويقدم كل واحد ما أراد تقديمه ، وقدم المترجم ما أعدّه لذلك ، فقوبل منه بغاية الاستحسان والاعتبار ، وأعطي للمترجم نيشان (وسام) من النوع المسمى (وازا) من الدرجة الأولى ، فشكر الملك على ذلك . وبعد انتهاء المؤتمر والمأمورية ، ورجع كل إلى بلاده ، نظم رحمه الله تعالى قصيدة غراء قالها في البحر ، وهم عائدون إلى وطنهم العزيز ، وهي مدحة سنية لمآثر جناب الخديوي المعظم ، ويقص على مسامعه الزكية بعض أحوال هذا المؤتمر ، وهي :

دنت الديار ودانت الأوطار هذا المنار وهذه الأنوار
هذا المنار يلوح نجم هداية للناظرين تؤمه الأنظار
والثغر وضاح المباسم باسم للبشر في قسماته آثار
فرح يبشرنا ببشر سروره ان الخديو له به استقرار

فاليوم نلثم من بنان يمينه ... سحبا موارد فيضهن غزار
من كف فيّاض اليدين يمينه ... يمنٌ ويسراه ندًى ويسار
ونشنف الاسماع من ألفاظه ... درّاً غدت اصدافه الافكار
ونرى منار الحق فوق جبينه ... كالشمس ليس وراءها أستار
نور تلألأ في جبين موفق ... للحق في توفيقه أسرار
مولاي قد سرنا بأمرك نبتغي ... لرضاك ما تسمو به الأقدار
نصل المغارب بالمشارق والسُّرَى ... بالسير لا ملل ولا اقصار
ونلف أذيال الأباطح بالربى ... تنتابنا الأنجاد والأغوار (١)
لا البحر ذو الأمواج نخشى بأسه ... يوماً وليس البر فيه نضار
البحر بر في رضاك بمن به ... والبر من جدوى نداك بحار
ومدى النهار صباح خير كله ... بسعود جدك والدجى أسحار
نطوي البلاد بطيب ذكرك نشره ... عبق ونفحة ريحه معطار
ونؤرج الأرجاء باسمك مدحة ... طابت بها الأسحار والأسمار
يهتز سامعها بحسن سماعها ... طربا ويخبر غائباً حُضار
ويروح سامعها يميل بعطفه ... ثملاً كأنّ دارت عليه عُقار (٢)
نفشي بها صدر النديّ (٣) نديّة ... يحلو بها الايراد والاصدار
نتلو مديحك معلنين بنشره ... جهراً فلا كتم ولا أسرار
لا يعتري فحواه (٤) وصمة ريبة ... تخشى ولا ردّ ولا استنكار

---

(١) الأنجاد والأغوار : ما ارتفع وانحدر من الأرض مفردها نجد وغور .
(٢) الخمرة ، والغريب انها مهلكة للعقول والأبدان ، ومحرّمة بنص القرآن ، ويذكرها أتقياء الشعراء في مقام الاستحسان ! !
(٣) النادي بمعنى المجلس .
(٤) فحوى الكلام : مذهبه ومعناه .

ثم امتطينا للسويد ركائبا ... لا الركض يجهدها ولا التسيار
تسعى على عجل إلى غاياتها ... كالماء ساعد جريه تيار
سرع الخطى لا السوط حل بجلدها ... يوماً ولا شدت به أكوار
تذر الرياح إذا جرين وراءها ... حسرى طلايح[1] جريهن غبار
سرنا بهن على العشي فأصبحت ... في أُسْتُكُلْمَ وقد بدا الاسفار
ولقيت صاحب تاجها في قصره ... والوفد ثم بصحبتي نظار
فدنا وصافح باليمين مردداً ... شكر الخديو يزينه التكرار
فشرعت مقتصداً أجاوبه بما ... ارضاه لا قلّ ولا اكثار
ونحوت مؤتمر العلوم أؤمه ... بالوفد تهوي نحونا الابصار
حتى إذا احتفل النديّ وأقبل العظماء والعلماء والأخيار
وتلا به اسْكار ربّ سريره ... قولاً به لذوى النهى اسكار
وأجابه الخطباء كل محسن ... يزري بنظم الدر منه نثار
ودعيت باسمي للمقال موفيا ... حق الوفادة والوفاء شعار
اقبلت ابتدر القريض يزينه ... مولاي باسمك بهجة ووقار
حتى استتم الشعر فاصطفقت له الأيدي وذاك بمدحه اشعار
وتشعبت شعب الفصول مقررا ... في كل فصل للعلوم قرار
فنحوت بالوفد الذين بصحبتي ... خير الفصول وصحبتي أخيار
ما فيهمو وهل[2] الفؤاد يهوله ... حفل ولا واهي القوى خوار
كل أعد من المعارض ما اصطفى ... للعرض ثَمَّةَ جملةً تختار
وأجاد فيما قد أفاد بمنطق ... طوع المراد أمده استحضار
في لهجة العرب الفصيحة لفظهم ... حرّ، وهم في نفسهم أحرار[3]
لا في مقالة قائلينا وقفة ... عرضت ولا لمقولنا إنكار

---

(١) الطليح : التعب . يقال : بعير طليح وناقة طليحة . ج طلايح وطلحى .
(٢) وهل : ضعف وفزع .
(٣) حرّ اللفظ خياره وأحسنه .

كالقطر جاد به غمـام مبرق ... دانى الهيادب[1] عارض مدرار
نبدي الذي نبدي وكل مطرق ... سمعا ومنطق ذي المقال جهار
حتى نـتم كما نشاء القول في ... امَدٍ اعِدٍّ لوقته مقدار
فيقول صاحبهم أما من باحث ... فيما يقول وقوله استفسـار
وتصفق الحضار لاستحسان ما ... قلنا ويظهر فيهم استبشار
هاهم رجالك ايها المولى ولا ... منٌّ عليك ونعم من تختـار
لا ابتغي مدحـا لنفسي انني ... بعلاك افخر لاعداك فخـار
هذي محاسن يمن طالعك الذي ... بسعوده قد سـاعد المقدار
ثم انثنينا راجعين يسوقنـا ... لحمـاك أشواق لهن أوار[2]
نأوي لخير حمىً بظلك كلـه ... امن وما للجور فيه جوار
فاسلم لمصر وأهلهـا ليرى بها ... لنمـاء غرس يمينك استثمار
واسلم لانجـال وآل كلهم ... خير وآل الخيّرين خيـار
واليكها مولاي صنعة ليلة ... لحق العشاء بوشيها الأسحار
حتى كساها الصبح رونق وجهه ... حسناً وألبسها الضياء نهـار

إلى هنـا اقتصرنا على بعض غرره وفرائده ، من شائق نثره ورائق قصائده ، وإلا فرحمه الله ، دُرره لا تحصى ، وجواهره لا تستقصى ، وكم له من نثر فائق ، ونظم رائق ، والحق يقال انه لغني بشهرته في الآفاق عن التعريف ، وكيف لا وقد سبق رحمه الله فرسان التصنيف والترصيف ، وبالجملة فانه لا يماثله بكل فن مماثل ، ولا يعادله في الفضل معادل ، وحيث انـه قـد اصيب هذا القطر بفقده وهو من اجلائه ،

---

(١) جمع هيدَب ، وهو السحاب المتدلّي ، وتراه كأنه خيوط عند انصباب المطر .
(٢) الأوار : شدة حر الشمس ووهج النار .

ولوذعي (١) فاضل من أكابر فضلائه ، وعالم من أجل علمائه ، وأمير من صفوة امرائه ، وأديب حاز السبق في مضمار الفضل والأدب ، وحسيب نسيب زينت اردان فضله سجايا المجد والحسب ، رثاه بعض فضلاء العصر وادباء مصر بقصائد طنانات يلوح عليها من قائليها الحسرات والزفرات ، فقد فَقَدَ هذا القطر بل الدنيا هذا الحبر الفخيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ولنذكر الآن بعض قصائد اؤلئك الفضلاء ، تتميما لترجمة من حلت روحه بالملأ الأعلى .

ومن ذلك ماكتبه حضرة العالم الأديب ، والفاضل الأريب ، أخونا عبد المجيد افندي الخاني ، أناله الله أحسن الأماني .

حجب البدر الذي ادركَ في العليـاء ما أدرك
هو عبد الله فكري فاختبر في وصفه فكرك
إذ غدا في كل علم غاية بالسعي لا تدرك
يا أمين المجد صبرا طول الله لنا عمرك
عظم الخطب فأرخ عظم الله به أجرك

ومن ذلك قصيدة حضرة الأستاذ العلامة ، والحبر البحر الفهامة ، الشيخ علي الليثي :

نذم المنايا وهي في النقد أعدل غداة انتقت مولى به الفضل يكمل
تخطت أناساً من كثير نعدهم وغالت وحيدا من قليل يحصّل
ونحن بني الدنيا نباين فعلها فلا ننتقي حُرّاً عليه يعول
كأن المنايا في انتقاها خبيرة بكسب النفوس العاليات تعجل
فتم لها من منتقى الدر حليةٌ بها العالم العلوي أنسا يهلل

(١) اللوذع واللوذعيّ : الذكي الذهن ، الحديد الفؤاد ، الفصيح اللسان .

وتم نظـــام العقد وازينت به ... نحور بدور الحور وهو مفصل
وكلّ بعبد الله فكـــري مهيم ... ينافس فيـــه غيرة حيث ينزل

ومنهـــا

لقد كان ذا دين قويم وعفة ... بها ســـاد أمثالاً لديه تمثلوا
لقد كان ذا بر عطوفا مهذبا ... سجاياه صفو القطر بل هي أمثل
رقيق حواشي الطبع سهل محبّب ... الى كل قلب حيث كان مبجل
كريم السجـــايا لا الدنايا تشينه ... عظيم المزايا اذ يقول ويفعل
شمائله لو قسمت في زمـــاننا ... على الناس لازدانوا بها وتجملوا

إلى أن قال بعد كلام نفيس

ولولا (أمين) المكرمات الذي الى ... مخـــايله سر الأبوّة ينقـــل
فتى المجد والعلياء والصدق والحيا ... وأوفى أمين يرتجى ويؤمـــل
يشم شذى المرحوم منه ويجتلى ... بغـــرته اليمن الذي يتهلل
لذبْنَا أسى مما عرانا من النوى ... ونحنا كما ناح الهـــديل المبتل

ومنهـــا

ومذ سمت[1] نفسي الصبر وارتحت للقضا ... تنفست[2] والمحبوء في النفس أجزل
فخذها امين الله ماشابهـــا الريا ... ولا عابهـــا إلاّ امرؤٌ يتقول
وقل لمشير الحزن عني مؤرخا ... ألا في جنان الخلد فكري المبجل

٣٢ ٤١٩ ٦٦٥ ٣١٠ ١٠٦

وقال حضرة أستاذنا العلامة الفاضل ، واللوذعي الكامل ، الشيخ سليمان العبد أحد أفاضل الجامع الأزهر .

نضا ثوب الحياة وسار (فكري) ... وكـــدر بالفراق صفاء فكري
تكبدت القلوب ضرام حزن ... عليه يذيب وجداً كلّ صخر

---

(١) كلفتها الصبر.
(٢) يقال : تنفّس الصّعَداءَ : أي تنفّس تنفّساً طويلا من تعب أوكرب .

ومصر بموته ارتعدت وضجت وقد شقت عليه دروع صبر
وصار دم الدموع لها خضابا على كف الاسى ياويح مصر

إلى أن قال

امين لك المعالي في صعود وسر أبيك منه اليك يسري
فحسن نفسك العليا بصبر فمثلك قدوة بجميل صبر
سقى الرحمن قبر أبيك غيثاً من الرحمات عصراً بعد عصر
ورضوان لِصفو قال ارخ بجنات النعيم مقر فكري
٣١٠ ٣٤٠ ٢٠١ ٣٥٦

وقال حضرة الفاضل الزاهد ، والإمام النحرير العابد ، الشيخ احمد موافي يرثي المترجم رحمه الله تعالى :

ما العيش يحلو والتفرق مشرب سبل الفراق بها العيون تسيل
ما العيش في دار الغرور بمشتهى وصخور اعمال الجبال تهيل
من يوم غزو البحر بحر علومنا لم ارج أن يشفى الىّ غليل
ودّعته وانا الموافي صحبة أخذت لتغرب والفؤاد عليل

ومنها

في يوم نيخت للرحيل مطية صدعت قلوب فالبعاد طويل
عزريل نادى ياجنود ترحموا رفقا بفكري للعلوم خليل
لولا الإرادة مانزلت لقبضه اني برفق العاملين وكيل
ومبشرات الحق وافت نحوهم من قبل قبض والبشير دليل
في لمحة البصر الخفيف أزورهم وفراقهم ابدا علي ثقيل

ومنها

ففوارس العلم الشريف تصرعت بالنحو جرح والأصول قتيل
جيش المجاز مع المعاني ادبرا والفحل من فقه البديع فصيل
سبيت لغات والعلوم أسيرة ويرق حر الفهم وهو جزيل

ولت مسائل قد تقادم عهدها فاليوم عقل للغبيّ يحيل
دار العلوم على الهمام كئيبة والقبر مسرور به وخميل [١]

ومنها

لاقت لعبد الله باشا حوره كانت تئنّ لبعدها وتطيل
قد كان في الدنيا يحاسب نفسه فهو الذي عند السؤال نبيل
قال الثرى أرخته وداً به أهلاً به ظل الجنان مقيل

سنة ١٣٠٧ ١١ ٧ ٣٧ ٧ ٩٣٠ ١٣٥ ١٨٠

وقال حضرة العالم الفاضل الأديب ، والأمير الأفخم الحبيب ، عز تلو علي بيك رفاعة :

دنياي لِمْ تبدلين المدح تأبينا [٢] وتمنعين الوفا ظلماً وأبينا
وتظهرين ازاء العجز مقدرة وان نويت لنا خباً [٣] تناوِينَا
إذا وعدت وأعددت الصفاء لنا تلوين وعدك بالاكدار تلوينا
في روضة العيش كم تدنين من ثمر لمن اذا حان أن تجنيه تجنينا

الى أن قال بعد كلام تركناه خوف الاطالة

مصاب مثلك عبد الله سيء له كل الأنام وملك حل عبدينا
فما مصاب أخي صهطا برزء أخي دار المعز فيا مولاي عزينا
من خال بعدك عبد الله أن له جواً خلا عنك كنا عنه خالينا

ومنها

أللبيان نرجي أن يشاد له بيت وبعدك سد الباب بانينا
سل دولة هي انشاء ومقترح أمضى يراعك فيها أم مواضينا

---

(١) ليّن .
(٢) التأبين : الثناء على المرء بعد موته ، ومنه (حفلة تأبين) .
(٣) الخِبّ : الخداع .

هل فوق نثرك ما نزهى بنثرته أو فوق شعرك شعرى أو يمانينا
من للمطول أو جمع الجوامع أو من للمواقف توقيفاً وتبيينا
من للتفاسير تأويلاً لمشتبه أو للتواريخ توقيتاً وتأوينا
هل للشفا وحديث المصطفى طرق بها طبيبُ النهى يأتي بشافينا

ومنها

سل آستانة عن تركي منطق من سما عشائرها وهو ابن عشرينا
لو كان فيها لجارى كل ذي قلم يختال بالفكر ترصيفاً وترصينا (١)
ينشي القوافي فتحلو في مباسمنا ذوقاً كأن بها الصهباء تنشينا

الى ان قال

وأنت يا نفحات البرزخ (٢) اتجهي لوجهه وانفحي (٣) ورداً ونسرينا
وأنت يا حور جنات زففن له تبارك الله هاك المهر « ياسينا »
وأرخيه فما كفؤ يؤرخه في رحمة الله عبد الله فكرينا
سنة ١٣٠٧ ٩٠ ٦٤٨ ٦٦ ١٤٢ ٣٦١

أصيب رحمه الله بداء السكتة بعد ظهر الخميس في اليوم السابع من ذي الحجة الحرام ، وفي الساعة الثانية من صباح يوم الأحد عاشر الشهر المذكور وهو يوم النحر وافاه الأجل المحتوم ، والقضاء المعلوم ، وذلك سنة الف وثلاثمائة وسبع ، فنحرت عليه في يومه القلوب ، وشقت المرائر وازدادت الكروب ، وامتلأت مصر بالأحزان ، وأظلم العصر في كل مكان ، وشيع محمولاً على هامات الوقار ، والسكينة والتبجيل والاعتبار ، والمحاجر تودعه ودموعها تتحدر ، والقلوب تكاد من شدة تألمها إذ ذاك

---

(١) الترصيف : التنظيم ، والترصين : الإتمام والإتقان .
(٢) ما بين الدنيا والآخرة .
(٣) نفح الطيبُ : انتشرت رائحته .

تتفطّر ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، عوضه الله الجنة وأسكنه دار النعيم [١] .

السيد عبد الله بن محمد بن اسماعيل الامير الصنعاني رحمه الله تعالى

هو من رجال البدر الطالع : ولد سنة ستين ومائة والف ، وبرع في جميع العلوم ، وهو أحد علماء العصر العاملين بالأدلة الراغبين عن التقليد لمذهب من المذاهب ، مع قوة ذهنه وجودة فهمه ، ووفور ذكائه ، وحسن تعبيره وصدق وفائه ، وخبرته بمسالك الاستدلال ، ومتانة دينه وصيام نهاره وقيام الليال ، وله شعر كثير ، قد جمع في مجلد كبير ، وبلغني انه نظم بلوغ المرام ، وشرحه فوق المرام [٢] ، وليس له شغل سوى العلم والحديث والقرآن ، وتحرير المسائل وتقرير الدلائل واقامة البرهان ، ومن نظمه في مطلع قصيدة :

لله درك أيهـا البدر الذي يهدي إلى نهج الصواب الظاهر
ابرزت من تيار علمك درة في سلك تبرقعه [٣] بحر زاخر

انتهى . قال في النفس اليماني في ترجمته :ومنهم ولد شيخنا السيد الجليل ، العالم النبيل ، فخر الإسلام ، وزينة الليالي والأيام ، السيد عبد الله صار من العلماء الأعلام ، والنبلاء الفخام ، أحد ائمة العصر ، وحامل لواء الفضل والفخر ، له اليد الطولى في العلوم النقلية والعقلية ، وجودة النظر والنقادة

---

(١) من مؤلفاته : الفوائد الفكرية المكاتب المصرية ، الفصول الفكرية ، في المملكة الباطنية ، مباحث في علم الهيئة ، شرح بديعية محمود صفوت ، نظم اللآل في الحكم والأمثال ، وهي كلها مطبوعة .

(٢) ومنظومة : عمدة الأحكام للمقدسي ، تقارب ألف بيت ، ورياض الربيع ، في المعاني والبيان والبديع ، وله نظم كثير (الأعلام) وغيره .

(٣) كذا ولعلها ، تبر قمر .

في الأحاديث النبوية ، مشتغلاً بذلك غاية الاشتغال ، حتى نال من العلم الشريف أعلى منال ، مواظباً على الافادة في جميع أوقاتـــه ، مقبلاً على الطالبين في حركاته وسكناته ، تاركاً للتعصبات المذهبية ، والانتصارات التعصبية ، يدور مع الحديث حيث دار لا يعتريه ملل ، ولا يجنح نحو راحة ولا يميل نحو كسل ، فاكهته النظر في الزبر والاسفار ، والمطالعة عنده أعذب من نسمات الاسحار ، جعـــل العلم له جليساً ، وفي الخلوة نديماً وأنيساً ، فهو فارس ميدان العلوم ، والحائز قصب السبق ان تأخرت الفهوم ، مع اخلاق شريفة ، وشيم لطيفة ، يسمح بها للمتعلمين ، ويمنحها للمتفهمين ، فهم لها عاشقون ، وبها متخلقون ، وعليهـا معولون ، مع حسن نية ، وسلامة طوية ، وهمة علية ، يحلو منه الاطناب والايجـاز ، وابداء فصيح الحقيقة والمجاز ، وطاعته تسر الودود ، وتسوء كل همـاز حسود ، حاز من الرتب الشريفة أعلاها ، ومن الأوصاف السنية أغلاها واحلاها ، من رآه أحبه بمجرد النظر ، فكيف إذا خالطه في الحضر والسفر ، تالله لقد اقر الله به عين كل وافد ، وكبت بطلعته البهية عين العدو والمعاند ، واطلع شمس معرفته على كل جاحد ، فغط بكفك على الشمس أيها الحسود ، ولم نفسك أيها المعاند لأنها لام الجحود ، توفي رحمه الله ، واحسن مثواه ، سنة الف ومائتين وأربع وأربعين (٢) .

الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد الكزبري الشافعي الدمشقي

عالم أوحد ، وفاضل مفرد ، من أهل بيت قد نشأوا على العلم والعمل ، وبرعوا فيه حتى صار لهم عوضاً عن المال والخَوَل (١) ، فما منهم إلا

---

(١) الخَوَل : جمع خَوْلي : العبيد والإماء وغيرهم من الحـاشية ، وهو يستعمل بلفظ واحد للجميع .

(٢) في ذيل الوطر أن وفاته سنة ١٢٤٢ .

من هو محدث فاضل ، متورع زاهد عابد كامل ، قد افتخر بهم مصرهم على الأمصار ، وتاه بهم عصرهم على غابر الأعصار .

ولد رحمه الله سنة الف ومائتين وإحدى وعشرين ، ونشأ من أول عمره على الطاعة والدين ، ناهجاً منهج والده الهمام (١) ، إلى أن صار معدوداً من أفراد العلماء الأعلام ، وبعد وفاة والده جلس في مكانه تحت قبة النسر ، يقرأ صحيح الامام البخاري في شهر رجب وشعبان ورمضان كل يوم بعد العصر ، ولم يزل مثابراً على ذلك ، سالكا أعلى المناهج والمسالك ، إلى أن سقته المنية كأس الحمام ، وجرحت بفقده قلوب أهالي الشام ، وذلك سنة الف ومائتين وخمس وستين ودفن بتربة باب الصغير ، رحمة الله تعالى عليه .

الشيخ عبد الله بن مصطفى بن عبد الله بن محمود العبدلاني الكردي الدمشقي

كان حسن الأوصاف ، جميل الانصاف ، يميل الى الحق ميل الصب الهائم ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، قرأ على العلماء الأفاضل ، إلى أن حاز على أجل الفضائل ، ولازم والدي مدة طويلة ، واستجازه فأجازه اجازة عامة جليلة (٢) وكان محبوباً بين الناس ، مشهوراً بالجمال والكمال والإيناس ، كثير الطاعة والعبادة ، حريصاً على الإفادة والاستفادة ، مات في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف ودفن بمقبرة باب الصغير قرب قبر الصحابي الجليل سيدنا بلال بن رباح الحبشي رضي الله تعالى عنه .

---

(١) أخذ العلم عن والده وعن الشيخ عبد الرحمن الطيبي والشيخ حامد العطار والشيخ سعيد الحلبي وغيرهم (عن مجموع خطي) .

(٢) وأخذ عن العلامة الشيخ حسن الشطي ، واختص بالعالم الشيخ أحمد مسلم الكزبري ، وصار معيداً له في درسه العام تحت قبة النسر ، وتولى المترجم إمامة وتدريس جامع سنان باشا خلفاً المرحوم الشيخ أحمد البغال ، (عن روض البشر للشطي) .

السيد عبد الله بن عابدين الدمشقي الحنفي الماتريدي

إمام قد تحلى بالفضائل ، وارتدى بأجمل الشمائل ، وأكب على العلم والطلب ، إلى أن نال المرام والأرب ، وكان شهماً فاضلاً ، عالماً عاملاً ، حسن الاعتقاد ، جميل المعاملة والوداد ، ذا تقوى وعبادة ، وصيانة وزهادة ، وكان مقدم الطريقة النقشية ، في جامع بني أمية ، وله أحوال عجيبة ، ومكاشفات غريبة ، وكرامات مشهودة ، وصفات محمودة . توفي يوم الجمعة في صلاة العصر في السجدة الثانية من الركعة الثانية في اليوم التاسع عشر من شعبان سنة تسع وخمسين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير قرب قبر المرحوم السيد محمد عابدين المشهور .

الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن احمد أبي العباس
إمام السادة الحنفية فى جامع بني أمية

كان رجلاً صالحاً تقياً نقياً ، عابداً زاهداً ، متباعداً عن الناس ، له في التمسك بطاعته تعلق وإيناس ، وكان مقدم الطريقة الشاذلية بعد موت والده رحمه الله . فأرشد كل سالك ، ونهج بالمريدين أحسن المناهج والمسالك ، وكان كثير الوداد ، معتصماً بحبل الصواب والسداد ، دائم الإقامة ، على حالة الاستقامة ، حسن السيرة ، صافي السريرة . مات رحمه الله سنة ستين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الله بن حجازي بن ابراهيم الشافعي
الازهري الشهير بالشرقاوي

العلامة النحرير ، والفهامة الشهير ، والأصولي الفقية ، والفاضل النبيه ، شيخ الاسلام ، وعمدة الأنام ، من طلع في فلك الأزهر بدراً ، وتقدم

على صلة الأفاضل ذوي الفضائل علماً وجلالة وقدرا، فكان في جبهة الدهر غرة ، ولأهل العصر روضة فَرَحٍ ومسرّة .

ولد ببلدة تسمى الطويلة بشرقية ببلبيس في حدود الخمسين بعد المائة والألف ، ونشأ على غاية الكمال واللطف ، فلما ترعرع وحفظ القرآن ، قدم الى الجامع الازهر المصان ، وسمع من الملوي والجوهري والحفني والدمنهوري ومن الشيخ يوسف الحفني والبليدي ومحمد الفارسي وعلي الصعيدي وعمر الطحلاوي وعطية الاجهوري ، وسمع الموطأ على علي بن العربي الشهير بالسقاط ، وأخذ الطريقة على الشيخ محمود الكردي بكمال الاحتياط ، ودرس الدروس بالجامع الأزهر ، وقرأ بغيره أيضاً وحقق ودقق وحرّر ، وله تأليفات دالة على علو قدره ، ورفعة مقامه وسمو ذكره ، من ذلك حاشية على التحرير ، وشرح نظم الشيخ يحيى العمريطي وشرح العقائد المشرقية والمتن له أيضاً ، وشرح مختصرٍ في العقائد والفقه والتصوف مشهور في بلاد داغستان ، وشرح رسالة عبد الفتاح العادلي في العقائد ، ومختصر الشمائل وشرحه له ، ورسالة في لا إله إلا الله ، ورسالة في مسألة أصولية في جمع الجوامع وشرح الحكم والوصايا الكردية في التصوف وشرح ورد السحر للبكري ، ومختصر المغني في النحو ، وغير ذلك [1] . وبعد موت الشيخ العروسي حولت اليه مشيخة الأزهر إلا أنه كان له معارضون كثيرون فلم يتركوا له راحة لدعوى استحقاقها للشيخ مصطفى الصاوي ، وبقي هذا الاختلاف وعدم الراحة إلى أن توفي الشيخ مصطفى الصاوي فسلمت للمترجم من غير منازع . ولم يزل في منصبه مع اختلاف وشقاق من واقعات اقتضاها الحال ، إلى أن مرض مدة ، ومات يوم الخميس

---

(١) ومن مؤلفاته أيضاً : « التحفة البهية في طبقات الشافعية » (من سنة ٩٠٠ إلى سنة ١١٢١ هـ .) و « تحفة الناظرين في من ولي مصر من السلاطين » . وتجد المصادر الكثيرة لترجمته في الأعلام للزركلي ومعجم المؤلفين للكحالة .

ثاني شهر شوال سنة سبع وعشرين ومائتين والف وصلي عليه بالأزهر ودفن في مدفنه الذي بناه لنفسه ومقامه شهير رحمة الله تعالى عليه .

الشيخ عبد الله بن محمد بن عيسى بن سعيد الدمشقي الصالحي الشهير بالكتاني

شيخ الطريقة الخلوتية ، وإمام ذوي ارشادهـا في دمشق المحمية ، وكان يغلب عليه في بعض الأيام ، غيبة وجذبة واصطلام ، فكان في تلك الحالة يتكلم بما هب ودرج . وليس عليه في كلامه حينئذ ملام ولا حرج ، وله كشوفات كلية عجيبة ، واخبارات صائبة غريبة ، ولي والحمد لله منه اجازة في اذكار الطريقة المرقومة واذن عام في اعطـاء الطريق لأهل الاعطاء المستحقين . وشاهـدت كثيراً من كشوفاته ، وسمعت منه كثيراً من اخباراته الخارقة للعادة ، التي لم يتخلف منها شيء عن ماأفاده ، وكنت أطالع لديه بعض عبارات في كلام السـادة الصوفية [1] ، فيسمع ولكنه لم يتكلم بشيء بالكلية . ولد في صالحية دمشق الشام سنة ثمان ومائتين والف ، ونشأ بها ، وأخذ الطريق عن جده الشيخ عيسى ، وكان يقيم الاذكار بزاويتهم الكائنة في صالحية دمشق . مات رحمه الله يوم الاثنين بعـد الظهر في عشرين من ذي الحجة الحرام سنة اثنتين وتسعين ومائتين والف ، ودفن بقاسيون قرب مقام الشيخ محمد بن مالك صاحب الألفية .

الشيخ عبد الله المعروف بالمرادي بن طاهر بن عبد الله ابن مصطفى بن القطب مراد

الدمشقي الحنفي الشهير بالمرادي النقشبندي صدر صدور الشام ، وبدر العلماء الأعلام ، الشهم الكبير ، والهمام الشهير .

---

(١) كان الأستاذ المؤلف رحمه الله صوفيا قبل أن يكون سلفيا ، ولما صـار سلفيا اقتصر على أذكار الكتاب والسنة ، ورأى فيهما مايكفي ويغني عما عداهما .

ولد بدمشق ونشأ بها ، وقرأ على علمائها ، إلى أن صار من أوتادها وأقطابها (١) ، فسعى منصب الافتاء اليه ، وعول في أمره عليه ، ودام له أحد عشر شهراً ثم فصل عنه ولم يزل على تقواه وعبادته ، وتقدمه بين الناس ورئاسته ، إلى أن نشبت به أظفار المنية ، فحالت بينه وبين المرام والأمنية ، فمات مخنوقاً في قلعة دمشق الشام سنة اثنتي عشرة ومائتين والف ودفن في مقبرة الدحداح رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الله بن سعيد بن حسن بن احمد المشهور بالحلبي

فرد الشام وعالمها ، وصدرها وفاضلها ، قد طلع في أفقها بدراً تحرس مجده الثواقب ، وارتفع في أهلها قدراً تتنافس به ذوو المعالي والمناقب :

إذا مابدت للطرف غرة وجهه ... رأيت بها الشمس المنيرة والبدرا
وان رمت ان تدري علاه فانه ... هو الغاية القصوى هو الآية الكبرى
له خلق كالروض يزهو بزهره ... وكيف يساوي الزهر أخلاقه الزهرا
فهذا الذي فوق السماكين قدرقى ... واحرز من دون الورى الفخر والقدرا

لقد انفرد بعلو الهمة ، واقتصر عليه الخاص والعام في الأمور المهمة ، وكانت الحكام تفضله وتهابه وتعظمه ، وترفع مكانه وتجله وتحترمه ، وتعتمد في المهمات عليه ، وتستند في حل المشكلات اليه ، فقوله في المهمات فصل

---

(١) أي من أركانها وأعيانها ، وللعلامة الشهير السيد محمد عابدين رسالة مطبوعة في مجموعة رسائله ؛ اسمها « إجابة الغوث ، ببيان حال النقبا والنجبا والأبدال والأوتاد والغوث » وفيها صفاتهم وعاداتهم ، ومراتبهم ، وبلدانهم ، وأعمالهم ، وعدد كل صنف منهم . وخير ما وصف به الأبدال : سخاء الأنفس ، وسلامة القلوب ، والنصيحة لأمتهم ، ومن صفاتهم أيضاً أنهم : يعفون عمن ظلمهم ، ويحسنون إلى من أساء اليهم ، ويتواسون فيما آتاهم الله » .

الخطاب ، وحكمه مدار الحق على مركز الصواب ، قد طار صيته وفاق وملأ ذكره الأقطار والآفاق ، فلا ريب أنه عين الأعيان ، وفرد الدهر والزمان ، قد تصدر بعد موت والده للاقراء والتدريس ، فما عداه في الشام مرؤوس وهو بمفرده الرئيس ، ولم يزل في كل يوم يسمو مقامه إلى العلا وينمو قدره وفخره بين الملا ، ويقصده الناس من كل جانب ، لقضاء الحوائج ونيل المآرب ، فليس من عظيم ولا كبير ، ولا حاكم ولا وزير إلا وينقاد لكلامه ، ويعترف بعلاه واحترامه .

وكان يقرأ صحيح الإمام البخاري تحت قبة النسر في جامع بني أمية في كل يوم جمعة من شهر رجب وشعبان ورمضان ، إلى سنة الف ومائتين وسبع وسبعين ، فوقعت في الشام حادثة النصارى ، التي جعلت الناس سكارى وماهم بسكارى [١] ، فتبدل النهار على الشام ليلا ، ومال الغم والهم عليها ميلا ، وانفرط نظامها وتشوش قوامها ، واختل تشييدها ، واعتل رشيدها ، وانحطت في فلكها إلى الحضيض ، ووقعت في النكد الطويل العريض ، وتلا قارئها على أهلها من كبير وصغير ، « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » [٢] ، فارتجت من المترجم جوانب ناديه ، وارتبطت في عنقه طوال أياديه ، وأضحت منازله قد بان عنها الانس والحبور ، وألوت بهجتها عنها ساعد الصبا وكف الدبور ، فبكت العيون عليه دماً ، وعاد قدره ومقامه عدما ، وصار بعد أن كان مخدوم أحرار الدهر لا يخدمه من كان لهم خدما ، فسحقاً لزمان لم يرع حقوقه ، ولم يحفظ عليه شروقه ، فنفاه فؤاد باشا المرسل من جانب السلطان لهذه القضية ، إلى المغوصا قلعة

---

(١) تجد تفصيل هذه الحوادث المؤسفة ، في ترجمة أحمد باشا والي ومشير دمشق ونقلبه العجيب الغريب (ص ٢٦٠ ـ ٢٨٠) من (ج ١ من حلية البشر) .

(٢) سورة الشورى (الآية ٣٠) .

في قبرص أعدت لذوي الجنايات الكلية ، ومعه جملة من ذوات الشام ، من أهل القدر والاحترام ، واستقام إلى سنة ألف ومائتين وثلاث وثمانين منفياً (١) ، ثم عاد إلى الشام رفيعاً عليا ، إلا أنه قد تولى الدرس في جامع بنى أمية ، صاحب الأصالة محمد افندي المنيني ذو النسبة العثمانية ، ولم يزل المترجم في رفعة وعلو ، وقدر ذي سمو ، إلى أن دعته المنية للدار الآخرة ، والمنزلة الفاخرة ، وذلك في ثالث ذي القعدة الحرام سنة ست وثمانين ومائتين والف . توفي في قرية برزة قرية من قرى دمشق الشام ، وفي صبيحة تلك الليلة أحضر إلى الشام ، وصلي عليه في جامع بني أمية ودفن عند قبر أبيه في مرج الدحداح بمشهد عظيم ، وكانت ولادته في دمشق الشام سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف وكان عمره ثلاثا وستين سنة رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الله بن صالح بن حيدر الكردي الاشكتي ثم الدمشقي الشافعي

الحبر الفقيه ، والبحر المحقق النبيه ، ولد بدمشق سنة ثمانٍ وسبعين ومائة وألف ، ونشأ في حجر أبيه وأخذ عنه وعن العلامة الشمس الكزبري

---

(١) أرخ ولادته تلميذه السيد محمد عابدين بقصيدة مطوّلة ، وتاريخها :

يقول نظمت أبياتي فأرخ بعبد الله في شهر الصيام

وأرخ عودته من منفاه تلميذه الشيخ عبد السلام الشطي بأبيات ، تاريخها :

فلفد تكامل فضله سبحانه مذ جاء بالتاريخ شيخ الشام

تفرد بالعلوم النقلية والعقلية ، تخرج عليه أكثر علمـــاء دمشق ، وكثيراً ما كانت الحكومة تعرض عليه إفتاء دمشق وقضاءها فلم يقبل . لقب بزمنه بشيـخ علماء الشام ورئيسها ، كان يجتمع في مجلسه كل ليلة جماعة من العلماء والتجار ، يستفيدون من وعظه وإرشاده ، ويعشقون مشربه وأخلاقه . اه من منتخبات التواريخ للتقي الحصني .

واستفاد وأفاد ، وارتفع مقامه وساد ، توفي رحمه الله تعالى سنة أربعين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح .

عبد الله بن ابراهيم بن حسن بن محمد أمين بن علي ميرغني بن حسن بن مير

خودر بن حيدر بن حسن بن عبد الله بن علي بن حسن بن أحمد بن علي بن ابراهيم بن يحيى بن عيسى بن أبي بكر بن علي بن محمد بن اسماعيل ابن مير خودر البخاري بن عمر بن علي بن عثمان بن علي المتقي بن الحسن بن علي الهادي بن محمد الجَواد الحسيني المتقي المكي الطائفي الحنفي الملقب بالمحجوب .

نقل الامام الجبرتي أنه ولد بمكة وبها نشأ وحضر في مباديه دروس بعض علمائها كالشيخ النخلي وغيره ، واجتمع بقطب زمانه السيد يوسف المهدلي وكان إذ ذاك أوحد عصره في المعارف ، فانتسب إليه ولازمه ، وبعد وفاته جذبته عناية الحق وأرته من المقامات ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فحينئذ انقطعت الوسائل وسقطت الوسائط فكان أويسيا تلقيه من حضرة جده ﷺ كما أشار إلى ذلك السيد مرتضى عندما اجتمع به بمكة في سنة ثلاث وستين ومائة وألف وأطلعه على نسبه الشريف وأخرجه إليه من صندوق . قال وطلبت منه الاجازة وإسناد كتب الحديث فقال : غني عنه قال : فعلمت أنه أويسي المقام ، ومدده من جده عليه الصلاة والسلام . وانتقل إلى الطائف بأهله وعياله في سنة ست وستين وشرف تلك المشاهد ومآثره شهيرة ، ومفاخره كثيرة ، وكراماته كالشمس في كبد السماء ، وكالبدر في غيهب الظلماء ، وأحواله في احتجابه عن الناس مشهورة ، وأخباره في زهده عن الدنيا على ألسنة الناس مذكورة .

ومن مؤلفاته كتاب فرائض وواجبات الاسلام لعامة المؤمنين ، وقد كتب على ظهرها بخطه الشريف :

فروض الدين أنواع وهذا الدر هافيها
فعض بناجذ فيهـا وقل يا رب صافيهـا

وهذه النبذة عجيبة في بابها جامعة مسائل العقائد والفقه ، وشرحه شيخنـا المذكور شرحاً نفيساً ، ومنها سواد العين في شرف النبيين ، ولها قصة في ضمنها كرامة قال في آخرها انه فرغ من تأليفها في رجب سنة سبـع وخمسين ومائة والف ، ومنها السهم الداحض في نحر الروافض ، وهذه ألفها بعد خروجه من مكة لقصة جرت بينه وبين أهلها في جمادى سنة ست وستين ومائة والف ، ومنها الفروع الجوهرية في الأئمة الاثنى عشرية ، ومنها الدرة اليتيمة في فضائل السيدة العظيمة ألفها سنة أربع وستين ومائة والف ، وكتب بخطه الشريف على ظهرها :

لله در مؤلـف درست به درر المـلا
كم درة يتمت بـه حتى أفـاقت للألى
يارب فاعل مقـامه كالدر في تاج العـلا

ومن مؤلفاته الكوكب الثاقب وشرحه وسماه رفع الحاجب عن الكوكب الثاقب ، وله ديوانان متضمنان لشعره أحدهما المسمى بالعقد المنظم على حروف المعجم ، والثاني عقـد الجواهر في نظم المفاخر ، ومنها المعجم الوجيز في أحاديث النبي العزيز ﷺ اختصره من الجامع وذيله ، وكنوز الحقائق والبدر المنير وهو في أربعة كراريس ، وقد شرحه العلامة سيدي محمد الجوهري وقرأه دروساً ، ومنهـا شرحه صيغة القطب ابن مشيش ممزوجـاً وهو من غرائب الكلام ، ومنها مشارق الأنوار في الصلاة والسلام على النبي المختار . توفي رضي الله عنه سنة سبع ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الله ابو محمد بن محمد بن رجب الحلبي الحنفي الشهير بالفرضي

العالم الحيسوب ، والفاضل الذي هو لكل كمال منسوب ، والعامل الهمام التقي ، والكامل الامام النقي . ولد سنة أربع وأربعين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم وأخذ الفرائض عن صهره الشمس محمد بن حسين الفرضي وأبي اليمن تاج الدين محمد بن طه العقاد ، وقرأ عليه وسمع منه في الحديث والنحو وغيره ، وتفقه على أبي محمد عبد الوهاب العداس وأبي عبد الله محمد بن يوسف الأسبيري المفتي وأبي محمد مصطفى بن أبي بكر الكوراني الحلبي ، وكان أحسن أهل بلدته وأمهرهم علماً في وقته ، وكان في الفرائض متقناً ماهراً حفاظاً . توفي رحمه الله تعالى بحلب ليلة الأحد الثالث والعشرين من رجب الفرد سنة الف ومائتين وخمس[1] .

السيد عبد الله الكيلاني نسباً الشمزيني المكاري النقشبندي الخالدي

الحبر العلامة ، والولي الفهامة ، المرشد الكامل ، والمقصد لكل آمل ، صاحب الأخلاق المصطفوية ، والشمائل المرضية ، الفاضل الذي لا يبارى ، والهمام الذي لا يجارى ، كان من أهل الإقبال ، والتجرد الى ما ينفعه في المآل ، ولما أتى حضرة الأستاذ مولانا خالد الى بغداد دار السلام ، رحل المترجم إليه ، وأخذ الطريقة العلية عليه ، فجاهد في الله حق جهاده ، واجتهد فيما يوصله الى مراده ، حتى فاز بالفتوحات الربانية ، والاسرار القدسية الرحمانية ، وخلفه خلافة مطلقة وأذن له بالإرشاد ، وإفادة العلم للعباد ، ثم رجع إلى وطنه بأمر حضرة مولانا قدس سره وشرع في الارشاد ،

---

(١) لم أجد له ذكراً في تاريخ حلب الشهباء .

وسلك منهج السداد ، وانتفع به الناس في تلك البلاد [١] ، وله من الخوارق والكرامات العظام ، ما شهد له بها الخاص والعام ، ولم يزل مثابراً على دعوة الناس إلى الله ، وارشادهم إلى ما يوصل كلاً منهم إلى مناه ، إلى أن توفي رحمه الله في سنة الف ومائتين وفوق الخمسين تقريبا .

الشيخ عبد الله الارزنجاني المكي الخالدي النقشبندي

الفاضل العالم العامل ، والولي المرشد الكامل صاحب الانفاس القدسية ، والإلهامات الربانية ، مربي السالكين ، ومهذب الواصلين ، المتوجه بكليته إلى مولاه ، والمعتمد عليه لا على سواه ، قد اعرض عن الدنيا وما فيها لعلمه بأنها على شفا جرف هار ، ولم يزل من المستغفرين بالأسحار ، وترك الأوطان مع الجلالة والاحترام ، واختار التذلل في المسجد الحرام . ذكر السيد ابراهيم الحيدري بأن المترجم سلك على يد حضرة مولانا خالد قدس سره ورباه أحسن التربية ولازم خدمته ، ثم خلفه خلافة مطلقة وأذن له بالارشاد . وكان قدس الله سره من أكابر الأولياء والخلفاء ، وله مقام الصحو والبقاء ، سلك على يد كثير من الأعلام ، واشتهر بالولاية بين الأنام ، وكان حضرة مولانا خالد ملتفتاً إليه بالتوجه التام ، وكان كثير المودة له حتى إنه قدس سره في بعض حجاته قال له إني أتيت هذه المرة لأجلك يا عبد الله فانكب على قدميه . توفي سنة الف ومائتين وبعد الأربعين .

---

(١) له ترجمة وجيزة في « الحدائق الوردية ، في حقائق أجلاء النقشبندية » للشيخ عبد المجيد الخاني رحمه الله ، وهي قوله : زهرة علماء المعقول والمنقول ، السيد الشيخ عبد الله القادري نسبا ، الشمزيني وطنا ، الهكاري ، قدم سنة تسع وعشرين إلى بغداد قاصداً حضرة مولانا للسلوك لديه ، فلم يزل في مجاهدة حتى ألقى الفتوح مفاتيحه اليه . (اه ص ٢٥٩) .

الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن الكردي الخالدي النقشبندي

العالم الفاضل النحرير ، والمرشد الكامل الكبير ، مالك أزمة التقرير والتحرير ، جامع المعقول والمنقول ، حاوي الفروع والأصول ، فهو الكامل العابد ، والولي بن الولي الناسك الزاهد ، أخذ الطريقه الخالدية أولاً وسلك فيها ثم سافر الى حج بيت الله الحرام ، وزيارة خير الأنام ، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، وبعد عوده من الحجاز ، خلّفه شمس الحقيقة في الحقيقة لا المجاز ، وعلم الشريعة الواضحة ، وقطب الطريقة الناجحة ، قطب العارفين بالله شيخنا ومولانا خالد قدس الله تعالى سره خلافة مطلقة في الطريقة النقشبندية وأذن له بالارشاد العام ، ونشر العلم بين الأنام ، ولم يزل على وصيته عاملاً بها في ظاهره ونيته ، الى أن توفي سنة الف ومائتين وزيادة على الأربعين رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الله بن محمد الكردي البيتوشي الألاني الخانلي الشافعي

نشأ في بيتوش وقرأ فيها القرآن ، وحصل العلم على اجلاء علماء بلاد بابان ، فممن أخذ عنه الامام ابن الحاج ، وعُني بالأدب فنفق به وراج ، ثم رحل من بلاده الى بغداد ، ثم الى الشام فاستفاد وافاد ، وكان في أول أمره على اقدام الطلب ساعياً ، ولطاعته وعبادته وإقباله على الله مراعيا . وكان كثير المطالعة في كتب الحقائق ، شديد التمسك بأسفار الوعظ والرقائق . ثم آثر الاشتغال بالعلوم الرسمية ، وأكثر من الالتفات الى العلوم الآلية واللغوية ، وله شعر يسحر الألباب برقته ، ويدع الأديب مشتغلاً بحيرته ، جمع إلى الرقة الجزالة ، ونزل من البلاغة منزل البدر من الهالة ، ألف المؤلفات الجمة الفوائد ، وانفرد بأبحاث هي لعمري الفرائد ، توطن في

هجر البحرين ، فدعي في علمائها عين الانسان وانسان العين ، وأهدى الاعيان والملوك كواعب العذارى من بنات الافكار ، فحير في بداعتها مصاقع هاتيك الأقطار ، ونظم أيام محاصرة صادق خان للبصرة تراجم الزواجر نظماً ضاهى به عقود الجمان ، وشرحه شرحاً حل من البيان محل الروح من الانسان (١) ، ولما خرج من الأحسَاءِ فاراً بدينه توطن البصرة ، ولم يزل في رفعة وقدر ، له بين العلماء والأعيان من أرفع الأماكن الصدر ، إلى أن توفي رحمه الله سنة عشرين ومائتين وألف .

الشيخ عبد الله افندي بن عيسى افندي الكردي الشافعي الحيدري

العالم العامل الورع الزاهد العابد المعتزل عن الناس والمقبل على الله . ولد في بغداد ، وطلب العلوم على العلماء الجهابذة الأمجاد ، وجنى ثمر الفوائد ببنان فكر وقاد ، وتعطر به من الفضل الحيدري كل محفل وناد ، وكان في المعقول والمنقول ، آية الفروع والأصول ، ولي تدريس المدرسة العلوية ، أواخر أيام دولة سعيد باشا فقرت به عيون العلماء ذوي المراتب العلية ، توفي بعد الألف والمائتين وثلاث وثلاثين كما ذكر ذلك عثمان افندي سند رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الله الهراتي النقشبندي الخالدي

العالم العامل ، والمرشد الكامل ، صاحب الأنفاس القدسية ، والمعاني

---

(١) ولد المترجم ونشأ في بيتوش (التابعة لمنطقة سردشت ، في الكردستان الإيراني) وهاجر إلى بغداد ومات في الأحساء . له كتب منها « شرح الفاكهي على قطر ابن هشام » و « منظومة كفاية المعاني ـ ط » في النحو ، وثلاثة شروح لها طبع أحدها ، وله نظم حسن (الأعلام للزركلي) .

الأنسية ، والكلمات العالية ، والتحقيقات السامية . قال في المجد التالد : ان المترجم قد لازم حضرة مولانا خالد النقشبندي وخدمه حضراً وسفراً ولم يتخلف عن أمره وأدى حق السلوك والخدمة في مرضاته ، وكان من أخص خدامه ومريديه في حياته وبعد مماته ، وكان قد اختار مقام التجريد ولم يتزوج لأنه كان على قدم الغوث [١] الأعظم حضرة شاه عبد الله الدهلوي قدس سره ، فإنه لم يتزوج إذ كان على قدم رسول سيدنا عيسى عليه السلام في مقام التجرد كما أن حضرة مولانا خالد قدس سره كان على قدم خاتم النبيين وسيد المرسلين ، نبينا وسيدنا حبيب رب العالمين ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، فان كل ولي من الأولياء على قدم نبي من الأنبياء على ما ذكره السادة الصوفية ، أفاض الله علينا وعليهم من بركاته القدسية . ولما سافر حضرة مولانا خالد إلى الهند ومر ببلدة هرات [٢] لقي الشيخ عبد الله الهراتي هناك فقال له إلى أين تذهب فقال مولانا خالد : إلى سلطان الأولياء شاه عبد الله الدهلوي لإصلاح حالي ، فقال الشيخ عبد الله الهراتي : وأنا معك ، فأجابه مولانا خالد بقوله انتظر رجوعي ، فقال الشيخ عبد الله المذكور : أذهب الى العراق وأنتظرك هناك ، فجاء إلى الموصل وقرأ بعض العلوم ، فلما سمع برجوع حضرة الشيخ مولانا خالد أتى إلى السليمانية ولازم خدمته ، وذهب معه إلى بغداد والشام ، وسلك أحسن السلوك وتخلف خلافة مطلقة . وبعد وفاة حضرة مولانا خالد قدس سره بمدة زمان ، توجه حرمه مع ولده الشيخ نجم الدين طاب ثراه إلى بغداد ، وتوجه الشيخ عبد الله معهم بخدمتهم ، ولم يزل مع سلوكه في الطريق على أحسن سلوك ملازماً لخدمة من يلوذ بالأستاذ ، إلى أن توفي سنة ألف ومائتين ونيف وأربعين .

---

(١) إن لفظ (الغوث) في الكتاب والسنة وكلام العرب ، مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به ، ومغيث العباد في الشدائد ، هو الله رب العالمين .

(٢) مدينة في أفغانستان ، سكانها سنيون ، بينهم طائفة من الشيعة ، شهيرة بجامعها الراقي عهده إلى القرن الخامس عشر (م)

السيد عبد الله بن محمد بن عبد الله اسعد

نجيب أبدى المحاسن وأبدع ، ومن سلسال حيـــاض النباهة تضلع ، ولبيب سلك مسالك المعارف ، فملك منها كل تليد وطارف ، بعزم غير ذي كلال ، وجد وجد به مكنون در الأفضال ، تابعاً في ذلك آباءه ، وجاعلاً في الاستفادة آناءه ، وله الذهن الوقاد ، والذكاء الذي أورده على الأدب أحسن إيراد ، فمن نظمه الأنيق المطلع ، وشعره الذي من روض فكره اطلع ، قوله :

يا ساكنين المنحنى من أضلعي ... منوا على قلبي وعظم توجعي
بالله ان جزتم بوادي رامة ... ورأيتم تلك الظبـــاء بلعلع
ونظرتم تلك الأثيلات[1] التي ... بين العقيق[2] وبين ذاك الأجرع
ووجدتم تلك الأحبـة عندها ... ردوا السلام عليهم بتوجع
قولوا لهم عبد الإله معذب ... يبكي الفراق يصب سيل الأدمع

وقوله مادحاً الشيخ عمر بن عبد السلام الداغستاني

أشذى نسيم في سحر ... حاكت روائحه الزهر
من ظبي حسن آنس ... أنست محاســنه تتر
رشأ رقيـق خصره ... ككلامه مهما نثر
ذو رقة من دونهـا ... غنج الحبوش إذا خطر
كم رمت ألثم ثغره ... من فوق أسنان درر
فحمى عقيق شـفاهه ... بسهام أهـداب النظر

---

(١) شجر يكثر قرب المياه في الأراضي الرملية ، أوراقه دقيقة ، وأزهاره عنقودية .

(٢) العقيق : واد قرب المدينة ، أكثر الشعراء من ذكره ، وما انضم اليه في هذه الأبيات هي مواضع في الحجاز يتغنى بها الشعراء ، وعندها يذكر منشدها قول الشاعر :

وما حبّ الديار شغفن قلبي ... ولكن حبّ من سكن الديارا

يا حسنه من أغيـد أسر الأحبـة بالحور
شهدت ملاحتـه له مذ قلت هـذا كالقمر
لكنه مـذ قسته بمحاسن المولى الأبر
أرخى حجاب خفائه وأجاب ما هـذا بشر
لله در كماله وبهائه ذاك الأغر
بهر العقول بسحره وبيانه المنشي سُوَر
ما خلت لباً في الورى تتلى عليه ولا انبهر
فكأنما انشاؤه آي الشفا لمن استغر
واهاً له هـلا رقى مضنى بهـا بين البشر
كم أشتكي لمسامري ذاك السراج المفتخر
رب الفضائل من له في الشعر نظم معتبر
مولى النجـابة والفصا حة والبلاغة ان شعر
دامت لنـا أوقاته في نشأة تجلو الكدر
ما غردت ورق الـيرا ع بمدحـه بين الغرر

المرحوم عبد الله البري بن يحيى بن ابراهيم البري

من أفاضل هذا البيت الكمل ، والمتقدم من جوامع فضلهم في الصف الأول ، حاز بنبله لطائف أجداده ، وفاق على أقرانه وأنداده ، أثره كالبدر مشرق ، وكالقصر مغدق ، ينبي على أنه في حلبة المجد لم يقصر ، وانه في الكمالات متقدم وإن كان ظهوره في العصر المتأخر ، فمن محاسن نظامه ، ومستعذب كلامه ، قوله :

ما عذب قلبي وما أثار به النار إلاك أيامن يفوق ضوء الأقمار
كم أسهد طرفي لذا تزايد وجدي بالسقم فحسبي من المحبة أكدار
يا مالك قلبي ومن تحكم فيه رفقاً بمحب سوى جمالك ما اختار

أواه إلى كم أبيت منك بقلب ... في الناس وحق الهوى تلهب بالنار
لو شمت غرامي لجدت لي بمرامي ... يا برء سقامي ولم تزدني أضرار
من لي بغزال إذا بدا كهلال ... قد صاد فؤادي ولم ينلني أوطار
دع عنك عذابي ولا تمل لبعادي ... يا كل مرادي ويا نزيهة أبصار
ناهيك بأني إذا أطلت صدودي ... سلسلت دموعي على خدودي أنهار
يا بدر فهل كان في لقاك وصول ... بالله فقل لي ولا تدعني محتار

وهذا الوزن من بحر السلسلة ووزنه فعلن فعلن فعلن فاعلن فعو فعلاتن كما ذكره السيد كبريت والسيوطي ورشيد الدين الاسواني في شرح مقامته الحصيبية رحمهم الله تعالى .

المرحوم عبد الله بن عبد الكريم بن محمد الخليني

فرع زكي من طيب مغرس ، وحديقة مجد بالفضل تنفّس ، شبيه أبيه مهابة وجلالة ، وتابع سلفه إصابة وكمالة ، وله ابن سامي الذكر ، مثله في علاء القدر ، فهو درة بين جوهرين ، وقمر حف بفرقدين ، كلل هام مجده بجواهر أدبه ، وأتى من حديقة فكره بنظم لا بأس به ، فمن ذلك قوله :

لقد وافى لزورة قبر طه ... اخو العليا وأهل للصدارة
ونال شفاعة الهادي المرجى ... وكانت عنده أسنى تجارة
هو المولى عزيز الله خان ... ومن اضحى الفخار له شعاره
رئيس ماجد فرد همام ... بليغ في الفصاحة والمهارة
مقام قدومه عام شريف ... غدا تاريخه حسن العبارة
بتاج للهنـــا يزهو ببيت ... وفيه من المسرة والبشارة
ينادينا لسان الحال جهراً ... عزيز الله مقبول الزيارة

السيد عبيد الله كدك المدني

ماجدُ الكمال قرينه ، والوقار خدينه ، صاحب فصاحة ولسن ، ومكانة في الأدب منها تمكن ، ومشاركة في فنون المعارف ، ومطارحة في فنون اللطائف ، فمما صدحت به عنادب قريحته وافهامه ، في غياض طروسه على أملد [١] أقلامه ، قوله من قصيدة مجيباً بها حضرة الأديب السيد عمر بن عبد السلام المدرس ، مكللة بدرر غزلها ونسيبها وهي قوله بقوله :

ولّى زماني وانقضى منعمي ... لم يبق لي ذوقي ولا منعمي
كلا ولا قلبي يعـي ذرة ... حتى ولا سمعي ولم أعلم
من مربع قد زرته إذ عفا ... خِلّي منه ليت لم اقـدم
ان الزمان المعتدي قد رمى ... قلبي بسهم صـائب مسهم
بالعضب بل بالرمح مع خنجر ... أوْمَى اليَّ ليت لم يعزم
لو كان رمحاً لاتقيت التي ... يا هل ترى عن أيها أحتمي
قالوا تصبر وارتجز واحتسي ... صرفا عقارا خلصت عن دم
قد عتقت من كرمة زانهـا ... كأس من البـلور في معصم
تسقي الأخلا من رحيق غدا ... ممزوجهـا مسك رضاب الفم
فصحت واشوقاً لذاك الرضا ... ب المشتهى من لي بذا المبسم
إنّي لَمَنْ قد خـانه دهره ... من للحزين المسهـد المعدم
قالت أنا الخود التي جاد بي ... حبي لا أصغي إلى لُوّمِي
لا أختشي قول العذول الغبي ... كلا ولا أرجـع عن مغرمي
إني إلى مغنـاك مأمورة ... بالسعي كي أحظى فقلت اسلمي
أهلا وسهـلا قد صفا وقتنا ... ياحبذا الحظ السني فاقدمي

---

(١) الأملد : الناعم الليّن من الناس أو الغصون .

ان أقبلت كغصن بان النقـا والنهد باد فوق صدر سمي
أو ادبرت فخصرهـا ناحل من عظـم ردف تحته مرتمي
عيناي من أعينهـا قد رأت سحراً لهاروت غـدا ينتمي
والقوس من حاجبها حاجب عين الرقيب الأعين المقحم
لاعذر لي ان لم ابس فاهـا وان اغض الطرف لم أسلم
كيف وهي بنت لفكر الأديـ ـب اللوذعي البارع الأكرم
مغني اللبيب البارع المقتـدى وابن الهمام الفارس الضيغم
سراجه الوهـاج مستوضحا ايضـاح تلويح لمستفهم

ومنهـا

أهدى إلى ذي ورم عاجز رهين غم في الحشـا مؤلم
سليل نظـم رائق ينتقي در المقال الأعـذب الأفخم
مستمهرا كشف نقاب لها من نظـم در فائق أقوم
يا أيها المفضـال ياذا النهى اني لمـا كلفت لم أقحم
لكنني الفت نظما جـرى من غير ما قصد ولم يسلم
موجود هـذا الخل أبذلته فاقبل وعامل بالرضا واحلم
واسلم ودم في عيش عز علا أعـلى مقام دائم مكرم

وهذه قصيدة السيد عمر بن السيد عبد السلام المدرس

زار عذيب القلب والمبسم عشاقه في الحلك المظـلم
وشرف المجلس من وصـله في غفلة الحـراس واللوّم
ذو طلعة تخجل بدر الدجى قد سلبت عقل الشجي المغرم
كأنه ظبي النقا إذ رنا يسبي بلحظ فاتر أحـوم
يهتز تيها كالقنـا قدّه من طعنة العاشق لم يسـلم
وجنته ورد وقد عمهـا خال الى العنبر قد ينتمي

قد صانها خشية عشاقه بسحر طرف للنهى موهم
وجيده ازرى بجيد الظبي لما بدا في حسنه الاقوم
في صدره رمان نهد حلا غض الجنى مستعذب المطعم
ودونه أسود خال له به عن القطف ولمس حمي
منعطف الأعطاف ذو رقة ذل لها كل فتى ضيغم
فقلت أهلا بابديع الحلا ومرحبا بالزائر المكرم
انعمت بالوصل على عاشق ذي صبوة للعشق مستسلم
يا أبيضا حل سويدا الحشا حبك والله ثوى اعظمي
فهش ضحكا بشفاه حوت راحا حلت طيبة المنسم
فبان من ياقوتها لؤلؤ منتسق في سلكه الانظم
وأنعش الأحباب من ليلة طابت لنا من وصله المنعم
في ساعة أحبب بها ساعة شفت فؤاد المدنف المسقم
فانشرح الخاطر شوقا الى مدح اخي المجد العلي المحكم
غواص بحر الفضل بالفكر من يرفل في برد العلى المعلم
شهم اذا ما ذكرت ذا رفعة تراه أسنى طالب مقدم

منها

يا أيها الماجد يامن له نظم الى الدر غدا منتمي
دونكم نظما غدا فاترا من أحقر عن فضلكم معدم
يرجوكم نظما لكي يغتدي وجه كتابي منه في ميسم
فعاملوه بالرضا انه هدية الادنى الى المقرم (١)
وقابلوه بقبول ولا تلقوه اذ ليس بمستعظم

---

(٢) السيد ، على التشبيه بالفَرْم من الإبل لعظم شأنه وكرمه .

لازلتم في رفعـــة دائما ما أخفت الشمس سنا الأنجم
وما تجلت غـــادة في الحمى بين الصفا والحوض من زمزم

السيد عبيد الله بن صبغة الله بن ابراهيم بن حيدر الحيدري النقشبندي الخالدي مفتي الحنفية العام بمدينة السلام

الحبر العلامة ، والنحرير الفهامة ، جـامع المعقول والمنقول ، محرر الفروع والأصول ، زمخشري زمـانه ، وحريري وقته وأوانه ، الفصيح البليغ الهمام ، والجهبذ اللوذعي الإمام ، الذي هو كأحد فصحاء العرب العرباء ، والأديب الذي فاق المتأخرين والقدمـــاء ، الشاعر المفلق في اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية ، والولي النبوي المرشد الكامل ذو الأخلاق الأحمدية ، العارف بالله ، والمتوجه بكله إلى مولاه ، صاحب الأنفاس القدسية ، واللطائف الأنسية ، فانه منذ نشـأ وميز ، فاق على أقرانه وتميز ، وأقبل على التحصيل والطلب ، وجعله لفوزه عنـــد الله أقوى سبب ، وتمسك بالتقوى والعبادة ، وسرى في مناهج السيادة والسعادة . وفي سنة ست وعشرين ومائتين والف لما عاد حضرة الأستاذ ، والعمدة الملاذ ، مرشد الأمة المحمدية ، للطريقة العلية النقشبندية ، مولانا خـالد إلى الأراضي العراقية ، من الأماكن الهندية ، تشرف المترجم بخدمته ، وانتسب إلى طريقته ، وتحمل مع حضرة الشيخ المشاق ، في الرحلة إلى الآفاق ، ولازم خدمته ، وبذل في مرضـــاته همته ، وقرأ عليه حتى اعترف بالمنن ، وترقى على يديه حتى ترك الأهل والوطن ، وذهب مع حضرة الشيخ الإمام ، إلى السليمانية وإلى دمشق الشام ، وسلك السلوك التام ، وهجر المآكل والملابس والراحة والمنام ، وأمره حضرة الأستاذ بحمل الماء على ظهره وتسبيله في أسواق بغداد وأزقتها وسقي العطـاشى

من حاضر وباد ، فامتثل الأمر العالي ، وفعل ذلك مدة عشرين يوماً على التوالي ، ثم أمره ببيع الماء من دون تسبيل ، ففعل ذلك عشرة أيام من البكرة إلى الأصيل ، مع كونه أجل العلماء ، وأفضل الفضلاء (١) في الأماكن البغدادية ، والنواحي العراقية ، ثم بعد مدة رأى الأستاذ عليه لوائح الاسعاد ، وأمر في باطنه أن يخلفه في مكانه وأن يفوض اليه أمر الارشاد ، وأكثر خلفاء بغداد سلكوا أولا على يديه ورباهم ، ثم خلفهم حضرة الأستاذ وحباهم ، وكان حضرة الشيخ قدس سره يثني على المترجم أحسن الثنا ، ويقول بأنه وصل إلى غاية درجة الفنا ، وانه من جملة أفراد لايوجد لهم نظير ، إلاّ في حلقة شاه نقشبند ذي القدر الكبير ، وناهيك بهذه الشهادة من هذا السيد ذي المكارم ، الذي لاتأخذه في الله لومة لائم ، وله من الخوارق والكرامات أشياء كثيرة ، معروفة في محله شهيرة ، كما ذكر مايدل على ذلك صاحب المجد التالد . ولم يزل المترجم يترقى في درج الكمال ، ويكرع كؤوس الصفا من دنان الجمال ، إلى أن دعاه داعي المنون إلى من أمره بين الكاف والنون ، وذلك في سنة الف ومائتين وزيادة على الأربعين .

---

(١) أليس هذا من العجيب الغريب ؟ أديب كبير ، وشاعر في اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية ، ثم هو من أجل العلماء وأفضل الفضلاء ، يكلّف حمل الماء على ظهره ، وسقي المارّة في مدينة بغداد مدة عشرين يوما ، ثم بيعه عشرة أيام من دون تسبيل ، من البكرة الى الأصيل ، ولمن يترك نشر الدين والعلم والأدب باللغات الثلاث ؟ أللسقائين والحمالين ؟! وهل يمكنهم ذلك ؟؟ اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، وأبعدنا عما يخالف العقل والنقل ، يا عليم يا حكيم .

الشيخ عبيد الله بن عبيد الله بن صبغة الله ابن ابراهيم الحيدري

العالم الذي ترك الدنيا وراءه ، وطوى على محبة الآخرة أحشاءه ، أعمل نفسه في المجاهدة والرياضة ، لكي يروي من ماء الوصول إلى الله رياضه فمنع الطرف الكرى ، وحمد مع القوم السرى ، وتعانى العلوم الرسمية ، ثم أقبل على العلوم الالهية ، قرأ القرآن وهو ابن ثمان أو سبع ، وتعانى تحصيل الفضائل فاجتمعت عنده أي جمع ، وأخذ عن نادرة الزمان ، وشيخ الوقت والأوان ، مولانا الشيخ خـــالد الطريقة النقشبندية ، فنال منها غاية المراد والأمنية ، إلى أن صـار خليفة شيخه في زورائه (١) ، وعين وجوه أتباعه وأوليائه ، يدعو إلى طريقته الخالدية ، واقتفاء آثاره المرضية ، مع تواضع وأدب ، وهمة في الاقبال والطلب ، ولقد مدحـه عثمان افندي سند سنـــة الف ومائتين وثلاث وثلاثين بقصيدة أولهـا وهي طويلة :

أناس دعاهم للمعـــالي عليّهم ... وأخلصهم للعلم موسى وجعفر
إذا افتخروا فالفخر فيهم ومنهم ... وَمَنْ جَدُّهُ المختار لاشك يفخر

توفي رحمه الله تقريباً سنة الف ومائتين ونيف وأربعين .

الشيخ عبد اللطيف بن مصطفى بن حجازي بن محمد بن عمر الحلبي الحنفي

أبو محمد زين الدين الفقيه الصالح الدّين ، مولده سنة احدى وثلاثين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم وتلاه مجودا واشتغل بالأخذ والقراءة

---

(١) مدينة بغداد .

والسماع ، والحضور على الأجلاء ، والسادة الفضلاء ، منهم ابو عبد الفتاح محمد بن الحسين الزمار والبدر حسن بن شعبان السرميني وأبو الثنا محمود بن شعبان البزستاني وأبو محمد عبد الكريم بن احمد الشراباتي وأبو الصفا خليل ابن مصطفى الغنجراني وغيرهم . وارتحل إلى قسطنطينية في أوائل سنة ستين ومائة والف ، وقرأ بها نخبة الفكر في أصول الحديث على المحدث الشهاب أحمد بن علي الغزي الشافعي نزيل القسطنطينية ، وسمع منه الكثير ولازمه وحضر بقراءة الغير صحيح البخاري والبعض من صحيح مسلم في جامع أيا صوفيا الكبير ، وأجاز له بخطه في السنة المذكورة بما تجوز له روايته ؛ وقرأ الفقه وسمع بقسطنطينية على الشهاب أحمد السليماني المصري وأجاز له بخطه في عاشر شعبان سنة احدى وستين ، وسمع الأولية من المذكورين ومن أبي عبد الله محمد بن أحمد الأريحاوي شارح الكنز والشمس محمد بن حسن ابن همات الدمشقي وآخرين . وأخذ عنه خليل افندي المرادي سنة الف ومائتين وخمس وسمع منه حديث الأولية بسماعه من أشياخه وأجازه بالإجازة العامة ، كما رأيت ذلك بخطه . وتوفي المترجم سنة الف ومائتين ونيف (١) .

عبد اللطيف بن عبد السلام بن عبد القادر بن محمد الحلبي الشافعي

الإمام ابو محمد علم الدين المسند المعمر البركة التقي النقي الصالح العمدة الهمام . مولده في حلب في شهر رجب الفرد سنة عشرين ومائة والف ، وسمع الكثير من الفنون والعلوم على الكثير من الأفاضل السادات كمحمد أبي عبد الفتاح الزمار وأبي الفتوح علي بن مصطفى الدباغ والبدر حسن بن شعبان السرميني وأبي عبد الكريم محمد بن عبد الجبار الواعظ وأبي السعادات طه

(١) لم يزد في تاريخ حلب الشهباء عليها الا الوفاة (سنة ١٢١٠ هـ) .

ابن مهنا الجبريني وأبي محمد عبد الكريم بن أحمد الشراباتي وعبد الرحمن البكفالوني وأخويه عبد الوهاب وياسين أولاد مصطفى البكفالوني وأبي المحاسن يوسف بن الحسين الدمشقي المفتي والنقيب في حلب وروى عالياً عن الشمس محمد بن هاشم الدري وأبي داود سليمان بن خالد النحوي وأبي الحياة خضر ابن محمد بن عمر الفرضي وأبي محمد عبد القادر بن عمر الإمام الحلبي وقد أخذ عنه واستجازه خليل افندي المرادي مفتي دمشق الشام حينما كان في حلب سنة الف ومائتين وخمس وتوفي بعدها ولم أقف على تاريخ وفاته[1] رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد اللطيف بن الحاج حسين بن الشيخ عطية بن الشيخ عبد الجواد القاياتي من اولاد الشيخ ياسين القاياتي ينتهي نسبه الى سيدي أبي هريرة الصحابي الجليل رضي الله عنه

المرشد الكامل المشهور ، والفاضل الذي هو بكل فضيلة مذكور ، نسل السادة الأمجاد ، ونخبة القادة الأجواد ، من ارتفع قدره في الأنام وسما ، وطلع بدر علاه في أفق السما ، وتوجهت له في المحبة القلوب ، وتوسلت به ذوو الحوائج لنوال المطلوب ، ودفع الكروب ، فهو العامل الكامل ، والفاضل المعروف بالفضائل .

ولد رضي الله عنه ببلدته المعروفة بالقايات ، فلما صار عمره سبع سنين ، وميز الشمال من اليمين ، أقبل على قراءة القرآن ، إلى أن أتمه بالتجويد والاتقان ، توجه إلى الجامع الأزهر ، والمحل الأنور ، ثم دأب على الطلب ، وتمسك للتقدم بأقوى سبب ، فأخذ العلم عن جملة أجلاء ، وسادة قادة

---

(١) في تاريخ حلب الشهباء انه توفي (سنة ١٢٠٥ هـ) .

علماء ، منهم الإمام ، عمدة الأنام ، العالم التقي ، والعامل النقي ، المرشد إلى الله ، والمعتمد على مولاه ، الشيخ عبد العليم السنهوري نسبة إلى سنهور بلدة بالفيوم ، ومنهم الهمام العلامة ، والإمام الفهامة ، الورع الزاهد ، والناجح العابد ، الشيخ محمد الشنويهي المدفون ببلدة شنويه من أعمال القليوبية وأخذ عن غيرهما من السادة الأعلام والقادة الكرام ، وأجازوه بكل ما تجوز لهم روايته ، وتعزى إليهم درايته ، وكتبوا له خطوطهم ، وقد شهدوا له بالكمال ، وانه من الأفاضل ذوي الرفعة والإجلال . ثم بعد تضلعه من العـــلوم ، وتمكنه من تحقق المنطوق والمفهوم ، رجع إلى بلدته القايات لارشاد أهلها ، وابعادها عن جهلها ، ونصرة الدين ، وارشاد الواردين والقاصدين ، وزجر العصاة والمفسدين ، فبذل جهده في العبادة والتقوى ، وانتهت إليه في تلك الأماكن رئاسة العلم والإرشاد والفتوى ، وسلك أحسن المسالك في الإرشاد ، وعمر أماكن العبادة وشاد ، وأقبل عليه الناس من كل جانب ، وامتثلوا أمره امتثال الفرض والواجب ، ومع كونه مطبوعاً على اللطف والجمال ، كان كل من رآه ينظر إليه بعين الهيبة والإجلال ، وكان شديد الغيرة إذا انتهكت المحارم ، فلا تأخـــذه في الله لومة لائم ، متمسكاً بالتقوى ، والسبب الأقوى ، ثم انه اجتمع بقطب زمانه ، وفرد وقته وأوانه ، الولي الأمي ، والعالم العامل اللدني ، الشريف الصمداني ، واللطيف الرباني ، العارف بالله سيدي ابراهيم الشلتامي العمراني ، فطلب منه الطريق فدله على استاذه عبد العليم فرحل إليه في الحال ، وطلب منه أن يتكرم عليه بطريق السادة ذوي الكمال ، فلقنه الذكر وأمره بالتردد على الأستاذ الشلتامي لتقارب بلديهما فجد واجتهد ، إلى أن حصل له الفتح والمدد ، في مدة يسيرة وبرهة قصيرة ، ثم أذن له بالتلقين ، وارشاد المريدين ، فاشتهرت الطريق به الشهرة التامة ، وحصلت منه الهداية العامة ، وظهرت كراماته ، وبهرت اشاراته ، وكان في الكرم بحراً ، وفي العلم والفضائل حبرا ،

ورعاً زاهداً ، تقياً عابداً ، متخلقاً بالأخلاق الأحمدية ، متحققاً بالحقائق المحمدية ، كثير التواضع والحلم ، غزير العمل والعلم ، حسن الخلق والخلق ، جميل اللطافة والرفق . وقد أفرد مناقبه بالتأليف ، ولده الروحي الجامع بين الشريعة والحقيقة ، والناهج منهج السنة والطريقة ، العالم الإمام ، والجهبذ الهمام ، سيدي الشيخ خليفة السفطي ، أحسن الله قراه ، وجعل الجنة مأواه ومثواه ، ولم يزل يعلو مقامه ، ويسمو احترامه ، إلى أن دعاه داعي المنون ، لمقامه العالي المصون ، وذلك في رابع عشر صفر سنة ثمان وخمسين ومائتين والف ودفن ببلدة القايات وبني له بها مقام كبير ، ومسجد عظيم شهير ، بمنارة عالية ، وعمارة سامية [١] ، والقايات (بقاف بعدها الف ثم ياء بعدها الف فتاء مثناة من فوق) بلدة من بلاد الصعيد تابع القطر المصري .

السلطان الغازي عبد المجيد خان بن السلطان الغازي محمود خان

ولد سنة الف ومائتين وسبع وثلاثين ، وجلس على تخت السلطنة بعد موت والده السلطان محمود تاسع عشر ربيع الأول سنة الف ومائتين وخمس وخمسين ، فجهز الجيوش لقتال عساكر محمد علي باشا واخراجها من الشام ، وأعانه على ذلك دولة انكلترا ، وكانوا عرضوا على السلطان محمود الاعانة فأبى ، فلما توفي وتسلطن ولده السلطان عبد المجيد قَبِل اعانتهم فأعانوه ، وسير جيوشه إلى الشام فهزموا عساكر ابراهيم باشا وأخرجوهم من الأراضي الشامية ، وأرادوا التوجه إلى مصر والاسكندرية لإخراج محمد علي باشا فتوسطت دولة انكلترا بالصلح الى أن اتموه بشرط أن تكون الاسكندرية

---

(١) كيف غفلوا عن الحديث الصحيح : لعن الله زوارات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج .

ومصر وأقطارهما لمحمد علي باشا ولأولاده من بعده ، وضربوا عليه خراجاً معلوماً يدفعه في كل سنة ، ويرجع إلى الدولة الشام والحجاز وتم الأمر على ذلك .

وكانت مدة تملكه الأقطار الشامية قريباً من تسع سنين وفي مدة السلطان المترجم المومى اليه قوي الاتحاد مع دولتي فرانسا وانكلترا ، فحسنوا له احداث القوانين المسماة بالتنظيمات الخيرية ، فصدر منه الفرمان[١] السلطاني بذلك سنة خمس وخمسين ومائتين والف ، وهي سنة جلوسه على تخت السلطنة . وفي سنة تسع وستين ومائتين والف كانت الحروب العظيمة بين السلطان عبد المجيد والروسيا المسماة بحرب القرم[٢] ، وسببها انه وقع اختلاف بين طائفتي الروم واللاتين في القدس من عدة سنين بسبب كنيسة القيامة وبعض الأماكن المقدسة ، فكانت كل طائفة منهما تدعي لنفسها حق الرياسه والتقدم على الأخرى بالاستيلاء على مفاتيحها ، ثم أخذت هذه المسألة تتعاظم بينهما وتمتد يوماً بعد يوم إلى أن آل الأمر إلى النزاع والجدال في سنة ثمان وستين ومائتين والف ، فوقع الباب العالي في ارتباك وحيرة من جهة تسكينها واخماد نارها ، لأن الروسيا كانت تحامي عن حقوق الروم ، وفرانسا تحتشد لطرف اللاتين ، فتداخل سفير انكلترا في صرف هذا المشكل ورسم ترتيباً لائتلاف الملتين المتخالفتين ، فقبلته فرانسا ولم تقبله الروسية ، لأن مقصدها التوحد ، ولم يكن مقتصراً على المحاماة عن حقوق الروم بل كان لها غايات أخرى طالما كانت تجتهد على نوالها

---

(١) المنشور السلطاني .

(٢) القرم [Crimée] شبه جزيرة في روسيا شمالي البحر الأسود ، فيها جرت الحرب بين روسيا وبين تركيا وفرنسا وانكلترا والبيامونته (١٨٥٤-١٨٥٦ م) وهي اليوم من جمهوريات الاتحاد السوفياتي التي زرناها (عام ١٩٥٤ م) .

وتترقب الفرص لاستحصالها ، وهي ابعاد الدولة العثمانية من قارة اوروبا والاستيلاء على أقاليمها وولاياتها ، فانتهز امبراطورها نقولا تلك المنازعة فرصة مناسبة لنوال بغيته وبلوغ أربه ، فبعث سفيراً إلى القسطنطينية لمقابلة السلطان عبد المجيد ، بعد أن كان بعث جيشاً يبلغ مائة وأربع وأربعين الفاً إلى نهر الطونة ليكون مستعداً لوقت اللزوم والحاجة ، فلما وصل السفير المذكور إلى القسطنطينية رفض مواجهة فؤاد باشا وزير الخارجية ، ودخل رأساً على الحضرة الشاهانية ، وعرض عليه مطالب الامبراطور نقولا في المسألة المتعلقة بالأماكن المقدسة ، وان جميع الروم الذين هم من تبعة الدولة العلية تكون تحت حمايته من الآن وصاعدا ، وان بطرك الروم القسطنطيني وباقي أساقفة الطائفة يكون انتخابهم وتغيرهم منوطاً به ، وان الشكاوى والدعاوى التي تصدر عليهم من جهة تصرفاتهم تعرض عليه لينظر فيها ، فاستعظم السلطان هذه المطالب ورفضها لأنها مخلة بناموس السلطنة ، ومغايرة للأصول وقوانين الدول ، فانثنى السفير راجعاً من حيث أتى ، وأعلم الامبراطور نقولا بواقعة الحال ، فاستشاط غضباً وأصدر أمراً إلى العساكر التي أرسلها إلى أطراف الطونة أن تعبر النهر وتستولي على تلك الأطراف ، فاجتازت النهر وشنت الغارات على إمارات الأفلاق والبغدان ، واستولت عليها ، ولما تحقق الباب العالي قدوم ذلك الجيش إلى أطراف بلاده علم ان مقاصد الروسيه في تطلبها لم تكن إلا وسيلة لاشهار الحرب ، فجهز جيشاً وأرسله إلى تلك الحدود تحت قيادة عمر باشا المجري لردع الروسيين ، ولما تأكدت الدول الارباوية بغية الروسية ومقاصدها بادرت انكلترا وبروسيا والنيمسا إلى عقد جمعية للنظر باجراء الوفاق بين الدولتين ، وأرسلت كل دولة منهما معتمداً من طرفها إلى مدينة آثينا حيث وافاهم سفير من طرف الروسية وآخر من طرف الدولة العلية ، وعقدوا هناك مجلساً في سنة الف ومائتين وسبعين لم يأت بالمرغوب ،

فلما لم يكن سبيل للصلح أشهر الباب العالي الحرب ، وصدم سليم باشا العساكر الروسية في الأناطول ، وانتصر عليهم في عدة مواقع ، وهاجمهم عمر باشا في الروم ايلي وانتصر عليهم أيضاً ، وأما العمارة التي للروسية في البحر الأسود فصدمت العمارة العثمانية واستظهرت عليها بعد حرب شديد فأتلفتها ، وكانت مؤلفة من سبعة فركاتات وباخرتين وثلاث مراكب حربية ، ثم ان انكلترا وفرانسا لما تيقنتا سوء نتائج هذه الحرب احتشدتا لمعونة السلطان وأعلنتا الحرب على الروسية ، وفي سنة احدى وسبعين ابتدأتا في نقل رجالها ومهماتها إلى ساحة الحرب ، واشتبكتا في القتال ، وأما باقي دول اوروبا فكانت محافظة على الحيادة ، وكانت دولة انكلترا قد أرسلت عمارة بحرية إلى بحر بلتيك [1] فاستولت على قلعة بومارستود ثم على جزيرة ألاند ولكنها لم تقدر على استخلاص القلعة نظراً لحصانتها . وإذ كانت سيواسطبول أعظم قوات الروسية التي يعول عليها في البحر الأسود ، ووجهت انكلترا وفرانسا قواهما لافتتاحها والاستيلاء عليها فأرسلتا فرقاً من عساكرهما يبلغ عددها ستين الفاً وكان أكثرها فرنساويين ، فنزلوا في بوباسرايا ، وبينما كانوا يتقدمون إلى سيواسطبول صادفهم العساكر الروسية فاقتتل الفريقان قتالاً شديداً إلى أن دارت الدائرة على الروسيين ، فانهزموا عند نهر الماء ، وكان جيش عساكر الروسية يحاصر مدينة سليسترة ، ولم تقدر على أخذها ، فخرجت عليهم العساكر العثمانية من المدينة واقتحمتهم فانتصرت عليهم وفرقتهم ، فذهبوا عن المدينة خائبين وانضموا إلى آخرين ، وقصدوا القرم لنجدة حصار قلعة سيواسطبول التي إليها وجهت الروسية كل قوتها من المهمات والعساكر والذخائر ، وصادم جيش من الانكليز جيشاً للروسيين عند بالاكلا فانتصروا عليهم بعد مـا فقد منهم خلق كثير ، فكان جيش للروسية محاصراً في الكرمات وعددهم ستون ألفـاً ، فخرجوا من

(١) بلطيك (Baltique) بحر في اوروبا يصله بالأطلسي بحر الشمال .

مكان حصارهم واقتحموا العساكر العثمانية والانكليزية والفرنساوية ، ودارت بينهم معركة شديدة الخسران على الفريقين ، وانجلت بانهزام الروسية وألزموهم حصن المدينة ، ولم يكن حينئذ في قوة الدول المتحدة الاستيلاء على سيواسطبول مع أنهم كانوا يزيدون في قوتهم الحربية ويكثرون هجماتهم وقنابرهم ، ولم يقدروا على استخلاص تلك القلعة أو أن يمنعوا المساعدات التي كانت تأتيها من داخل البلاد ، ولقد قاست العساكر المتحدة لا سيما الانكليز في شتاء سنة إحدى وسبعين وشتاء اثنتين وسبعين أهوالاً وشدائد يكل اللسان عن وصفها وتعدادها ، فإن الأمراض والأوجاع قد أخذت في العساكر كل مأخذ ، وأهلكت كثيراً منهم فضلاً عن الجوع والتعرض لبرد تلك البلاد ، والابخرة المنتنة التي كانت تتصاعد من جثث القتلى والحيوانات . أما إيطاليا فقد هيأت جنودها للحرب وانضمت إلى الدول المتحدة ، فأرسلت خمسة عشر ألف مقاتل بعد ما تعهدت لها إنكلترا بدفع مبلغ مليون ليرة على سبيل الإعانة واشتهرت رجالها في تلك المجامع بالشجاعة والثبات ، وفي خلال ذلك هلك الامبراطور نقولا سنه اثنتين وسبعين ومائتين وألف ، وجلس ولده اسكندر الثاني مكانه ، وفي خلال ذلك وقعت وقعة هائلة بين الروسية والعساكر المتحدة ، كانت الدائرة فيها على الروسية ، واستولت جيوش فرانسا على قلعة ملاكوف ، وإذ لم يبق للروسية استطاعة على حفظ مراكزهم تركوا سيواسطبول في مساء ذلك النهار ، وعولوا على الهزيمة والفرار ، ودخلت العساكر المتحدة إلى القلعة وامتلكتها ، فانفتحت حينئذ مخابرات الصلح ، وعقدت جمعية في باريز سنة ثلاث وسبعين ومائتين والف حضرها اثنان من طرف كل دولة من الدول الست المتحاربة ، وهي إنكلترا وفرانسا والعثمانية والنيمساوية وروسيا وسردانيا ، وامضت شروط الصلح متضمنة أربعة وثلاثين بندا أخصها أن الدولة العلية يكون لها الامتيازات التي لباقي دول اوروبا من جهة القوانين والتنظيمات السياسية ، وانها تكون

مستقلة في ممالكها كغيرها من الدول ، وأن البحر الأسود يكون بمعزل عن جولان مراكب حربية فيه من أي جنس كان ، ما عدا الدولة العثمانية والروسية فإن لهما حقاً في إدخال عدد قليل من المراكب الصغيرة الحربية لأجل محافظة أساكلها ، وأن لا يكون للدولة العثمانية ولا للروسية ترسانات [١] بحرية حربية على شواطىء البحر الأسود الى مواطنها ، وانتهت الحرب التي لم يكن لها داع سوى المطامع .

وفي سنة اثنتين وسبعين كانت فتنة عظيمة بمكة المشرفة بين أهالي مكة وعساكر الدولة بسبب ورود أمر يمنع بيع الرقيق ، وانتهت في رمضان بالقبض على الشريف عبد المطلب بن غالب أمير مكة ، وتولية الشريف محمد بن عون ، والكلام عليها طويل .

وفي سنة أربع وسبعين وقعت فتنة في جدة بين أهالي جدة والنصارى الذين بها ، بسبب اختلاف بعض أهل المراكب في وضع بندیرة [٢] الاسلام والانكليز على بعض المراكب والكلام عليها أيضاً طويل .

وفي سنة سبع وسبعين كانت فتنة بالشام بين النصارى وأهل الشام الكلام عليها أيضاً طويل ، قد ذكرت بعضه في ترجمة أحمد باشا الشهيد ، وكان ابتداء الفتنة في هذه السنة بين النصارى والدروز في جبل لبنان فآل الأمر إلى وقوع حرب بين الفريقين ، وكانت النتيجة ردية على النصارى بسبب اختلافهم وعدم انضمام بعضهم لبعض ، وعدم انقيادهم لبعضهم ، ففتكت بهم الدروز ، ثم ما زال الأمر يتفاقم إلى أن وقع الأمر في الشام ، وكانت فتنة كبرى ، وداهية عظمى ، فأرسل الباب العالي فؤاد باشا ليمهد الأمور وينتقم من المذنبين ، وأرسلت فرانسا عشرة آلاف جندي

---

(١) الترسانة والترسخانة : مستودع الذخائر وأدوات الحرب ، معمل المراكب (تركية) .
(٢) الراية (ايطالية) .

للمحافظة ومنع التعدي ، وكذلك باقي الدول الافرنجية ، منها من أرسل مراكب حربية ، ومنها من أرسل نواباً لإصلاح الحال وتمهيد الأمور ، وغب اجراء ما لزم اجراؤه استحسنت الدولة العلية باتفاق الدول وضع نظامات جديدة لأهل هذا الجبل ، وأن تتحول أحكامه لمشير من الطائفة النصرانية من غير أهالي الجبل ، ليكون متصرفاً بها ويخابر رأساً الباب العالي ، فتوجهت المتصرفية لداود باشا الأرمني .

ومن خيرات السلطان عبد المجيد وفتوحاته المعنوية تجديد مسجد النبي ﷺ بالمدينة المنورة فانه كان على بناء السلطان قايت باي ، وكان مسقفاً بالخشب ، فطالت مدته وحصل فيه خراب ، فصدرت إرادة مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد المجيد خان بهدمه وتجديده سنة الف ومائتين وسبعين ، فهدم وجدد وجعل سقفه قبباً وطواجن كالمسجد الحرام ، وتمت عمارته بعد مضي أربع سنين ، فجاء على صفة لم ير الراؤون أحسن منها ، وله عمارات كثيرة في الأماكن المأثورة بالحرمين الشريفين ، وله تجديد ميزاب للكعبة المشرفة سنة خمس وسبعين ومائتين والف . وتوفي السلطان عبد المجيد في سابع عشر ذي القعدة سنة الف ومائتين وسبع وسبعين وعمره أربعون سنة ومدة سلطنته ثنتان وعشرون سنة وستة أشهر .

الشيخ عبد المجيد بن الشيخ محمد صلاح الدين بن الشيخ عبد الله الحنبلي الشهير بأبي شعر الدمشقي

شهم سما في سماء المكارم ، وطلعت شمس فضائله في أفلاك الأكارم ، فكان فرد ذوي الذكر والتقوى ، والعبادة في السر والنجوى ، والطاعة في كل أحيانه ، والاقبال على الله في سره وإعلانه ، كثير الطواف والسعي ببيت الحمد والشكر ، دائم التوجه إلى مولاه كأن كل لياليه ليلة القدر ،

مع عشق بالله وهيام ، وولوع ومحبة وغرام ، قد شرب من صافي الشراب ، فسكر وعن الأغيار غاب . مات رحمه الله سنة ثمان وستين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير وقبره ظاهر .

الشيخ عبد المجيد بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد الخاني النقشبندي

همام حظه من الأدب وافر ، وإمام وجه أمانيه طلق سافر ، ما زال من الرفعة في أعذبها شرعة ، ومن الحظوة في اسوغها جرعة ، له في اللطائف والطرائف من الرضوان روضان ، ومن بداعة النظم والنثر من المرجان مرجان .

ولد في حدود الستين والمائتين والالف . وبعد أن أتم القرآن وجوده قرأ النحو والصرف ، وحضر جملة من العلوم على سادة لهم اليد الطولى في المنطوق والمفهوم ، منهم الأمير الكبير ، والفاضل الشهير السيد عبد القادر الجزائري ، ومنهم علامة الشام الشيخ محمد الطنطاوي ، ومنهم والده [1] ، واشتغل في علم الأدب إلى أن حاز على الأرب . وفي

(١) في أول « الحدائق الوردية » المطبوع ، ترجمة المؤلف بقلم الشيخ محي الدين الخاني ، جاء فيها ما ملخصه : ولد عام (١٢٦٣ هـ) . ونشأ في مهد جده ، وأتم قراءة الكتاب المجيد مع التجويد على الشيخ علي الحذوري الحمصي ، وأخذ عن جده طرفاً من النحو والفقه والتفسير ومصطلح الحديث والفتوحات والجامع الصغير ، ولقنه الذكر قبل بلوغه السن بسنين ، ولازم في المعقول والمنقول العلامة الطنطاوي ، كما سمع من العارف بالله تعالى الأمير عبد القادر الجزائري اكثر صحيح البخاري في دار حديث دمشق الشام ، وحضر عند والده اكبر الدروس لا سيما اكثر كتب الحديث الستة بسنده الهندي الخالدي ، والدمشقي الكزبري ، وأم كتب حقائق الصوفية كاصطلاحات العارف القاشاني ، ومواقف الأمير ، وشرح فصوص الحكم ، حتى تضلع من التصوف الأكبري . ومما أنشأه : سبع مقامات قد أسند روايتها إلى سعد بن بشير مع أبي حفص المصري . ثم أورد له نماذج من قصائده وأبياته ، ونشر له هذه الترجمة في حياته ، رحمها الله تعالى .

عام ألف وثلاثمائة وأربعة عشر سافر إلى الآستانة وكان لجده معاش مقداره ألف وخمسمائة قرش في كل شهر ، وبعد موت جده انتقلت لأبيه وما زالت تتناقص إلى أن صارت تسعمائة وخمسين قرشاً ، فأراد المترجم إرجاعها الى اصلها فلم يمكن ، غير أنهم وجهوا على والده ثلاثمائة قرش قيد حياة ، فجاء المترجم إلى الشام بعد ما مكث في الآستانة نحواً من سنتين ، ولم يمض مدة بعد حضوره إلا وقد توفي والده ، فانقطعت الثلاثمائة ، وأما المعاش الأول فإنه تخاصم مع عمه الشيخ احمد عليه ، وكل منهما يدعيه لنفسه وأنه أحق به ، وطال الخصوم الى أن أصلح بينهما مفتي الشام صالح افندي قطنا مناصفة ، فيه وفي مشيخة التكة النقشية .

وللمترجم نظم ونثر كثير ، ومن ذلك قصيدته الرائية المؤرخة في كل شطر ، التي بارك بها لسمو خديوي مصر ، بمسند الخديوية . ومطلعها :

اللطف في أرجاء مصر يشير ... اني بتوفيق العزيز بشير
سنة ١٢٩٦ ... سنة ١٢٩٦

وما أرشق ما قال منها :

دانت اليه الآصفية منصباً ... ودنا سروراً منبر وسرور
سنة ١٢٩٦ ... سنة ١٢٩٦

ومن القصائد الحماسية ، قصيدته البهية البائية ، ومطلعها :

تجلى من العلم الإلهي كواكبه ... لنا وبنا سارت الينا مواكبه
ونحن وإن جر الخمول ذيوله ... علينا فإنا للوجود مناقبه
وما الكون إلا شاعر وصفاتنا ... مشارقه تشدو بها ومغاربه

وما أعلى ما قال منها :

توهم أهل الجهل إدراك شأونا ... ومن نال هذا الفضل تسمو مراتبه
وهب أنهم قد أمطروا منه قطرة ... فمن بعد ما انهلت علينا سحائبه

ومن ذلك قصيدته الغراء الرائية ومطلعها :

نحن الملوك على الأسره ... في دولة الفقر المسرة
من ساح في ساحاتنا ... نحمي من الأغيار سره
أو غاب عن غاباتنا ... حرم الحماة من المعرة

ومن غزلياته وحسن اقتباساته :

أما وليال من ذوائبها عشر ... ومانسخت بالفرق من صورة الفجر
وما كتبت بالمسك في وجناتها ... فخالاتها تختال بالشفع والوتر
وسين جبين فوق نون حواجب ... على قمر والليل فيه إذا يسري
وما نقشت بالسحر من لحظاتها ... وذا قسم لا ريب فيه لذي حجر
إذا كان من أهواه عني راضياً ... فلا رضيت عني الأنام إلى الحشر

ومن موشحاته وطيب رشحاته :

سلم الله غزالاً سلما ... بعيون كحلت بالنعس
وفم أتقنه الله فما ... فيه عيب غير طيب اللعس

دور

ربرب[1] ربي في وادي زرود ... ما لوى الجيد إلى ماء اللوا
لو رآه البدر يهوى للسجود ... وهو لا يعلم ما معنى الهوى
ذو محيا خاله فوق الخدود ... ملك الزنج على العرش استوى
كل من علمه منع اللما ... جاهل قدر حياة الأنفس
ماله من مشبه نفسي وما ... لي فدا ذاك الرضاب الأنفس

ومن مقطفاته ما كتب به إلى أحد الفضلاء الكرام ، وقد ذهب إلى بيت المقدس ووعده بالعود إلى دمشق الشام :

---

(١) أصل الرّبرب : القطيع من بقر الوحش ، وربرب : من مشاهير المغنين في العهد العباسي ، كان أحذق الناس بالضرب على آلات الطرب .

أسرت بآية الإسراء عبداً تلهى بالعهود إذا تلاهـا
وما قالوا له إيه إذا مـا تحدث عنك إلا قال آهـا

ومن ذلك وقد عارض صاحب العقد الفريد في قوله :

ان يوم الفراق أفظع يوم ليتني مت قبل يوم الفراق

فقال :

من تمنى الممات قبل الفراق ما له في شرع الهوى من خلاق
كيفما كان قد تصبر حتى ذاق يوم الفراق بين الرفاق
لو يكن صادق المحبة مثلي مات خوفاً من ذكر يوم الفراق

ومن تطريزه في كل كلمة ما كتبه إلى رئيس كتاب ولاية سورية الجليلة :

سلام على أقمار دهر ترى لهم وضاءة حسن ساطع يوم تلمح
حرقت لهم مستعطفاً يوم أقبلوا فؤادي نـدّا دائمـاً يتفوّح

ومن ذلك ما أنشده عند دخوله إلى بيروت مقرظاً جرائدها السبع عام ثلاثمائة والف فقال :

ثمرات مقتطف الجنان بشيرها بلسان مصباح التقدم قائل
ظل المعارف وارف في روض بيـــــروت وحزب الفضل فيه قائل

وكان والده رحمه الله يقرأ في كل يوم ثلاثا وجمعة صحيح البخاري صباحاً في حجرته في جامع السويقة وبعد موته جلس المترجم في مكانه . ثم بعد موت عمه الشيخ أحمد سافر المترجم إلى الدار العلية لتكون المشيخة والمعاش له بمفرده فلم ينجح ووجهت المشيخة على الجامع والمعاش على عمه الشيخ عبد الله ، وتوفي المترجم في الآستـانة وذلك سنة الف وثلاثمائة وخمس عشرة .

الشيخ عبد العزيز بن أحمد ولي الله الدهلوي (١) رحمه الله تعالى

سلطان إقليم المعاني ، ومالك أزمة البيان وبديـــع الزمان الثاني ، ومؤيد مذهب النعمان ، ومسدد أقوال ذوي المعرفة والشان ، مصنفاته لا تحصى ، ومؤلفاته تجل عن أن تستقصى ، فمن نظمه ما كتبه إلى السيد العلامة حسين اللندني الهندي وهو هذا :

هنيئاً قد أقرّ الله عيـــني بأخبـــارٍ أتتني من حسين
فنّ ان عدت الأعيان قالت له الأعيان إنك أنت عيني
فدام بقاؤه مـــا لاح برق واطرب صوت قمري وعين

ثم أتبعه بهذا النثر

روض ممطور ، ودر منظوم في رق منشور ، وقراضات ذهب ساقطها اليراع من الأحرف النورانية فهي نور على نور ، وشمس من الكلام ، أطلعها أفقها في بروج من القراطيس ، وكواكب من حسن الانتظام تبلجت في سماء البلاغة وتديجت فمـــا هي إلا أجنحة الطواويس . وردَتْ من تلقاء قطب فلك الكرم ، ينبوع مكارم الأخلاق والشيم ، ربيع الوفاد ، وثمال المرتاد ، ومقصد الحاضر والباد ، ربوة الفخر العليا وبهجة الحيـاة الدنيا ، دوحة المجد التي سقاها ماء النبوة رّيا ، من كرُمَ جدّه وسما في سماء المعالي جدّه ، وتغلغل في الشرف صيته وشرف مجده ، لا زال للصريخ نصرة ، وللعصر البهيم غرة ، ما جن غاسق وجن عاشق وطلـــع نجم

---

(١) ابن عبد الرحيم العمري الفاروقي الملقب : سراج الهند ، مفسّر ، عالم بالحديث ، أرخ مولده بقوله : « غلام حليم » من تصانيفه « فتح العزيز » في التفسير لم يتمه ، و « بستان المحدثين » و « التحفة الاثنـــا عشرية » ورسائل في موضوعات مختلفة . (من أعلام الزركلي) وكان من الأجدر أن يوضع بعد ترجمة السلطان عبد العزيز كما أشار إلى ذلك الجدّ المؤلف .

ولاح في برجه ، ونجم طلع وفاح في مرجه ، على محب حل حبه منه محلّ الروح وملك ما يغدو منه وما يروح ، بل حب مازج القلب فما تشابها ولا تشاكل الأمر ، بل اتحدا فلم يقل : « رق الزجاج ورقت الخمر » إلى غير ذلك ، والسلام .

ألا وإن هذا الهمام له من النظم أعلاه ، ومن النثر أجمله وأجله وأحلاه ، لقد سرى فى الناس حسن معناه ، وسلم له الكل بأنه نال من الكمال مناه ، فظهر ظهور القمر ، ومهر في المعارف حتى بهر . توفي رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين ونيف .

السيد عبد المحسن بن حمزه بن السيد علي الدمشقي الحنفي الشهير بابن عجلان الشريف الحسني

نقيب الأشراف بدمشق الشام . ونخبة أعيانها وأشرافها الكرام ، المتحلي بحلى الأدب والكمال ، والمستوي على عرش اللطافة والجمال ، أحد فضلاء الأفاضل المعروفين ، وأوحد السادات الأوائل المشهورين ، المشار اليهم بعلو الذكر ، وسمو القدر ، فلا ريب أنه ممن علا قدره وفاق ، وعم ذكره النواحي والآفاق .

ولما توفي والده السيد حمزة ولي نقابة الأشراف مكانه [1] ومشى على نسق والده من التقوى والديانة والصيانة .

فائدة

النقابة معناها الرئاسة قال في القاموس : النقيب ضمين القوم وعريفهم وقال في مادة عرف : والعريف كأمير من يُعَرِّفُ أصحابه ، والعريف

---

(١) علّق في (روض البشر) على هذه الترجمة بما نصه : قلت المحفوظ أن والد المترجم تولى فتوى دمشق لا نقابتها كما يعلم من ترجمته ، وكما أفاده السادة بنو عجلان ، والله أعلم .

رئيس القوم . وقيل ان النقيب دون الرئيس ، وعلى كل حال فنقيب الأشراف رئيسهم . نقل صاحب الشرف المؤبّد أن هذه النقابة على الأشراف وضعت في الأصل لصيانتهم عن أن يتولى عليهم من لا يكافئهم في النسب ولا يساويهم في الشرف ، ويختار لها أجلهم بيتاً وأكثرهم فضلاً وأجزلهم رأيا ، لتجتمع فيه شروط الرياسة والسياسة ، فيسرعوا إلى طاعته برياسته ، وتستقيم أمورهم بسياسته ، ويلزمه لهم بتقلدها اثنا عشر حقاً (أحدها) حفظ أنسابهم من داخل فيها وليس منها أو خارج عنها وهو منها . (والثاني) معرفة أنسابهم وتمييز بطونهم ويثبتهم في ديوانه على التمييز . (والثالث) معرفة من ولد منهم من ذكر أو انثى فيثبته ومعرفة من مات فيذكره . (والرابع) أن يحملهم على الآداب التي تضاهي شرف أنسابهم وكرم محتدهم لتكون حشمتهم في النفوس موفورة ، وحرمة رسول الله ﷺ فيهم محفوظة . (والخامس) أن ينزههم عن المكاسب الدنيئة ويمنعهم عن المطالب الخبيثة حتى لا يستقل ولا يستضام منهم أحد . (والسادس) أن يكفهم عن ارتكاب المآثم ويمنعهم من انتهاك المحارم ليكونوا على الدين الذي نصروه أغير ، والمنكر الذي أزالوه أنكر ، فلا ينطلق بذمهم لسان ولا يشنؤهم إنسان . (والسابع) أن يمنعهم من التسلط على العامة لشرفهم والتشطط عليهم لنسبهم فيدعوهم ذلك إلى المقت والبغض ويبعثهم على المناكرة والبعد وأن يندبهم إلى استعطاف القلوب وتألف النفوس ليكون الميل اليهم أوفى والقلوب لهم أصفى . (والثامن) أن يكون عونا لهم في استيفاء حقوقهم حتى لا يضعفوا عنها وعونا عليهم في أخذ الحقوق منهم حتى لا يمنعوا أهلها منها ، ليصيروا بالمعونة لهم منتصفين وبالمعونة عليهم منصفين ، فإن من عدل السيرة فيهم إنصافهم وانتصافهم . (والتاسع) أن ينوب عنهم في حقوقهم في بيت مال المسلمين . (والعاشر)أن يمنع نساءهم أن يتزوجن إلا من الاكفاء لشرفهن على سائر النساء صيانة لأنسابهن وتعظيما لحرمتهن . (والحادي عشر)

أن يقوّم ذوي الهفوات منهم ويقيل ذا الهيئة منهم عثرته ويغفر بعد الوعظ زلته . (والثاني عشر) أن يراعي وقوفهم بحفظ أصولها وتنمية فروعها ويراعي قسمتها عليهم بحسب الشروط والأوصاف ويزداد على ذلك في النقابة العامة خمسة أشياء أخرى : (أحدها) الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه . (والثاني) الولاية على أيتامهم فيما ملكوه . (والثالث) إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه . (والرابع) تزويج الأيامى اللاتي لا يتعين أولياؤهن أو قد تعينوا فعضلوهن . (والخامس)إيقاع الحجر على من عته منهم أو سفه وفكّه إذا أفاق ورشد انتهى ملخصاً من الأحكام السلطانية للإمام الماوردي .

ثم ان المترجم كان مستقيما ، وكان لأهل النسب والشرف قدر عظيم في أيامه للاحظته لهم بعين الاجلال والتعظيم . مات عقيما في شعبان سنة ثلاث وستين ومائتين والف ودفن في مدفنهم المعروف بمدفن بني عجلان .

الشيخ عبد الملك القاضي الحنفي مفتي السادة الحنفية بمكة المشرفة

وهو الشيخ عبد الملك بن القاضي عبد المنعم بن القاضي تاج الدين محمد القلعي ، فارس ميدان الأفاضل ، وعنوان شرف الفضائل ، عمدة الأعيان ، ونخبة ذوي القدر والشان ، فقيه السادة الحنفية ، ومحدث الديار الحجازية ، ومدار كرة المعقول والمنقول ، ومنار فلك القادة الفحول . ولد في مكة سنة الف ومائة ونحو الخمسين وأخذ عن والده وعن العلامة السيد سعيد سنبل . وعن الفهامة الشيخ عبد الله الشبراوي الأزهري وغيرهم ، وولي الافتاء بمكة المكرمة وكانت له الصدارة في العلوم ، من منطوق ومفهوم ، وكانت وفاته سنة تسع وعشرين ومائتين والف ودفن في مقبرة المعلى .

الشيخ عبد المنعم بن شيخ الإسلام الشيخ أحمد العماوي المالكي الأزهري المصري

شيخ الإسلام والمسلمين ، وعمـــدة الأعلام المتقدمين ، ينبوع العلم والعرفان ؛ المطبوع على الفضائل والاحسان ، من افتخرت به الأفاضل وهرعت اليه الأكابر والأماثل ، آخر طبقة الأشياخ من أهل القرن الثاني عشر ، تفقه على الشيـــخ الزهار وغيره من أهل مذهبه المعتبر ، وحضر الأشياخ المتقدمين كالدفري والحفني والصعيدي والشيخ سالم النفراوي والشيخ الصباغ الاسكندري والشيخ فارس وأمثالهم من الموجودين، وانتفع الناس بعلمه الأنور ، ولم يزل ملازماً لإقراء الدروس في الأزهر ، مـع العفة والديانة ، والمروءة والصيانة ، والانزواء عن الناس والرضى بحالته ، والقناعة بما لم يشغله عن ديانته ، ليس بيده من التعلقات الدنيوية سوى النظر على ضريح سيدي صفوة الأكابر ، أبي السعود المعروف بأبي العشائر ، ولم يتجرأ على الفتيا مع أهليته لذلك ، وسلوكه في أحسن المسالك ، ولم تمل نفسه لزخارف الدنيا وسفاسف الأمور ، مع التجمل في الملبوس والمركوب وإظهار الغنى والحبور ، وكان يصدع بالحق ولا يلتفت الى مكابره ولا يتردد إلى بيوت الحكام والأكابر ، إلا لضرورة داعية ، فيدخل مع مروءة وهمة عالية ، ولم يزل كذلك حتى دعاه الحمام ، الى دار السلام ، وذلك ليلة الخميس حادي عشر ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف وعاش أربعاً وثمانين سنة ، وصلي عليه في الأزهر ودفن في تربة المجاورين .

عبد الهادي بن السيد سليم الدمشقي الفاروقي
الشهير بالعمري الحنفي

كان من مشاهير صدور الشام ، وأعيانها العظماء الفخام ، له صولة عظيمة ، وهيبة جسيمة ، وجـــلالة في قلوب الناس سامية ، وشهرة في الأماكن جميلة وافية .

ولد بدمشق الشام ، ونشأ على أتم مرام ، حتى ساد وبرع ، وسما على كاهل الكمال وارتفع ، وصار عضواً في المجلس الكبير ، وكان عليه تولية وقف سيدي علي بن عليل الفاروقي العمري ذي المقام الشهير ، ثم بعد ذلك ترك الاختلاط بالأكابر وذوي السياسة والأعيان ، وانزوى في بيته للصلاة والعبادة وتلاوة القرآن ، إلى أن توفي في شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وثمانين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح [١] .

الشيخ عبد الوهاب بن الحسن البوسنوي
السراي المعروف ببشناق

ترجمه الجبرتي بقوله : العمدة الفاضل الواعظ ، قدم مصر سنة تسع وستين ومائة والف ووعظ بمساجدها وأكرمه العلماء الجنسية ، ثم توجه إلى الحرمين وقطن بمكة ورتب له شيء معلوم على الوعظ والتدريس ، ومكث مدة ، ثم حصلت فتنة بين الأشراف والأتراك فنهب بيته وخرج هارباً إلى مصر ، فالتجأ إلى علمائها فكتبوا له عرضاً الى الدولة ، بمعرفة ما جرى عليه ، فعين له شيء في نظير ما ذهب من متاعه ، وتوجه الى الحرمين فلم يقر له

---

(١) في روض البشر للشطي : قلت وخلف ولده المولى الجليل سليم افندي العمري ، أحد أعيان دمشق ، الذي صار كوالده عضواً في مجلس الإدارة الكبير (وتوفي ٣ شوال سنة ١٣٢٣) .

بمكة قرار ، ولم يمكنه الامتزاج مع رئيس مكة لسلاقة لسانه واستطالته في كل ما دب ودرج ، فتوجه إلى الروم ومكث بها أياماً حتى حصل لنفسه شيئاً من معلوم آخر ، فأتى إلى مكة ، وصار يطلع على الكرسي ويتكلم على عادته في الحط على اشراف مكة وذمهم والتشنيع عليهم وعلى أتباعهم ، وذكر مساويهم وظلمهم ، فأمره شريف مكة بالخروج منها الى المدينة فخرج اليها ، وقد حنق غيظاً على الشريف ، فلما استقر بالمدينة ضم اليه بعض الاوباش ومن ليس له ميل الى الشريف ، فصار يطلع على الكرسي ويستطيل بلسانه عليه ويسبه جهراً ، وغره مرافقة اولئك معه وأن الشريف لا يقدر ان يأتي لهم بحركة ، فتعصبوا وزادوا نفوراً ، وأخرجوا الوزير الذي هو من طرف الشريف ، وكاتبوا الى الدولة برفع يد الشريف عن المدينة مطلقاً ، وانه لا يحكم فيهم أبداً ، وانما يكون الحاكم شيخ الحرم فقط ، وارسلوا بالمعروض مفتي المدينة الى الدولة العلية ، فكتب لهم على مقتضى طلبهم خطاباً الى أمير الحاج الشامي والى الشريف ، ولما احس الشريف بذلك تنبه لهذه الحادثة وعرف ان أصلها من أنفار بالمدينة احدهم المترجم ، واستعد للقاء أمير الحاج بعسكر جرار على خلاف عادته ، ورام مناوءته ان برز منه شيء خلاف ما عهد منه ، فلما رأى أمير الحاج ذلك الحال كتم ما عنده ، وأنكر أن يكون عنده شيء من الأوامر في حقه ، ومضى لنسكه ، حتى إذا رجع إلى المدينة تنمر وتشمر وكاد أن يأكل يده من التندم والحسرة ، وذهب إلى الشام . ولما خلت مكة من الحجاج جرد الشريف عسكراً على العرب فقاتلوه ، وصبر معهم حتى ظفر بهم ، ودخل المدينة فجأة ، ولم يكن ذلك يخطر ببالهم قط فما وسعهم إلا أنهم خرجوا للقائه ، فآنسهم بأنه ما أتى إلا لزيارة جده عليه الصلاة والسلام ، وليس له غرض سواه . فاطمأنوا بقوله ، وشق سوق المدينة بعسكره وعبيده حتى دخل من باب السلام ، وتملى من الزيارة ، وأقبلت عليه أرباب

الوظائف مسلمين ، فأكرمهم وكساهم ، فلما آنس منهم الغفلة أمر بإمساك جماعة من المفسدين فقبض على بعضهم ، واختفى باقيهم وتسللوا وهرب منهم جماعة بالليل خفية ، وكان المترجم احد من اختفى في بيته ثلاثة أيام ، ثم غير هيئته وخرج حتى أتى مصر ، ومشى على طريقته في الوعظ ، وعقد له مجلساً بالمشهد الحسيني ، وخالط الأمراء ، وحضر درسه الأمير يوسف بك ، ومال إليه ، وألبسه فروة ودعاه الى بيته وأكرمه ، وتردد إليه كثيراً ، وكان يجله ويرفع منزلته ويسمع كلامه وينصت إلى قوله ، واستمر بمصر ، وسكن في حارة الروم ، ورتب له بالضربخانة [١] كل يوم مائة نصف فضة ، وعلا جاهه وارتفع قدره عند أبناء جنسه ، إلى أن وقع له ما وقع مع اسماعيل باشا ، تغير خاطره بسببها عليه فحبسه ثلاثة أشهر ثم اخرجه بشفاعة الدفتردار [٢] وانزوى خاملاً في داره إلى أن مات في أوائل شعبان في الطاعون سنة خمس ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الوهاب الشبراوي الشافعي الأزهري

الإمام العمدة الفقيه الصالح ، والهمام النخبة النبيه الفالح ، تفقه على أشياخ العصر ، وحضر دروس الشيخ عبد الله الشبراوي والحفني والبراوي وعطية الاجهوري وغيرهم ، وتصدر للإقراء والتدريس والإفادة بالجوهرية وبالمشهد الحسيني وحضر درسه الجم الغفير من العامة ، واستفاد منه الكثير من الناس ، وقرأ كتب الحديث كالبخاري ومسلم ، وكان حسن الالقاء سلس التقرير جيد الحافظة جميل السيرة مقبلاً على شأنه ، ولم يزل ملازماً على حالته حتى اتهم في اثارة الفتنة وقتل في القلعة شهيداً بيد الفرنسيس في أواخر جمادى الأولى سنة اربع عشرة ومائتين والف ولم يعلم له قبر رحمه الله .

---

(١) دار ضرب المسكوكات .

(٢) كبير المحاسبين .

الشيخ عبد الوهاب بن احمد بن يوسف الحلبي الشافعي السعدي

أحد المشايخ السعدية بحلب ، مولده بها بعد الخمسين ومائة والف ، وقدم دمشق الشام سنة ثمان وسبعين ومائة والف ، وأخذ الطريقة السعدية عن الشيخ الكامل والعمدة الفاضل ، أبي عبد الله محمد سعد الدين بن مصطفى ابن البرهان ابراهيم السعدي الجباوي الدمشقي الميداني ، وكتب له الإجازة على عادتهم ، وخلفه وأمره بالإرشاد والتسليك ، وكتب له العلماء خطوطهم على الإجازة ، وكان صالحاً عابداً زاهداً تقياً مرشداً نقياً مشتغلاً بالخلوات والرياضات والتسليك للمريدين من القاصدين والمريدين ، سالكاً للطريق على منهج التوفيق . وفي سنة الف ومائتين وخمس ، اجتمع به في حلب حضرة العالم الفاضل خليل افندي المرادي وتبرك به وشهد كل بكمال الآخر ، ومات بعد ذلك ، ببضع سنين في حلب ، ولم أقف على تعيين تاريخ وفاته .

الشيخ عثمان بن ابراهيم الشامي الدمشقي

صدر العلماء ، وخاتمة السادة والفقهاء ، وبدر سماء الزمان ، وشمس إشراق الأفاضل الأعيان ، الإمام الكامل ، والهمام الفاضل ، كعبة المكارم ، ونخبة الأكارم .

ولد سنة تسع وأربعين ومائة والف ، وأخذ عن العلامة الملوي والإمام الطحاوي والهمام الدمنهوري وحضر دروس الشمس محمد الأيوبي الأنصاري الشهير بالرحمتي . مات سنة تسع عشرة ومائتين والف وبلغ سنّهُ سبعين سنة رحمه الله تعالى .

السيد عثمان بن احمد الصنائي المصري

الحبر الفريد ، والبحر الوحيد ، والنبيه اللبيب ، والوحيد الأديب ، والكامل النادر ، والناظم الناثر ، نشأ في ظل النعمة والرفاهية ، وقرأ النحو

والمنطق وبقية الفنون بهمة متعالية ، ولازم الشيخ علي الطحان والشيخ مصطفى المرحومي وغيرهما حتى مهر ، وتاه به عصره وافتخر ، وكان يباحث ويجادل ، ويناقش في مشكلات المسائل . ويورد من الابحاث العقلية ، ونوادر الفروع النقلية ، ما يشهد له بكمال علمه ، وتمام فهمه ، وقرأ العروض والقوافي وأحسن النثر والنظام ، وحكى شعره بدائع ابي الطيب المتنبي ونوابغ ابي تمام ، وكان فيه نوع من اللهو والخلاعة ، واشعاره لها ميل إلى البلاغة والبراعة ، وله تخميس على البردة ومن قوله :

نظرت إلى حبي وكنت مفلساً ... فلم ار فيه للفلوس سوى السوى
فقلت له أين الدراهم قال لي ... على انني راض بأن أحمل الهوى

ومن نظمه تشطير البيتين لعثمان الشمسي وهما :

واغيد لؤلؤي الجسم ذي هيف ... بوجنة أشرقت منها الفؤاد صبا
البدر طرته والغصن قامته ... متمم الحسن فيه كم أرى عجبا
كأنما خاله من نار وجنته ... قدزاد حسناً ومن أعلى الخدودربا
وحين خاف اللظى في الخد يحرقه ... انقض يرشف شهداً جاوز الشنبا

وله رحمه الله تعالى :

ليس لي في القريض ياقوم رغبه ... بعد هذا الذي كساني رعبه
اشهد الله أنني قبت عنه ... توبة حرّمت عليّ المحبة
حيثما فيه شعر نائب قاض ... ابعد الناس بالفصاحة نسبه
كان فيه جزاؤه صفع وجه ... أو قفاء أو كان قتلا بحربه
لا جزاه الإله في الناس خيراً ... لا ولا فرج المهيمن كربه
حيث أهدى إلى البرية داء ... مستمراً اعيا فحول الأطبه
يا عديم الآراء ما أنت إلا ... آدمي برؤية البغل أشبه
كيفما تدعي الفصاحة جهلا ... أو ما تدر أنها دار غربه
عش جهولاً ومت بجهلك حتفاً ... ياخبيثاً بأخبث الأرض تربه

فلعمري مـا قلته ليس شعراً بل نباح وأنت كلب بن كلبـه
ثم أستغفر الله ممـا قد جناه اللسان إن كان سبـه

وله في اسماعيل افندي الكسدار :

ياخليلي افديك من كسدار كوسج الذقن عاري الذقن شعرا
من يكن قرنه كقرنك هذا فليكن بيته كايوان كسرى

ولم يزل رافلاً في حلل السعادة ، حتى حلت بساحة شبابه الشهادة وتوفي مطعوناً بمليج وهو ذاهب لموسم المولد الأحمدي بطندتا في شهر رجب وقد ناهز الأربعين ، وحضروا به الى مصر محمولاً على بعير ، فغسل وكفن ودفن بها عند والده سنة أربع ومائتين والف .

الشيخ عثمان بن محمد الحنفي المصري الشهير بالشامي

الامام الكامل ، والهمام الفاضل ، قال الجبرتي : ولد بمصر وتفقه على علماء مذهبه كالسيد محمد أبي السعود والشيخ سليمان المنصوري والشيخ حسن المقدسي والشيخ الوالد حسن الجبرتي ، وأتقن الآلات ، ودرس الفقه في عدة مواضع وبالأزهر وانتفع به الناس ، وقرأ كتاب الملتقى بجـامع قوصون ، وكان له حافظة جيدة واستحضار في الفروع ، ولا يمسك بيده كراساً عند القراءة ، ويلقي التقرير عن ظهر قلب مع حسن السبك ، وألف متناً مفيداً في المذهب . ثم حج وزار قبر النبي ﷺ وقطن بالمدينة ، وطلب عياله في ثاني عام وباع ما يتعلق به وتجرد على المجاورة ، ولازم قراءة الحديث والفقه بدار الهجرة ، وأحبه أهل المدينة وتزوج وولد له أولاد ثم تزوج باخرى ، ولم يزل على ذلك حتى توفي في السنة العـاشرة والمائتين والألف[1] ، ودفن في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

---

(١) في فهرس الفهارس انه وقف له على اجازة كتبها سنة ١٢١٣ هـ .

الشيخ عثمان الكردي الطويلي الخالدي النقشبندي

مركز دائرة الارشاد ، الراقي في درجـــات السداد ، المولى المرشد الكامل الأحوال ، والهمام المعدود من اكابر الرجال ، صاحب الكرامات الظاهرة ، والانفاس القدسية الزاهرة ، هو أول خليفة خلفه حضرة مولانا خالد قدس سره وفاز بنظره وأنفاسه القدسية ، وصل الى مقام الفناء [١] وحاز الأسرار الربانية ، وله كرامات كثيرة باهرة ، وخوارق عجيبـة ظاهرة ، شهد بولايته الخاص والعام ، واشتهر قدره ومقـامه بين الانام وسلك على يديه كثير من العلماء الأعلام ، وأكابر أهل التقوى والفضل ذوي الاحترام ، وقد أسلم كثير من اليهود والنصارى على يده ، وحازوا بالتفاته ونظره التنوير والاستمداد من مدده ، وسلكوا في زاويته ونالوا مقامات الرجال ، وكان الغالب على المترجم حال السكر والجلال ، وعدم الصحو الا في نوادر الأحوال [١] ، وبقي على حاله ، مترقياً في كماله ، الى أن اخترمته المنية ، ودعاه الأجل الى الدار السنية ، سنة الف ومـائتين ونيف وثلاثين وهو من رجال المجد التالد .

الحاج عثمان بن الحاج عبد الله بن الحاج فتحي بن عليوي المنسوب الى بيت الطحان ويشتهر بالحافظ عثمان الموصلي المولوي

ترجمه أحمد عزت باشا العمري الموصلي في كتابه العقود الجوهرية في مدائح الحضرة الرفاعية ، فقـــال : ولد في بلدة الموصل الخضراء سنة

---

(١) ألا ليت هؤلاء الرجال الذين يتحلون بكريم الخصال والفعال ، يصرفون وقتهم كله بالدعوة الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فهذا المقام هو أجلّ المقامات واكملها ، وهو سبيل الرسل عليهم الصلاة والسلام ، « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركين » سورة يوسف (الآية ١٠٨) « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » الأنعام (٩٠) .

احدى وسبعين ومائتين والف ، وقبل أن يبلغ من العمر سبع سنين توفي أبوه وبقي يتيما وفقد نور بصره على صغره ، فرآه والدنا المرحوم محمود افندي الفاروقي وكان اذ ذاك طفلاً ، وتفرس به أن يكون للتربية أهلا ومحلا ، فأخذه الى بيته العامر، واعطاه منها إلى أحد الدوائر ، وخصص له فيها من يحفظه القرآن ، بصورة الاتقان ، مع ما ينضم الى ذلك من طيب الألحان ، فأتقنها كلها ، وحفظ أيضاً جانباً وافراً من الأحاديث النبوية ، والسير المصطفوية ، ورتب له من يلقي عليه علم الموسيقى حيث انه قد رزق الصوت الحسن ، وحفظ اذ ذاك من رقائق الأشعار ، وغرائب الآثار ، ما جمع فأوعى لأنه كان سريع الحفظ ، لطيف اللفظ ، فنشأ قطعة من أدب ، وفرزدقة من لباب العرب ، لأنه في الحقيقة ضرير ، لكنه بكل شيء بصير ، ينظر بعين الخاطر ، ما يراه غيره بالناظر ، وبقي بخدمة المرحوم الوالد الى ان توفاه الله ، وجعل الجنة مثواه ، فتوجه إذ ذاك الى بغداد وكنت إذ ذاك فيها فنزل عندي ، يعيد ويبدي ، وفاء للحقوق التي لا زال يبديها ، ولا يخفيها ، مترديا بظاهرها وخافيها ، فتلقيته ملاقاة الأب والأخ ، وقلت له بخ بخ ، فتهادته فيها اكف الأكابر وحفت به عيون الأصاغر ، فأصبح في بغداد فاكهة الأدباء ، ونقل الظرفاء ، وشمامة الأوداء ، واشتهر بحسن قراءة المولد الكريم ، على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم ، فأومض فيها برق اسمه ، وعلا مبارك كعبه ورسمه ، فتركته على هذه الصورة في الزوراء ، تهب عليه ريح الرخاء ، حيث يشاء ، وأمسى عند كل ذي عين ، جلدة ما بين الأنف والعين ، وحفظ فيها نصف صحيح الإمام البخاري على المرحوم الشيخ داود افندي ، وبعد وفاته اكمل حفظ النصف الثاني على بهاء الحق افندي الهندي مدرس الثاني في الحضرة الأعظمية . ثم انه بعد ما قضى فريضة

الحج ، وفاز بالعج [١] والثج [١] ، رجع الى مسقط رأسه الموصل الخضراء وقرأ فيها القراءات السبع على حيدرة الوطن ، محمد افندي الحاجي حسن ، وأخذ الطريقة القادرية من حضرة المرشد الكامل العارف الفاضل المرحوم السيد محمد افندي النوري ، وبرخصته بل بعد استشارته واستخارته توجه راحلاً منها الى مركز الخلافة العظمى وخصص له ببلدته خير معاش ، يستوجب الانتعاش ، وأخذ فيها الطريقة الرفاعية ، من حضرة صاحب السماحة الصارم الهندي ، الشيخ أبي الهدى السيد محمد افندي ، وهو لم يزل الى الآن ، على ما عليه كان ، من انقياده في زمام الوفا ، واستناده لسواري الأنس والصفا ، تتجاذبه أيدي الكبراء ، وتتهاداه قلوب الأوداء ، وتتلاعب به أفكار الشعراء ، وترتاح معه أذهان البلغـــاء ، وتصغي الى نغماته اسماع الخطباء ، فهو بالليل اريب [٢] ، وبالنهار خطيب ، يرقى ذروة المنابر ، فتهرع اليه الأكابر والأصاغر ، فيسيل جامد دموعها ، ويهيج كامن ولوعها ، ويمنعها لذيذ هجوعها ، خوفاً من رجوعها ، وأما شعره فمثل شعوره ، يتساقط فراش المضامين على مشكاة نوره ، يذوب نظمه حلاوة ، ويكتسي نثره طـــلاوة ، فليس على عينه غشاوة ، واذا غنى ظننت الموصلي ابراهيم [٣] ، أو قرأ حزباً من القرآن الكريم ، تخيلت أبياً [٤] يترنم بصوته الرخيم ، وبالجملة فهو نسخة جامعة ، وكرة لامعة ، مع ما ينضم الى ذلك من الوفاء ، وكرم الطبع والصفاء ، ومن نظمه يمـــدح

---

(١) رفع الأصوات بالتلبية ، وسيل دماء الأضاحي .

(٢) ماهر بصير .

(٣) أبو إسحاق النديم ، من ندماء الخلفاء العباسيين : المهدي والهادي والرشيد ، كان ينظم الأبيات ويلحنها ويغنيها (م سنة ١٨٨ هـ) .

(٤) ابي بن كعب الأنصاري ، كان من أحبار اليهود فأسلم ، وصار من كتاب الوحي ، أخرج له البخاري ومسلم أحاديث كثيرة ، وكان أحـــد القراء المشهورين رضي الله عنه (م : سنة ٢١ هـ) .

السيد الرفاعي :

بباب الرفاعي بت استبق الركبا ... ليصبح جفني لاثما ذلك التربا (١)
امـــام له في الخافقين مفاخر ... بها امتاز بين الأولياء ولا ريبا
فمنهـــا إذا نادى محبوه باسمه ... على النار أطفوها ولو أوقدت لهبا
ومنها سيوف الهند تنبو لبأسه ... وأسد الشرى (٢) ترتاع من ذكره رعبا
وأعظمهـــا تقبيل يمنى نبينـــا ... بها لم يكن من قومه غيره يحبى
أمدت له في محفـل خير محفل ... وقد صيرت كل الكـرام له حزبا
تردى بأثواب المحبـــة والحجـا ... ومن شرع طه المصطفى أخذ اللبا
أرى ذل حالي فيه خير معزتي ... وأبكي وتعـــذيبي أراه به عذبا
لقد جئته مستبقيا سيب جوده ... أناديه يامن قد شغفت به حبا
بجدك ذي الخلق العظيم ومن سما ... على الرســل إذ كل لدعوته لبا
بوالدك الكـــرار باب علوم من ... اماط عن التوحيد في بعثه الحجبا
بريحانتي خير الوجود وفاطم ... وما قد حواه ذلك البيت من قربى
أتيتك ياشيخ العواجز راجيـــا ... منائحك العليا التي تنعش القلبا
أيدهشني ياآل طـــه بحيكم ... خطوب واني قد عرفت بكم صبا
احبة قلبي ما لعثمان ملجـــأ ... سواكم وأنتم ملجأ الكون في العقبى
عليكم صلاة الله ما انهل وابل ... بواسط أوهبت بارجائهـا النكبا

وأبياته كثيرة ، وقصائده شهيرة ، أطال الله بقاه آمين انتهى . هذا ولما سافرت إلى الآستانة العلية ، في أوائل ذي القعدة الحرام سنة الف وثلاثمائة وست هجرية ، اجتمعت بهذا المترجم ذي الشمائل البهية ، فرأيته شاعر الزمان ، وناثر الأوان ، يصبو القلب اليه ويحن ، وينثني له غصن

(١) هذا خلاف السنّة في زيارة القبور ، وقد نهى الرسول (ص) عن التمسح بترابها وعن دعاء أصحابها بما لايدعى به إلاّ الله عز وجل .

(٢) الشَّرَى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل ، فيقال « هو كأسد الشرى » .

البراعة ويرجحن [١] ، ففي أوصافه للروح عبق ، ومن الطافه يروق كأس المصطبح والمغتبق [٢] ، وله أخلاق أقطعها الروض أنفاسه ، وشيم يتنافس بها المتنافسون لطافة ونفاسة ، وقد أنشدني أفانين من غزلياته ، تهزل برونق الصدغ في لباته ، وأطربني في ألحانه ، ولا اطراب المختار بحانه ، يتلاعب بصوته تلاعب الأنامل بالأوتار ، ويحرك القلوب إلى أن تكشف عن محيا غرامها حجب الأستار ، وكانت أريحيات غرامه تستفزه وصبوة مدامه تستهزه ، فلا يزال ، هائماً بغزال ، ولا يريم [٣] ، عن عشق ريم ، وشعره يشعر بانه حليف الجوى ، ويعرب عن حاله اعراب الدمع عن مكتوم سر الهوى ، ولطفه أرق من العتاب بين الصحاب ، وأوقع من الراح ممزوجا بماء السحاب ، ولله دره حينما شكالي العذول والهجر والصدود وشداني على صوت الكمام [٤] وصوت العود :

لو أن بالعذال مابي ... ماعنفوني بالتصابي
كلا ولو ذاقوا الهوى ... مثلي لما ملكوا خطابي
ويلاه من بعد المزا ... ر فانه شر العقاب
قسماً بخلوات الحبيب ... وطيب وقفات العتاب
وتذللي يوم النوى ... لمنيع ذياك الجناب
وبوقفتي أشكو هوا ... ي له بألفاظ عذاب
أبكي وأسرق أدمعي ... خوف العواذل في قباب
ما للمحب أشد من ... نار التباعد من عذاب
بأبي غزال لين الأ ... عطاف معسول الرضاب

---

(١) يهتز ويميل .
(٢) ما يُشرب في الصّبوح والعشي .
(٣) لايميل .
(٤) آلة لهو ذات أوتار تشبه الرّبابة ، والكمنجة : (فارسية) .

ميّاس غصن قوامـــه يزري ببـانات الروابي
ريان من ماء الصبا سكران من خمر الشراب
جعل التجـــافي دأبه وجعلته وهواه دابي
قال العواذل عندمـــا أبصرن بالأشواق مابي
قد كنت من أهل الفصا حة لاتحول عن الصواب
فأجبتهم والقلب من نار الصبابة في التهاب
الحب قد أعيـــا فصيـــح القول عن رد الجواب
وتراه ان حضر الحبيـــب لديه يأخذ في اضطراب

وغير هذا كثير ، لايكاد يحصيه قلم التحبير ، وعلى كل حال فهو حلية العصر ، ونادرة الدهر ، قضي له بالأدب الوافر منذ طلع من مهده طلوع البدر السافر ، فظهر رشده قبل أوانه ، ولا ريب أن الكتـــاب يعرف بيانه من عنوانه . وقد أسمعني من نثره خطبته التي ابتدأ بها تخميسه لقصيدة المرحوم عبد الباقي افندي العمري المسماة بالباقيات الصالحات وهي :

أحمد من أسبغ علينا من سوابغ المانحات نشبا ، وبلغنا بالباقيات الصالحات اربا ، ونظمنا في سلك مدائح اهل العبا ، وأصلي وأسلم على حبيبه المجتبى ، وآله الذين تمهدت بهداهم فدافد [1] وربا ، وصحبه الذين بمجاراتهم جواد الضلال كبا ، وبعـد فيقول العبد العاجز الفقير ، ذو البـاع القصير ، المتوسل لعلاه بحب آل علي ، عثمان بن الحاج عبد الله الرفاعي الموصلي : لما كانت مدائح آل المصطفى هي من أعظم الوسائل ، للنجاة يوم العرض والمسائل ، وكان ممن أحرز قصب السبق في هذا المضمار ، الجدير بأنواع الفضائل والفخار ، فاروقي الأرومة والنجار الذي اشتهر بالآفاق ، وفاق أدباء عصره على الاطلاق ، المرحوم عبد الباقي افندي الموصلي وذلك في

(١) المكان المرتفع والفلاة .

قصيدته البائية الموسومة بالباقيات الصالحات التي تنشر لديها برود القصائد ، وتنثر عندها أفئدة الفرائد ، وكانت كالعروس العذراء ، ما افتضها شاعر ، ولا اقتحمها ناثر ، لما تحصنت به من حسن السبك والإنشاء ، خصوصاً فيما أثارته من مؤثرات الرثاء ، والمعفر بغباره وجه الغبراء ، قدمت على تخميسها مقراً بعدم استطاعتي ، وقلة بضاعتي ، وذلك لكوني محب بيتهم ، ومقتبساً من نور زيتهم ، لهذا شمرت ساعد الجد لتسميطها [١] طلباً للثواب ، ومحبة لآل النبي الأواب ، وأسأل المولى جل وعلا ، أن يتقبل منا قولاً وعملاً ، ويجعلنا مظهر قوله تعالى : « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً [٢] » ، ثم قال التخميس العبهري [٣] ، على بائية العمري ، وهو :

مذ شب زند الفكر بعد أن خبا ... قمت لمدح آل طه معربا
مسمطاً أوصافهم فيما احتبى ... هذا الكتاب المنتقى والمجتبى

في نعت آل البيت أصحاب العبا

تجلب للكونين أوفى غيرة ... بشرح رزء نال خير عترة
من قبل أن تحويه أغلى فكرة ... بالقلم الأعلى بيمنى قدرة
في لوح عزة بنور كتبا

روض معانيه غدا مؤرجاً ... مذ جدولت أسطره نهر الحجا
جبينه بالحسن قد تبلجا ... لاح به فرق العلا متوجا
مرصعاً مكللاً مذهبا ... وقد غدا حاجبها مزججا
وطرفها أمسى كحيلاً أدعجا ... وثغرها أضحى بسيما أفلجا

---

(١) سمّط الشيء : لزمه ، والشاعر : نظم الشعر مسمطاً ، أي مخمساً .
(٢) الكهف (الآية ٤٦) .
(٣) العبهر : النرجس ، والياسمين .

وكمها مطرزاً مديجا وعقدها منقحاً مهذبا

عذب على التالي يسوغ حفظه

يلتذ منها جال فيه لحظه صفا وطاب واستلان غلظه

فرق معناه وراق لفظه يحكي صفا الودق إذا ما انسكبا

حور معانيه الحسان لم تزل تلبس من مدائحي أبهى الحلل

إذ صغت من تفصيل هاتيك الجمل ثنا إذا أنشدته له ثنى ال

وجود عطفاً وتهادى طربا غصن مديحي ماس في رطيبه

كأنما نشر الكبا[1] يسري به مذ فاح نفح الطيب من ترتيبه

ريح الصبا تضمخت بطيبه بطيبه تضمخت ريح الصبا[2]

قاضي القضاة سراج الدين علي خان الذي تقلد أمر القضاء في بندر كلكته سنة ألف ومائتين وتسع وعشرين

قدوة المحققين ونخبة المدققين ، الفالق بعلمه وعمله والواثق من الله بنواله بغية أمله ، قد برع في زمانه حتى صار مقصد أهل عصره وأوانه ، وقصده الناس للاستفادة من كل جانب وكان أجل راغب في عمل الرغائب ، وكان أديباً ماهراً ناظما ناثراً ، قد أتقن العربية مع لغته الفارسية والهندية . ومن جملة نثره الدال على كمال علوه وقدره ، تقريظه على كتاب الحديقة ذات المعاني الرقيقة :

يا من ذكر اسمه الأسمى خير الأذكار ، والفكر في أسمائه الحسنى خير الأفكار ، صل على مذكرك الأقدم الأول ، وكلمتك الأتم الأكمل ، محمد

---

(١) الكباء : عود البخور ج كبى .

(٢) له تخميس على لامية البوصيري التي مطلعها : (جاء المسيح من الإله رسولا) وأول التخميس : (العقل يشهد إذ يقيم دليلا) واسمه « الهدية الحيدية الشامية » و « مجموعة سعادة الدارين » و « الأبكار الحسان ، في مدح سيد الأكوان » و « المراثي الموصلية » معجم المطبوعات (س ١٣٠٩) .

المبعوث الى كافة الامم ، وآله وصحبه الذين نبغوا من ضئضىء الكرم ، وفازوا بأعلى درجات الحكم . وبعد فهذا الكتاب المسمى « بحديقة الأفراح لإزاحة الأتراح » المحتوي على مباهج قرائح البلغاء ، المشتمل على نتائج أفكار الفصحاء ، تذكرة لأولي الألباب ، وتبصرة لذوي الآداب ، قد ألفه الإمام البارع اللوذعي الألمعي ، وحيد عصره وفريد دهره ، العالم الرباني الأوحد الأديب الأمجد ، الشيخ الأجل أحمد بن محمد الأنصاري اليمني الشرواني ، لازالت إفادته شاملة للخواص والعوام مادامت غياهب الليالي وأنوار الأيام (١) .

وله نثر فائق وشعر رائق ، غير أني لم أقع منها إلا على ما كان باللغة الفارسية فلم أكتبه . توفي المترجم المرقوم رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين ونيف وثلاثين .

علي بن محمد العنسي جمال الدين اليمني

هو من رجال الحديقة وأهلها ذوي الآداب الأنيقة ، فقال في ترجمة المرقوم الذي هو في سلك الأفاضل منظوم : عليّ المجد والمقام واحد في صناعة النثر والنظام ، ثمرات أفنان نفائس آدابه فرائد ، وجداول طيباته جارية بالجواهر لكل ملم بغياض فنونه وارد ، ألفاظه بخندريس الرقة وشراب الجزالة ممزوجة ، ومعانيه الباهرة يبهر حسنها عقل من شاهد مروجه . فمن لطائفة قوله مجاوباً الفقيه الأديب أحمد الرقيحي :

---

(١) وبعد هذا النثر ، قرظه أيضاً بثلاثة عشر بيتاً باللغة الهندية ، أما كتاب « حديقة الأفراح » فقد ذكر مؤلفه في مقدمته أنه رتبه على ستة أبواب ، فالباب الأول منه في لطائف لطفاء اليمن و(٢) في نبغاء الحرمين و (٣) في بلغاء مصر والشام والعراق و (٤) في نبهاء الروم والمغرب و (٥) في أدكياء البحرين وعُمان و (٦) في أدباء الهند والعجم .

كذا يتجنى[١] في الهوى فارغ القلب ... اذا رحت أشكو العتب غالط بالعتب

أيا ملزمي ذنباً وليس بمذنب ... سواه ألا اصفح عن شج مغرم صب[٢]

رضيت بما ترضى علي ولم أقل ... جرى الدمع ياقوتاً ولا قلت ماذنبي

فديتك لولا ان لي فيك صبوة ... لما شرقت عيني من المدمع الغرب[٣]

لقد آن أن ترضى عن المغرم الصب ... وتصفح عما قد أتيت من الذنب

فلولاك لم أبكي بحمر أدمعي ... عقيقاً ولا أشتاق للرمل والكثب[٤]

ولا بت في دهم الليالي لشهبها ... سميراً دموعي الحمر يا منيتي شربي

ولا رحت مسلوب الكرى واجب الحشى[٥] ... أعذب بالإيجاب منك وبالسلب

أما وجفون منك تلتذ بالكرى ... وتنشد أجفان الأنام ألا هبتي

ونور جبين تحته نون حاجب ... وقد على ردف كغصن على كثب

لقد تركت قلبي عيونك في الهوى ... رهين غرام لا يفيق عن الحب

عجبت لها وهي التي بفتورها ... على ضعفها تقضي وان صحفوا تصبي[٦]

أتدعى عيوناً وهي في فعلها بنا ... أسود وما غاباتهن سوى الهدب

وأعجب من ذا ان خصرك ناحل ... وفيه شفاء الواله المغرم الصب

لي الله مالي في الهوى من مساعد ... ابث اليه ما الاقي من الكرب

---

(١) تجنّى عليه : رماه بذنب لم يفعله .

(٢) الصبّ : العاشق .

(٣) استغرب الدمع : سال .

(٤) انكثب الرمل : اجتمع ، وانقبر بعضه على بعض .

(٥) وجب القلب : رجف وخفق .

(٦) صحّف الكلمة : أخطأ في قراءتها وروايتها ، أو حرّفها عن وضعها .

ووا حزني من تائه في جماله علي ومن أسياف عينيه واحزني
فتنت ببدر كمل الله حسنه منازله في الطرف مني وفي القلب
وظبي كناس بالغضا من جوانحي له مرتع لا بالغضا موضع السرب (١)
يقولون صحبي هل سلوت وقد نأى فقلت نعم عن صحة الجسم واللب
وقالوا وهل تقضي لبانة عاشق فقلت نعم أقضي ولكن به نحبي
رعى الله دهراً كان لي فيه مسعداً بلقياه ما خمري سوى لفظه العذب
ويجمعنا روض به الطير مطرب وساقيه نهر فوقه راقص القضب
تراه بأنواع الزهور مطرزاً كنظم صفي الدين طرز بالكتب

وقوله مكاتباً الفقيد أحمد الرقيحي

تبدت فغاب البدر بالأفق واستخفى وماست فكاد الجو يسرقها لطفا
وأرخت دُجى شعر فقلت لصاحبي أليلتنا قد أرسلت وارداً وجْفا (٢)
ولاح عليها قرطها وهو خافق فبتنا نرى الجوزاء في أذنها شنفا (٣)
حبابية (٤) الألمى (٥) مدامية اللمى يدير الحميا كأس أجفانها الوطفا (٦)
أغالط فيها واشياً ومفندا لأكتم حبي والصبابة لا تخفى
فإن قلت آهاً للعذيب فإنما أردت الشنيب (٧) العذب لهفاله لهفا
وإن همت في بان الحمى وكثيبه فما رمت إلا قدها اللدن (٨) والردفا
اما وأبيها ما رأتني بخالها أخا لوعة إلا زهت وانثنت عطفا

---

(١) السَّرْب : الماشية ، والقطيع من الظِّباء .
(٢) الوَجْف : الشعر الكثير الأسود الحسن .
(٣) الشنف : ما عُلّق في الأذن من الحلي .
(٤) الحَبَاب : الفقاقيع التي تعلو الماء أو الخمرة .
(٥) الألمى : الذي بشفته لمى ، واللمى (بتثليث اللام) سمرة أو سواد في باطن الشفة يستحسن .
(٦) وَطف يوطف وطفا : كثر شعر حاجبيه وعينيه .
(٧) الشنيب : أبيض الأسنان حسنها ، والمشائب : الأفواه الطيبة .
(٨) اللين .

ومال بها خمر الشبيبة والصبـــا فصدت ولولا الصد لم تعرف الحتفا
أتوردني من طعن عسالها (١) الردى وتمنعني من طعم معسولها الرشفا
ولولا حلى نظمي وأحمر مدمعي لما طوقت جيداً ولا خضبت كفا
أرى خدها يا طرف للحسن جامعاً فأجري عليه مدمعي أبدا وقفا
ويا فرعها قد كنت أصل ضلالتي وكم ضل سار في الظلام إذا التفا
لئن ضعفت خصراً وجفناً وموثقاً فقدزاد ذاك الضعف جسمي به ضعفا
نديمي قد بان الفريق وفرّقت يد البين عن الف معنى الحشا إلفا (٢)
فعلل بذكراها فؤادي واسقني سلافاً يحاكي شعر شمس الهدى لطفا

وقوله مكاتباً بعض خلانه

عوفيت من نار أشواقي ومن كلفي ما ذا تريد بهذا البين من تلفي
يا نازح الدار والذكرى تقربه أضنيت نازح در الدمع بالذرف
ويا حبيباً همى دمعي لفرقته والغيث إن تحتجب شمس الضحى يكف
سل الدجى هل رآني راقداً وسل الـــعذال هل شهدوني خالي الأسف
تركتني ما لسقم فيّ من طمـــع قد صرت للبين ذا روح تردد في
كم قلت بعدك للطرف القريح وقد رمته يا بدري العذال بالسرف
انفق ولا تخشَ اقلالاً فقد كفلت لك الصبابة والأشواق بالخلف
يا من إذا قال ظبي البيد يشبهه جيداً قضينا لظبي البيد بالخرف
مالي ودهم الليالي فيك أسهرها تطول عمداً لتضنيني على كلفي
والله ما أنصفتني في معـــاملة أحببتها وتجد السعيَ في تلفي
بالله أين ليال باللقـــا قصرت يكاد دمعي بها يا بدر يعثر في
تلك الليالي التي يرتاح إن ذكرت قلبي الكليم ارتياح المجد بالشرف

---

(١) رمح عسّال : يهتز ليّنا ، ولعله أراد قوامها .
(٢) الإلف : الصديق والمؤانس .

أعني به شرف الدين المعد إذا عد الكرام كبسم الله في الصحف

وقوله مكاتباً أحد الأئمة الأعلام :

لو فتشوا عن قلبي المرهون وتحرشوا جمر الغضا المكنون
لتيقنوا اني حفظت وضيعوا عهد الهوى وابنت خير أمين
فعلام قالوا مال عنا وارعوى عنا وخان وكان غير خؤون
ما ملت لا والله بل مالوا وقد شهدت ركائبهم بصدق يميني
هزت قدودهم وقالوا للصبا هزؤاً أعند البان ميل غصون
هل أنكروا ميل الغصون فيطلبوا برهان دعوى العاشق المفتون
فإذا شرى برق الغوير وبعته دمعي رجعت بصفقة المغبون
ولفرط أشواقي وشدة لوعتي وتهتكي في حبهم وجنوني
لا بد لي من أن أقول صدقتم والله يعلم حرقتي وأنيني
وإذا بكيت على الربا فتضاحكت أنفاسها بمباسم النسرين
قالوا عيون السحب ترسل دمعها والدمع دمعي والعيون عيوني
أحبابنا والله ما صنع العدى ما تصنعون بقلبي المحزون
أيصيبني كيد الأعادي عندكم أسفي واخلاص الهوى من ديني
ولشقوتي قد كنت أعتقد الهوى هذا الذي أخلصت فيه يقيني
لولا هواكم لم أقل جنح الدجى والبرق يذكي لوعتي وشجوني
يابارقاً ألقى سناه على الربا ولهيبه في قلب كل حزين
قف بالحمى الغربي لكن واضعاً خداً ومن لي ان وضعت جبيني
واسأل بروج الحي عن أقمارها وبرغم أنفي ان تراها دوني
وبمهجتي البدر الذي لو قسته بالشمس لا يرضى ولا يرضيني
لم يكفه سهري فعلم طيفه ظلماً وقد غضب الكرى يشكوني
خذ في التجني كيف شئت تحكماً وامطل وان كنت المليّ ديوني
لا أستطيع أقول لست بمنصف يا بدر اجلالاً لبدر الدين (١)

---

(١) له ديوان شعر سماه : كأس المحتسي من شعر الشمسي ، والروض الأفنواني ، في الشعر الزهواني ، وعنوان الشرف . عن « البدر الطالع للشوكاني » وغيره .
وفي معجم المؤلفين : ولد بصنعاء وتوفي بالجيمة في جمادى الأولى أو الآخرة عام ١١٣٩ هـ .

الشيخ علي بن أحمد المغربي البشرطي الشاذلي الترشيحي

شيخ الطريقة ، ومعدن السلوك والحقيقة ، ولد في بيزرت[١] من أعمال تونس الغرب ، سنة الف ومائتين واحدى عشرة . ووالده الحاج أحمد البشرطي ، قيل نسبته إلى بني يشرط قبيلة بالمغرب ، قيل انها تنسب إلى سيدنا الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ ، وكان قائداً كبيراً للجيش التونسي ، ولم يترك ولداً غير المترجم المشار اليه ، فالتفت المترجم من صغره الى الطلب وحضور دروس العلماء والفضلاء إلى أن نال مطلوبه وملك مرغوبه . ثم أخذ الطريقة الشاذلية عن استاذ العصر ، وفرد الدهر ، الأستاذ الكبير والعالم الشهير ، أبي محمد بن حمزة ظافر المدني ، فاشتغل بهمة قوية وسيرة مرضية ، ودأب على الذكر في السر والجهر ، وكان مقدماً عند الشيخ على الجماعة لما شاهده منه من كمال الانقياد والطاعة ، ولم تزل مرتبته تتعالى ، وخوارقه في الطريق تتوالى ، إلى أن تأهل للارشاد وارتقى مقامه وساد ، وبعد وفاة شيخه واستاذه وعمدته وملاذه ، قصد مكة المكرمة للنسك ، وبعد أن أتم حجه وعجه وثجه ، توجه لزيارة أشرف انسان ، وأفضل مخلوق من ملك وانس وجان ، وجاور في تلك البلدة الشريفة ذات الرتبة العالية المنيفة ، أربع سنوات ، وكان يحج في كل عام ، ثم بعد التمام يرجع لمدينة خير الأنام ، ثم قصد زيارة القدس الشريف ، فلما وصل يافا في مركب شراعي تعسر عليه النزول اليها لأن النوء كان شديداً غير لطيف ، فطلع إلى عكا وكان قد مرض لشدة ما أصابه من الأهوال والعناء ، فذهب منها إلى ترشيحا لتبديل الهواء ، وكان ذلك سنة الف ومائتين وست وستين ، وأخذ أمره من ذلك العهد بالانتشار ، فقصدته الناس من القرايا والأمصار ، وأخذوا عنه الطريق باذلين همتهم في حفظ ذلك العهد الوثيق ، وفي كل يوم يشتهر أمره ويزداد علوه وقدره ، إلى أن انتشر الطريق في الآفاق ، فلم يدخل الانسان من

(١) بيزرت أو بنزرت (Bizerte) مرفأ عسكري في تونس .

البلاد السورية إلى محل إلا ويجد مرشداً منهم قد وقف للترغيب على ساق ، وفي حدود سنة الف ومائتين وثمانين أيام ولاية رشدي باشا الشرواني رأى منهم اجتماعاً منافياً للسياسة العثمانية ، فنفاه هو وبعض جماعته إلى الجزيرة القبرصية ، ولم يزل بها ثلاثة أعوام إلى أن تداخل في الرجا في احضاره الأمير عبد القادر الجزائري فاستجلبه الى الشام ، وقد أجرت الحكومة عليه شديد التنبيهات في ترك ما كانوا يفعلونه من الاجتماع وانه من الممنوعات . ثم عاد إلى عكة ورجع ، بعد أن أعطى المواثيق بأنه ترك ما كان عليه ونزع ، ثم بعد ان انفصل ذاك الوالي المشار اليه رجع المترجم الى ما كان من الظهور عليه ، إلى أن وجهت الولاية على رشدي باشا وكان قد حصل من جماعته في بعض المحلات أمور مذمومة واعتقادات مشؤومة ، فاستحضر الوالي المترجم تحت الحفظ إلى الشام وأراد نفيه إلى فزان[1] ، وقبض على نحو عشرين شخصاً من جماعته المعدودين من خلاصة الإخوان ، فبذل الأمير عبد القادر رجاه لحضرة الوالي المرقوم أن يجعله محبوساً في داره ، وأن يسمح عن نفيه رحمة لذله وانكساره ، فحقق الوالي رجاه لما له عنده من الفضل والجاه ، وأما جماعته فانه نفاهم إلى فزان وأذاقهم بذلك الذل والهوان ، ثم إن حضرة الأمير بعد مدة أطلقه من حبسه ، وأرجعه إلى محله مشمولاً بسروره وكمال أنسه .

وحاصل الكلام في سيرة هذا المترجم المفضال فانها اختلفت فيه أقوال الرجال ، فمنهم من طعن به وزاد ، ومنهم من برأه من كل مايوجب الملام والفساد ، وان الحق يقال ماعلمنا عليه سوى مايوجب الكمال ، غير أن بعضاً من جماعته قد خرجوا في الظاهر عن دائرة الأدب ، وتكلموا بما هو لكل ملام سبب ، وتركوا في الظاهر كل مأمور ، وارتكبوا أقبح

---

(١) اسم يطلق على مجموعة الواحات الكبري الواقعة في صحراء افريقية الوسطى ، قاعدتها مرزوق .

الأمور . ثم ان المنفيين إلى فزان أحسنت عليهم الدولة بالاطلاق فرجعوا إلى الشام ، ولم يزل بعض أهل هذه الطريقة يفتخرون بمخالفة الشريعة الغراء ، وبترك كل مأمور به وبفعل كل مايوصل فعله إلى كل شقاء ، ويقولون بان الشريعة حجاب ، وفعل المنكرات موصل إلى رب الأرباب ، فلاطوا بالأبناء وزنوا بالأمهات ، وأكلوا الحرام وانهمكوا في المنكرات ، واعتقدوا بأنفسهم أنهم صوفية الزمان ، وان من سواهم قد ألبس نفسه ثياب الحرمان ، ويفسرون كلام الله ورسوله بكل تفسير فاسد ، ويقولون بأن هذا التفسير قد ألقاه اليهم الوارد ، فما أعظمها مفسدة في الدين ، وما أجسمها فتنة على المسلمين ، فياعباد الله من يقول بان المنهي عنه طريق الوصول ، وهو المرضي عند الله تعالى وعند الرسول ؟ وأما المأمور به فهو حجاب ، ولا يتمسك به إلا المحجوبون عن طريق الصواب !! فإننا نبرأ إلى الله من هذا الاعتقاد ، ونعوذ به مما يوصل إلى كل شر وفساد ، ونتمسك بما جاء به النبي الأمين ونقول « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين »(١) ثم ان كثيراً من الناس قد شكا هؤلاء الجماعة إلى المترجم ، فيقتصر على قوله عظوهم وعرفوهم أن هذا أمر محرم (٢) وإذا وعظهم انسان ، يسخرون به ويعدونه من أهل الجهالة والخسران ، نسأل الله العفو والعافية ، والمعافاة الدائمة والنعمة الوافية ، وأن يحفظنا والمسلمين من مخالفة الملة والدين . وفي ليلة الأربعاء التاسع عشر من رمضان المبارك توفي هذا المترجم عام الف وثلاثمائة وستة عشر رحمه الله تعالى .

---

(١) سورة آل عمران (الآية ٥٣) .

(٢) رأينا أناساً ممن ينتسبون إلى هذه الطريقة ، يحافظون على الصلوات ، ويجتنبون المحرّمات ، وعلمنا أن أناساً آخرين ، يرتكبون الفواحش والمنكرات ، وقد انقرض هؤلاء الإباحيّون أو قلّوا ، وسيلاقون ربّهم على ما عملوا .

الشيخ علي بن محمد القناوي المصري الشافعي الخلوتي

العالم الفاضل ، والحبر البحر الكامل ، صاحب الكشوفات والأحوال والثبات في طريق السادة الرجال ، والسياحات الطويلة ، والإرشادات الجليلة ، نشأ في طلب العلوم ، إلى أن صار يعتمد عليه في المنطوق والمفهوم ، ثم أخذ الطريقة الخلوتية عن العارف بالله شيخ الشيوخ في مصر محمد بن سالم الحفناوي الآخذ لها عن إمام أهل الوجدان السيد مصطفى البكري الصديقي الآخذ لها عن كعبة ذوي العرفان السيد الشيخ عبد الغني النابلسي. وكان المترجم المذكور يكرر التردد إلى زبيد وصنعاء اليمن وفي كل مرة يتلقونه بالإجلال والتكريم والمهابة والتعظيم ، ويجتمع عليه في كل ليلة من الخاص والعام ، جمعية كبرى مع معاملتهم بالأدب التام ، ويدخلون معه في حلقة الذكر ، مع اعتقادهم لولايته واخلاصه في السر والجهر ، ولقد اتفق له أنه وصل في بعض وفاداته إلى زبيد وأقام الذكر المذكور على الصفة المذكورة من اجتماع الناس بغاية الخضوع والانقياد والتسليم ، وكان عنده من يقف في الحلقة وينشد من كلام القوم بالنغمات الرائعة ، والحركات في الصوت الفائقة ، بحيث يغيب الإنسان عن شعوره ، ولا يفرق بين آصاله وبكوره ، بل تأخذه نشأة وجدانية ، وغيبة عرفانية ، وكان من جملة الحاضرين ، رجل من أكابر العلماء المتصوفين ، المشغولين بذكر الله ، المعرضين عما سواه ، فلما حدا الحادي وشدا ذلك الشادي ، ولم يكن ذلك الرجل من قبل قد عرف في الذكر طريقة الإنشاد ، فحينما سمع ذلك وقع في الأرض يرتعد أشد الارتعاد ، ولم يزل يبكي بكاء غزيراً ، حتى أحدث له ذلك رعافاً مسترسلاً كثيراً ، فكان ذلك سبب انعدامه ، وشربه كأس حمامه . قال صاحب التاج المكلل وقد اختلف العلماء في حكم النغم والغناء على أحد عشر قولا ، ومذهب

الإمام العلامة ابن حزم الظاهري الحل مطلقاً ، قال لأن التحريم لا يثبت إلا بنص صحيح صريح ولم أقف عليه ، وخالفه الجمهور ، والمسألة فيها رسائل مضبوطة مبسوطة من علماء المذاهب . انتهى كلامه ناقلاً عن النفس اليماني . ثم قال : والذي ترجح عند المحققين من أهل الحديث ان الذكر بالصفة المذكورة بدعة وأي بدعة ، وفيها من إساءة الأدب مع الله سبحانه والتشبه بالفرق الذين يذكرون الله في معابدهم على نغمات العود والوتر ما لا يقدر قدره ، فلم يثبت حديث واحد ولو ضعيفاً في جواز ذكر الله تعالى على هذه الصفة المشار اليها فلا خير فيه ولا أجر عليه ، بل هو ضرر محض ووزر صرف ، ومنكر واضح . نعم لا دليل على تحريم السماع من السنة فهو باق على أصله من الحل حتى يقوم دليل صحيح يدل على حرمته ودونه خرط القتاد ، ورحم الله القناوي أي المترجم المذكور فقد اجترأ جرأة عظيمة على فعل الذكر بهذه الصفة من الحادي وانشاد الأشعار مع كونه من أهل العلم المتارين ، وهذا الصنيع منه دليل على ان الإنسان لا يخلو من عصيان ، ولو بلغ من العلم والعمل نهاية الإمكان . هذا وقد نشر هذا المترجم هذه الطريقة على هذه الصفة بأمر شيخه الحفناوي في الآفاق ، فدخل خراسان وأطراف الهند والعراقين وصنعاء اليمن وغير ذلك من المحلات ، وهو في الجميع متلقى بالإعزاز والإكرام ، والقبول والاحترام ، وكلامه مقبول ، وعلى العيون والرؤوس محمول ، وكان حلو العبارة ، لطيف الإشارة ، لا يفتر في وقت من الأوقات ، عن الأخذ بنوع من أنواع العبادات ، وكان إذا تكلم في تفسير حديث أو آية قرآنية ، يتكلم من الفتح الإلهي والواردات العرفانية ، ثم قال : وعندي ان الذكر الإلهي ، والفكر القدسي لا يجتمعان مع شيء من البدعة ، وان اجتمعا كان ذلك من تلبيس ابليس ، وتدليسه لأهل التدريس ، ولهذا قال في النفس اليماني بعد المبالغة في الثناء عليه : وغير خاف ان الفقهاء لا سيما أهل مدينة ذمار ينكرون بعض ما يقع من طريقة

السيد المذكور انتهى . قلت : ولكن الحق معهم في ذلك وان قيل فيهم ما قيل انتهى كلام صاحب التاج المكلل .

أقول : لقد سقط التاج ، وتجاوز معتدل المنهاج ، إذا كان ما ثبت على قوله حديث واحد ولو ضعيفاً في جواز ذكر الله تعالى على هذه الصفة ، فليت شعري أين الحديث المثبت حرمة ذلك ومنعه ألم يدر أن الأصل في الأشياء الاباحة[1] فمن أين له هذا الإنكار ، وعلى أي مذهب استند من مذاهب الأئمة الأخيار ، والأغرب من ذلك دعواه ان السماع مباح ولكن وقوعه على الذكر ليس من الفلاح ، مع ان الذكر من أفضل مطلوب فهل اذا اقترن به الإنشاد المباح خرج عن دائرة المندوب ، وان اجتماع ذلك من تلبيس ابليس وتدليسه لأهل التدريس ، مع ان الحرمة لا تثبت إلا بدليل ذي رفعة وهو قد قال بأنه لا دليل على تحريم السماع من السنة فكيف يحكم بحرمته في الأذكار ، وعلى كل حال فهو كلام لا يلتفت اليه ، ولا يعول أهل الإنصاف عليه ، وان قاله كثير من الناس ، الواقعين في غفلة الالتباس ، ولو كان هذا المحل يحسن فيه اطالة الكلام ، وذكر أدلة المجوزين وابطال قول المعترضين لقمنا بواجب حق المقام ، خصوصاً وقد ملأت هذه المسألة بطون الدفاتر ، وقام ببيان حكمها كثير من السادات الأكابر ، خصوصاً في كتب الصوفية الفضلاء ، ذوي الكشف عن حقائق الأشياء ، فالأولى التسليم لذوي الكمال ، وعدم التعرض لهم بحال ، وإلا فاللائم مطرود ، وعن موائد الإكرام مبعود . توفي المترجم المرقوم سنة الف ومائتين وزيادة لم أقف على تعيينها .

---

(١) نعم ، إن الأصل في الأشياء الإباحة إذا كانت أموراً دنيوية ، ما لم يرد دليل على الحرمة كما يقول علماء الأصول ، ومن ذلك قوله تعالى : « قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا » الآية ١٤٥ من سورة الأنعام ، وأما الأمور الدينية فالأصل فيها المنع والحرمة حتى يرد النص بالإذن ، لأن الأولى من حق العباد ، والثانية من حق الله على عباده ، وقد أكمل المولى سبحانه دينه ، وأتم علينا نعمته ، ورضي لنا الإسلام دينا ، كما قال جل شأنه : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا » الآية ٣ من سورة المائدة .

الشيخ علي بن محمد بن علي الشوكاني

ولد يوم عاشوراء من محرم عام سبعة عشر ومائتين والف ، قال في البدر الطالع : هو حسن الفهم جيد التصور قوي الادراك . وكان لا يقول بالتقليد ، بل يعبد الله بالاجتهاد والأخذ من الدليل من غير تقييد بمذهب امام مجيد ، وله مطالعة في الكتب الحديثية ، والسنن المحمدية ولا يميل إلى سواها ، ولا يلتفت لما عداها ، ومن مؤلفاته : كتاب الدرة الفاخرة ، الشاملة سعادة الدنيا والآخرة ، وجمع فتاوى والده في مجلدين وسماه الفتح الرباني ، في فتاوى الشوكاني ، وهو مجموع مشتمل على أبحاث شريفة ، ورسائل مجموعة لطيفة ، ومسائل مفيدة ، ومذاكرات فريدة ، تتعلق بالفروع والأصول ، من معقول ومنقول[1] مات سنة الف ومائتين .

الشيخ علي بن محمد الشوكاني جد الشيخ علي المتقدم والد والده ترجمه بعضهم فقال :

هو والد قاضي القضاة الشيخ محمد بن علي الشوكاني وقد ترجمه في البدر الطالع ترجمة حافلة ، حسنة نافعة ، وأوصل نسبه الشريف بعد التنقيح الكامل ، والتصحيح الشامل ، أبا عن جد إلى سيدنا هود عليه السلام . وقال ان الشوكاني نسبة إلى شوكان اسم موضع . وبعد ما بسط الكلام ، في هذا المقام ، قال انه من قرية هجرة شوكان ، وهذه الهجرة قرية معمورة بأهل الفضل والصلاح ، والدين والفلاح ، ولهم عند سلف الأئمة

---

(١) ومن تصانيفه : تكميل الحجة والبيان ، في شرح بيتي إمام الزمان ، والقول الشافي السديد ، في نصح المقلد ، وارشاد المستفيد (عن هدية العارفين ، وايضاح المكنون للبغدادي) وتوفي قبل سنة ١٢٥٠ (معجم المؤلفين) .

جلالة عظيمة ، ورئاسة في العلوم جسيمة ، منهم العلامة الحسين بن علي الشوكاني وأحمد بن سعيد الهبل ومحمد بن أحمد الهبل وحسن بن صالح الشوكاني وغيرهم . وقد برع في علم الفقه والفرائض وكان من بقية السلف الصالح في التفسير والحديث ، ودرس وأفتى وولاه الامام المهدي العباس ابن الحسين القضاء بالجهات الخولانية ، ثم اعتذر عنه فولاه القضاء بصنعاء . قال في البدر الطالع : ولقد كان رحمه الله من عجائب الزمن ، ومن عرفه حق المعرفة تيقن أنه من أولياء الله تعالى . توفي رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين واحدى عشرة .

الشيخ علي بن قاسم بن حَنَش وزير الامام المهدي

قال في التاج المكلل : ولد سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين ، وسكن بصنعاء ، وهو من نوادر الدهر في جميع أوصافه ، وله في العلم حظ وافر ، وفي الأدب قدر باهر ، وقد رأى نفسه أميراً ، كما رآها فقيراً ، تارة في اليفاع [١] ، وتارة في أخفض البقاع ، ومن محاسن كلامه : الناس على طبقات ثلاث فالطبقة العليا العلماء الأكابر ، وهم يعرفون الحق من الباطل وان اختلفوا لم ينشأ عن اختلافهم فتنة لعلمهم بما عند بعضهم بعضاً ، والطبقة السافلة العامة وهم على الفطرة لا ينفرون عن الحق وهم أتباع من يقتدون به ان كان محقاً كانوا مثله وان كان مبطلا كانوا كذلك ، والطبقة المتوسطة هي منشأ الشر وأصل الفتن الناشئة في الدين ، وهم الذين لم يكبوا على العلم حتى يرتقوا إلى رتبة الطبقة العليا ، ولا تركوه حتى يكونوا من أهل الطبقة السافلة ، فانهم إذا رأوا أحداً من أهل الطبقة العليا يقول بقول لا يعرفونه مما يخالف عقائدهم التي أوقعهم فيها القصور ، فَوَّقُوا

---

(١) اليفاع المكان المرتفع اه .

إليه سهام التقريع ، ونسبوه إلى كل قول شنيع ، وغيروا فطرة أهل الطبقة السفلى عن قبول الحق بتمويهات باطلة ، فعند ذلك تقوم الفتن الدينية على ساق انتهى . قال صاحب التاج : وقد صدق ، فان من تأمل ذلك وجده كذلك [١] مات رحمه الله تعالى عام تسعة عشر ومائتين والف .

السيد علي بن عبد الله بن احمد جلال الصنعاني

قال في التاج : ولد سنة تسع وعشرين ومائة وألف ، وقرأ على علماء صنعاء كصاحب البدر التمام والسيد عبد القادر الكوكباني . قال الشوكاني رحمه الله تعالى : برع في الحديث والتفسير وشارك في الفروع مشاركة قوية وتتبع الأدلة فعمل بها ولم يقلد أحداً ، وانتفع به الطلبة في جميع الفنون ، وأخذوا عنه جميع العلوم الميسرة للاجتهاد ، وفيهم من النبلاء جماعة كثيرون ، وهو من محاسن العصر ونوادر الدهر ، مكب على العلوم في جميع الأوقات قوي الحفظ سريع الفهم ، جعله مولانا الامام من جملة قضاة صنعاء وعظمه بما يستحقه ، بعد أن عَرَّفْتُهُ بجلالة مقداره وأشرتُ إليه بتوليته ، وقد

---

(١) قال الأستاذ الزركلي في الأعلام : علي بن قاسم حَنش الذيبني ثم الصنعاني : فاضل ، من المشتغلين بالتاريخ . ولد في مدينة (ذيبين) باليمن ، وانتقل إلى حصن كوكبان ، وجال في البلاد اليمنية ، وحج ، ثم استقر في صنعاء ، وتوفي بها . كان المهدي العباسي يقرّبه ويرشحه للوزارة ، لعقله وفضله ، ثم سخط عليه فسجنه سبع سنين ، وأخرجه المنصور بالله علي بن العباس (سنة ١١٩٤ هـ) له تتمة تاريخ محسن بن الحسن ، وقد وصل هذا إلى سنة ١١٧٠ هـ فأتمه صاحب الترجمة إلى سنة ١١٨٩ هـ ذاكراً فيه الحوادث وبعض التراجم (نيل الوطر ج ٢ ص ١٥٠ والبدر الطالع ج ١ ص ٤٧٢) وفيه : اشتغل بتاريخ دولة الإمام المهدي العباسي بن منصور بن علي ، فأملى حوادثها من حفظه ، وشرع في تاريخ ولده المنصور بالله علي بن العباس ، فمات بعد الشروع في عمله .

دار بيني وبينه مباحثات نافعة ومراجعات جيدة واسعة ، ومطارحات أدبية ومذاكرات علمية ، وترافقنا في القراءة على شيخنا المغربي في الكشاف وفي شرح بلوغ المرام . توفي رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين وأربعين انتهى ببعض تصرف .

أمير المؤمنين علي بن الامام المهدي العباس بن المنصور الحسين بن المتوكل

خليفة العصر ونتيجة الدهر ، تولى امارة اليمن بالعدل والانصاف ، وسار فيهم سيرة ذوي الكمال والعفاف ، وأفرغ عليهم حلة الأمان ، ورفع عنهم يد الظلم والطغيان ، وترجمه العلامة الشوكاني وأطال بما هو بعض صفات هذا الإمام المفضال ، وذكر في ضمنها بأنه بعد وفاة قاضي القضاة يحيى بن صالح السحولي عرض على العلامة الشوكاني تولية القضاء في مكان يحيى المرقوم فقال الشوكاني يذكر عبارة المترجم بنفسها ونص قوله : بينما كنت مشتغلاً بالتدريس في علوم الاجتهاد والإفتاء والتصنيف منزوياً عن الناس لا سيما أهل الأمر وأرباب الدولة ، فاني لا اتصل بأحد منهم كائناً من كان ، ولم تكن لي رغبة في سوى العلوم ، كنت أقرأ للطلبة في اليوم الواحد ثلاثة عشر درساً منها ما هو في التفسير كالكشاف وحواشيه ، ومنها ما هو في الأصول كالعضد وحواشيه والغاية وحاشيتها وجمع الجوامع وشرحه ، ومنها ما هو في المعاني والبيان كالمطول والمختصر وحواشيهما ، ومنها ما هو في النحو كشرح الرضي والمغني ، ومنها ما هو في الفقه كالبحر وضوء النهار ، ومنها ما هو في الحديث كالصحيحين وغيرهما ، مع ما يعرض من تحرير الفتاوى ويمكن من التصنيف ، فلم أشعر إلا بطلب من الخليفة بعد وفاة القاضي السحولي بنحو اسبوع ، فقصدت مقامه العالي فذكر لي أنه قد ترجح عنده وضعي في مقام المرحوم القاضي السحولي ، فاعتذرت إليه بما كنت

فيه من الاشتغال بالعلم ، فقال القيام بالأمرين ممكن ، وليس المراد إلا القيام بفصل ما يصل من الخصومات إلى ديوانه العالي في يومَيْ اجتماع الحكام فيه ، فقلت له ستقع مني الاستخارة لله والاستشارة لأهل الفضل ، وما اختاره الله فالخير فيه ففارقته ، وما زلت متردداً نحو اسبوع ، ولكنه وفَدَ إليَّ كل من ينتسب إلى العلم في مدينة صنعاء ، وأجمعوا على أن الإجابة واجبة ، وإنهم يخشون أن يدخل في هذا المنصب الذي إليه مرجع الأحكام الشرعية في جميع الأقطار اليمنية من لا يوثق بدينه وعلمه وأكثروا من هذا ، ووجهوا إليَّ الرسائل المطولة بطلب القبول ، فقبلت مستعيناً بالله ومتوكلا عليه ، ولم يقع التوقف على مباشرة الخصومات في اليومين فقط ، بل استغرقت الدعاوى جميع الأوقات إلاَّ قليلاً ، قد أفرغها للنظر في شيء من كتب العلم أو لشيء من التحصيل في تتميم ما كنت شرعت فيه ، واشتغل الذهن شغلاً كبيراً وتكدر الخاطر كدراً كثيراً ، ولا سيما وأنا لا أعرف الأمور الاصطلاحية في هذا الشأن ، ولم أحضر عند قاض في خصومة ولا في غيرها ، بل كنت لا أحضر في مجالس الخصومة عند والدي رحمه الله تعالى من أيام الصغر فما بعدها ، ولكن شرح الله الصدور وأعان على القيام بحق الأمور . ثم إن الخليفة حفظه الله تعالى ما ترك شيئاً من التعظيم والاجلال إلا وفعله ، وكان يجلني اجلالاً عظيماً ، وينفذ حكم الشريعة على قرابته وأعوانه بل على نفسه . وفي رمضان سنة أربع وعشرين ومائتين والف توفي السلطان المذكور بدار الاسعاد ، وقمت إماماً عليه بالناس ، ووقعت البيعة لولده مولانا الامام المتوكل على الله أحمد بن المنصور في الليلة التي مات فيها الإمام ، وكنت أول من بايعه ، ثم كنت المتولي لأخذ البيعة له من إخوته وأعمامه وسائر أقاربه وجميع أعيان العلماء والرؤساء ، وكانت البيعة منهم في أوقات ،

والله المسئول أن يجعل فيه للمسلمين صلاحاً وفلاحاً انتهى كلامه . قال صاحب التاج المكلل :

ان الولاية ليس فيها راحة الا ثلاث يبتغيها العاقل
حكم بحق أو ازالة باطل أو نفع محتاج سواها باطل

سلكنا الله على الطريق المستقيم ، وهدانا لما يرضيه انه هو البر الرحيم . وكانت وفاة المترجم المذكور قريباً من ألف ومائتين وثلاثين .

الشيخ علي بن حسين السقطي الدمشقي الصالحي

العالم النجيب ، والفاضل الأديب ، زبدة ذوي الكمال ، ونخبة أهل الصدق في الأقوال والأفعال ، ولد بصالحية دمشق سنة ثمان وعشرين ومائتين والف ونشأ بها ، وقرأ على عمه العلامة الشيخ عبد الغني السقطي وعلى والدي المرحوم الشيخ حسن البيطار وعلى الشيخ عبد الرحمن الطيبي وعلى الشيخ سعيد الحلبي وعلى الملا أبو بكر الكردي . وكانت عليه خطابة العمرية والتدريس والامامة [1] ، توفي سنة تسع وثمانين ومائتين وألف ودفن بقاسيون في مقبرة أسلافه .

الشيخ علي بن محمد سعيد بن عبد الله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين الدوري الشافعي البغدادي المعروف بالسويدي

ولد سنة سبعين ومائة وألف ، وكان رحمه الله شيخ القراء والمحدثين ، وامام العلماء المتورعين ، السيد المفضال المتحلي بالأدب والكمال ، الصدر

---

(١) وقد أخذ عنه جماعة وانتفعوا به ، منهم الشيخ محمد التكريتي وغيره ، ومن أولاده : الشيخ سعيد والشيخ عبد القادر والشيخ عبد الوهاب اهـ (من روض البشر للشطي) .

الرئيس العلامة البارع الناهج منهج سيد كل نبي شارع . انتفع به جل من كان في عصره ، واعترف الجميع بسمو مقامه وقدره . أخذ عن الشيخ العجلوني وأخذ هو عنه ، وأخذ كذلك عن والده الشيخ محمد سعيد ، وعن العلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري الكبير ، وعن السيد مرتضى الزبيدي (١) . مات رحمه الله سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف .

علي بن عبد الرحمن بن علي بن موعي الطيبي الشافعي الدمشقي

ولد بعد المائتين والألف ، ونشأ في حجر والده وأخذ عنه ما عنده من العلوم ، حتى فاق عليه كما هو مشهور ومعلوم ، وتمكن في الآلات خصوصاً في علم الفلك والميقات ، والمساحة والحساب والمواريث ، والفقه

---

(١) ترجمه علاّمة العراق السيد محمود شكري الألوسي في كتابه « المسك الأذفر » المطبوع في بغداد سنة ١٣٤٨ قال ما ملخصه : كان أعلم أهل مصره في الحديث ، مع المشاركة التامة في سائر العلوم ، وكان له قوة حافظة وطلاقة لسان ، لا تكاد توجد في غيره من الاقران ، وكان حسن السيرة طاهر السريرة ، هيناً لينا ، تقياً نقيا ، محبوباً من الخواص والعوام . وقد نال مزيد القرب لدى الوزير الكبير ، سليمان باشا الصغير ، درّس ووعظ وأفاد ، وألّف مؤلفات ، منها : « العقد الثمين في العقائد » وقد طبع بمصر ، وهو أعظم مؤلفاته وأشهرها ، وكتاب في الرد على الإمامية ، ورسالة في الخضاب ، وكتاب في تاريخ بغداد ، و « سبائك الذهب ، في معرفة أنساب العرب » و « ذخر المعاد ، في معارضة بانت سعاد » و « الكوكب المنير ، في شرح المناوي الصغير » .
توفي بدمشق ، ودفن بسفح قاسيون . قال السيد محمود شكري : وقد أرخ وفاة المترجم ابن عمه الملاّ محمد سعيد السويدي بأبيات آخرها قوله :

مذ وسد اللحد نادانا مؤرخه ان المدارس تبكي عند فقد علي

وأعقب صاحب الترجمة ولده العالم الفاضل صاحب المؤلفات الشيخ محمد أمين المتوفى في نجد (سنة ١٢٤٦) عائداً من الحجاز ، تغمدهما الله برحمته .

والتفسير والتوحيد والحديث [١] . مات في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وألف ودفن في مقبرة سيدي ارسلان على جادة الطريق .

علي بن عثمان الطولقي من أعمال الجزائر

الشريف المشهور ، ذو العمل المبرور ، والسعي المشكور ، والأفعال الحسنة والأحوال المستحسنة ، مقدم الطريقة الشريفة الرحمانية القائم بوظائفها طبق السنة المحمدية ، ومربى المريدين على النهج القويم المتين ، مع الأعمال الصالحة والأفعال الناجحة ، والأطوار المستقيمة والأوراد المستديمة والأذكار المتوالية والرياضات المتتالية ، هذا هو الخليفة في الطريق والمرشد الكامل على التحقيق ، كيف لا وهو العالم العامل المتصف بأعلى الفضائل والشمائل . ولما كان فرد المعقول والمنقول وأوحد ذوي الفروع والأصول ، طلبه افتاء الناحية الشمالية من دائرة بسكره ، لأن يكون مفتياً بها لكمال علمه وإدراكه في فهمه ، وسخائه وجوده وشرف آبائه وجدوده ، لأنه من سلالة عائلة فضائلهم لاتحصى ، وهم من شرفاء الساقية الحمراء في المغرب الأقصى ، وكانت ولادته عام ألف ومائتين واثنين وثلاثين . وإنه من حين تميزه التفت إلى جهة الكمال وتأدب بآداب أفراد الرجال ، وأخذ عن مشايخ زمانه إلى أن اشتهر في فضله وشأنه ، ولم يزل يسمو وقدره ينمو ، الى أن خطبته المنية عام ألف وثلاثمائة وستة عشر عن أربع وثمانين سنة رحمه الله تعالى .

---

(١) كان والده يقول : فاقني ولدي في سائر العلوم سوى علم الفقه ، وقد أفنى ودرس باذن والده وأشياخه ، وانتفع به الطلبة . وكانت وفاته في حال حياة والده المنوه به ، في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين والف ، عن تسع وثلاثين سنة . وقد أعقب المترجم ولديه العلامة الشيخ محمد مفتي حوران المتوفى سنة ١٣١٧ والشيخ محمود الفرضي الشهير المتوفى سنة ١٣٣٠ رحمهم الله تعالى (عن ولد حفيده الأستاذ عمر الطيبي) .

الشيخ علي بن عمر بن أحمد بن عمر بن ناجي بن فنيش العوني البهي الشافعي المصري

الإمام الفاضل الفالح والهمام الناسك الصالح القانع المتجرد والتقي المتعبد . ولد بالمنية إحدى قرى مصر وأول من قدمها جده فنيش ، وكان مجذوباً من بني العونه العرب المشهورين بالبحيرة ، فتزوج بها . وحفظ المترجم القرآن وقدم الجامع الأزهر وجوده على بعض القراء ، واشتغل بالعلم على مشايخ عصره ، ونزل طندتا ودرس العلم بالمسجد المجاور للمقام الأحمدي ، وانتفع به الطلبة وآل به الأمر الى أن صار شيخ العلماء هناك ، وتعلم غالب من بالبلد علم التجويد منه ، وهو فقيه مجود ماهر حسن التقرير جيد الحافظة ، يحفظ كثيراً من النقول الغريبة [١] وفيه أنس وتواضع وتقشف وانكسار . وكان كفيف البصر لا البصيرة ، وورد مصر أيضاً في المحرم من سنة وفاته ، ثم عاد إلى طندتا وتوفي بها في ثاني عشر ربيع الأول ، ولم يمرض كثيراً ، وذلك سنة أربع ومائتين وألف ، ودفن بجانب قبر سيدي مرزوق من أولاد غازي في مقام مبني عليه ، رحمه الله تعالى ونفعنا به .

الامير علي بن عبد الله الرومي ثم المصري مولى الامير أحمد كتخدا صالح

الأمير المبجل والنبيه المفضل ، قال الجبرتي : اشتراه سيده صغيراً وأقرأه القرآن وبعض متون الفقه ، وتعلم الفروسية ورمي السهام ، وترقى حتى عمل خازندار [٢] عنده ، وكان بيته مورداً للأفاضل ، فكان يكرمهم

---

(١) له « الرقائق المنظمة ، على الدقائق المحكمة » و « هداية الصبيان ، لفهم بعض مشاكل القرآن » عن الجبرتي وغيره .

(٢) وكيل الخزينة .

ويحترمهم ويتعلم منهم العلم ، ثم أعتقه وأنزله حاكما في بعض ضياعه ، ثم رقاه إلى أن عمله رئيساً في باب المتفرقة ، وتوجه أميراً على طائفته صحبة الخزينة إلى الأبواب السلطانية مع شهامة وصرامة ، ثم عاد إلى مصر ، وكان ممن يعتقد في شيخنا السيد علي المقدسي ويجتمع به كثيراً ، وكان له حافظة جيدة في استخراج الفروع . وأتقن في رمي النشاب الى أن صار أستاذاً فيه وانفرد في وقته في صنعة القسي والسهام والدهانات ، فلم يلحقه أهل عصره .

ثم ان المترجم حصل له ضرر بعينيه فعالجهما كثيراً فلم يفد فصبر واحتسب ، ومع ذلك فيرد عليه أهل فنه ويسألونه فيه ويعتمدون على قوله ويجيد القسي تركيباً وشدا ، ولقد أتاه وهو في هذه المضرة رجل من أهل الروم اسمه حسن فأنزله في بيته وعلمه هذه الصنعة ، حتى فاق في زمن قليل أقرانه ، وسلم له أهل عصره ، وحينئذ طلب منه أن يأذن له فيها ، واجتمع أهل الصنعة في منزله لحضور هذا المجلس ، فأرسل إلى السيد محمد مرتضى الزبيدي شارح القاموس ، وطلب منه أن يكتب له شيئاً يناسب المجلس ، فكتب عن لسانه ما نصه :

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم ، وهدى بفيض فضله إلى الطريق الأقوم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأكرم ، الناصر لدين الحق بالسيف والسنان المقوم ، وعلى آله وصحبه ما رمى مجاهد في سبيل الله سهما وإلى الجنة تقدم . أما بعد فيقول الفقير إلى الله تعالى علي بن عبد الله مولى المرحوم أحمد كتخدا صالح غفر الله ذنوبه وستر عيوبه ، ورحم من مضى من سلفه وجعل البركة في عقبه وخلفه . اعلموا اخواني في الله ورسوله ان كل صنعة لها شيخ وأستاذ وقالوا صنعة بلا أستاذ يدخلها الفساد ، وان صنعة القوس والنشاب بين الأقران والأصحاب على ممر الأحقاب شريفة ،

وطريقة بين السلف والخلف مقبولة منيفة ، إذ بها تعمير باب الجهاد ، وفتح قلاع أهل الكفر والفساد . وقد أمر الله نبيه ﷺ في الكتاب بإعداد القوة ، وفسر ذلك برمي النشاب حيث قال جل ذكره « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »[1] وروى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في تفسير هذه الآية ، ألا ان القوة الرمي فكرره ثلاث مرات ، وذلك زيادة لبيانه وتفخيما لشانه ، والأمر من الله يقتضي الوجوب ، وهو فرض كفاية على المسلمين لنكاية أعداء الدين ، وثبت أن رسول الله ﷺ رمى بالقوس وتقلد بالسيف وطعن بالرمح ، وكانت عنده ثلاث قسي معقبة تدعى بالروحاء وقوس من شوحط تدعى البيضاء وأخرى تسمى الصفراء ، وثبت ان كل شيء يلهو به المؤمن باطل إلا ثلاثاً ، فذكر احداهن الرمي بالقوس ، وفي الأخبار الصحيحة ان الله تعالى ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب فيه الخير والرامي به والممد له ومنبله ، فارموا واركبوا ولأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا . وروى البخاري عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ مر على نفر من أسلم ينتضلون فقال ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان راميا . وورد في فضل الرمي أحاديث كثيرة ، منها في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا وقد عصى . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من تعلم الرمي ثم نسيه فهي نعمة سلبها . وروى النسائي عن عمرو ابن عقبة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من رمى بسهم

---

(١) الأنفال (الآية ٦٠) .

في سبيل الله بلغ العدو أو لم يبلغ كان له كعتق رقبة . وصح ان النبي ﷺ كان يخطب وهو متكىء على قوس ، وجاء جبريل عليه السلام يوم أحد وهو متقلد قوساً عربياً ، ويروى عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من اتخذ قوساً عربياً نفى الله عنه الفقر . والأحاديث في ذلك كثيرة ، وفي الكتب شهيرة . وقد ثبت ان أول من رمى بالقوس العربية آدم عليه السلام نزل جبريل عليه السلام من الجنة وبيده قوس ووتر وسهمان فأعطاها له وعلمه الرمي بها ، ثم صار إلى ابراهيم عليه السلام ثم صار إلى ولده اسماعيل عليه السلام وإليه ينتهي اسناد شيوخ هذا الفن .

ولما كان الأمر كذلك رغبه الراغبون في صنعة القسي واجتهدوا في تركيبها وأبدعوا في اتقان السهام التي يرمى بها ، امتثالاً لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ ، واسعافاً لاخوانهم المسلمين من الغزاة والمجاهدين ، وكان من بينهم الرجل الكامل الحسن السمت والشمائل ، حسن بن عبد الله مولى علي ، قد طال اجتهاده في هذه الصنعة من مد القوس واطلاقها والاختلاس وحمل الأوتار والجلة (١) والكشتوان وفرض سية القوس من سائر أنواعها العربية والمعقبية والواسطية والخراسانية والشامية ، وما يتعلق بها من تنجير الخشب وتركيبه ، ونشر اللحام وتوقيعه ، والتوقيع والحزم والرقع والتنوير والدهان مما علية عمل الأستاذين من سالف الزمان ، فلما رأيت منه هذا الإتقان في صنعته والإذعان بحسن معرفته ، والاحكام مع التفقه في سائر الأوقات لأصول صناعته ، صدرت مني هذه الإجازة الخاصة له بشهادة الإخوان في هذه الصنعة الشريفة البيان (٢) ، كما أجازني به الشيخ

---

(١) جِلّة : حزمة صغيرة من الخيوط والوتر .

(٢) كانت هذه الصنعة في تلك العهود من قسيّ ونشّاب ومنجنيق من الآلات التي تُرمى بها القذائف من أجلّ الصناعات وأكملها ، ولكن الرماة في عهدنا هم الذين يحسنون رمي القذائف النارية من أدوات الحرب في القرن العشرين ، كالدّبابات والمصفحات والرشاشات ، وتتبعها الطائرات الحربية والمدفعية الثقيلة ، للدفاع عن الأوطان ، ولحماية السكان ، من الأذى والعدوان .

الصالح الكامل الماهر البارع المرحوم عبد الله افندي بن محمد البسنوي ، بحق أخذه لذلك عن شيخه المرحوم الحاج علي الالباتي ، عن شيخه محمد الاسطنبولي ، بإسناده المتصل إلى عبد الرحمن الفزاري ، والإمام صاحب الاختيار مؤلف الايضاح المعروف بالطبري ، بحق أخذهما عن أئمة هذا الفن المشهورين طاهر البلخي واسحاق الرفاء وأبي هاشم البارودي ، بأسانيدهم المتصلة عن شيخ إلى شيخ إلى أن ينتهي ذلك إلى سيدنا اسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وحسبك من علوّ سند ينتهي إلى هذا الإمام .

وأوصيه كما أوصي اخواني ونفسي المخالطة بالأدب الجميل ، وتواضع النفس وحملها على مكارم الأخلاق ، وأن لا يرفع نفسه على أحد ، وأن لا يحقر أحداً من خلق الله ، وأن يجعل دأبه لزوم الصمت والادمان ، والقناعة بالقليل مع المداومة على ذكر الله بالسكينة والوقار ، وأن يسمي الله في أول مسكه في صنعته ، ويستمد من الله القوة والحول ولا يضجر ، ولا ييأس من روح الله ، ولا يسب نفسه ولا قوسه ولا سهامه ، ولا يحدث نفسه بالعجز فانه يصل إلى ما وصل إليه غيره فان الرجال بالهمم ، ففي الحديث : « المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير » وأن يديم النظر إلى معرفة العيوب العارضة للقسي والسهام وعقد الأوتار ، ويتعاهد لذلك وكيفية إزالة العيب ان حدث ، وأن لا يبيع سلاح الجهاد لكافر ، ويفتش دين من يشتري ان كان رجلاً ، أو صبياً فيحتاج ذلك إلى اذن والده ، فاذا علم اسلامه ووثق به فيأخذ عليه العهد أن لا يرمي به مسلماً ولا معاهداً ، ولا كلباً ولا شيئاً من ذوات الأرواح إلا أن يكون صيداً أو ما يجب به قتله ، وأن لا يعلم صنعته إلا لأهله الذي يثق بدينه ، فقد روى أنه لا يحل منع العلم عن مستحقه ويجب اعطاؤه بحقه ، لا سيما إن كان عارفاً بقدر العلم راغباً فيه طالباً

لوجه الله تعالى ، لا للمباهاة والمفاخرة ، ويجب عليه أن يروض تلامذته ويؤلف بينهم ويحرضهم على العمل ، ولا يعاتبهم إلا في خلوة ، وهو مع ذلك لازم الهيبة كثير السكوت متأنّ في الأمور غير عجول للجواب ، والتقوى أصل كل شيء وهو رأس مال الانسان .

ونختم الكلام بالحمد والثناء للرب المالك المنان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان ، وعلى آله وصحبه الأعيان انتهى .

وسمع المترجم على السيد المرتضى المذكور أكثر الصحيح بقراءة كل من الشريفين الفاضلين سليمان بن طه الاكراشي وعلي بن عبد الله بن أحمد ، وذلك بمنزله المطل على بركة الفيل ، وكذلك سمع عليه المسلسل بالعيد بشرطه ، وحديثين مسلسلين بيوم عاشوراء تخريج السيد المذكور . وأشياء أخر ضبطت عند كاتب الأسماء ، وأخذ الإجازة من الشيخ اسماعيل بن أبي المواهب الحلبي ، وكان عنده كتب نفيسة في كل فن من الفنون ، وكان لطيفاً رقيقاً حسن المعاشرة . مات سنة خمس ومائتين وألف رحمه الله تعالى .

السيد علي البكري المصري

قال الإمام الجبرتي ما ملخصه : كان مجذوباً أقام سنين متجرداً ويمشي في الأسواق عرياناً ويخلط في كلامه ، وبيده نبوت طويل يصحبه معه في غالب أوقاته ، وكان يحلق لحيته . وللناس فيه اعتقاد عظيم وينصتون إلى تخليطاته ، ويوجهون ألفاظه ويؤولونها على حسب أغراضهم ومقتضيات أحوالهم ووقائعهم .

وكان له أخ من ذوي الكمال فحجر عليه في داره ومنعه من الخروج ، وألبسه ثياباً ورغب الناس في زيارته ، وذكر مكاشفاته وخوارق كراماته ،

فأقبل الناس عليه من كل ناحية وترددوا لزيارته من كل جهة ، وأتوا إليه بالهدايا والنذور وجروا على عوائدهم في التقليد ، وازدحم عليه الخلائق وخصوصاً النساء ، فراج بذلك أمر أخيه واتسعت دنياه ، ونصبه شبكة لصيده ، ومنعه من حلق لحيته فنبتت وعظمت ، وسمن بدنه وعظم جسمه من كثرة الأكل والراحة ، وقد كان قبل ذلك عريانا شقيانا تعبانا ، غالب لياليه بالجوع طاويا من غير أكل ، بالأزقة في الصيف والشتاء ، وقيد به من يخدمه ويراعيه في منامه ويقظته ، وقضاء حاجته ، ولا يزال يحدث نفسه ويخلط ألفاظه وكلامه ، وتارة يضحك وتارة يشتم ، ولا بد من مصادفة بعض الألفاظ لما في نفس بعض الزائرين وذوي الحاجات ، فيعدون ذلك كشفاً واطلاعاً على ما في نفوسهم ، ولا يبعد أن يكون كذلك لأنه كان من المجاذيب المستغرقين .

وسبب نسبتهم إلى البكري أنهم كانوا يسكنون بسويقة البكري لا أنهم من البكرية ، ولم يزل هذا حاله حتى توفي سنة سبع ومائتين وألف ، واجتمع الناس لجنازته من كل جهة ، ودفنوه بمسجد الشرايبي بالقرب من جامع الرويعي ، وعملوا على قبره مقصورة [١] ومقاماً يقصد للزيارة نفعنا الله بعباده الصالحين .

الشيخ علي بن محمد الاشيولي الشافعي المصري

العالم الهمام والفاضل عمدة العلماء الأعلام ، حفظ القرآن والمتون واشتغل بالعلم ، وحضر الدروس وتفقه على أشياخ الوقت ، ولازم الشيخ عيسى البراوي ، ومهر في المعقول وأنجب وتصدر ودرس ، وانتظم في

(١) ما كان ينبغي أن يدفن في المسجد ، بل في مقبرة المسلمين كغيره ، ويزار كما يزار سائر الأموات ، ويدعى له بالدعاء المأثور لأهل القبور .

سلك الفضلاء والنبلاء ، وصار له ذكر وشهرة ووجاهة . وحدثته نفسه بمشيخة الأزهر ، وكان بيده عدة وظائف وتداريس مثل جامع الآثار والنظامية ، ولم يزل حتى تعلل ، وتوفي سنة إحدى عشرة ومائتين والف ، انتهى من الجبرتي ملخصا .

الشيخ علي المعروف بالخياط الشافعي الأزهري

الشيخ الإمام العمدة الهمام ، الفقيه الصالح النبيه الفالح . حضر أشياخ الوقت وتفقه على الشيخ عيسى البراوي ولازم دروسه وبه تخرج ، واشتهر بالعلم والصلاح ، وأقرأ الدروس الفقهية والمعقولية وانتفع به الطلبة ، وانقطع للعلم والإفادة . ولما وردت ولاية جده محمد باشا توسون طلب إنساناً معروفاً بالعلم والصلاح ، فذكر له الشيخ المترجم ، فدعاه اليه وأكرمه وواساه وأحبه وأخذه صحبته إلى الحجاز وتوفي هناك سنة ثماني عشرة ومائتين والف .

الشيخ علي النجّاري (١) المعروف بالقباني الشافعي مذهباً المكي مولداً

الإمام العمدة المحقق والهمام النخبة المدقق ، والفاضل العامل والزبدة الكامل . وهو ابن أحمد تقي الدين بن السيد تقي الدين ، ينتهي نسبه إلى أبي سعيد الخدري ، وهو سعد بن مالك بن دينار بن تيم الله بن ثعلبة البخاري أحد بطون الخزرج وينتهي نسب أخواله إلى السيد أحمد الناسك ابن عبد الله بن ادريس بن عبد الله بن الحسن الأنور بن سيدنا الحسن السبط رضي الله تعالى عنه .

---

(١) في الأعلام كما هنا (النجّاري) نسبة إلى بني (النجّار) من الخزرج ، وفي معجم المؤلفين (البخاري) مع أنه قال في ترجمته : (المدني الأصل) ج ٧ ص ١٢ .

ولد المترجم بمكة سنة أربع وثلاثين ومائة والف ، وقدم إلى مصر مع أبيه وأخيه السيد حسن سنة إحدى وسبعين ومائة ، فليلة وصولهم مرض أخوه المذكور وتوفي صبح ثالث يوم ، فجزع والده لذلك جزعاً شديداً وتشاءم ، وعزم على السفر إلى مكة ثانياً ، ولم يتيسر له ذلك إلا أواخر شوال من السنة المذكورة ، وبقي المترجم واشتغل بتحصيل العلوم وشراء الكتب النافعة واستكتابها ، ومشاركة أشياخ العصر في الإفادة والاستفادة ، مع مباشرة شغل تجارتهم من بيع الإرساليات التي ترد اليه من أولاد أخيه من جدة ومكة ، وشراء ما يشتري وإرساله لهم ، إلى أن تمرض وانقطع ببيته الذى بخطة عابدين قريباً من الأستاذ الحنفي ، سنة تسع ومائتين . وكان عالماً ماهراً وأديباً ناثراً شاعراً ، تخرج على والده وعلى غيره بمكة ، وعلى كثير من أشياخ العصر المتقدمين ، كالشيخ العشماوي والشيخ الحفني والشيخ العدوي وغيرهم ، وتخرج في الأدب على والده وعلى الشيخ علي بن تاج الدين المسكي وعلى الشيخ عبد الله الاتكاوي وغيرهم .

وله مؤلفات : منها نفح الاكام على منظومته في علم الكلام ، ومنها تقريره على الرملي وهو مجلد ضخم ، ومنها شرح بديعيته التي سماها مراقي الفرج في مدح عالي الدرج ، وله ديوان شعر صغير غالبه جيد وكان في مدة انقطاعه لا يشتغل بغير المطالعة وتحصيل الكتب الغريبة ، وقيد ولده السيد سلامة باشغال تجارتهم ، وولده السيد احمد بملازمته واستماعه فيما يريد مطالعته ، وكانت داره في غالب الأوقات لا تخلو من المترددين ، إلى أن توفي ليلة السابع والعشرين من رجب سنة إحدى وعشرين ومائتين والف ، وعمره سبع وثمانون سنة وصلي عليه في الأزهر ودفن بمقبرة أخيه بباب الوزير ، وتأسف عليه الناس لكرمه وعلمه وزهده وورعه ولين جانبه ولطافته وكثرة حب الناس له ، رحمة الله عليه .

الشيخ علي الحصاوي الشافعي الازهري نسبة الى بلدة بالقليوبية تسمى الحصة

الإمام العلامة الفقيه النحوي الأصولي النبيه ، حضر إلى الجامع الأزهر صغيراً وحفظ القرآن والمتون ، وحضر دروس الأشياخ ذوي القدر المصون ، كالشيخ علي العدوي الشهير بالصعيدي والشيخ عبد الرحمن النحريري الشهير بالمقري ولازم الشيخ سليمان الجمل وبه تخرج ، وحضر على الشيخ عبد الله الشرقاوي مصطلح الحديث ، وكان يحفظ جمع الجوامع مع شرحه للجلال المحلى في الأصول ومختصر السعد ، ويقرأ الدروس ويفيد الطلبة ، وكان إنساناً حسناً مهذباً متواضعا ، ولا يرى لنفسه مقاما ، عاش معانقاً للخمول في جهد وقلة من العيش مع العفة وعدم التطلع لغيره ، صابراً على مناكدة زوجته ، وأصيب بداء الفالج وانقطع بسببه عن الدروس أشهرا ، ثم انجلى عنه يسيراً مع سلامة حواسه ، وعاد إلى الإقراء والإفادة ، ولم يزل على حسن حاله ورضاه وانشراح صدره وعدم تضجره وشكواه للناس ، إلى أن توفي في شهر جمادى الثانية سنة إحدى وثلاثين ومائتين والف .

الشيخ علي المعروف بأبي زكريا البولاقي الازهري الشافعي

الورع الفقيه والزاهد النبيه ، علم العلماء وراية الفضلاء ، كان ملازماً لإقراء الدرس ببولاق ، ويأتي الى الجامع الازهر في كل يوم يقرأ الدروس ويفيد الطلبة ، ويرجع إلى بولاق بعد الظهر . وكان له حمار يركبه ، فلما مات حماره صار يأتي ماشيا ، ولم يتخلف عن عادته إلى أن تعوض عنه غيره ، وكان متواضعاً ذليـــلاً خاشعا ، لا يرى لنفسه قدراً ولا يترك شيئاً ولا يفعله ترفعاً وكبرا ، ناهجاً منهج السنة مربياً لنفسه إلى أن عادت مطمئنة ، توفي يوم الخميس ثامن شهر ذي القعدة سنة الف ومائتين واثنتين وثلاثين .

الشيخ علي افندي بن ابي الفضائل الشيخ علي افندي العمري الفاروقي

كان عالماً أديباً وشاعراً لبيبا ، وفاضلاً اماماً وسيداً هماما .

ولد سنة ثمانين ومائة والف ، قال السيد عبد الباقي افندي العمري : لما حاولت الاطلاع في أثناء مطالعتي بعد إمعان النظر واعمال الفكر ، بكتاب الروض النضر ، في ترجمة أدباء العصر ، المنسوب لحضرة عم والدي المرحوم عثمان عصام افندي الدفتري بن أبي الفضائل علي افندي العمري ، على ما يعجبني فيطربني ، فما وقفت على أجمل وأحسن وألطف وأرق وأجزل وأبلغ وأفخم وأدق من هـذه المقطوعة العلية الشان ، عند أرباب هذا الشان ، التي ذكرهـا في ترجمة صنوه وشقيقه المبرور ، علي افندي سليل المذكور أبي الفضائل ، فما ترك بها قولا لقائل وهي قوله :

طرة النهر سرحتها النسائم ... وعلت منبر الغصون الحمائم
ساجلتهـا بلابل الدوح حتى ... شق ورد الربا جيوب الكمائم
ما ترى الشرق سل مرهف فجر ... قد تعرّى براحة الأفق قائم
وسطا في الظلام حتى تبدى ... فلقـاً فالدماء فيه علائم
فاختلس فرصة الزمان بروض ... يضحك الزهر من بكاء الغمائم
وتنبه لساعة الأنس وانهب ... صفوة العيش واطرح كل لائم
واجتلي كأس مبسم من غزال ... بابلي اللحاظ حلو مـلائم
مائس العطف كلما راح يخطو ... وده الصب فوق جفنيه دائم
ذي دلال تمهد الحسن حتى ... قلدتـه زهر النجوم التمائم
نفثت مقلتاه سحراً فأمسى ... كل صب محلول عقد العزائم
وعلى غصن قـده كم تمنى ... طائر القلب لو غدا فيه حائم
جال ماء الجمال في روض خد ... فيه إنسان مقلتي ظل عائم

لا تلمني إن سمته بيع روحي فعلى كل حالة أنـا سائم
فسقى الله ملعبا قد تقضى حادث الدهر كان لي عنه نائم
بعتاب ارق من خـد ورد نبهت جفنه أيادي النعـائم

وله قصائد وأشعار ، أرق من نسمات الأسحار . توفي رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين وأربع وأربعين .

السيد علي الخزام بن حسين برهان الدين بن عبد العلام بن عبد الله شهاب الدين المبارك بن السيد محمود الصوفي الصيادي الرفاعي

كان رجلاً تقياً صالحاً نقياً ، خاشعاً عابداً متواضعاً زاهداً ، كريم الطبع علي القدر لين الجانب رحب الصـدر ، مقبلاً على الطريق اقبال الشفيق على الشقيق .

ولد رحمه الله ورضي عنه وارضاه ، سنة ست وثلاثين ومائة والف ، ونشأ في حجر والده وقد لاحظته عين العنـاية والعطف ، وبعد موت والده علا قدره وعظم أمـره بين الناس واعتقدوه وحصل لهم به كل إيناس ، وجذبته يد العناية وأكرمه الله بالولاية ، ورزقه الكشف والتمكين والقوة واليقين ، والتصرف الخارق والسر البـارق . توفي رحمه الله سنة سبع وأربعين ومائتين والف ودفن بمقبرة خان شيخون .

الشيخ علي بن ابراهيم الإمام

الإمام الفاضل والسميدع الكامل ، قطب العلوم ومحور المنطوق والمفهوم . قال صاحب التاج المكلل : لا أعلم أنه غضب قط ولا خاصم في شيء منذ عرفته إلى أن مات ، وليس له نظير في حفظ الأشعـار لأهل الجاهلية والإسلام الأخيار ، وكتب من نفائس الكتب بخطه شيئاً كثيراً ، وكنت

أعجب من سرعة مايتحصل له من ذلك مع شغله بالتدريس ، فسألته في بعض الأيام عن ذلك ، فقال إنه لايترك النسخ يوماً واحداً ، وإذا عرض له مايمنع فعل من النسخ شيئاً يسيراً ولو سطراً واحداً أو سطرين فلزمت قاعدته هذه ، فرأيت في ذلك منفعة عظيمة انتهى . مات المترجم المذكور سنة سبع ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ علي بن ابراهيم حفيد صاحب سبل السلام

ذكر له الشوكاني ترجمة حسنة وقال : له مصنفات ، منهـا « السر المصون في نكتة الإظهار والإضمار » ولد سنة الف ومائة وإحدى وأربعين ونشأ من أول أمره على الطـاعة والعبادة والتقوى والزهادة ، وله في التصوف اليد العالية والمعارف السامية ، ودأب على السلوك في أول أمره إلى أن حصل على مطلوبه وحـاز على مرغوبه . وكان له في الوعظ أسلوب حسن له في القلوب تأثير يسري على الكبير والصغير . توفي رحمه الله عام الف ومائتين وثلاثة عشر .

القاضي علي بن احمد بن عطية من علماء الذمار

قال صاحب التاج المكلل : ولد عام الف ومائتين وثمانية . قال العلامة الشوكاني : له ميل إلى العمل بالأدلة وفهم ثاقب وادراك تام . مات في ذمار سنة الف ومائتين واثنتين وخمسين .

الشيخ علي بن اسماعيل فهمي

عالم عامل وزاهد فاضل ، قال صاحب التاج : كان من علماء صنعاء من تلامـذة احمد قاطن وغيره ، بارع الذكاء فائق بين النبلاء ، جيد

الادراك حسن الأخلاق ، كريم الصحبـــة . كان له معرفة تامة بغرائب المسائل . قال الشوكاني : وكان مجتهداً يميل إلى الدليل ، ولا يعمل إلا بمقتضى السنة والتنزيل . مات سنة الف ومائتين وثلاث وعشرين .

السيد علي بن اسماعيل من نسل الإمام المتوكل على الله

كان من أكابر العلماء وأحاسن الفضلاء ، قال الشوكاني : وفد إلى صنعاء وسمع مني رسالتي المسماة « الدر النضيد في اخلاص التوحيد » وكذلك حضر معنا في قراءة مؤلفي المسمى « إتحاف الأكابر باسناد الدفاتر » وكَتَبَ المؤلَّفَيْنِ بخطه ، وبالجملة فقد دار بيني وبينه من المساجلات الأدبية والمكاتبات الشعرية ، مايكثر سرد بعضه ، وقد رقمت بعض ذلك في مجموع شعري ، مات سنة الف ومائتين وتسع وعشرين رحمه الله تعالى .

الشيخ علي خضري الدمشقي

كان من الأولياء الصالحين وأهل الكرامات الناجحين ، وللناس به اعتقاد جميل وكانوا يحلونه لمحبته كل محل جليل ، ولد بقرب الألف والمائتين ، ونشأ على أحسن حال وأتم منوال ، تسعى الناس إليه ويتبركون بلثم يديه ، وكثيراً مايتكلم بالكلام ، وكل من كان حاضراً يحمل كلامه على ماقصده من مصلحته ورام ، وربما أن سألوه أجاب ولم يخطيء الواقع والصواب ، ولم يزل مقبولاً معروفاً لامجهولاً ، مقصوداً في قضاء المآرب من كل ناحية وجانب ، إلى أن توفي سنة الف ومائتين وستين تقريباً ، ودفن في زاويته المعروفة به على جادة طريق سويقة ساروجا ، وقبره بها مشهور معروف والتبرك به كثير مألوف ، مقصود للزيارة رحمه الله رحمة واسعة على ممر الأوقات والساعات .

الشيخ علي افندي الحسيبي

ولد سنة الف ومائة وخمس وخمسين ، ونشأ ناهجاً منهج الكمال إلى أن بلغ أوج الاعتدال ، وكان عالماً لطيفاً فاضلاً شريفاً ، من أكابر الأعيان ذوي القدر والشان . مات رحمه الله سنة اثنتين وأربعين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة الدحداح وكتب على قبره :

حَسْبُ الحسيبي الانْتِمَاء لمن غدا ... يغدو شفيع المنتمي والأجنبي
لا سيما وهو السميُّ لجدّه ... صنو النبي الهادي عليّ المنصب
بوفاته وافته رحمة ربه ... وحباه مولاه الرضى مع من حبى
مذ للبقا الداعي دعاه مؤرخا ... جنات عدن قد زهت بابن النبي[1]

الشيخ علي الشهير بالطحان الازهري المصري

قال الجبرتي : الإمام العلامة الفقيه ، النحوي الاصولي الجدلي ، النحرير الفصيح المتقن المتفنن حضر شيوخ العصر ، ولازم الشيخ الملوي والجوهري ، وكان معيد الدروس الأخير وبه تخرج ، وكان يقرأ الكتب ويقرر الدروس بدون مطالعة ، إلا أنه كان يغلب عليه الملل والسآمة وحب البطالة غالب أيامه ، ولا يتعفف عن الدنيا من أي وجه كان ، ويطلبها وإن قلّت ، وكانت سليقته جيدة في النثر والنظم .

---

(١) بعد أن نقل الأستاذ الشطي هذه الترجمة ، وعزاها الى الأستاذ الجد ، وصلها بقوله : قلت إن صاحب الترجمة هو ابن القاضي الأديب السيد محمد العطار ، ووالد الوجيه الكبير احمد افندي الحسيب ، وقد كان المترجم يتولى النيابات في محاكم دمشق ، ويوقع على وثائقها هكذا : (علي حسيب) كما رأيت ذلك بخطه الحسن ، فاشتهار أسرته الآن بالحسيبي ، إنما هو بالنسبة إليه ، وعلى كل حال فان لهم فضيلة ووجاهة ، وبيتهم من بيوت دمشق المعروفة ، وقد عرف المترجم شعر نوّه به السيد كمال الدين في تذكرته ، كما سبق لوالده نظم أشار إليه المولى خليل افندي المرادي في تاريخه ، رحمهم الله تعالى أجمعين اهـ باختصار من (روض البشر) .

وله منظومة في الفقه ، ومنظومة في المنطق ، ومنظومتان في التوحيد كبرى وصغرى ، ومنظومة في العروض ، ومنظومة في البيان ، ومنظومة في الطب ، وله لاميتان على محاكاة لامية ابن الوردي كبرى وصغرى ، وحاشية على شرح الملوى على السمرقندية . توفي في أواخر شعبان سنة سبع ومائتين والف .

الشيخ علي الحصاوي الشافعي المصري الازهري

الفقيه الفريد والعلامة المفيد ، كريم الأوصاف جميل الانصاف ، حسن الشمائل المعروف بالفضائل ، مفيد الطلبة بالفقه والمعقول ومقيد أركان الفروع والأصول ، مع شهادة الشيوخ بفضله ، ووثوقهم بعلمه ونقله ، وكان على طريقة المتقدمين في الانقطاع للافادة والاستفادة مع التقشف وعدم الرفاهية والرضى بما وجد من غير زيادة ، وتمرض بالحمى ولم ينقطع عن ملازمة الدروس ، حتى توفي في منتصف جمادى الثانية سنة خمس وعشرين ومائتين والف وصلي عليه في الأزهر ، ودفن في تربة المجاورين في الصحراء رحمه الله تعالى .

الشيخ علي بن محمد بن احمد بن علي الديركوشي الشافعي

العالم الإمام العامل والفقيه الفرضي الورع التقي الصالح الكامل ، ولد بديركوش قرية من أعمال حلب عام ستة وثلاثين ومائة والف ، وقرأ على والده وعلى الشهاب احمد بن محمد بن الحسن الديركوشي المفتي ، وتفقه وأحسن الأخذ ، وافتى بديركوش وراجعه أهاليها بأمورهم ، وكان صالحاً أديباً ديناً قليل المعاش قانعاً بما يحصل له من زراعته ، راضياً بالكفاف والراحة ، له تعشق بالعلم والعمل والمطالعة والإفادة والاستفادة ، وكان ممن أخذ عنه العالم الفاضل محمد خليل افندي المرادي سنة خمس ومائتين والف كما نقلت ذلك من خطه ، ولم يزل على ترقيه إلى أن توفي سنة الف ومائتين و[1] ودفن في محلته رحمه الله تعالى .

---

(١) في تاريخ حلب الشهباء : في حدود سنة ١٢١٠ (ج ٧ / ١٤٩) .

الشيخ علي افندي الشافعي بن الشيخ محمد سعيد بن أبي البركات الشيخ عبد الله السويدي البغدادي

قطب مدار العلماء في زمانه وعمدة السادة الفضلاء في وقته وأوانه ، خادم السنة والكتاب مع تقوى وزهادة وخضوع وخشوع وعبـــادة ، وجود وسخاء وكرم واتصاف بمعالي الشيم . قـال صاحب جلاء العينين قال في النزهة من ترجمة طويلة مانصه : وكان لأهل السنة برهانا وللعلماء المحدثين سلطاناً ، مارأيت أكثر منه حفظاً ولا أعذب منه لفظاً ولا أحسن منه وعظا ، ولا أفصح منه لسانـاً ولا أوضح منه بيانا ، ولا أكمل منه وقاراً ولا آمن منه جارا ، ولا أكثر منه حلما ولا أكبر منه بمعرفة الرجال علمـا ، ولا أغرب منه عقلاً ولا أوفر منه في فنه فضلا ، ولا ألين منه جانبا ولا آنس منه صاحبا .

اختارت روحه وهو في دمشق الشام من الملأ الأعلى فريقا ، وهو يقرأ قوله تعالى « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » [١] وجاء تاريخ وفاته : ـ اسكنه الله تعالى أعلا جنانه ـ : « إن المدارس تبكي عند فقد علي » انتهى ، وذلك سنة الألف والمائتين والسابعة والثلاثين في السابع والعشرين من رجب الأصم ، أحله الله تعالى دار النعيم الأتم . وله تأليفات مفيدة ورسائل عديدة ، ومن أجلها كتاب « العقد الثمين في بيان مسائل الدين [٢] » وقد شرحه ولده الفهامة محمد الأمين ، أسكنه الله في جنته وأسبغ عليه سوابغ نعمته ، آمين .

---

(١) سورة النساء الآية (٦٩) .

(٢) وسبائك الذهب ، في معرفة أنساب العرب ، وذخر المعاد ، في معارضة بانت سعاد ، وتاريخ بغداد ، في الوقائع وتراجم العلماء ، والكوكب المنير ، في شرح المناوي الصغير ا هـ من معجم المؤلفين (ج ٧ / ٢٠٠)

السيد علي خزام بن السيد خزام بن السيد الكبير
الشيخ علي الخزام بن السيد حسين برهان الدين
الخزامي الصيادي الرفاعي الخالدي

قد ترجمه السيد ابو الهدى افندي الصيادي في تنوير الأبصار فقال : ولد عام ستة وثمانين ومائة والف ، وأمه من بني العابد ، وهم عائلة لهم نسب صحيح للسيد محمد أبي عابد الخابوري الحسيني رضي الله عنه ، وهو صاحب المرقد العامر بدير الخابور ، وأصل عشيرة آل العابد بحران الرها ، يقال لهم عباده معروفون بصحة النسب للإمام زين العابدين رضي الله عنه ، ويقال لما ولد السيد علي كان عمر أبيه احدى وعشرين سنة ، فكان بعد أن كبر إذا مشى مع أبيه يظن أنه أخوه . نشأ ببني خالد ربيب الكرم والتقوى ، ورضيع الصدق والطريق الأسوى ، بيته منهـــل الواردين ومرجع الوافدين :

لا عيب فيه سوى السخا وطباعه ... بذل الوجود كسائر الموجود
لم يبغ غـــير الله في أعماله ... وكذا طباع الآل أهل الجود

وقد اشتهر في قبيلتنا وثبت عند فصيلتنا ، أن من ضاع له شيء وأكل من زاد المترجم بالنية ، يرد الله عليه ضائعه ، والسارق إذا أكل من طعامه وذهب لشغله لا يتيسر له سرقة شيء باذن الله تعالى . ولما بلغ الأربعين داوم على صيام الأشهر الحرم وست شوال ، الى أن توفاه الله تعالى .

تزوج بامرأتين الأولى خالدية والثانية عبادية من أخوال آل العابد . مات المترجم المرقوم سنة سبع وأربعين ومائتين وألف ، رحمه الله تعالى ودفن بمقبرة خان شيخون عند أقاربه .

السيد علي بن السيد خير الله الصيادي
شيخ المشايخ بحلب الشهباء رحمة الله عليه

قد ترجمه صاحب تنوير الأبصار فقال : شيخنا الكامل الفاضل الصالح الناجح ، الحسيب النسيب الشريف الغطريف ، ابن عمنا وأحد أعيان بيتنا رفيع المنزلة مقبول الجاه ، وهو السيد علي بن السيد خير الله بن السيد محمد بن السيد خير الله المتصل النسب بسيد من رقي أعلى الرتب . ولد رحمه الله تعالى بحلب ونشأ بحجر والده ، رضيع ثدي الولاية ربيب مهد السيادة والعناية ، ولا زالت تحفه الوقاية الربانية وتشمله الأنظار المحمدية ، حتى كبر وأحرز مشيخة المشايخ بعد أخيه السيد رحمه الله تعالى ، وظهر واشتهر وعلا شانه وقدّمه أقرانه ، وطاب قلبه وعذب لسانه، وحسنت اشاراته وتواترت بالديار الحلبية كراماته . كان جمالي المشرب جلالي الجناب ، رفيع المكانة ، رقيق الطبع سليم القلب ، مبارك المال ، جليل المقام ، له أحوال قدسية ومحاضرات أنسية ، وكلمات شريفة ونكات لطيفة ، وسريرة عامرة وسيرة زكية طاهرة . يسر الله توبة كثير من العصاة على يديه ، وقاد قلوب العامة والخاصة اليه . وروى له الجم الغفير الكرامات الكثيرة ، (منها) أن رجلاً معروفاً من أهل حلب رد شفاعته في نازلة وأغلظ الجواب ، فخرج من مجلسه مغير الخاطر فقبل أن يصل المترجم قدس الله روحه الى بيته ، ألمّ بالرجل ماغص عظيم ، فما مضى ذلك اليوم إلا وتوفاه الله تعالى . وهذه قصة متواترة في الشهباء أشهر من أن ينبه عليها .

(ومنها) أنه صب ماء في قنديل نفد زيته فأضاء الى الصباح باذن الله تعالى .

(ومنها) أن رجلاً من ذوي البيوت يقال له عبد الكريم ، مازح المترجم بكلمة أخذ منها شيئاً في نفسه ، فقام من المجلس ولم يشعر أحد أنه اغبرّ خاطره ، ففي الحال أصابت الحمى عبد الكريم المومى اليه ، فعالج نفسه بالأدوية مدة فما أفاد ، فألهمه الله تعالى بعد تلك المدة أن اغبرار خاطر صاحب الترجمة هو السبب فيما ألمّ به ، فذهب لحضرته المباركة وقبل يديه وسأله العفو ، وذكر له القصة فعفا عنه ، وأمر له بماء فشربه ، وانصرفت عنه الحمى ليومها بقدرة الله سبحانه وتعالى . (ومنها) انه كان خارج داره ورجع ليلاً وخادمه أمامه بيده القنديل ، فوجدا عند الباب شخصاً من الجن وصل رأسه الى قرب حائط الدار ارتفاعاً ، فخاف الخادم خوفاً شديداً ، فقال له لا تخف وأخذ القنديل وضرب به الشخص ، فسقط ، وفي الصباح جاء اتباعه فوجدوا رماداً أمام الباب ، فعرفوه أنه الجني . وهذه من غرر كراماته ، وكراماته كثيرة لا تعد . لبس الخرقة من أبيه العارف بالله السيد خير الله الثاني ، وسند خرقتهم معروف ، وقد أخذ منه الإجازة بالطريق السيد أبو الهدى أفندي صاحب (تنوير الأبصار) توفي السيد المترجم قدس الله روحه بحلب سنة تسع وثمانين ومائتين وألف ، ودفن بزاويته المباركة التي أنشأها ببحلة بانقوسا ، وقد أرخه الكثير من الفضلاء منهم الحاج مصطفى الانطاكي الحلبي وبيت التاريخ قوله :

ولدى زيارتنا له أرخ نرى نور الرفاعي من مقام عليّ

الشيخ علي الخانمي الادلبي الشاعر المشهور

أديب قد تحلى كلامه بقلائد العقيان (١) ، ونظامه ببلاغة قس (٢) وفصاحة سحبان (٣) ، وأريب جرت في بحوره سفن الأذهان فلم تدرك قراره ، وعجزت أفكار النظراء والبلغاء عن أن يدركوا تياره ، فلا ريب انه الفصيح الذي إن تكلم أجزل وأوجز ، وأسكت كل ذي لسان ببلاغته وأعجز ، ما برز في موطن شعر الا وكان فارس ميدانه ، ولا في محفل إنشاء نثرٍ الا وكان المشار اليه في بديعه وبيانه ، فهو للأدب حدقة الانسان ومن رآه علم أنه ليس الخبر كالعيان ، كيف لا وهو الفريد الذي تلألأت بمعاني بيانه السطور والطروس ، واهتزت لبديع براعته وعبارته الأعطاف والرؤوس .

ولد سنة ألف ومائتين وست عشرة . وكان جواداً كريماً ، مهاباً بين الناس عظيما ، جميل المعاملة والإحسان ، كثير التودد للأحباب والإخوان . ومن نظمه هذا الموشح ، الذي تردى بكل جمال وبكل حسن توشح ،وهو :

طالع الاسعـــاد باد عند ما ضم شمس الحسن برج الاطلس
وجلا صبح جبين أنجمـــا فوق بدر تحت فرع حندس

دور

---

(١) ما جعل في العنق من الذهب الخالص وقد شبه أدبه به .

(٢) قُس بن ساعدة الايادي : خطيب جاهلي ، يضرب به المثل في البلاغة . كان موحّداً وداعياً إلى التوحيد .

(٣) سحبان وائل : خطيب فصيح يضرب به المثل ، اسلم في زمن النبي (ﷺ) ولم يجتمع به ، وأقام في دمشق أيام معاوية ، وهو خطيب العرب غير مدافع ، وكان إذا خطب لم يعد حرفاً ولم يتلعثم ولم يتوقف ، ولم يفكر ، بل كان يسيل سيلاً . عن طبقات الخطباء لأبي نعيم .

راحة الأرواح في أيدي الصباح قهوة الراح كأقداح الصبوح
في رياض باغتباق واصطباح للشجي راح وريحان وروح
هاتها بكراً إذا ما الفجر لاح عتقت في دنها من قبل نوح
بنت شمس زوجت ماء السما ولدت منه الجواري الكنّس
فانتشائي كان منها مغنما وبذكراها نديمي مؤنسي

دور

حي من صافي الحميا يانديم وامل بدر الكأس من شمس المدام
وانشد الألحان بالصوت الرخيم واترك العذال تهذى بالملام
إنها العيش الرغيد المستقيم غادة تمحي شموساً في الظلام
مزجها الصهباء من عذب اللما قتهل الصب حياة الأنفس
فابسطن للجيد منها معصما عند ما تسهو عيون الحرّس

دور

والثُمَنْ أنفاس عطر يستطاب من خديد خاله المسكي طيب
وتنزه ناظراً تحت النقاب جنة تزهو على رغم الرقيب
واغتنم وقتاً من الهجران تاب حبذا وقت إلى الوصل منيب
واغتباق الغيد فيه خيما في ربا ضم القدور الميس
نم هنيئاً في حراس حيثما حاجب الهيفاء رام عن قسى

دور

لذ في العذراء لي خلع العذار واطراحي في خبا ذات الخدور
منشدي في الحان ألحان الهزار في رياض نجمها زهو الزهور
وردها يروي حديث الاحمرار عن شقيق الخد عن بسم الثغور

طرف حور العين أمسى مغرما في رباها في عيون النرجس
عنبرت نفح الشذا بل إنما عطرت من عرف عطر النفس

وله أيضاً رحمه الله ، وحباه في دار الرضوان مرامه ومناه .

حتى م يا ظبي الكناس[1] احنو اليك وأنت ناسي
أغريت بي سقم الجفو ن فحل مني كل آس
ونسيت عهداً لم أكن أبداً له وأبيك ناسي
مولاي لا تمتد في هجري فقد عجز المواسي
مرني فأمرك بالذي تهوى على عيني وراسي
هذي الرياض قد انجلت في حلتي ورد وآس
فاجل المدام اخا الهلا ل وحيّني منها بكاس
واستنطق الوتر الرخيم عن الفؤاد وما يقاسي

وله أيضاً

ياصاحبي عج بالمطيّ على الحمى فعسى تلوح لناظريّ شموسه
فهناك يستملي ابن مقلة[2] فضة مني فيكتب والخدود طروسه
وأريك شوقاً لو يقاس بغيره بتوقد الجمرات كنت تقيسه
بان الخليط فلا تسل عن حالتي ما حال من قد بان عنه أنيسه
ودّعته ورجعت عنه كأنني ذو نشوة دارت عليّ كؤوسه
لم انس إذ غنى له الحادي ضحى وتراقصت تحت الهوادج عيسه
ورمى ابن عم الظبي لي بإشارة أخذ الفؤاد بها فهاج رسيسه

---

(١) الكِناس : بيت الظبي .
(٢) محمد بن مقلة ، اشتهر بخطه وقد نقله من الوضع الكوفي .

ولـــه

يا وردة من فوق بانهْ ... سِرُّ الأحبة من أبانَـــه ؟
اخفيته جهدي وقـــد ... علّقت في قلبي مكانـــه
وكتمت أمر صبابتي ... وسدلت أستار الصيانـــه
مـــا كنت احسب أن يكو ... ن الدمع يوماً ترجمانـــه
لولا وضوح الأمر مـــا ... اغرى بنا الواشي لسانـــه
ولوى عنانـــك عن شج ... شوقاً إليك لوى عنانـــه
ياظبية البان الذي ... عند القلوب لها مـكانـــه
قد اسكرتني مقلتـــا ... ك كأن في الخمار حانـــه
وكرعت من ماء الصبـــا ... ففضحت لين الخيزرانـــه
أجريت ذكرك بالحمى ... وقد اجتلى طرفي جنانـــه
فلوى القضيب معاطفـــا ... نظم الندى فيهـــا جمانـــه
واحمرّ خد شقيقهـــا ... وافتر ثغر الأقحوانـــه (١)

ولـــه

قد نضى طرفه الكحيل حسامه ... فسل الله يافؤادي السلامـــه
فاتك قد سطا بألحاظ ريم ... بلغته من القلوب مرامـــه
ناقض للعهود ليس يراعي ... ذمة للذي يراعي ذمامـــه
قد تعشقته بديع جمـــال ... يملأ العين بهجة ووسامـــه
ما تذكرت عيشه الغض إلا ... أهطلت ادمعي عليه غمامه
يانسيماً من عنبر اللطف أهدى ... طيب أنفاسه إلينا شمامـــه
هي عني اقاح تلك الروابي ... ثم قبل ثغوره البسامـــه

---

(١) نبات من أجل أزهار الحدائق ، يشبهون به الأسنان .

والو عطف القضيب نحو أخيه ليطيل اعتناقه والتثامه
واقتطف من حديقة الحسن ورداً نقطت فوقه من المسك شامه
وارتشف من خلال تلك الروابي قاطر الشهد قطرته مدامه
واعتنق في منعنم البرد خوطا رنحت خمرة الشباب قوامه
ثم لاعب له ذؤابة شعر قد تدلت فقبلت أقدامه

وله

يازورة سمح الخيا ل بها فبات معانقي
خاض الدجنة طارقا أكرم به من طارق
وأتم ساحة عاشق في جنح ليل غاسق
وأتى يجدد بالصبا بة عهد صب شائق
فجرت لطائف بين معـ شوق هناك وعاشق
وخلالها قُبَلٌ تلذ ورشف ريق رائق
وسألت ذاك الريم عن سبب الصدود السابق
فانهل منه ما يريك الطلّ فوق شقائق
وافترلي ياقوته عن لؤلؤ متناسق
وصفا هنالك مورد بين العذيب وبارق

وله

بروحي ساق قد جلا تحت فرعه جبيناً كبدر التم عند شروقه
سقاني بنجلاويه كأساً من الهوى فأسكرني أضعاف سكر رحيقه
وقال افترع بكر الأماني تغزلاً فلي منظر يهديك نحو طريقه
فوجهي مثل الروض باكره الحيا جني أقاحيه وغض شقيقه
وإن أشبه التفاح خدي حمرة فلي نونة تحكي مناط عروقه

النونة طابع الحسن ويسمى أيضاً جب يوسف اهـ .

ولـــه

رشق الفؤاد بأسهم لا تخطه ... ريم يشوق الريم مهوى قرطه
من ذا عذيري من هوى متلاعب ... قد راح يمزج لي رضاه بسخطه
أعطيته قلبي وقلت يصونه ... فأضـــاعه يا ليتني لم أعطه
وثناه عن محض المحبة رهطه ... فعناء قلبي في الهوى من رهطه
وقد اشترطنا أن ندوم على الوفا ... ما كنت أحسبه يخل بشرطه
كيف الخلاص ركبت بحراً من هوى ... شوقاً اليه فشط بي عن شطه
علقته ريان من ماء الصبـــا ... كالروض أخضله الغمام بنقطه
غض الشباب وهذه وجناته ... قد كاد يقطر ماؤها من فرطه
يجلو عليك صحائفاً وردية ... رقم الجمال بها بدائـع خطه
وتريك هاتيك المعاطف بانة (١) ... تهتز ليناً في منمنم مرطه
وتخامر الألباب منه فـكاهة ... تلهي حليف الكأس عن اسفنطه (٢)
لو بت أستملي لطـائفه التي ... ضاهت برونقها جواهر سمطه (٣)
لدهشت إعجاباً بلؤلؤ لفظه ... ومددت كفك طامعاً في لقطه

ولـــه

لا تكن ويك طامعاً في سلوّي ... فالهوى قد نمـا أشد نموّ
شفني ذلك الشويدن حبـا ... ورمـاني بسهم ذاك الرنو
قمر في ابتدائه تم حسناً ... وسما في الكمال أوْفَى سمو
وقضيب غض النبات رطيب ... عل (٤) من خمرة الشباب وروّى

---

(١) البانة : شجرة معتدلة القوام ، يشبه بها القدّ لطوله .
(٢) الاسْفِنط والاسفَنط : المطيّب من عصير العنب خاصة .
(٣) السمط : الخيط ما دام اللؤلؤ أو الجوهر منتظما فيه .
(٤) علّ : شرب ثانية أو تباعا .

حبه خط في فؤادي سطراً أمـد الدهر ليس بالممحوّ
يمزج الصدّ بالوصال دلالاً فـترى منه قسوة في حنو
وهواه ما زال يوري لهيباً بين جنبي مـا له من خبو
يا سقى الله عهدنا في ليال قد جنينا بها ثمـار الدنو
جمعت شملنا بكأس سلاف هي أصفى من دمعة الممحو
كلما قلت يابن ودي خذها قال لي هات يا عدوّ عدوّي

وفي سنة الف ومائتين وإحدى وأربعين امتدح المترجم متسلم حمص محمد آغا خير الله ، وكان رجلاً كريماً حسن السيرة جميل الشهرة ، إلا أنه لم يجازه عليهـا ، فبحسب التقدير لم يمض على ذلك مدة حتى قتل الممدوح في شوارع البلد ، وأما المادح فإنه قد تمرض وتحول فمه والعياذ بالله تعالى . وهذه القصيدة التي مدح بها الممدوح المرقوم أعلاه مضاهياً بها بانت سعاد لكعب بن زهير الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه :

أسيف لحظيك تجلوه الصياقيل أم مشرفيّ ابن خير الله مسلول
منه رأينا لديك الأسد صاغرة منهم حلا لك بعد العز تذليل
لله ريم بدا من ليل طرته بدر تلالا به بشرى وتهليل
حكى الغزالة منه الالتفات حكت منه المحيا سناماً فيه تأفيل
كم من كمي له ما بين معترك الـ أحداق والقلب متبول ومبتول (١)
ما السحر والخمر بالألباب أفتك من فتان طرف به هاروت مشغول
فرح معافى سليم القلب من حرق والجفن من قرح فالحب قتيل
ولا تعرض إذا هز القوامَ رشا من شك أحشاءه الخطيّ مقتول
ودم خلياً وإن تعشق فدم هدفاً لناقد فسهام الطرف مرسول

---

(١) تبله وأبتله الحُب أو الدهر : أسقمه أو ذهب بعقله ، فهو متبول . وبتل الشيء : قطعه وأبانه عن غيره ، فهو مبتول .

اليك نصحي ولكن من وعاه فبا م لانعام يزدان عندي فيه تمثيل
بآية النور من صبح الجبين الى رب المحاسن لي بالليل تبتيل

إلى أن قال متخلصاً إلى المدح :

كأنه موج هندي يَهُزّ به محمد ودجى الهيجاء مسدول
لعضبه ومض برق والغبار حكى مزنا وقطر دم العاصين مهطول
يلقى الكماة ابن خير الله يتركهم بلها ولب عميد الجيش مذهول
بغير درع يلاقي الدارعين ولا تهوله بعواليها الجحافيل
فصاله فصّل الأكباد فيه وما ردّت مضاربه تلك السرابيل
عليه ما شق أن يلقى الألوف به وشق قلب خميس فهو مغلول
بالبيض صلت ظباه عندما ركعت فأسجدت هامها الشم البهاليل (١)
فيهم يذكرنا أقوام أبرهة لما رمتهم مراميها الأبابيل
صدورهم في لظى من نار لهزمة (٢) من حرها فلهم بالويل تعويل
برد وسمر القنا جمر وقائعه سود لها في بياض الطرس تسجيل
بهامهم أسمرت لما استقت بدم فهامهم لعواليه أكاليل
كأن عنتر يعني في مقالته هذا الأمير وما في الصدق تأميل

له النفوس وللطير اللحوم وللـ ـوحش العظام وللفرسان ما نيلوا

إلى آخرها ، وهي قصيدة طويلة ولولا سآمة خطها المنقول عنه مع تحريفها لنقلتها بتمامها وكمالها (٣) هذا وإني لم أقف على تاريخ موت المترجم رحمه الله تعالى ؟

---

(١) جمع بُهلول ، وهو السيد الجامع لكل خير .

(٢) اللهزمة : عظم ناتىء في اللحى تحت الأذن وهما لهزمتان ، والجمع : لهازم .

(٣) إن هذه المقطوعات الشعرية والغزلية ، قد اشتملت على أدقّ المباني وأرقّ المعاني وفيها من بدائع الوصف والتمثيل ، ما لم يبلغه من سحر الشعر إلاّ القليل ؛ ولكن أهل هذه المنظومات قد فتنوا بتشابيه الفد والخد والنهد والصبا والجمال ، وراحوا يهيمون بكل واد من أودية الخيال ، ولو أنهم وجّهوا وجهة صالحة ، لكان لنا من بليغ شعرهم في عصر الانحطاط ، ما يرفع أمتهم إلى سماء المجد والسؤدد ، ويعيد لها عهدها الأول ، الأغر المحجّل .

السيد الحاج عمر لطفي افندي بن الحاج محمد افندي بن الحاج عمر افندي بن الحاج علي افندي ، شيخ الإسلام ومفتي السادة الانام ، أدام الله وجوده وأغدق عليه انعامه وجوده

فهو قمر رفعة قد طلع في أفق الشريعة بدرا ، وقطب مدار ملة قد اجتبته أن يكون لها هامة وصدرا ، وسماء فضل اشراق نجومها بالهداية موصوف ، وشمس عدل لا يعتري سناها مدى الدهر كسوف ، قد تحلى به جيد الأبد فكان له عقد انتظام ، وتجلى على كرة الأمد فكان لها غاية المرام ، أورق عوده في رياض دار السعادة وأزهر ، وارتقت سعوده في سماء السيادة فأشرق نجمها وأزهر :

لما بدا خفيت له شمس الضحى ... في ثوب غيم ترتديه وتكتسي
نطقت فضائله فأخرس دونها ... نطق الفصيح وحار فكر الكيّس

ولد هذا السيد الهمام ، وكانت ولادته لهذا الدهر بمنزلة شهر رمضان إذا ظهرت به ليلة القدر :

بمولده طاب الزمـــان وأهله ... ولا ريب قرت مقلة المجد والعدل

وذلك في سنة الف ومائتين وإحدى وأربعين أطال الله بقاه وأدامه نعمة للعالمين . وكانت ولادته الشريفة في قرية صنديمة (قرية من قرى بودروم) لا زالت عين العناية ترعاه بما يقضي له بالقدر الموسوم . وإن جده الأعلى كان قد هاجر من اغريبوز من بلاد المورة ، إلى بودروم المعلومة المشهورة ، فصارت نسبتهم اليها بين الناس مذكورة . ثم ان المترجم حفظه الله هو

من أحفاد القابودان الأسبق المرحوم سليمان باشا المعظم ، وإن والدته هي المصونة فاطمة خانم بنت الحاج عمر افندي المفتي المكرم . فلم تزل التربية في حجور السمو ترقيه ترقية الذهب الابريز ، وتربيه تربية النمو إلى أن زكا إدراكه وبلغ سن التمييز ، فنهج على قدم الهمة منهج التقديم ، وقرأ على شيخه محمود افندي كتاب الله العظيم ، ثم حضر على الحاج علي افندي العلائيه لي ، مقداراً من علم الصرف ، باذلاً همته في الطلب حتى كأنه لم يغمض له خوف التقصير طرف :

تكهل في علم العلا وهو يافع وجاز بلوغ الرشد وهو رشيد
وأفصح عن فصل الخطاب بمنطق لديه لبيد ضارع وبليد

وفي آخر سنة الف ومائتين وثلاث وخمسين غرة رجب ، قدم به المرحوم والده الى دار السعادة لأجل التحصيل والطلب ، فوضعه في مدرسة الطب من مدارس حضرة المرحوم السلطان سليمان ، عليه أكمل الرحمة وأتم الرضوان ، عند خاله أبي بكر افندي عليه رحمة المعيد المبدي ، ثم رجع والده الى دار إقامته وترك المترجم في دار السعادة ليفوز بسعادته ، ففي السنة المذكورة في غرة شوال ، ابتدأ في قراءة الصرف وعلم الحال ، على الحاج مصطفى افندي القسطموني الهمام ، وكان في كل فن إماماً وأي إمام ! فاستعمل لعظيم المجد همته الكبرى ، وأدرك في جده واجتهاده الأنجم الزهرا :

ومن يسعى إلى طلب المعالي فلا عجب إذا ركب البحارا

وفي سنة الف ومائتين وأربع وستين ، من هجرة رسول الأنبياء ونبي المرسلين ، أيام شيخه شيخ الإسلام وعمدة السادة وإمام الأنام ، حبر الأفاضل وبحر الفضائل ، عارف حكمت بك قد فتح للتلامذة باب الامتحان ، في مدرسة مولانا المرحوم السلطان بايزيد خان ، فكان له في ذلك

الامتحان المقام الأول ، وفي الامتحان العسكري كان له المحل الأرقى الذي عليه المعول ، ولا زال مجتهداً في تحصيل العلوم ، مكباً على أسباب التوصل الى دقائق المنطوق والمفهوم . وفي عام الف ومائتين وستة وستين حصل امتحان الرؤوس الهمايوني [١] وكان هذا الهمام ، من جملة مائة وخمسة عشر عالماً من العلماء الكرام ، فكان له من بينهم الفضل الأعلى والقدر الأتم الأجل الأجلى ، والجواب الصائب السديد والرأيُ الفائق الرشيد ، مع لطيف خلق يسعى اللطف لينضم اليه ، وشريف صدق يقف الكمال متحيراً لديه ، وجميل طبع أرق من نسيم الصبا في الصباح ، وأعذب من مذاق الظفر على مناهل النجاح :

همام جد في طلب المعالي ونال من العلا جل الأماني
فبدر علاه مكتمل منير وشمس نداه دائمة التداني
فدام ممتعاً بدوام عز وإنعام على طول الزمان

وفي شوال من السنة المذكورة ، تعين في سنجاق سيروز مأموراً للامتحان في أخذ العساكر المنصورة . وفي سنة الف ومائتين وسبع وستين قرأ علم الصرف لجم غفير في جامع المرحوم السلطان بايزيد خان ذي المقام الشهير . وفي سنة تسع وستين دخل في سلك المأمورين في الفتوى خانه [٢] الجليلة . وفي أربع وسبعين تعين نائباً في محكمة الغلطة الجميلة ، فاحتاط غاية الاحتياط وعن كل مخالف تحاشى . وفي سنة ثمان وسبعين تعين نائباً في محكمة المرحوم داود باشا . وفي زمان المرحوم حسام الدين افندي شيخ الاسلام ، تعين نائباً في محكمة چلبي افندي فأجرى الأحكام على أوفق مرام . وفي أثناء ذلك تعين مقرراً في الدرس الذي يقرأ

---

(١) السلطاني أو الملكي .
(٢) دار الفتوى .

في حضور الحضرة السلطانية ، وقد نال في قراءته الحظ الوافر وتمام الالتفات من الذات الشاهانية . وصدرت الإرادة بتعيينه مفتياً في المجلس العسكري في الطوبخانة [١] العامرة وترفيع رؤوسه إلى حركة التمشي المعروفة الباهرة . وعند رجوع الشهيد المرحوم حضرة السلطان عبد العزيز خان من سياحته الأورباوية ، عينه استاذاً لابنه يوسف عز الدين افندي ولمن معه من أشبال الذات الشاهانية [٢] . وبعد سنتين أحسن اليه بباية أدرنه وحاز من الالتفات الزيادة . ونظراً لمحظوظية الذات الشاهانية من درسه أحسن اليه بخمسة وعشرين الفاً غير العطية المعتادة . وبعد ثلاث سنين ونصف من إفتائه في الطوبخانة تعين مفتياً في دار الشورى العسكرية ، وبقي في الشورى أربع سنين مع مشيخة أولاد الذات السلطانية ، ثم انفصل حسب الايجاب من الوظيفتين المذكورتين ، وتعين عضواً في التدقيقات الشرعية فكان لوظيفته قرة عين . وبعد أربعة أشهر لما تشكلت العدلية تعين رئيساً في مجلس الحقوق باسكدار وبقي إلى سنة اثنتين وتسعين وعليه أمورها تدار ، فتعين حسب الطريق قاضياً في اسلامبول ، وبعد مرور ثلاثة أشهر أحيلت لعهدته باية أناطول . فترك الرياسة من نفسه ، وكانت مدة قضاء اسلامبول قد ختمت فانفصل منها وجعلها من فكره كأمسه . وعند محاربة الروسية بقي مدة في قصره الموجود في الشاملجة البهية ، وفي أثنائها كان يتعين تارة رئيساً وتارة عضواً في المجالس التي تشكل في باب المشيخة الإسلامية . وتعين كذلك مأموراً في المجلس الذي تشكل في سراية يلدز [٣] العالية . وفي الف وثلاثمائة نال عطية عظمى من صاحب المقام الشامخ العظيم الشان ، مولانا أمير المؤمنين السلطان الغازي

---

(١) مصنع المدافع .
(٢) الملكية . السلطانية .
(٣) دار الحكومة ، وأصل معنى (يلديز) : نجم أو كوكب .

عبد الحميد خان ، مع الاذن له باداء فرض الحج الشريف ، فتوجه مصحوباً بجميع عائلته إلى وطنه ومحل ولادته ، لكي يغنم دعاء والدته ويدخل عليها السرور بزيارته ، ومن هناك توجه الى مكة ذات القدر السامي والاحترام فأدى فرائض الحج . ثم في السابع والعشرين من ذي الحجة الحرام ، توجه مع المحمل الشامي نحو المدينة المنورة لزيارة خير الأنام ، فوصل اليها في عاشر المحرم سنة الف وثلاثمائة وواحدة ، وزار أشرف قبر وصلى لديه [١] الجمعة مرتين وأثنى على الله تعالى وحمده بأعظم المحامد . ثم توجه براً مع المحمل المصري فاستقام بمدينة مصر للزيارة خمسة عشر يوماً ، ثم توجه الى الاسكندرية فمكث بها ستة عشر يوماً ، ومنها ركب في الوابور [٢] النمساوي فأجرى الكرانتينة [٣] في بلدة بيرة ، ثم توجة الى ازمير واستقام بها اثنين وعشرين يوماً بكل تعظيم وتوقير ، وفي ثالث شهر رجب توجه في الوابور قاصداً الآستانة العلية ، وعند وصوله توجه رأساً إلى السراية السلطانية ، للتشرف بتلك الرحاب ، والتشكر لحضرة ذلك المقام المهاب . ثم رجع لمنزله الذي كان استأجره بجهار شنبه إلى أن مضى الشتاء ، وفي الصيف عاد الى الشاملجة لقصره ، وما زال داعياً لمولانا أمير المؤمنين بدوام تأييده ودوام بقائه ونصره . وفي سنة الف وثلاثمائة وثلاث صار بالفعل قاضي عسكر اناطول البهية ، وحسب الطريق عند ختام المدة كانت الحضرة المعظمة تدعوه للعطايا الخاقانية . وفي الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ست دعي في الساعة الخامسة ليلاً بواسطة احد المقربين ، الى الحضور لدى سيدنا الأعظم أمير المؤمنين ، فعندما دخل السراية العالية بشر بمشيخة الاسلام ، فوجهت في الحال عليه بتمام الفضل وجزيل الإنعام ،

---

(١) أي في المسجد النبوي

(٢) القطار .

(٣) الحجر الصحي . (فسرنا هذه المفردات لمن لم يعرفها من النشء الجديد) .

وفي الصباح توجه بموكب حافل إلى باب المشيخة الإسلامية ، فاستوى على منصتها وكان لها به تمام البشرى والأمنية ، ودارت كؤوس التهاني بين الأنام ، وأشرق بدر الأماني على كرة الإسلام . وارتشف ثغر السرور كأس حمياه وأزاح بدر الحبور اللثام عن محياه ، وشدا شادي الفخار والارشاد معلناً بوصفه على رؤوس الأشهاد :

شهم له شيم يريك إذا انجلت ... في ليلك الداجي شموساً تشرق
ومكارم فيه تدلك انها ... خلق وفي طبع الغمام تخلق
أولى الملا عزاً وأعلاهم علا ... وأبرهم للمسلمين وأرفق
سبق الكرام وقد تأخر عصره ... عن عصرهم فهو الأخير الأسبق

فهيهات لمثلي أن يستقصي صفات هذا الفرد الهمام ، وان كان البحر مداداً والشجر أقلام .

ثم انني في عام الف وثلاثمائة وسبعة حينما تشرفت بزيارة الدار العلية ، كحلت بصري باثمد النظر لذات هذا المترجم البهية ، فرأيت إنساناً قد صاغه الله من جوهر الكمال ، وأفرغ عليه حلة البها والجمال ، ومنّ عليه بالشمائل ذات الفضائل ، وأجلسه على ذروة الرفعة فكان لكل سائل من أعظم الوسائل ، وحينما رآني قام وبش إلي ، وحياني أجمل تحية وسلم علي ، وأولاني من معروف إقباله ما أولى ، وحياني بما أحياني به وان لم أكن أهلا ، وسمعت منه ما يشهد له بأنه شيخ الكل في الكل ، ولم يسعني حينما رأيت ما رأيت سوى بذل جهد المقل ، ولم تزل تتكرر زيارتي لحضرته ، وإذا مدة تساهلت بالزيارة أخجلني بشديد معاتبته ، أدام الله تعالى وجوده ، وأغدق عليه انعامه وجوده ، وقد كنت حين وفودي على كعبة علاه الشريفة ، مدحت سيادته بهذه القصيدة فأحببت إثباتها في ترجمته المنيفة ، وهي :

تجلت فلاح البدر من خلل الشعر ... فتاة سبت عقل الشجيّ ولم تدر
وحدثنا عن نشرها مسك ثغرها ... حديثاً رواه الخال عن خدها البدر
وورد محياها البديع حكى لنا ... بأنّ رضاب الثغر يغني عن الخمر
عذولي لحاك الله دع عذل مغرم ... إلى الحشر حاشا أن يفيق من السكر
وكن عاذري في حب عذراء لو ترى ... سناها لأوضحت الدليل على عذري
بروحي فتاة حسنها فتنة الورى ... ولكن في أحداقها آية السحر
وفي مهجتي من صدها وبعادها ... حرارة ملتاع حكت لهبة الجمر
ممنعة ما نال منها محبها ... وصالاً سوى ما كان في الوهم والفكر
ولو شامها في النوم مغرى بحبها ... لأيقظه من نومه صادح القمري
أما وسيوف باترات يحفنها ... واسمر قدٍ يزدري طعنة السمر
وشامات حسن قد بدت فوق وجنة ... وجيد به صدري غدا عادم الصبر
ورمان صدر قد حمته أراقم ... تقول لحظي أنت أسود من شعري
وتيه دلال زانه ميل قامة ... وحسن تثنّ قد ثنى للفنا صبري
لقد سلبت تلك الفتاة حُشا شتى[1] ... وصدت، وسيف الصد قلب الشجي يفري
وقبل هواها كنت لا أعرف الهوى ... ومذ شمتها أصبحت في قبضة الأسر
وذقت كؤوس الهون منذ علقتها ... وما نلت منها بعد صبري سوى هجري
فيا طلعة البدر المنير أما كفى ... محباً تمنى الموت من شدة الجور
لقد طال ما أولاه هجرك من عنا ... وإن الهوى القاه في لجة البحر
فقالت وما تبغي ، أجبت وأدمعي ... على صفحات الخد تنهل كالقطر
أروم اقترابي منك عطفاً ومنة ... فحسبي الذي قد ذقت من صبري المر
أجابت وقد شامت بياض عوارضي ... أما آن بعد الشيب ترك الهوى العذري
إلامَ ترى حب الغواني فضيلة ... وأنت تجيد المدح في النظم والنثر

---

(١) بقية الروح في المريض والجريح .

عليك بمدح الشهم فرد أولي العلا ... حمى من به قد لاذ من نوب الدهر
امام الهدى مردي العدا فائق الندى ... مهاب جليل فاضل واسع الصدر
غدا عمريّ الاسم والعدل في الورى ... فمن ذا الذي يحكيه في السر والجهر
ومن لطفه لطفي تلقب ياله ... هماماً له باللطف مستحسن الذكر
تولى على الاسلام شيخاً لفضله ... فباهت به أيامنا سالف العصر
ملا ذكره الآفاق شرقاً ومغرباً ... فليس له ندّ بشام ولا مصر
تنافس هذا العصر فيه وكيف لا ... ينافس فيه كل عصر مدي العمر
تدانت له زهر الأماني لكي ترى ... له الشرف الأعلى على كرة البدر
فما هو إلا مظهر الحلم والنهى ... وما هو إلا منبع الجود والبر
سليل التقى والعدل والعلم والنقا ... فريد الذكا والمجد والرشد والقدر
فقل مكثراً ما شئت في نظم مدحه ... ومالك ان قصرت وجه الى العذر
أياديه يحكي البدر جود نوالها ... وراحته تسمو حباء على البحر
لقد فاق أهل العصر علماً وحكمة ... وقلد جيد الدهر عقداً من الشكر
أخو همة فاقت على همم الملا ... وأوصافه تسمو على الأنجم الزهر
أخال بأن الأرض جهلاً بقدره ... لدى سيره لم تبدل الترب بالتبر
أرق من الماء الزلال شمائلاً ... وألطف من جسم النسيم إذا يسري
إذا ازدان ذو قدر عظيم بقدره ... ففيه وفي آبائه زينة الدهر
وإن مرّ ذكر الأكملين فذكره ... كبسملة التالي غدت مبدأ الذكر
به ضاء وجه الدهر وازداد بشره ... فحقاً هو الموسوم بالكوكب الدري
ودانت له الأيام تحبوه ما يشا ... وكل ليالي عمره ليلة القدر
لقد ضاق صدر الدهر عن كتم فضله ... وهيهات يخفى البدر في ليلة البدر
فيا سيداً ساد الورى بجميله ... وأوصافه الحسنى وأخلاقه الغر
لك الراية البيضاء في كل موكب ... كذا السيرة الحسناء بالحمد والشكر

وإني على مر الزمان لكم فتى ... دعاء بما ترجون في السر والجهر
فجد واعف عن عبد أتاك مقصراً ... وإن صاغ للمدح الثريا مع الزهر
فلا زلت مرفوع المقام مدى المدى ... ولا زال من عاداك في الذل والقهر
ولا برحت آيات مجدك ترتقي ... لها الموضع الأعلى على هامة الدهر

توفي هذا الفرد الكامل والأوحد الفاضل ، في الدار العلية عام الف وثلاثمائة وأربعة عشر .

السيد عمر بن عبد السلام المدرس الداغستاني صاحب اللآلىء الثمينة في أعيان شعراء المدينة

أديب لأشتات الفضائل جامع ، وأريب اشراق بدره في سماء المعارف لامع ، شمائله تزري بأنفاس الشمول والشمال ، وفضائله قد تحلت بأنواع الحسن وأفنان الجمال ، لا تسأم أصحابه لطيف مؤانسته ، ولا تمل أحبابه ظريف مجالسته ، مع فصاحة وبلاغة ولسن ، وتجمل بكل خلق جميل حسن ، ورقيّ من معالي المكارم ذراها ، وتمسك من أعالي العزائم بأوثق عراهـا ، دأب في كسب المآثر فتى وكهلا ، وسلك من مسالكها حزنا وسهلا ، حتى قيد منها كل شاردة ، وشيد مبانيها فكانت لطلابهـا أبهى عائدة ، ولله در نثره الرائق ، ونظمه البديع الفائق . فمن لطائفه العالية ، وطرائفه السامية ، قوله مخاطباً الأديب الكامل ، السيد عمر حيدر المدني بهذه المسمّطة (١) :

يوم عيد الوصل إذ ... أوفى لنا الحب الوعود
وتبدّى ... بالحميـا ... من محيـاه يجود

---

(١) المُسمّط من الشعر ما كان مقسماً على أجزاء عروضية مقفّاة على غير رَوِيّ القافية ، ويسمّى أيضاً المخمّس ، .

حل في منزل أنسى مسعداً سعد السعود
وتثنت في رياض الصفـــو أغصان القـدود
وغدت ضاحكة بالأنس أزهار الخدود

دور

بالتلاقي والوفـا قد أحسن الدهر المسـي
يا خليلي فـامل من دنّ التهـاني اكؤسـي
لا تؤخر مطلـبي عجل بها كي نحتسي
نمـزج الأفراح بال أرواح ثم الأنفس
ما علينـا من عذول هان أو واش حسود

دور

هاتهـا صفراء مثل الـتبر في كأس اللجين
ليس يحلو مزجهـا إلاّ بريق الشفتـين
من لمى ذاك الرشـا النفتار ساجي المقلتين
كم له قـد قلت أو ف الوعد ان الوعد دين
وهو نفار عن الوصل كالظبي الشـرود

دور

ما ترى طير الصفا يشدو على غصن السرور
ونسيم القرب قد هبـت وفـاحت بالعطور
ومن البشر غـدا مبـتسما ثغر الزهور
أنس المجلس إذ واصلنـا ذاك الغرور
وهو في تم البهـا كالبدر بل أضحى يسود

دور

يا لها ساعة إقبـال بها جاد الزمان

وبلغنـــا القصد والمأ مول مع حور الجنان
فاختلع فيها عذاراً [١] واغتنم وقت التهاني
لا تؤخر ســـاعة الأنـــس إذا وافت لآن
إنما الدهر هبـــات قلّ فاحرص أن تعود

دور

وانشدن لي مدح حاوي الفخر والعز النبيل
الأديب المـــاجد الأر وع ذي الفضل الأثيل [٢]
عامر الأفضـــال محمو د البها الندب الكميل
حيدر العليا سراج الفضـــل والشهم الفضيل
دام في عيد المسرا ت وفي عيش البرود [٣]

فأجـــابه بقوله

أم قلـــبي كعبة الريـــم المفدى في زرود
عرفات البعد طـــالت وهواه لي يقـــود
بمنـــاه بت في نســـك الهوى أوفي الصدود
جمرات الهجر منـــه ألهبت قلبي الوقود
ليته يوفي ضمـــان القـــرب يولي بالسعود

دور

راح يسعى نحـــوه قلب المعنى المستهام
وغـــدا فيه جسيمي لابساً ثوب السقـــام

---

(١) من معاني العِذار : الحياء ، ومنه يقال : خلع عذاره أي اتّبـــع هواه ، وانهمك في الغي .
(٢) الأروع : الشهم الذكي . والأثيل : الأصيل في الشرف .
(٣) البُرود : جمع بُرد : الثياب المخطّطة الغالية ، وعيش البرود : كنـــاية عن النعم والرفاهية .

وحطيم البعد أضحى يحطم القلب دوام
قد جرى زمزم دمعي وانتهى في الانسجام
علّ أوقات اللقا من فاتني يوماً تعود

دور

قيدوا قربان قلبي بعد ان حلوا المدى
أضجعوه كي يريقوا نفسه يوماً سدى
غاب شخصي عن عياني ما تراه ان بدا
ان تراه لائحاً ما ذاك إلا للردى
حشوه صار خيالاً مذ غدا رهن الصدود

دور

ليس يدري شخص جسمي مذ فني إلاّ الهوى
وكذاك السقم يدري حيث فيه قد ثوى
ما زجت روحي هواها والهوى بي قد هوى
لست أصغي لعذول بملام لي كوى
جار عذريٌّ غرامي أرعدت منه الرعود

دور

هذه حالة خل قد توالاه السقام
ماله إلا سراج الـ ـفضل والشهم الهمام
بحر آداب وفهم شمس آيات النظام
عقد أجياد المعالي تاجها بين الأنام
يا سمياً ساعد المضنى على رغم الحسود

دور

فانتخب لي فرصة نحـ ـسو بها كأس الأدب

من صَبوح وغَبـوق وخلاعـات الطرب
يا سراجاً للتهـاني يا ضيـا عين الأرب
امزج الكأس بماء البشـر واطفي ذا اللهب
واجل عن قلب صداه خلني من ذي القيود

وله رحمه الله أيضاً من الموشـح

قل لأحباب لنا رقدوا والشجي أودى به السهد
زاد منه الوجد والكمد صد عنه الشادن[1] الشرِد
ساعدوا المُضنَى في هوى لُبنَى
وافهموا المعنى ولي اسعدوا

دور

كم تكونوا في الكرى يا نيام وتروموا وصل بدر التمام
أنا والنجم وورق الحمام حالنا في الليل مطرد
لا نعي لو ما في هوى الألمى
لا نرى نوماً ولا نجد

دور

وسميري البدر في الأفق إذ تجلى في دجى الغسق
حوله الأنجم كالفرق وهو فيهم ملك سيد
في الورى مطلوب وجهه محبوب
حسنه المرغوب لا يجحد

دور

ليس إلا أنهم ضعفوا عن غرام ليس يتصف

---

(١) الشادن : إذا أطاق فهو ولد الظبية .

تركوا العشق وما ألفوا ما لهم مثلي أنا جلد
فأنا الصبار في الدجى سهّار
وصَبا الأسحار لي تشهد

دور

خافق القلب صريع الهوى قد وهى مني قوي القوى
من جفا ظبي سبا وثوى في كناس حوله أسد
وصله قصدي قربه سعدي
بعده يردي وقد يجهد

دور

كيف أسلو لغزال سكن وسط قلب بهواه افتتن
حجبوه فانتمت بي المحن ليتهم لي باللقا بعدوا
ونقضي الوعد بالهنا والسعد
والأسى من بعد لا يرد

دور

هات روح مهجتي يا نديم واملأ الكأس براح قديم
كيف لا أصبو لها وأهيم ولها القلب متقد
هاتها حمرا خمرة بكرا
تنعش السكرى وقد تبرد

دور

والدجى ذو شعر أجعد مائساً في ردنه الأسود
في رياض ذات زهر ندي عرفها للهم قد يطرد
غصنها ممشوق ماؤها مدفوق

والرشـــا المعشوق لا يبعد

دور

هي حقّاً راحة الأنفس فارتشفها جذلا واحتسي
من يدي ذي هيف ألعس[١] ان تثنّى زانه الميد
حسنـــه باهر خـــدّه ناضـــر
ثغـــره زاهـــر ومنتضـــد

دور

قده كالغصن في ميله لحظه كالسحر في كحله
وهو مثل الشمس في حلله خصره في الردف مستند
جفنـــه قتـــال كالظبـــا يختـــال
عنـــبري الخـــال منفرد

وقال هذه الموشحة والحديث شجون

هملت سحب دموعي عندما طرز البرق ذيول الحندس
فأسالت من بكاهـــا عندما مقطراً من صـاعدات النفس

دور

تتصـــابى بليميلات اللقـــا حيث مرت مثل نسمات البكر
ياليـالي سلفت لي بالنقـــا وهي شامات بوجنات السحر
إذ بها بدر السما قد أشرقا وهو محمر على بدر البشـــر
وعيون النجم في شزر اللمى نظرت أنجم تلك الأكؤس
فشفيت الجرح من راح اللمى[٢] بالتشـــامي للغزال الألعس

دور

---

(١) الألعس : الذي في شفته سواد مستحسن .
(٢) اللمى (بتثليث اللام) سمرة أو سواد في باطن الشفة يستحسن .

أحور يخجل بالطرف الظبا وعجيب من سقيم في كحل
قده ريان من ماء الصبا يتثنى في كثيب من كفل
لطفه ألطف من ريح الصبا ظلمه عندي أحلى من عسل
قلت ياظبياً سباني ورمى بعيون نعسٌ كالنرجس
أورثت بالنبل قلبي وَرَمَا فاطف عنه لهباً ذا قبس

دور

فانثنى عني نفوراً معرضا بعد ذاك الأنس منه والطرب
مذكيا في منحنى ضلعي الغضا[١] وأدام الصد من غير سبب
وقلاني وملاني مرضا فلذا أمسيت منه في تعب
مغرماً في ذا الذي فاق الدمَى[٢] مسهداً في الليل حتى الغلس
فكأني ودموعي كالدما قد توكلت بحفظ الكنس
آه من حال التجافي والنوى قد رمى البعد فؤادي بالقلق
أعرض الحب وهجراني نوى ما أمر الصدّ من ساجى الحدق
هو في أنس بجيران اللوى وأنا صب بوجدي في حرق
أذكر الوصل وأيام الحمى[٣] قائلاً قولي الكئيب الموئس
يا زمانا كان سعدي قد حمى فيه أنسي عن رقيب انحس

وله مجاوباً الشيخ عابد السندي عن قصيدته وهي

قد صحا الجو والربى[٤] قد تبسم زهره والنسيم عنه تنسم

---

(١) شجر من الأثل ، خشبه من أصلب الخشب ، وجمره يبقى زمناً طويلاً لا ينطفىء .
(٢) الدمى جمع دُمية ، الصور المزينة ، فيها حمرة كالدم .
(٣) الحمى : ما يُحمى ويدافع عنه ، والحِماء : ما حُمي من الشيء ، ويقال : هو حماء لك ، أي هو فِداء عنك .
(٤) الرُّبى : ما ارتفع من الأرض ، ومفردها : ربوة (مثلثة الراء) .

إلى آخرها وهي قصيدة طويلة فأجابه المترجم المذكور بقوله :

جاد غيم السما لنا وتبسم عن سنا بارق له غير جهّم
وغدا في الهواء يسحب بردا بطراز البروق أصبح معلم
واختفت تحت ذيله الشمس حتى أصبحت لا ترى كمثل الملثم
فتراه يجري والرعد سوق خلفه كالحادي إذا ما ترنم
فكأن السماء غارت فغطت وجهها حينما الربي قد تبسم
فانظر الروض في حلاه نحلى لابساً سندساً عليه منمم
وكأن الأغصان ياصاح اعطا ف عليها خدود الأزهار تلثم
ذاك قد لاح أحمراً وترى ذا أصفراً فاقعاً وأخضر أدهم
أو كمثل الأجياد يبدو عليها عقد ودق من غير سلك منظم
فتهب الصبا عليها فتأتيها بأخبار كل عطف منعم
فترى ذا يميل شوقاً لهذا كقدود ببعضها تتلزم
ولصدح الحمام في القلب صدع إن بدا شادياً بعود وزمزم
وخصوصاً إذا تغنى بترقيق سجوع منه القلوب تهيم
يذكر الصب عهد ما كان منه مع صحب له يزيلون للهم
فإذا ما بكى الحمام تراني باكياً والدموع كالسحب تسجم
قائلاً آه يا حمام أفدني هل رجوع لعهد أنس تقدم
ما أظن الرجوع إلاّ محالا أي ورب بحق عليه يقسم
فانهضن بي يا صاح نحو عقيق ماؤه يذهب الأسى مثل مرهم
واملأن لي من مائه كل كأس إنه يخجل العتيق المختم
واروني ان في حشاي أموراً من أمور منها أخو الصبر يهتم
وأغثني بوجه كل مليح يخجل الشمس بالجمال المتمم
ان تثنّى تقول للبان بن عنه فإني أخشى قوامك يقصم

أو تبدى تقول للبـــدر بادر لاختفاء فوجه ذا البدر أعظم
وإذا هش قلت للدُّر حو ل ثناياه إنها منك أنظم
وله مبسـم حوى خمر ريق خمرة الكرم عنده ليس تكرم
إنْ رآه الأقاح ظل حيـاء ذابلاً خاملاً من الصمت أبكم
وهلال السماء لمـا رآه بات يحكي قلامة منـه تقلم
وجنتـاه كالورد كالزهر كالنسرين مثل الشقيق والجمر مضرم
فاعجبن من جمع اللظى مع زهر كيف حلاّ بهـا وكل منقم
ومياه الجمـال جالت عليهـا وهي تحكي من التودد عندم (١)
كم قلوب تروم منهـا ورداً مثل صاري القطا (٢) إذا هوحوم
فترى أسهم اللواحظ تبـدو من حنـايا حواجب وتقوم
فتقول الأمان من هذه الأجفـــان ان المنون فيهـا مكتم
ذي عيون كالسحر تخلب للألبـــاب كالخمر تسكر العقل الاحزم
كم بكى النرجس الغضيض عليها غيرة بالندى الهمي وتظلم
الفرار الفرار من قبل طحو (٣) في الهوى انه لدى الناس معظم
عن قتـال يا أعين الظبي كفى واتركي الحرب إنمـا السلم أسلم
كم معنى في حب ذا الظبي أضحى منجداً يطلب الوصـال وأتهم
فترى البعض منه يحظى بقرب وترى البعض بالتبـاعد مغرم
فهو كالشمس كل شخص تراه مبصراً حسنها الذي الكون قد عم
عوذوه بالطور والنجم حفظاً وبطه كذا تبـارك مع عم
ثم خطوا من الشوارب خطاً فوق كنز اللمى يلوح كطلسم

---

(١) العندم : خشب نبات يصبغ به ويقال له أيضاً : دم الأخوين .
(٢) صَرى يصري الشيءُ : علا وسفل : (ضدّ) وصرى القومَ : تقدّمهم ، وصرى عنهم تأخّر (ضدّ) .
(٣) طحا يطحَى القمرُ : أشرق ، والطاحي : المرتفع ، وطحَى يطحي الشيءَ : بسطه .

أو كمسك الختام فوق رحيق ... في شفاه منهـا الشفاء تنسم
ليت جيداً له كما الظبي جيـدا ... بات من فوق ساعد لي ومعصم
وفمي فوق خـده تارة أو ... فوق ثغر يقول يا عطر من شم
وعلى نحره أمرغ نحـري ... وأداوي مكسور قلبي بالضم
وبزندي منه أمنطق خصراً ... مثل عود فيـه غرامي خيم
قانعاً عن نجـد الروادف اني ... لست حقـاً ممن بذلك يتهم
انني في الهوى عفيف سليم ... انعش الروح بالجمـال وأسلم
حبذا حبـذا المحيا إذا ما ... لاح لي وهو في ابتهاج ومبسم
فتراني أصبو إليـه اشتياقاً ... لا لقصد من الخنـا أو لمأثم
غير اني أهوى بأني أجلّى ... لمراة الفؤاد بالحسن عن غم
هكذا هكذا المحـب وإلا ... عاد ما كان مغنما منه مغرم
أفعار علي ان كنت أهوى ... رشأ ناعس المحاجر أحرم
فاتهامي بحبـه غير عيب ... انه منجح لديّ ومغـنم
كل من لم يحب الغيد لم يعـ ... ـرف صفاء الهوى مما هو مذمم
حيني يا أخا المحبـة واسند ... لي حديثاً من الصبابة محكم
واشرحنْ لي متن الغرام وأظهر ... لي ما كان منه مخفي ومبهم
وأفدني بوصف كل مليـح ... بارع الحسن بالجمـال معمم
حسن الجـيد والشمال كريم ... خِيمه منه بالمحاسن أكرم
مثل خيم[1] الأديب رب المعالي ... والمعاني التي بهـا قد تقدم
مفرد العصر جيد الشعر رب النثـ ... ـر كالزهر لاح غير مكمم
بارع من خزائن الفضل والمجـ ... ـد كذا العلم صار أغنى وأغنم
نظمه في الأذواق والخلق منه ... ذاك أحلى وذاك باللطف أحلم

---

(١) الخِيم : الطبيعة والسجية .

عابد الله بالخلوص صديق صادق الود طرسه عنه ترجم
ماهر في الآداب نابغة الوقـــت وكل بأنه الفرد يعلم
وذكاء في النور مثل ذكاء ان تجلى وقت الضحى لا تغيم
حاذق دافق القريحة حبر كم أديب منه الفنون تعلم
شاعر أظهر البدائع لما في رقاب الألفاظ حقاً تحكم
وغدا معدن المعارف بحر الظرف باللطف والتحايف قد طم

ومن قوله مراسلاً والده من الصعيد :

سهرت على الأحباب شوقاً لياليا فهل بهم من شدة الشوق ما بيا
وهل عندهم مثلي غرام ولوعة ووجد ببحر القلب قد صار طافيا
وهل هم كمثلي في الظلام تدرعوا ثياب سهاد غادر النوم جافيا
سقى الله جيران العقيق ولعلع ملث[1] سحاب هامع القطر هاميا
وحيا مغاني الأنس أوفى تحية تدوم لهم ما دام شوقي وافيا
سقى ورعى أيامنا ولياليا تمضت بوصل في حماها حواليا
لقد هاجني التذكار نحو ربوعها كما هاجت الارواح ورقا[2] شواديا
تبيت على الأغصان تصدح سحرة بحسرة شوق تترك الصب باكيا
فهل منزل الأحباب بعدي عامر وإلا كجسمي صار بالبين باليا
وإلا كصبري شفه الافتراق بل أدام إلهي منزل الأنس عاليا
فإني لمشتاق إلى لثم سوحه لأني أراه من هيامي شافيا
متى أكحل الأجفان من تربه متى أشم ثرى يغدو به العقل صاحيا
متى عيني السكرى بدمع وحرقة تقر بقرب يترك العيش هانيا
إذا هب من أرض الحجاز نسيمها يظل كنيران الغضا لي صاليا
وقد كنت أرجوه يبرد لوعتي ويطفي لظى شوق لقلبي كاويا

---

(١) لث يلث لثاً والث بالمكان : أقام فيه وألث عليه : ألح ، والمطر دام أياما .
(٢) الحمام .

سلوا الفرقدين النيرين سلوا السهى ... كذاك اسألوا عني السهيل اليمانيا
سلوا أنجم الجوزا سلوا القطب بل سلوا ... سماكا ، سلوا عني النجوم الدراريا
أردد فيها الطرف في غسق الدجى ... وأرقبها في طول ليلي مراعيا
وأشكو إليها ما بقلبي من جوى ... وأشهد أن العهد ما زال باقيا
وأذكر ساعات اللقا ومضيها ... كوامض برق في الدجى كان شاريا[1]
وأذكر قربي من ديار أحبتي ... فقد صرت عنهم بالتباعد نائيا
رماني زماني بالتفرق والنوى ... وبالبعد عنهم بعد ما كنت دانيا
لعل الذي قد دبر الكون أمره ... يقصر أيام النوى والليالي
ويجمع كلا عن قريب فإنه ... سميع مجيب للذي بات داعيا
فلا تقطعوا عني دعاكم فإنه ... لاكسير سعد يترك العبد واليا
وحياكم المولى بأزكى تحية ... تفوق من العَرف الشذي غواليا

ومن قوله مجاوباً العلامة الشيخ علي الفرضي :

أبا الحسن اعذرني فاني آيب ... وسامح محباً للسماح يراقب
فانك أهل الحلم والفضل والنهى ... وذو همم تحكى بذاك السحائب
بعثت بأبيات إلي كأنها ... من الحسن في أفق البيان كواكب
زعمت بها اني سلوت الوداد إذ ... تأخرت عنكم لا ، ومن هو واهب
فكيف معاذ الله أصبح ساليا ... لحد ّني الذي لي معه تصفو المشارب
ولكن صروف الدهر أضحت تعوقني ... بأن التقي معكم وتقضي المآرب
واني لمشتاق اليكم ومهجتي ... وحق إلهي للقاء تطالب
وما كان تأخيري من الهجر والقلا ... ولا القلب في اخلاصه الود ّ كاذب
وكل الذي أبصرتمو من تأخري ... لأمر به عقلي من الهم غائب
وهذي الدنا ليست تجيء على الهوى ... ولا تشتهي أن قد تنال المطالب

---

(١) شَرِيَ البرقُ : لمع وكثر لمعانه .

تكدر ما بين الأحبة ان رأت ... على راح صفوقد تصافت حبايب
وقولي صدق ليس فيه تخالف ... لأني امرؤقد طال مني التجارب
فسامح ولوأخطأت ياخيرصاحب ... فذلك عند الأكرمين مناقب
فإني خجول منك أقوى خجالة ... وفي أضلعي من شدة الشوق واجب
فلا زلت أهلاً للسماحة والعلا ... ورب البها والعز ما حن صاحب

ومن قوله

يا ساكني وادي الأجارع جودوا ... بلقـاكم فتصبري مفقود
جودوا عليّ مع الصبا برسائل ... تطفي فؤاداً في حشاه وقود
فلعله يأتي يُشَنِّف أدمعاً ... بلت بواكفها (١) الهميّ خدود
وعساه أن يطفي لهيب أضالع ... نحلت فشابهها انتحالا عود
لأشم منها نفحة عطرية ... بشميم أزهار الحجاز تجود
كيف اصطباري عن تنشق عَرفكم (٢) ... أظننتم ان الحشا جلمود
أم تحسبوني بالسوى متبدلاً ... لا والذي بحقيقة معبود
أم غير ذكركم ثوى في خاطري ... أم غير قربكم الهني أرود (٣)
أم غير حب لقائكم أهوى مَنَا (٤) ... يا منيتي إلا اللقـاء فجودوا
اني إذا جن الظلام يزورني ... وجد وسهد للسها مشهود
ومسامري وجد مقيم مقعد ... وله حديث من جوى (٥) مسرود
وقريحة الأجفان تبكي حسرة ... إذ فر عنها النوم فهو شرود

---

(١) الواكف : المطر المنهلّ .
(٢) العَرْف : الرائحة الطيبة ، ويقال : ما أطيب عَرفه .
(٣) اطلبُه وأسعى له .
(٤) يقال : داري مَنَا داره : أي حذاءها ومقابلتها والمُنية والمِنية ، جمعه مُنىً ومِنىً : البغية وما يُتمنّى .
(٥) الجوى : شدّة الوجد من حزن أو عشق .

وتقول اين النوم قلت لها سرى ... ليرى حبيباً قد حوته زرود
فتجيب ما هذا السرى جنح الدجى ... في الصبح قد قيل السرى محمود
اني مريض هواكم هل طيفكم ... يأتي إليّ يعودني ويعود
ليكون للنوم الهني وسيلة ... كيف الهناء لمن جواه شديد
كيف الهناء لمن رمته يد النوى ... عن ربعه المأنوس وهو بعيد
والبين أبعده وبين مرامه ... لجج بحار بل مفاوز بيد
لكنني أرجو المهيمن عودتي ... فهو الكريم وبابه مقصود
لأفوز في يوم اللقاء بجيرتي ... فيكون عيداً كملته سعود

وان قصائد المترجم كثيرة ، ومعروفة وشهيرة ، وفي سنة الف ومائتين وواحدة قد رحل إلى الآستانة العلية ، دار السلطنة السنية ، وألف بها كتابه « اللآلىء الثمينة ، في أعيان شعراء المدينة » ولم أقف على تاريخ مماته ، أسبغ الله علينا وعليه جميل هباته .

الشيخ عمر بن الشيخ طه بن الشيخ أحمد بن عبيد الله ابن عسكر بن احمد الحمصي الأصل الدمشقي المشهور بالعطار

امام عالم متقن ، وهمام فاضل متفنن ، قد ساد أهل عصره بعلومه ، وزاد على أهل مصره بإدراكه لمنطوق العلم ومفهومه ، فألف وصنف ، وقرّط المسامع وشنف ، وتذاكر مع علماء الأمصار ، فاتفقت على فضله أسماعهم والأبصار ، ووضعته علوم المعقول على مفرقها تاجا ، وأطلعته في شامها سراجاً وهاجا ، وتبسم به ثغر التصوف والحقيقة ، فكان لذوي المعارف

حديقة وأي حديقة ، مع أخلاق لو مزج بها البحر لطابت عذوبته ، ولطافة لو توجهت على الصخر لظهرت ليونته ، وشيم هي في المكارم غرر وأوضاح[١] وهمم كادت أن تتناول بساعد سموها البدر الوضاح . وكان ولوعاً بالمحادثة والمذاكرة ، مطبوعاً على شغل المجالس بالمحاضرة ، كثير السياحة والجولان ، في الأمصار والبلدان ، وقد أخذ عن عدة أفاضل ما منهم إلا من سما وترقى في الفضائل ، من دمشقيين ومصريين . ومدنيين ومكيين ، وغيرهم من فرس وأغوان وأتراك وداغستان . وكلهم أجازوه وشهدوا بفضله وذكائه ونباهته ونبله ، غير أن عبارته كانت أحسن من كتابته وإن كان كل منهما دالاً على فضالته .

وله عدة تصانيف وجملة تآليف ، قد شرح الفصوص[٢] شرحاً غير مغموص ، وله ردّ متين على منتقص العارف محي الدين ، وله عدة رسائل هي للمقصود من أعظم الوسائل[٣] .

وكان حسن الصورة والكلام لايله جليسه مدى الأيام ، وله شجاعة مشهورة وجسارة على المدح مقصورة . قد لازمه في آخر عمره المرض وجعله لسهامه الصائبة كالغرض ، ولم يزل ملازماً له حتى وافاه حِمامه ، وترنم على أفنان الجنان حمامه . وذلك عام ألف وثلاثمائة وثمانية من الهجرة الشريفة السامية ، وبلغ من العمر نحو السبعين ، رحمه الله وبلغه مرامه ومناه .

---

(١) الأوضاح : جمع : وَضح . وهو الضوء وبياض القمر والغرّة .
(٢) فصوص الحِكم لابن عربي .
(٣) منها ، رسالة : أين الإسلام ؟ نبذة أدبية اجتماعية تمثل حالة المسلمين ـ مصر ... وتحقيق معنى الوجود ، وترتيب العوالم العلوية والسفلية ، وشرح الإيساغوجي في المنطق ، وشرح الإظهار في النحو (من معجم المطبوعات ومنتخبات التواريخ) .

الشيخ عمر المجتهد بن الشيخ احمد المجتهد الدمشقي الميداني الحنفي

شيخُ حرم العلم وامامُه ، ومن في يديه ناصيته وزمامه ، لديه تنشد ضالة مشكل المسائل ، وتوجد شوارد الفواضل والفضائل ، فليس يباريه في التحقيق مبار ، ولا يجاريه في التدقيق مجار ، إلاّ وقف حسيراً ، ووعى عنه أخيراً ، ولو لم يكن لمآثره ولمفاخره ناشر ، سوى شيخيه الإمامين الجليلين والعالمين الفاضلين ، الشيخ عمر اليافي الخلوتي والشيخ خالد النقشبندي العثماني لكان ذلك كافياً ، وبمقامه وعلاه وافيا ، وقدّمه على السادة الأفاضل ، وأغناه عن قول كل قائل ، فإنهما شهدا له بالعلم والاجادة ، والتقوى والعبادة .

ولد رضي الله عنه سنة تسع وستين ومائة والف [١] ، ونشأ في حجر العلم والعبادة ، والفضل والزهادة ، والافادة والاستفـادة ، وكان من صغره تلوح عليه لوائح السعادة ، أخذ الفقه عن شيخه السيد محمد هبة الله افندي التاجي ، والنحو عن السيد محمد شاكر العقاد الشهير بمقدم سعد ، والحديث عن عمدة السادة الأخيار ، الشيخ احمد العطار ، وقرأ كثيراً من العلوم ، على مشايخ سوى هؤلاء كما هو في ثبته معلوم ، وكان رضي الله عنه دائم الأذكار ، في الليل والنهار ، حسن الأخـــلاق والشمائل ، حفـّاظاً لأحكام مشكلات المسائل ، كثير العبادة والتقوى ، دائم الالتفات إلى الله في السر والنجوى ، قد علا صيته وفاق ، وملأ النواحي والآفاق ، وقد طلب لأمانة الفتوى في دمشق مرتين فلم يقبل ، ويقول دعوني مما أحاسب عليه وأسأل وكان مهابا معظما عزيزاً مفخماً ، يهـابه كلّ من يراه ، ويتبرك به كل من قصده ونحاه .

---

(١) في روض البشر (ولد سنة ١١٧٨ هـ) .

توفي رضي الله عنه في اليوم السابع والعشرين من شهر شعبان المعظم سنة أربع وخمسين ومائتين والف ، وصلى عليه الفاضل المقدام ، والعالم الهمام الشيخ سعيد الحلبي وحضر جنازته عدد لايحصر ولا يحصى ، ولا يعلم ولا يستقصى ، ودفن بتربة باب الصغير ، وكان قد أوصى قبل موته أن يكتب على ضريحه البيتان المنسوبان للامام الشافعي قدس الله سره ، وهما :

ولما دنا عمري وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

الشيخ عمر افندي الديار باكرلي والد طاهر افندي مفتي دمشق الشام

إمام العلوم العربية وعلامها ، والمنشورة به في الخافقين أعلامها ، منهج السالك ، لأرقى المسالك ، وملهج البيان ، في بديع التبيان ، خطيب منبر المعقول والمنقول ، وكعبة طواف حجاج بيت المعاني والأصول ، العابد الورع الزاهد ، وعموم الناس له مابين شاكر وحامد ، خاتمة المحققين ، ونخبة المدققين دليل أهل الفضل واليقين ، إلى الزهد والصلاح ، والتقوى التي أشرق نورها في أسرة وجهه ولاح ، وله إلمام بالمعقول وافر ، طلع في المنقول بأفق بدره السافر ، وكان لايجيل ذهنه وفكره ، في غير مسائل العلم التي خلدت في صحائف الأيام ذكره ، توفي رحمه الله نهار الأحد في ثامن رجب الفرد سنة ثلاث وستين ومائتين والف ودفن في مقبرة الدحداح .

الشيخ عمر بن السبيعي الشافعي الأشعري الدمشقي

كان رجلاً من أهل العبادة ، والطاعة والزهادة ، كثير الصيام ، مواظباً على التهجد والقيام ، له شغف بتلاوة القرآن ، والاذكار الواردة

عن السيد المصان ، ملازم على دروس العلم من صغره ، وعلى العمل بمقتضاه إلى نهاية عمره ، وله شهرة بين الناس بالتقوى والصلاح ، والاستقامة على نهج الفلاح ، محبوب في القلوب ، مؤتمن في كل مطلوب ومرغوب ، مستقيم الأطوار ، معدود من الأخيار [١] ، توفي رحمه الله يوم الاربعاء خامس شهر ربيع الثاني سنة أربع وثلاثمائة والف من غير مرض ، بل كان في حانوته مشتغلا في تجارته ليس به أدنى مرض بل صحته في كمالها فأصابه وجع قليل في معدته فذهب إلى بيته فصادفته المنية عند وصوله ودفن يوم موته في مقبرة باب الصغير . وكان مشهد جنازته غريباً في كثرة الحاضرين وازدحام المشيعين ، رحمة الله تعالى علينا وعليه وعلى المسلمين أجمعين .

الشيخ عمر افندي بن عبد الغني افندي بن محمد شريف بن محمد الدمشقي العامري الشهير بالغزي

مفتي السادة الشافعية بدمشق الشام . ولد بدمشق الشام ليلة الاثنين ثاني ذي الحجة الحرام سنة مائتين بعد الألف ، ونشأ في حجر والده وقرأ القرآن ، وبعد اتقانه حضر على العلماء ، والسادة الفضلاء ، منهم الشيخ حسن المكي والسيد محمد شاكر العقاد وغيرهم من الأفاضل الكرام [٢]

---

(١) وفي منتخبات التواريخ ما خلاصته : نشأ بدمشق ، واشتغل بالتجارة ، وطلب العلم فلازم العلامة الشيخ محي الدين العاني وغيره ، وجد واجتهد ، وكان فقيهاً ورعاً معتقداً . حج سنة ١٢٩٧ ودرس وانتفع به جماعة . وأعقب المترجم ولديه هما الشيخ محمد والشيخ عبد الله المتوفيان بعد سنة ١٣٢٠ هـ انتهى .

(٢) في روض البشر للشطي ما ملخصه : قرأ على والده وعمه السيد كمال الدين مبادىء العلوم ، وأخذ صحيح البخاري بالإجازة العامة عن الشمس محمد الكزبري والشهاب أحمد العطار والعلامة علي الشمعة والشيخ عبد القادر حفيد الأستاذ عبد الغني النابلسي ، وقرأ كثيراً من الكتب في العلوم العربية والدينية والعقلية على العلامة السيد محمد شاكر العقاد ، وبه انتفع وعليه تخرج . وقرأ أيضاً من هذه العلوم على العالمين —

والسادة العظام ، الى أن صار من أفراد ذوي التحقيق على التحقيق ، وساد أرباب التدقيق بنظره الدقيق . مد للرياسة كفا وساعدا ، فصادف الدهر له على مرامه مساعداً ، وتبرجت له هيفاء المعالي والمعارف ، من بروج مجده العريق بكل فضل تالد وطارف ، فهو الطود الشهير والعمدة الكبير ، عين أعيان دمشق الشام ونخبة ذوي المقامات العالية والاحترام .

وفي سنة ألف ومائتين وست عشرين وجه عليه افتاء الشافعية بدمشق والتدريس في المدرسة الشامية مكان أسلافه ، وشرح منظومة جده البدر الغزي في النحو ، وسماها « الكواكب الدرية شرح الدرة المضية » وبلغ من الفضل والجاه ماتقدم به في دمشق على من سواه . وصار عضواً مقدماً بمجلس شورى الشام نيفاً وعشرين سنة بدون انفصال ، واشتهر بالآفاق وانعقد على جلالته الاتفاق ، ونبل قدره وارتفع صيته وذكره . وكان مفرداً بالذكاء والمعارف وموصوفاً بالشمائل العالية واللطائف ، مهاباً جسوراً لايهاب حاكماً ولا وزيراً . دخلت مرة مع والدي الى المجلس الكبير وكنت غلاماً صغيراً ، فوضعني المترجم بجانبه وجعل لي قدراً كبيرا ، وكان المجلس قد غص بأهله واجتمع فيه أعيانه من فرعه إلى أصله ، ولم يكن في البلدة مجلس سواه ، يجلس فيه الوالي وحاكم الشرع والمفتي وسائر الأعيان ذوي القدر والجاه ، فبعد أن جلسنا قليلاً وجدت أوراقاً كثيرة قد أهملت في زوايا الإهمال ولم ينظر إليها بحال ، فقلت له سراً سيدي ما هذه الأوراق المعرض عنها أنظرتم بها وتم الشغل منها ، فرفع صوته وقال :

— الجليلين الشيخ عبد الرحمن الطبي والشيخ سعيد الحلبي . ونظم الشعر ، وألف مؤلفات منها : شرح منظومة جده البدر في النحو ، سماها : الكواكب الدرية ، وهداية الأنام الى خلاصة احكام الاسلام ورسالة في التكرار الواقع في القرآن ، وشرح على الأجرومية : ورسالة في المناسك وديوان شعره . قال والده محمد افندي (الملخصة عنه هذه الترجمة) : جمعته له ، وله غير ذلك اهـ .

ولم يخش من كبير ولا وال ، هذه الأوراق الواردة من السلطان ، المشتملة على أوامر لا تناسب الأوان ، فألقيناها في البطال ولم نعمل بها بحال ، ولم يخش من حاكم ولا كبير ولا قاض ولا وزير .

وفي اليوم الخامس من ربيع الثاني سنة سبع وسبعين ومائتين والف ، نفي من دمشق إلى جزيرة قبرص ووضع في قلعة الماغوصة أيام حادثة النصارى ، ومات بها ثاني رمضان في السنة المذكورة ودفن في جامعها ، وكان عمره سبعاً وسبعين سنة رحمه الله .

الشيخ عمر التغلبي بن عبد القادر بن عمر بن علي ابن سعد الدين بن محمد

ابن محب الدين بن سعد الدين بن محمد بن الشيخ محمد أبي تغلب بن سالم بن محمد بن نصر بن منتصر بن علي بن عثمان بن حسين بن قاسم بن محمد بن سيف الدين الرجيحي بن سابق بن هلال بن الشيخ يونس الشيباني الكبير والد السيد سعد الدين الجباوي المدفون في قرية جبا من أعمال دمشق الشام ابن الشريف عبد الله بن الشريف سعيد بن السيد عبد الرحمن بن السيد أحمد بن السيد ادريس الأكبر بن السيد محمد بن السيد عبد الله بن السيد حسين بن السيد علي ابن السيد عبد الله بن السيد عمر الغازي بن السيد موسى بن السيد يحيى بن السيد الإمام الكامل علي الهادي ابن السيد محمد الجواد بن السيد علي الرضى ابن السيد موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي الأصغر زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي زوج فاطمة الزهراء بنت سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ .

ولد بدمشق سنة الف ومائة وعشر ونشأ في السلوك والطريق والعلم والتحقيق والبراعة والتدقيق ، وأخذ عن العلماء العظام والسادة الأعلام ، وكان شيخ

السجادة التغلبية في دمشق المحمية ، واشتهر وفاق وعم ذكره الآفاق ، وأخذ عنه الكثير والجم الغفير ، وله كرامات وأخبار غيبية ومكاشفات ، مات سنة خمس عشرة ومائتين والف [١] ، ودفن في مرج الدحداح .

الشيخ عمر بن عمر بن عبد القادر بن عمر التغلبي الدمشقي ولد الشيخ عمر المتقدم

كان شهيراً في الأمور الخارقة للعادة ، كثير التقوى والعبادة ، حسن الإرشاد ظاهر الامداد .

ولد بدمشق ونشأ بها وصار من أجلائها وأعيانها ، ذا هيبة وجلالة ، وعظمة وفضالة ، عفيفاً ديّناً صالحا توفي ثاني عشر رمضان المبارك سنة تسع وسبعين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح عند قبور أسلافه [٢] رحمهم الله تعالى .

الشيخ عمر بن محمد بن محمد بن عمر الدمياطي الأصل

اليافوي الشهرة والمولد الغزي الوطن ، الحنفي الخلوتي البكري شيخ الطريقة الخلوتية بالشام .

ولد بثغر يافا في ساحل الشام سنة ثلاث وسبعين ومائة والف ونشأ بها ، ثم قدم دمشق واستوطنها وأقام بها الأذكار ، وأخذ عن قطب الوجود ،

---

(١) قال صديقنا الأستاذ جميل الشطي — بعد أن نقل هذه الترجمة : قلت أخبرني بعض أحفاد المترجم أن جده هذا أخذ عن العارف النابلسي ، وعاش مائة وأربع سنوات ، وتوفي سنة ١٢٢٠ هـ وأرخ وفاته الشاعر البربير ، بأبيات آخرها قوله :

فالأرض ناحت عليه والسماء بكت ... بالدمع مذ قلت تاريخي قضى عمر

(٢) وفي روض البشر للشطي أيضاً : قلت : وهذا المترجم الثاني : أعقب كلاً من الشيخ يونس والشيخ محسن التغلبي المتوفى سنة ١٣٦١ هـ رحم الله الجميع آمين ا هـ . ملخصاً .

وصفوة أهل الشهود ، شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة ، القطب الرباني والهيكل الصمداني ، السيد مصطفى البكري الصديقي ، قطب الديار المصرية والشامية ، وعن العلامة الشيخ السفاريني والعلامة البخاري والعلامة الشيخ أحمد الباقاني وصار عمدة الأولياء ، وزبدة الفضلاء . ومن نظمه في مدح الشيخ الأكبر قدس سره :

أقبل إلينا صادقاً ... وبعهدنا كن واثقا
نسقيك كأساً رائقاً ... صرفاً تصفى من كدر
سلمى السحارى تنجلي ... في المشهد الأسنى العلي
وقد تحلت من حلى ... عقد اللآلي والدرر
يا حبذا ذاك الجمال ... الحاوي أنواع الكمال
قد جل حسناً عن مثال ... وعز عن درك البصر
فانهض وجرد همما ... وللتداني يمما
وارتع بروضات الحمى ... واقطف لمى ذاك القمر
وغب بوجد عن وجود ... وطب إذا طاب الشهود
ان اللقا عذب الورود ... فلا تكن ممن صدر
فاحرم وزمزم واستلم ... للكعبة الحسنا التزم
يا سعد عبد قد غنم ... وحج شوقاً واعتمر
ما الكون يا ذا غيرها ... ان رمت فادخل ديرها
وان تغنى طيرها ... ألفيت عيناً في الأثر
ان رمت تدنو للطريق ... باكر لها تسقى العقيق
ان انتسابي للصديق ... . . . وأنا عمر

توفي رحمه الله في ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وثلاثين ومائتين والف ودفن في مقبرة الدحداح وقبره ظاهر مشهور يزار ويتبرك به . وقد رثاه العالم الأديب والماهر اللبيب الشيخ امين الجندي الحمصي رحمه الله بقوله :

قسيّ المنايا ما لأسهمها رد ... فما حيلتي والصبر قد دكه البعد
دهيت برزء لا يطاق غناؤه ... وكرب وحزن ما لغايته حد
غرام وحزن واحتراق ولوعة ... وتذكار عهد يستغرّبه الوجد
وشوق إذا ما الدهر أطفأ حره ... تزايد ما بين الضلوع به الوقد
ونفس لفقد الالف أمست جزوعة ... إذا ما نحاها البين أتلفها الصد
وقلب على جمر الأسى متقلب ... وطرف كليل حله الدمع والسهد
حمام الحمى هل أنت بالنوح مسعفي ... فإني لفقد الالف أشدو كما تشدو
لقد كان شملي كالثريا فأمرعت ... بتشتيته الأيام وانتثر العقد
أخلاي صرف الحادثات أراعنا ... فعادت علينا عاديات الأسى تعدو
انطمع في دار سريع زوالها ... وكأس المنايا منه ليس لنا بد
فيا عين لا تبقي من الدمع طارفاً ... ولا تالداً وابكي وان مسك الجهد
ويا نفس لا تبغي الاقامة بعد ما ... ترحل عن أوج العلا العلم الفرد
هو ابن رسول الله والعلم الذي ... لسؤدده السامي انتمى الفخر والمجد
هو البحر إلا أن تيار لجه ... يفيض فيهدي دره الجزر والمد
هو الروض أنساً والنسيم لطافة ... هو الطود . . . . . .
هو السيف لا تخفى مقاتله على ... خبير ولا ينبو لقائمه حد
امام يحاكي ليلة القدر فضله ... ببرهان صدق لامراء ولا جحد
همام لقطبانية العصر حائز ... وفي المنصب الأعلى له الحل والعقد
فتى لبني الصديق أضحى خليفة ... الى الحق يدعونا ونحن له جند
نشا بحجور الخلوتية راضعاً ... لبان المعالي والكمال له مهد
إلى أن كساه الله أفخر خلعة ... تجسم فيها العلم والحلم والزهد
هدانا لورد المنهل العذب منة ... فيا حبذاك المنهل العذب والورد
فطبنا بذكر الله في حال سيرنا ... سميراً وحادي الشوق ما بيننا يحدو

وهمنا بدعد ثم هند وزينب ... وسلمى ولا هند لدنيا ولا دعد (١)
تعاظم عن بث المقال مقامه ... فحسبي لديه الذكر والشكر والحمد
لئن ختمت فيه ولاية عصرنا ... فإن ختام المرسلين له جد
وإن غاب منه الجسم عنا فسره ... مدى الدهر فينا أن نروح ومذ نغدو
ففيه لمن عزى يقال لك البقا ... قضى العارف اليافيّ والجوهر الفرد
أقام على نهج الطريقة وهي في الـ ... ـحقيقة عن نهج الشريعة لم يعد
ومات شهيداً وهو حي بمالنا ... بناه من المجد الذي ما له حد
وهل مات من القى علينا كواكباً ... من الهدْي يزهو في مطالعها السعد
فقل لجهول راح ينكر فضله ... ثكلتك فالجعلان يقتله الورد
أيبصر خفاش الضلال الضيا وهل ... ترى الشمس إذ لاحت عيون الورى الرمد
فيا بحر فضل كيف وارتك حفرة ... ويا بدر هدْي كيف غيبك اللحد
لقد ثلم الاسلام بعدك ثلمة ... مدى الدهر والأعوام ليس لها سد
رعى الله أمراً كان بالأمس صادراً ... عن السيد البكريّ لم يحكه عهد
وعز بشارات أتت منه لي على ... لسانك تتلوه العناية والرفد

---

(١) اتى في هذا البيت من الرثاء، على أسماء دعد وهند وزينب وسلمى اثباتاً ونفياً، وذاك عند أهل التصوف يسمى مقامات وأحوالا، فالاثبات في مقام الوجود، والنفي في حال الشهود، وكذا البقاء والفناء، ولكن الكناية بهذه الأسماء عن الذات الإلاهية، لا يجوز بحال، ولا ندعوه سبحانه إلاّ بما دعا به نفسه، « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يُلحدون في أسمائه » وقد نزه تعالى نفسه في سورة الاخلاص عن أن يلد أو أن يولد، أو يكون له ند أو ضد، كما نزه ملائكته عن أن يكونوا اناثاً، وأن يكونوا بنات الله، فقال في سورة النجم: « انّ الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى، وما لهم به من علم » وقال في سورة النحل: « ويجعلون لله البنات سبحانه، ولهم ما يشتهون » فمن أين لهم ان الملائكة اناث؟ ومن أين لهم انهم بنات لله؟؟ وهذا تقوّل على ملائكة الرحمن، بلا علم ولا برهان، « كبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلاّ كذباً ».

ولي منك وعد أخروي مقرر ... بحضرة سيف الله ما فوقه عهد
يكاد له الانجاز يسبق بالوفا ... نعم هو آس في الحقيقة لا ورد
أمولاي هب اني عبيد مقصر ... وأن ذنوبي ليس يحصرها العد
اما عنكم أخذي وأنتم وسيلتي ... إلى الله وهو الغوث في كل ما يبدو
وكيف ولا أرجو بلوغ مقاصدي ... وراجي نداكم لا يخيب له قصد
دنوت فأقصاني النوى عن ظلالكم ... فأبت فأدناني التحبب والود
جعلتم لي الاطلاق قيداً بحبكم ... فذلي بكم عز وغيي بكم رشد
واني وان أدعى على سر سركم ... أميناً ولكني لعبدكم عبد
فلا زال هتّان الرضى هامياً على ... ضريح به الفيض الإلهي يمتد
وأرواح غفران وعفو ورأفة ... يروحه من نشره المسك والند
لمن كان في العش اصطفاه مؤرخاً ... بباء بها حسن الختام به يبدو
وصل بتسليم على الرحمة التي ... بها في التنادي يرحم القبل والبعد
مع الآل والأصحاب من في سما العلا ... مناقبهم بالفضل لم يحصها العد
مدى الدهر ما الجندي صاح من الأسى ... قسي المنايا ما لأسهمها رد

الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد بن أبي العباس ابن ابراهيم بن عبد الرحمن

السفرجلاني الدمشقي الشافعي الشاذلي .

ولد سنة الف ومائة و ... وأخذ الطريق عن والده وبعد موت والده كان شيخ الطريقة مكانه وأخذ عن عمه أيضاً توفي سنة الف ومائتين وسنة واحدة ودفن بباب الصغير .

الشيخ عمر البابلي الشافعي المصري الأزهري

قال الجبرتي في ترجمته هو : الإمام العلامة والحبر المدقق الفهامة، ذو الفضائل والتحقيقات المهمة الذكي الألمعي النحوي الفقيه، البياني المنطقي الأصولي النبيه . تفقه على علماء العصر وحضر الشيخ عيسى البراوي والشيخ الصعيدي والشيخ احمد البيلي والشيخ عبد الباسط السنديوني وتمهر في العلوم ، وقرأ الدروس وأخذ الطريقة الخلوتية على شيخنا الشيخ محمود الكردي ولقنه الأسماء ولازمه في مجالسه وأوراده ، ملازمة كلية ولوحظ بانظاره ، وتزوج بزوجة الشيخ احمد أخي الشيخ حسن المقدسي الحنفي ، وكانت مثرية فترونق حاله وتجمل بالملابس وعرفته الناس ، وماتت زوجته المذكورة لاعن عصبة فحاز ميراثها ، والتزم بحصة كانت لها بقرية يقال لها دار البقر ، فعند ذلك اتسعت عليه الدنيا وسكن داراً واسعة ، واقتنى الجواري والخدم ومواشي وأبقاراً وأغناماً ، واستأجر أرضاً قريبة يزرعها بالبرسيم تغدو اليها المواشي وتروح كل يوم من أيام الربيع ، ثم تزوج ببنت شيخه الشيخ محمود بعد وفاته ، وأقام منعما معها في رفاهية من العيش مع ملازمته للاقراء والإفادة إلى أن أدركه الأجل المحتوم . توفي سنة خمس ومائتين والف بالطاعون (١).

الشيخ عمر بن مصطفى الحلبي

الولي المستغرق المجذوب صاحب الأحوال والكرامات ، مولده بعد الأربعين والمائة والألف ، ونشأ بكنف والده من صغره مجذوبا ، وشوهدت

---

(١) في آخر ترجمة الشيخ عمر البابلي — من تاريخ الجبرتي — ما يأتي : وكان إنساناً حسناً ، جم الفرائد والفوائد ، مهذب الأخلاق لين الطباع ، حسن المعاشرة جميل الأوصاف ، رحمه الله تعالى (ا هـ من ج ٢ ص ٢٢٣) .

له كرامات وأشياء غريبة في أول أمره ، ثم نما حاله وترقى ، واعتقده الخاص والعام من الناس ، وظهرت له كرامات يطول تعدادها ، وكأنه لايشك في ولايته ، وكان يدور في شوارع حلب ويطلب من الناس الدراهم ويعطيها لأمهات الأولاد اللاتي مات عنهن أزواجهن لاعن شيء ، فسخره الله تعالى لهن ، وكانت هؤلاء النساء تكلفه الزيادة عن وسعه فيتحمل ويأتيهم بالمطلوب ، وكان الناس يعرفون له هذه الحالة فيعطونه ولا يبخلون عليه ، مع اعتقادهم غاية الاعتقاد ، ويطلبون رضاه ودعاه ، وكان مقبول الأطوار مستعذب الحركات والأحوال . مات رحمه الله بعد خمس ومائتين والف .

الشيخ عمر الحويري الرفاعي شيخ السجادة المباركة الرفاعية بحماة الشام

قد ترجمه صاحب تنوير الأبصار السيد أبو الهدى افندي فقال : هو السيد عمر بن السيد حسن بن السيد محمد بن السيد أبي بكر بن السيد محمد ابن السيد احمد بن السيد عبد الباسط بن السيد محفوظ بن السيد عبد الباسط بن السيد عبد الدائم بن السيد الكبير ابراهيم بن السيد ارسلان ابن السيد أبي بكر منصور بن السيد ابراهيم بن السيد علي بن السيد حسن ابن السيد خميسي بن السيد سعيد بن السيد داود بن السيد مطر شيخ الخرقة بحماه ، بن السيد الزاهد محي الدين الحريري نزيل حماه بن السيد يحيى النجاب بن القطب الكبير السيد أبي الحسن برهان الدين علي الحريري نزيل بصرى بحوران الشام بن السيد عبد المحسن بن الحسن سبط النفس النفيسة الرفاعية بن القطب الاجل السيد ممهد الدولة عبد الرحيم الرفاعي الحسيني الكبير .

ولد بحماه ونشأ بحجر والده الشيخ الكامل الفاضل السيد حسن الحريري وقرأ القرآن وشيئاً من العلوم العربية والفقه والحديث ، ولبس الخرقة الرفاعيه من أبيه ، واجتهد وخلف والده بالمشيخة في زاويته ، وعلا أمره وشاع في البلاد ذكره ، وكان كثير الصلاة على النبي ﷺ ، وكان أسخى من الغيث الهاطل ، حسن الأخلاق غيورا في الله ، صاحب دين وعزم مكين ، وحسن وفا ، وجمال لطف وصفا ، عذب المكالمة رقيق المنادمة ، وبه انتشرت الطريقة الرفاعية وأخذ عنه جماعة من الأفاضل الأكابر ، منهم السيد ياسين بن السيد حسين الرفاعي شيخ مشايخ الطريقة الرفاعية بمحروسة مصر ، وغيره من السادات . وكان يقيم الذكر بزاويته بحماه يوم الخميس بعد العصر ، فيجتمع عنده عالم عظيم ، ويمد لهم السماط ويستمر إلى الليل . وقد القى الله محبته في القلوب ، وجمع عليه كلمة الناس واعتقده الخاص والعام ، وكان له خوارق عادة ، وكرامات بلغت في العد الزيادة ، توفي المترجم بدمشق الشام سنة ثمانين ومائتين وألف ودفن بزاوية بني الحريري بصالحية دمشق انتهى ملخصاً من الكتاب المذكور أعلاه مع اختصار وبعض تصرف .

بحمده تعالى : قد انتهت تعليقاتي على هذا الجزء الثاني
من « حلية البشر » بعد صلاة العشاء من يوم الجمعة
(في ١٨ شوال سنة ١٣٨٢ هـ و ٢٣ / ٣ / ١٩٦٣ م)
وتراجع فرائده وفوائده في الصحف التالية
ويليه الجزء الثالث وأوله :

السيد محمد بن السيد أحمد بن السيد إسماعيل بن الشهاب أحمد المنيني

وكتبه الضعيف :

محمد بهجة البيطار

بسم الله الرحمن الرحيم

الموجز

[لما اشتمل عليه هذا الجزء الثاني ـ من حلية البشر ، في تاريخ القرن]

(الثالث عشر ـــ من فوائد وفرائد)

قدمنا في الجزء الأول خلاصة ماتضمنه من فوائد وفرائد جعلناها مدخلاً له ، واقتصرنا في آخره على ذكر أسماء الأعلام المترجمين . وجرياً على هذه الطريقة نقدم في ختام هذا الجزء الثاني منه أيضاً موجز ما اشتمل عليه من الطرائف ، ليكون المطالع على علم بها مجملة ، من بعد مارآها مفصّلة . فقد نشرنا ترجمة الأستاذ الجد المؤلف (في ج ١) بعد المقدمة ، كما أوضحنا في المقدمة رأي بعض الفضلاء الأجلاء في طبع الأصل على حاله ، والاعتذار عن المؤلف في كل ما يُرى فيه مجال للنظر ، أو موضع للنقد ؛ على أن كل ما وجد عليه مأخذ ، فالمؤلف رحمه الله غير مؤاخذ به ، إذ العهـــدة على

القائل لا على الناقل . ورأى مجمعنا العلمي العربي الجليل الذي تفضل بطبعه ، أن الاصل يكون مبيّناً لحال ذلك العصر الذي كتب فيه ، فلم يسعنا إلّا القبول والامتثال ، وعلى الله الاتكال.

ونوّجه الآن أنظار القرّاء الكرام إلى ما أشرنا إليه ، مما ينبغي الاطلاع عليه : في ترجمة الشيخ راغب بن الشيخ صالح الاسطواني (المتوفى سنة ١٢٩٣ ﻫ) أنه تَولّى خطابة الجامع الأموي بعد وفاة والده وتصدّر للتدريس ، وكان فصيح البيان. وفي سيرة السيد رجب آل خزام الرفاعي الصيادي (ص ٦٢٧) عجائب وغرائب كإبراء المقعد والمجنون والملووق ، وكإزالة الخوف والضرر ، في أشد ساعات الخطر ، وقد ذيلت ذلك بقولي : لو ثبت ذلك كلّه ، لكان رحمة من الله تعالى يظهرها على أيدي بعض الصالحين من عباده ، بأسباب روحية أو مادية ؛ وكم ذا رأينا ممن قعد بهم المرض عن القيام ، ومن منعهم من الكلام ، ومن هدّت قواهم الآلام ، قد أنفقوا ما يملكون أجوراً للأطباء والمشايخ ، وشراء الأدوية والعقاقير ، فلم يفدهم ذلك ... والصواب هو الأخذ بالاسباب ، والتوكل على رب الارباب ، جلّت حكمته . وفي (ص ٦٢٨) أثرنا عن منتخبات

التواريخ للتقي الحصني ، في ترجمة رحمة الله النابلسي من أحفاد الشيخ عبد الغني قوله : وقد أثنى المؤرخون عليه وعلى آبائه وأجداده الأئمة الاعلام ، وذكروا مؤلفاتهم وآثارهم ، وقد تقدم ذكر أكثر رجالهم في كتابنا ، من الضوء اللامع ، والكواكب السائرة ، والمحبي والمرادي والغزي اه ملخصا (ج ٢ / ٨٥٦). وللأمير رضوان المصري يد طولى في علم الفلك والميقات وفن الارصاد .

قلت : إن رجال الفضاء في عصرنا قد دخلوا في دور العمل ، وارتفعوا بصواريخهم مئات الاميال ، وبلغوا بطائراتهم أقاصي الشرق والغرب في ساعات قليلة ، وقد كان ذلك يحتاج إلى سنين طويلة . « علّم الانسان مالم يعلم » اه (ص ٦٣٠) . وعلّقت على ترجمة مؤلف أشهر مشاهير الاسلام في السياسة والحرب رفيق بك العظم : إني استشرته إذ كان بدمشق : أيطبع (حلية البشر) بتمامه أم مختصره ؟ فكان موافقاً لرأي المجمع العلمي بطبع الأصل على حاله ، والتعليق عليه . (توفي رحمه الله بالقاهرة سنة ١٣٤٣ ه ولم يرزق أولاداً) . ونقل المؤلف أن وفاة زين العابدين أبي عبد الرحمن جمل الليل المدني

كانت (سنة ١٢١١ هـ) ونقلت عن الأعلام ومعجم المؤلفين وفهرس مخطوطات الظاهرية وغيرها ، أنه توفي (سنة ١٢٣٥ هـ) والفرق بعيد كما ترى . وترجم المؤلف بعد هذا ، لزين العابدين ابن محمد بن زين العابدين الشاعر المدني ، وأورد له ولمؤلف « عقود اللآلىء الثمينة في أعيان شعراء المدينة » مساجلةً في قصيدتين رائقتين ، فذيلناهما بتفسير لغوياتها الكثيرة . ووصفنا البحرين وعُمان وتهامة ونجد في ترجمة القاضي سالم الدرمكي . وفي ترجمة الشيخ سعيد القاسمي والد شيخنا الجمال ، تعريف بكتابه المسمّى « بدائع الغُرف ، في الصنائع والحِرَف » الذي طبعه بدمشق السيد ظافر ابن أستاذنا وهو مهم (ص ٦٥٥) ومن لطائف الشيخ سعيد قصيدتان نظمها في عام تأخر برده عن وقته المعتاد ، صاغ الأولى في قالب السؤال من فصل الشتاء والثانية في جوابه واعتذاره المتضمن وعظ الموسرين ليتفقدوا أولي الفاقة ، وقد نشرهما المؤلف له وقبلها أبيات منوّعة . وقد علقنا على ترجمة سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود الذي افتتح جميع الديار النجدية والبلاد العارضية ، والحسا والقطيف والبلاد الحجازية وغالب جزيرة العرب ، وكانت تلك البلاد

قد غلبت عليها الامور الجاهلية ، فوصل اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب الداعي إلى التوحيد الخالص ، وما زال الوافدون من سعود يفدون صنعاء إلى حضرة الامام المنصور وولده الامام المتوكل بمكاتيب إليهما بالدعوة إلى التوحيد ، وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة ، ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء ، وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها ، وفي جهة ذمار وما يتصل بها) اه ملخصاً ، وقد علقت عليها بما ورد في الصحيح عن أبي الهيّاج الأسدي قال : قال علي بن أبي طالب : ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ : أمرني ألا أدع قبراً مشرفاً إلاّ سويته ، ولا تمثالاً إلاّ طمسته اه قلت : ومن المؤسف عدم الاهتداء بهدي الأنبياء والصالحين والاكتفاء بتشييد القبور ، وجعلها كالقلاع والقصور ، والصلاة عندها ، والطواف حولها ، ونذر النذور لسدنتها ، والتمسح بترابها ، ودعاء أصحابها بما لايدعى به إلا الله عز وجل ، وكل ذلك منهيّ عنه أشد النهي (ص ٦٦٦) . وفي ترجمة سعيد الخالدي الشاذلي الترشيحي اليشرطي أعجب العجب ، فهو بعد دراسة المعقول والمنقول ، والفروع والأصول ، سنين

عديدة ، وكانت لـــه صفة الزهد والبعد عن الدنيا وأهلها ، أخذ الطريقة الترشيحية وسافر إلى مقرها في عكا ، وعاد منها ، فانقلبت حاله ، وساء مآله ، والتزم الزندقة والإباحة المطلقة ، ودعا الى الآثام ، وعدم التقيد بحلال أو حرام ، وترى سيرته المزرية ، وإباحيته المخزية (في ص ٦٦٩ إلى آخر ص ٦٧٣) . وتجد في تاريخ حياة السلطان سليم الثالث كلمة عن الإنكشارية (ص ٦٧٦) Janissaires . وفي تعليقنا على ترجمة السلطان سليم ترى تناقضاً ظاهراً في كلام المؤرخين عن عزله وقتله ، (ص ٦٧٨) . ونقلنا عن التقي الحصني صورة توضح الدروس القيمة التي كان يلقيها الشيخ سليم العطار في التكيتين السليمية والسليمانية ، وفي جامع بني أمية . (وفي ص ٦٩٣) ترجمة سليمان شيخ طائفة العميان ، بالشنواني ، ومسيره ومصيره . وصدع الشيخ صادق الواعظ بالحق ، ونصحه وتذكيره للسلطان عبدالعزيز وللأعيان ، ودفع الأذى عنه بحكمة شيخ الاسلام ، (ص ٧٠١) . وفي آخر ترجمة (الواعظ) مطلب قصة محمد بهاء الله رئيس البابية ، وعقيدتهم ، في رسالة ألفها المترجم الواعظ ونشرت في (الحلية) معرَّبة عن التركية (ص ٧٠٢ الى ص ٧٠٧) وقد اجتمـــع

الأستاذ البيطار المؤلّف بولد الباب عباس افندي بعكا ، وجرى بينهما ذكر أبيه فنفى عنه دعوى الألوهية والنبوة ، وذيّلنا هذا الفصل بمجمل ترجمة البهـــاء والعباس من أعلام الاستاذ الزركلي . الشيخ صالح التميمي : عربي المحتد ، نجديّ الاصل نَجَفي المنشأ ، وقد طبع ديوان شعره في النجف (١٩٤٨ م) وقال احد محققي ديوانه : « ان التميمي يعلو بشعره ما وسعه العلو ، ثم يهبط ويسفُّ حتى تكاد تنكر أنه هو » وقد عاش في عهد داود باشا والي بغداد ، وكان أقرب الشعراء مجلساً إليه ، وأكثرهم دالّة عليه ، فقد جعله في جملة كتاب الديوان ، فكان من شعرائه . وقد أخذنا ملخص ترجمته من مجلة مجمعنا العلمي العربي (م ٢٤ / ٣٠٦ و ٣٠٧) ومن أعلام الزركلي (م : ٣ / ٢٧٦) ونشر له في الحلية قصيدة همزية في مدح الامام علي كرم الله وجهه ، مع تخميسها للسيد عبد البـاقي العمري الشاعر المشهور (ص ٧١٢ ــ ص ٧١٦) . وللعلامـــة الجليل الشيخ صالح المنير ترجمة بقلم أخيه الشيخ عارف ، تدل على معرفة زمانه وسلطانه ، وعلى سعة اطلاعه وطول باعه ، فقد تأهل

للتدريس في حياة والده وشيوخه ، واجتمع عليه الطلبة ، وانتفع به جماعة كثيرون ، وكانت دروسه للخاصة والعامة في الجامع الأموي وفي المدرسة الاخنائية شمالي الجامع ، وله يد في تأسيس المدارس الابتدائية ، وعين عضواً في مجلس المعارف مرات ، وتوجه إلى دار السلطنة مراراً ، واجتمع برجالها . وكان جمع همته لمطالعة التوراة والانجيل ، حتى صارت له فيهما ملكة ، فكان كثيراً ما يذهب الى الكنائس والبيع ويجادلهم بالتي هي أحسن . ولما وقعت المجادلة بين البروتستانت في جريدتهم (النشرة الأسبوعية) وبين اليسوعية في جريدتهم (البشير) صار المترجم حَكَماً بينهم ، وكتب في ذلك رسالة طبعتها الجريدة المذكورة ثم أفردتها وجعلتها رسالة مستقلة ، ولما سمع صاحب الترجمة أنَّ في مصر والاسكندرية محافل للبروتستانت فُتحت للمباحثة مع المسلمين توجه قاصداً المحافل المذكورة في جمع من العلماء فجادل القسُس وتغلب عليهم علناً ، ثم آب راجعاً الى دمشق وكان كثيراً ما تنشر له الجرائد مقالات من قلمه ، خصوصاً الجوائب في الاستانة والجنان في بيروت ، واشتهر بذلك رحمه الله اهـ من تعليقنا (ص ٧٣٠ و ٧٣١) .

وفي ترجمة الشيخ صالح المغربي الشهير بالسمعوني الذي هاجر من الجزائر ـ بعد استيلاء الفرنسيين عليها ـ إلى دمشق الشام ، كتبنا ما يأتي: أحيت الجزائر ، ذكر الأمير عبد القادر ، في جهادها الاخير ، الذي لم يسبق له نظير ، إلى أن كتب الله لها الاستقلال التام ، (وكان الفرح باستقلالها الوطني يوم الخميس (في ٥ ج٢ سنة ١٣٨٢ هـ ـ ١ تشرين ٢ سنة ١٩٦٢م) فعطلت عندنا المدارس والدوائر الحكومية ، وشادت بذكره إذاعات العالم (ص ٧٣٣) . ومن أكمل التراجم وأجلّها ترجمة الامام الكبير في التفسير والحديث والفقه والاصول والتاريخ والأدب والشعر والكتابة والتصوف والحكمة والفلسفة وغيرها ، صدّيق خان أبو الطيّب بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني القِنَّوجي البخاري ، قال في ترجمة نفسه : « ألقى عصى الترحال في محروسة بهوبال ، فأقام بها وتوطن وتموّل ، واستوزر وناب ، وألّف وصنف » وتزوج بملكة بهوبال ، ولقب بنواب ، عالي الجاه أمير الملك بهادر . له نيف وستون مصنفاً بالعربية والفارسية والهندية ، وقد نشر المؤلف أسماء كتبه المؤلفة ، على ترتيب حروف المعجم .

وجاء في أثناء ترجمة طاهر افندي الخربوتلي مفتي دمشق الشام حادثة يندر مثلها وهو إصرار علي افندي المرادي مفتي دمشق الشام وابن مفتيها حسين افندي على الاستقالة من الفتوى ، وتوسط والد الجدّ المؤلف الشيخ حسن البيطار بتأكيد عليه في ذلك ، فقبلت وساطته على أن يكون هو المفتي وأولاده من بعده ، وعلى أن تكون لهم براءة من السلطان بذلك ، فأبى رحمه الله كل الاباء ، وقال — بعد حوار مع رئيس المجلس الكبير إذ ذاك عثمان بك ، — وكان صاحب الحل والعقد ، — إنما قصدت أنه إذا أراد السلطان عزلي لاقدرة لأحد على إبقائي ، وأنا عندي منصب لايعزلني منه أحد وهو منصب العلم فلا أختار غيره عليه ، على أني لا آمن على نفسي وهذا منصب خطر ، وإن عزمتم علي في ذلك يكون سبباً لقطع الوصلة بيني وبينكم . فلما ظهر عليه التغير كثيراً أضربوا صفحاً عن التكلم معه في هذا الخصوص ، وتفرقوا ثم اجتمعوا بعد ذلك (ص ٧٤٨ و ص ٧٤٩) . وفي آخر (ص ٧٨١) جمع بين الشهر الميلادي والعام الهجري (١١ / تموز سنة ١٣١٣) سهواً . الشهيد السيد عبد الحميد الزهراوي ، ترجمه المؤلف

بصفحتين ، وذيلت الترجمة بأربع صفحات ، وصفت فيها حياته ومجملاً من حياة شهداء العرب الذين أعدمهم السفّاك جمال باشا (سنة ١٣٣٤ هـ ـ ١٩١٦ م) وفيها عظات وعبر (إلى ص ٩٧٦) . وفي ولاية السلطان عبد الحميد أسهب المؤلف رحمه الله في ذكر الحوادث والفتن التي حدثت في عهده كفتنة الهرسك في بلاد الروملي التي استولى فيها الروس ـ بدعوى الانتصار للهرسك ـ على كثير من المدن العثمانية (والكلام على هذه الفتنة طويل قد أفرد بالتأليف) وكان هذا الخلل قد دخل على المسلمين بعد خلع السلطان عبد العزيز ، وفي سنة ١٢٩٦ أعطت الدولة العثمانية جزيرة قبرس إلى الانكليز وهي التي افتتحها الصحابة في زمن معاوية (رض) . وفي سنة ٩٦ أيضاً خلع والي مصر اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا . وفي سنة ١٢٩٧ استولى الفرنسيون على تونس بالخديعة والحيلة (ص ٨٠٠) ، وكتبت في ذيل هذه الصحيفة بحمد الله وشكره ، قد استقلّ الشمال الافريقي العربي كلّه استقلالا تامّاً . وفي سنة ١٢٩٩ هـ استولى الانكليز على القطر المصري بعد أن ساعدوا الخديوي توفيق باشا في فتنة عرابي باشا

وأبقوه على ولايته . وفي سنة ١٢٩٧ ظهر رجل في السودان يسمّى محمد بن أحمد ، وكان قبل ظهوره مشهوراً بالصلاح ومن مشايخ الطريق ، ولمّا وقع بينه وبين العساكر المصرية المتملكين للسودان خلاف تدخل الانكليز وقاتله بجيشه وجيش مصر ، وكانت الغلبة في تلك الوقائع كلها له عليهم ، وكان أمره معهم عجيباً ، يأتونه بالعساكر الكثيرة والمدافع والآلات الشهيرة التي لايطيق أحد مقابلتها ، فيقابلهم بجيوشه السودانيين ، وليس معهم إلاّ السيف والرمح والسكاكين ، فيهجمون على تلك العساكر في موضعهم ومحط جيشهم ولا يبالون بمدافعهم وآلاتهم حتى يخالطوهم ويقتلوا أكثرهم من قرب طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف والسكاكين ، ويشتتون شملهم ، ومثله عثمان ذقنة الذي ولاه محمد أحمد على جماعة في براري السواكن ، فقد جاءه الانكليز والعساكر المصرية سنة ١٣٠٢ بنحو سبعين مركباً مشحونة بالعساكر الكثيرة والآلات والاستعدادات الوفيرة ، وخرجوا لقتاله في البر قريباً من سواكن فهزمهم وقتل أكثرهم وشتت شملهم ، وغنم أكثر أموالهم ودوابهم وذخائرهم وأسبابهم (وفي ص ٨٠٣ مباحث في المهدي المنتظر) لم أرَ أبدع ولا

أمتع منها ، فقد ذكر كثير من العلماء الذين ألفوا رسائل في ظهور المهدي وعلاماته ، أن من علامات ظهوره خروج السودان (قال) : منهم الجلال السيوطي والعلامة ابن حجر والعلامة المتقي والعلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي في كتابه المسمّى : الإشاعة في أشراط الساعة ، وقد بحثت هذه الرسائل في المهدي المنتظر وزمانه ومكانه وهديه بحثاً وافياً بالموضوع ، ونقل عن العلامة ابن خلدون ص ٨١٠ كلاماً نفيساً أورد فيه أسماء بعض من ادعوا المهدوية وفشلوا في دعواهم ، إذ الأوصاف لاتنطبق عليهم . وقال المؤرخ ابن خلدون (٨١٣) : وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القريبة نزعة من الدعاة إلى الحق والقيام بالسنة ، لاينتحلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره ، وإنما ينزع منهم في بعض الأحيان الواحد فالواحد إلى إقامة السنة وتغيير المنكر ، ويعتني بذلك ويكثر تابعوه ، وأكثر ما يعتنون باصلاح السابلة الخ ثم وصف من نهضوا في المغرب والمشرق كالعراق لإقامة الدين على اختلاف العصور ، ومنهم سهل ابن سلامة الانصاري ، (قال) وعلق مصحفاً في عنقه ، ودعا الناس الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله

وسنة نبيه ﷺ ، فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بني هاشم فمن دونهم ، ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ، ومنع كل من أخاف المارة ، الى آخر القصة (ص ٨١٥) وبعد هذا كله ذكر المؤلف أن الناس على دين ملوكهم ، وضرب لذلك الامثال ، ثم نقل عن الامام الطرطوشي أنه قال في كتابه المسمى « سراج الملوك » : ان الخليفة إذا عدل في بيت المال ، وساوى نفسه بالمسلمين في الأخذ من بيت المال بقدر الحاجة كان المسلمون كلهم عسكراً للإسلام اه (ص ٨١٧) ثم ذكر المؤلف قواعد وحقائق في كون الناس على دين ملوكهم ورؤسائهم يتبعونهم في الخير والشر ، والنفع والضر ، والامانة والخيانة ، وتم هذا البحث المهم بمقاصده (ص ٨٢٠) . وقد ترجم للشاعر الكبير عبد الحميد الرافعي الشهير في مطلع شبابه ، فقال : هو الشاب الأديب الخ فاستدركنا بأنه رحمه الله قد بلغ أكثر من سبعين عاماً ، وبأنه قد وصف إذ ذاك بشيخ الشعراء ، ونادرة الادباء ، ونابغة الفيحاء . وقد احتفلت جمهرة من الكتاب والشعراء (سنة ١٣٤٧) ببلوغه سبعين عاماً من عمره ، وله أربعة دواوين شعرية . وكانت وفاته في طرابلس (سنة ١٣٥٠ ه)

والأسرة الرافعية من أشهر بيوتات العلم في ديار الشام ومصر ، وقد تولى كثير من رجالها مناصب القضاء والافتاء في الديار المصرية والممالك العثمانية ؛ لخصت ترجمته من مجلة المنار (م ٣٠ / ٦٢ ـ ٧٤) ومن معاجم الأعلام (ص ٨٢٢) .

وفي ذيل ترجمة الشيخ عبد الحميد السباعي مفتي حمص بيان لمذهب الشيعة الامامية الأثني عشرية نقلته عن كتبهم ، كما ترجمت للشيخ محمد بن عبد الوهاب ونقلت كلمة في جهاده واجتهاده عن كتب العقائد والتاريخ ، والسباعي مفتي حمص هو الذي ذكر الفريقين ، ففسّرت كلمته فيها (ص ٨٢٣ـ٨٢٥) .

وذيلنا ترجمة عبد الرحمن بن سليمان مؤلف تاريخ « النفَس اليماني » بذكر مؤلفاته عن أعلام الزركلي . وفي ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن محمد الكزبري محدث الديار الشامية ـ ما يهم المحدثين والمؤرخين ، فقد قال المؤلف في المحدث الكزبري : (المتوفى ١٢٦٢) أخذ عنه علماء الشام وغيرهم من العرب والاعجام ، ومن جملة من أخذ عنه سيدي الوالد فانه روى عنه صحيح الامام أبي عبد الله البخاري الجعفي من أوله الى آخره ، وقد أجازه به وبجميع ما تجوز له روايته عن مشايخه مما هو مذكور في ثبته ،

قال الجد المؤلف : وأنا حضرته ولله الحمد على والدي في الدرس العام في جامع كريم الدين بين العشاءين من أولـــه الى آخره ، وأجازني به وبجميع ما تجوز له روايته عن مشايخه ، وقد أردت أن أذكر سندي من هذا الوجه لعلوه عن غيره فاني اخذته من طرق كثيرة، ولكن هذا السند من أعلاها إسناداً فأقول : أروي صحيح البخاري عن والدي، وذكر تواريخ ولادات هؤلاء الرواة لصحيح البخاري ووفياتهم من والد المؤلف الى الإمام محمد بن اسماعيل البخاري أبي عبد الله المولود سنة ١٩٤ المتوفى سنة ٢٥٦ انتهى . وبعد موت والده وجه عليه تدريس البخاري الشريف تحت قبة النسر ، في شهر رجب وشعبان ورمضان بعد العصر كلّ يوم، وعامة العلماء تحضره للأخذ عنه ،وقد استمرّ هذا التدريس تحت قبة النسر ، في أيام هذه الأشهر الثلاثة بعد العصر ، الى سنة وفاة الشيخ سليم بن أحمد بن عبـــد الرحمن الكزبري (م : سنة ١٣٣١) وجلس مكانه ولده الشيخ محمد علي ولم تطل مدته رحمهم الله تعالى . وذيلنا ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب بذكر كتبه المطبوعة (ص ٨٣٩) . وفي ترجمة الشيخ عبد الرحمن الطيبي أنه دُعي هو ووالد المؤلف

الشيخ حسن البيطار ، لحضور ختان أولاد السلطان عبد المجيد (سنة ١٢٦٣) وبعد عودهما توفي المترجم في عام ١٢٦٤ هـ وكان من الأعلام رحمه الله وإيانا . وذيلنا صفحتي (٨٤٩ و ٨٥٠) بما كتبه صديقنا الشيخ محمد جميل الشطي في ترجمة جدّه لأمه الشيخ عبد السلام الشطي رحمهما الله. ومن مواضع العِبر والعظات أن الذي كان قائماً بخلع السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود الثاني هو حسين عوني باشا ، وكان السلطان عبد العزيز هو الذي رقّاه وأعلى قدره إلى أن جعله رئيساً على العساكر كلها؛ بل جعله مقدّما على جميع أهل الرتب والمناصب ، وكان خلع السلطان عبد العزيز سبباً لاضطراب كثير ، وحوادث شتى، (ص ٨٥٤) وهذا مصداق : اتق شر من أحسنت إليه ، وفي حوادث عصرنا ما يدل عليه ، ونقلنا عن روض البشر للشطي في ترجمة الشيخ عبد الغني الغزي ، انه هو شقيق كمال الدين الغزي صاحب طبقات الحنابلة والتذكرة الكمالية والوارد الأنسي وغيرها ؛ وهو جد جميع الموجودين الآن (سنة ١٣٢٤) من بني الغزي ، وللمترجم أدب وشعر ، (ص ٨٦٣) . وذيلنا ما كتبه المؤلف عن الشيخ عبد الغني السادات بأسماء تآليفه التي

ذكرها الشطي في روض البشر . وفي ترجمة الشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني تسمية لمؤلفاته في التوحيد والفقه الحنفي والعربية ، وقصائد غر ، ونثر كالدر ، وكان له مزيد اختصاص بجدّنا الأعلى الشيخ حسن والد المصنف ، وينعته بالعالم الرباني والوالد الروحاني ، وما أورده عنه يدل على سعة علمه وأدبه (ص ٨٦٧ ــ ٨٧٢) . ثم أورد المؤلف ترجمة أخيه الشقيق الشيخ عبد الغني ، وهو جدّي لوالدي وشقيق جدّي لوالدتي مؤلف هذا التاريخ ، ولهما لوالدي الشيخ بهاء الدين تراجم وجيزة في منتخبات التواريخ لدمشق (ج ٢ ص ٧٦٠ و٧٦١) . ثم إني كتبت في ذيل ترجمة هذا الجد للوالد ما نصّه : (فائدة) الحفيد هو ولد الولد مطلقاً ، كما في كتب اللغة ، فأنا حفيد الشقيقين عبد الغني وعبد الرزاق اهـ وهذا نصّ لسان العرب : الحفيد ، ولد الولد والجمع حُفداء (ج ١٣ / ١٥٣ طبعة : دار صادر ودار بيروت) والسبط ، واحد الأسباط ، وهو ولد الولد ، ابن سيده : السبط : ولد الابن والابنة (ج ٣٠ / ٣١٠) من لسان العرب أيضاً ، فتبين أن ولد الابن وولد البنت : يقال لكل منهما حفيد وسبط ، (ولكني آثرت لفظ الحفيد ، ليكون

نصّاً على أني من آل البيطار أباً وامّاً ، وخالاً وعمّاً) قال المؤلف: قد اجتمعت معه (أي مع شقيقه هذا وهو أكبر منه سنّاً) فسألني عن قول السيد أحمد بن إدريس: لو أطال الله عمر رجل من زمن أبينا آدم إلى قيام الساعة وهو يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ورجل قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله، في كل لمحة ونفس ، عدد ما وسعه علم الله ، مرة واحدة ، في القيمة يسبق ذاك ، ما المقصود من هذه العبارة ، وهل هي على ظاهرها أم سلك فيها مسلك الحقيقة والإشارة ؟ فأجاب المؤلف رحمه الله عن هذا السؤال بل الإشكال بجواب مطوّل بل مفصّل، وفيه من الفوائد والفرائد ما لا يستغنى عن قراءته والاستفادة منه، (ص ٨٧٤ _ ٨٨١) . وقد ترجم للأمير ، العالم المجاهد الكبير عبد القادر الحسني الجزائري ترجمة عارف بفضله ، وجهاده ونبله ، ترجمة استغرقت عشرات الصفحات (ص ٨٨٣ _ ٩١٥) وفي كتاب ولده الأمير محمد باشا ترجمة حياته رضي الله عنه مفصلة من ابتدائها إلى انتهائها . وترجم له المؤرخ محمد بيرم التونسي في كتابه صفوة الاعتبار . وللسيد عبد القادر الكوكباني اليماني ترجمة حافلة ، جديرة بالمطالعة (ص ٩١٨) . وترجم

للشيخ عبد القادر الخلاصي (ص ٩٢٢) بأنه طبيب ماهر ، وبأنه شرَح الدر المختار والفية ابن مالك ، وله عدة تآليف . وكتبنا في ص ٩٢٨ على كلمة (فلان) غوث الخلائق ما نصه : غوث الخلائق ، هو الله الخالق المالك جلت قدرته ، وقد تقدم مثل هذا الغلو من قبل ، وحذرنا من خطره وضرره ، وذيلنا (ص٩٢٩) ــ على دعوى أن الطريقة (الفلانية) هي طريقة الصحابة الكرام ــ بكلمة قلنا في آخرها : لماذا نبتدع ما لم يكن موجوداً في عهدهم ، ثم نعزوه إليهم ؟ وكتبنا على لفظي الأبدال والأوتاد ، انه ليس في الشريعة لذلك اسم ولا مسمّى . وفي نفس الصحيفة أيضاً : قدمنا أن الخضر عليه السلام لو كان حياً لآمن بالنبي وصحبه كغيره ، والتاريخ والحسّ ينفيان وجوده . وفي (ص ٩٣٧) : النبي ﷺ هو صاحب الشفاعة ، ولكن مالكها هو الله تعالى ، فتطلب منه وحده ، كالخلق والرزق والاحياء والاماتة . وذيلنا (ص ٩٣٨) ــ نقلاً عن طبقات الأمم لصاعد بن أحمد الأندلسي (المتوفى سنة ٤٦٢ هـ) ما نصه : فكان (الهند) عند جميع الأمم ــ على ممر الدهور وتقادم الأزمان ــ معدن الحكمة ، وينبوع العدل والسياسة ، وأهل

الأحلام الراجحة والآراء الفاضلة، والأمثال السائرة، والنتائج الغريبة، واللطائف العجيبة. وللشيخ عبد الله أبي الكمال الحلبي الكتبي قصائد يمدح بها العالم المؤرخ محمد خليل المرادي لما سافر إلى حلب، فاجتمع هذا المترجم به وأخذ عنه، واستجازه، وقد استغرقت قصائده الغرّ في مدحه صفحات. ومما يثير العجب أن ترى في تراجم بعض الفضلاء، الاقتصار على ذكر أسماء مشايخهم الأجلاء، دون أن يدوّن لهم أنفسهم شيء من مآثرهم أو أعمالهم، كما ترى في ترجمة الشيخ عبد الله ابن محمد بن طه بن أحمد العقاد الحلبي شيخ القرّاء في حلب الشهباء، فقد عدّ له ما يقرب من أربعين شيخـــاً، آخرهم أبو الفيض محب الدين مرتضى بن محمد بن محمد الزبيدي اليمني نزيل مصر، قال: وغيرهم، وختم الترجمة بقوله: وسمع الكثير من كتب الأحاديث الصحيحة والمسلسلات، إلى أن اخترمته المنية بعد الألف ومائتين وخمس سنوات، رحمه الله رحمة واسعة اهـ (ص ٩٤٨). وقد ذيلنا المفردات التركية الواردة في ترجمة عبد الله باشا والي عكة بما يقابلها في اللغة العربية ليكون النشء الجديد على علم بها، وترجمته من (ص ٩٤٨ إلى ص ٩٦٣)

ومن أجلّ التراجم وأكملها وأفضلها ترجمة الكاتب الكبير ، والشاعر الشهير ، عبد الله باشا فكري (ص ٩٦٨ ــ ١٠٠٢) ففيها شذرات من نشأته الأزهرية ، وارتقائه إلى اسمى المناصب الحكومية ، وابتلائه بالسجن وقطع المعاش عنه في الفتنة العرابية ، ورحلته لزيارة بيت المقدس والخليل والشام ، وفي صحبته ولده أمين بك الشهم الهمام ، وكتابته على لسان الدولة المصرية للملوك والأعيان ، وما أبدع ما كتبه إلى صديقه الشيخ عبد المجيد الخاني واصفاً رحلته من الشام إلى بعلبك (ص ٩٧٩ ــ ٩٨٥) ، ومن غرر قصائده تهنئته للحضرة التوفيقية يوم جلوسه على الاريكة الخديوية ، بقصيدة أربت على ستين بيتاً وهي بنت ليلتها ! ومن بدائعه قصيدته التي تلاها يوم فتح المؤتمر العلمي السويدي فنالت غاية الاستحسان ، وقد أتبعها بقصيدة أخرى وصف فيها المؤتمر وصفاً بالغاً ، إلى (ص ٩٩٦) وختمت ترجمته بايراد بعض المراثي التي رثاه بها أكابر العلماء والشعراء ، الى (ص ١٠٠٢) . وقلنا (في ص ١٠٠٨) : للعلامة ، الشهير السيد محمد عابدين رسالة مطبوعة في مجموعة رسائله ، اسمها : « إجابة الغوث ببيان حال النقبا والنجبا والابدال والاوتاد

والغوث » وفيها صفاتهم وعاداتهم ومراتبهم وبلدانهم وأعمالهم الخ .
وفي ترجمة الشيخ عبد الله الحلبي عظة وعبرة ، لذوي الفضل والشهرة ، (ص ١٠٠٨ ــ ١٠١٠) . وذيلت ترجمة السيد عبيدالله الحيدري مفتي الحنفية العام بمدينة السلام ، وقد وصف بأنه من أجلّ العلماء ، وانه شاعر في اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية ، قلت : أليس من العجيب الغريب أن يكلف حمل الماء على ظهره وسقي المارّة في مدينة بغداد مدة عشرين يوماً ، ثم بيعه عشرة أيام ، من دون تسبيل ، من البكرة الى الاصيل !! ولمن يترك نشر الدين والعلم والادب : أللسقائين والحمالين ؟ وهل يمكنهم ذلك ؟؟ ص ١٠٢٥ والله المستعان على مايصفون . وفي ص ١٠٣٦ : عمارات كثيرة في الاماكن المأثورة بالحرمين الشريفين ، من آثار السلطان عبد المجيد . وفي ص ١٠٣٧ لخصت ترجمة الشيخ عبد المجيد الخاني من أول « الحدائق الوردية » المطبوع . وترجمة عبد العزيز ابن أحمد ولي الله الدهلوي (ص ١٠٤١) . وفي ترجمة السيد عبد المحسن بن حمزة الشهير بابن عجلان نقيب الاشراف بدمشق الشام بيان واف لمن يتقلدها ، وقد عدّ اثني عشر حقاً للاشراف

عليه ، وزاد للنقابة العامة خمسة أشياء أيضاً (ص ١٠٤٤ و ١٠٤٥) ونقل المؤلف عن كتاب (العقود الجوهرية) لاحمد عزت باشا العمري الموصلي ترجمة الحاج عثمان الموصلي المولى الشهير بالحافظ ، وفيها من قوة استعداده وحفظه ومزاياه ما يندر مثله في غيره ، (ص ١٠٥٢ ــ ١٠٥٩) وقاضي القضاة سراج الدين علي خان الذي تقلد أمر القضاء في بندر كلكته ، قد أتقن اللغة العربية مع لغته الفارسية والأُوردية ، وكان بهذه اللغة أديباً ماهراً ، ناظماً ناثراً . وبعد تفسير اللغويات في قصائد علي بن محمد العنسي جمال الدين اليمني أثرنا عن البدر الطالع للشوكاني أسماء مؤلفات المترجم (ص ١٠٦٤) . وفي ترجمة علي البشرطي (نسبة الى بشرط قبيلة بالمغرب) البيزرتي (Bizerte) مرفأ عسكري في تونس) الذي أقام في عكة وترشيحا من سواحل الشام ، ــ وصف لبعض المنتسبين لطريقته لم يسمع أبشع ولا أشنع منه ، ويقف عن ذكره اللسان والقلم ، ويكاد ينفطر القلب من شدة الغيظ والألم ، وتأمله ان شئت (ص ١٠٦٦ و ١٠٦٧) . وبينا في ذيل (ص ١٠٧٠) الفرق بين الامور الدينية والامور الدنيوية في الحل والحرمة . ولخصنا ترجمة الشيخ علي البغدادي المعروف

بالسويدي من كتاب « المسك الاذفر » لعلامة العراق السيد محمود شكري الألوسي (ص ١٠٧٧) . وكتبنا في ص ١٠٨٢ ما يأتي : كانت هذه الصنعة في تلك العهود من قسيّ ونشّاب ومنجنيق ـ من الآلات التي ترمى بها القذائف ـ من أجلّ الصناعات واكملها ، ولكن الرماة في عهدنا ، هم الذين يحسنون رمي القذائف النارية من أدوات الحرب في القرن العشرين ، كالدبابات والمصفحات والرشاشات ، وتتبعها الطائرات الحربية والمدفعية الثقيلة ، للدفاع عن الأوطان ، ولحماية السكان ، من الاذى والعدوان . ومن الفوائد التاريخية أن علي أفندي الحسيبي (المتوفى سنة ١٢٤٢) هو ابن القاضي الاديب السيد محمد العطار ، ووالد الوجيه الكبير أحمد افندي الحسيب ، وقد كان المترجم يتولى النيابات في محاكم دمشق ، ويوقع على وثائقها هكذا : (علي حسيب) كما رأيت ذلك بخطه الحسن ، فاشتهار أسرته الآن بالحسيبي انما هو بالنسبة اليه (ص ١٠٩٣) وقد نقلناه عن (روض البشر) للشطي . وقد ترجم للشاعر المشهور الشيخ علي الخانمي الادلبي وأورد له من الشعر ما يشبه السحر ، فعلقت عليه بما يأتي : إن هذه المقطوعات الشعرية والغزلية ،

قد اشتملت على أدق المباني وأرق المعاني ، وفيها من بدائع الوصف والتمثيل ، ما لم يبلغه من سحر الشعر الا القليل ، ولكن أهل هذه المنظومات قد فتنوا بتشابيه القد والخد والنهد والصبا والجمال ، وراحوا يهيمون بكل واد من أودية الخيال ، ولو أنهم وجهوا وجهة صالحة ، لكان لنا من بليغ شعرهم في عصر الانحطاط ما يرفع امتنا الى سماء المجد والسؤدد ، ويعيد لها عهدها الأول الأغر المحجل ، (ص ١١٠٦) . ومن غرر الشعر قصيدة المؤلف التي أنشأها مادحاً بها صديقه شيخ الاسلام الحاج عمر لطفي ومهنئاً إياه ــ لما زاره في الاستانة ــ بالمشيخة الإسلامية ، وترجمته التي ختمت بالقصيدة من (ص ١١٠٧ ــ ١١١٥) . وأما السيد عمر بن عبد السلام المدرس الداغستاني فمن بعد أن ترجم له المؤلف وأورد له موشحات وقصائد من بدائع الشعر (من ص ١١١٥ ــ ١١٢٩) ختم ترجمته بقوله : وإن قصائد المترجم كثيرة ، ومعروفة وشهيرة ، وفي سنة ١٢٠١ قد رحل إلى الاستانة العلية ، دار السلطنة السنية ، وألف بها كتابه « اللآلىء الثمينة ، في أعيان شعراء المدينة » . ونقلنا من معجم المطبوعات ، ومنتخبات التواريخ أسماء ما طبع من مؤلفات الشيخ عمر العطار

(ص ١١٣٠) ونبهنا في (ص ١١٣٩) عند قول الشاعر من قصيدة طويلة :

وهمنا بدعد ثم هند وزينب وسلمى ، ولا هند لدينا ولا دعد

ان الكناية بهذه الأسماء عن الذات الإلهية لا يجوز بحال ، ولا ندعوه سبحانه إلا بما دعا بـه نفسه « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه » . ونختم هـذه الفوائد بما كان من حال الشيخ عمر بن مصطفى الحلبي الولي المجذوب ، فقد كان يدور في شوارع حلب ويطلب من الناس الدراهم ، ويعطيها لأمهات الأولاد اللائي مات عنهن أزواجهن لا عن شيء ، فسخره الله تعالى لهن ، والحمد لله رب العالمين .

وكتبه

محمد بهجة البيطار

فهرس الجزء الثاني

من حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر

الصفحة	اسم صاحب الترجمة	تاريخ الوفاة
	حرف الراء المهملة	
٦٢٥	راشد بن سعيد الرواحي	بعد ١٢٢٠
٦٢٦	راشد بن علي النعامي	أوائل القرن الثالث عشر
٦٢٦	راغب الاسطواني	١٢٩٣
٦٢٦	راغب حمزة الشهير بابن عجلان	١٢٦٣
٦٢٧	رجب آل خزام الرفاعي الصيادي	١٢٨٠
٦٢٨	رحمة الله النابلسي	١٢٧٩
٦٢٩	رشيد القلعي الشهير بقمبازة	١٣٠٢
٦٢٩	رضا بن اسماعيل الدمشقي	١٢٨٦
٦٣٠	رضوان الطويل المصري	١٢٠٥
٦٣٠	رفيق بن محمود العظم	١٣٤٣
٦٣٤	رشيد بن طه العطار	١٣١٦
٦٣٥	رقية بنت ابراهيم السعدي	١٣١٧
٦٣٥	راغب بن عبد الغني السادات	....
٦٣٧	زاهد بن محمد نجيب الالشي	١٣٢٠
٦٣٩	زين العابدين بن جمل الليل المدني	١٢٣٥
٦٤٣	زين العابدين بن محمد	....
	حرف السين المهملة	
٦٤٨	سالم بن محمد الدرمكي	بعد ١٢١٠
٦٥٠	سعيد بن أحمد البو سعيدي	١٢١٨
٦٥١	سعيد بن محمد الغبرة	١٣٠٣
٦٥٢	سعيد بن الشهاب أحمد الأيوبي	١٢٣٦
٦٥٢	سعدي الشيرازي	بعد ١٢٠٠
٦٥٤	سعيد بن قاسم القاسمي	١٣١٧
٦٦٢	سعيد الأنصاري المدني	اوائل القرن الثالث عشر
٦٦٣	سعدي الدمشقي العمري	حول ١٢٨٠
٦٦٤	سعدي التاجي البعلي	١٢٧٩
٦٦٤	سعدي الحنبلي السيوطي	١٢٥٦
٦٦٥	سعود بن عبد العزيز بن محمد	١٢٢٩
٦٦٧	سعيد بن أسعد السفاريني	١٢٥٢
٦٦٧	سعيد بن حسن الحلبي الدمشقي	١٢٥٩
٦٦٨	سعيد بن حمزة العجلاني	١٢٤٩
٦٦٩	سعيد الخالدي	١٢٩٤
٦٧٤	سعيد بن عبدالله السويدي	١٢١١

الصفحة	اسم صاحب الترجمة	تاريخ الوفاة
٦٧٤	سليم بن علي الحسيني	١٢٩١
٦٧٥	سليم بن نسيب حمزة	١٣٠١
٦٧٥	سليم خان بن مصطفى (السلطان)	١٢٢٣
٦٧٩	سليم بن نجيب صافي	١٢٩٧
٦٨٠	سليم بن ياسين العطار	١٣٠٧
٦٨٢	سليم بن أحمد الكزبري	١٣٣١
٦٨٣	سليم بن حسين النحلاوي الطيبي حول	١٣٠٠
٦٨٤	سليم بن محمد سمارة	١٣٣١
٦٨٥	سليم بن أنيس قصاب حسن	....
٦٩٢	سليمان بن سلامة الأشعري الميداني	١٢٧٧
٦٩٢	سليمان بن عمر المصري المعروف بالجمل	١٢٠٤
٦٩٣	سليمان الجوسقي	١٢١٤
٩٦٤	سليمان بن محمد البجيرمي	١٢٢١
٦٩٥	سليمان الفيومي	١٢٢٤
	حرف الشين	
٦٩٧	شاكر بن علي العمري	١٢٢٢
٦٩٩	شاكر بن خليل المجذوب الرفاعي	١٢٦٦
٦٩٩	شعبان بن عبد الله الانطاكي	١٢٠٣
	حرف الصاد	
٧٠١	صادق الواعظ	١٢٩٤
٧٠٨	صادق بن عبد الرحمن البخشي الحلبي	١٢٠٥
٧٠٩	صالح بن حسين الحلبي الدادنجي قبل	١٢١٠
٧١١	صالح بن درويش التميمي	١٢٦١
٧١٦	صالح اليافي	١٢٥٠
٧١٧	صالح السيوطي	١٢٤٧
٧١٧	صالح بن يوسف المعروف بابن شمس	١٢١٧
٧١٧	صالح بن محمد القزاز	١٢٤٠
٧١٨	صالح بن محمد السفرجلاني	١٢٥٥
٧١٨	صالح بن يوسف العش	١٢٩٢
٧١٩	صالح عابدين	١٢٠٣
٧٢٠	صالح بن سلطان الحلبي قبل	١٢٢٠
٧٢٢	صالح الفلاني العمري المدني المغربي	١٢١٨
٧٢٤	صالح بن محمد الدسوقي	١٢٤٦
٧٢٧	صالح بن حيدر الكردي	١٢١٨
٧٢٨	صالح بن عبد الغني السقطى	١٢٤٥
٧٢٨	صالح الدمشقي المعروف بابن اياس	١٢٥١
٧٢٩	صالح بن سعيد الاسطواني	١٢٩٤
٧٢٩	صالح بن أحمد المنير	١٣٢١
٧٣١	صالح بن محمد سعيد المدني الخطيب أوائل القرن الثالث عشر	
٧٣٣	صالح بن أحمد المغربي الشهير بالسمعوني	١٢٨٥
٧٣٤	صالح بن عبد القادر الحصني الحسيني	١٣١٠
٧٣٦	صبغة الله بن ابراهيم الحيدري	١١٨٧
٧٣٧	صديق بن علي المزجاجي الزبيدي	حول ١٢٤٠
٧٣٨	صديق خان بن حسن القنوجي	بعد ١٣٠٠

الصفحة	اسم صاحب الترجمة	تاريخ الوفاة
	حرف الطاء	
٧٤٧	طاهر بن محمد الانباري	بعد ١٢٠٠
٧٤٧	طاهر بن سعيد المعروف بسنبل	١٢١٨
٧٤٨	طاهر بن عمر الخربوتلي	١٣٠٠
٧٥٠	طاهر بن ابراهيم الحموي	بعد ١٢٠٥
٧٥١	طاهر العقري النقشبندي	بعد ١٢٠٠
٧٥١	طاهر بن ابراهيم الكوراني	٠٠٠٠
٧٥٢	طه بن يحيى البزوري (ملا)	١٣٠٢
٧٥٢	طه بن يحيى الكردي	١٢١٤
٧٥٣	طه بن الشهاب أحمد العطار	١٢٤٣
٧٥٣	طه بن جمعة الدسوقي	بعد ١٢٠٠
٧٥٤	طه بن الرسول البرزنجي	بعد ١٢٠٥
٧٥٥	طه بن محمد العقاد الحلبي	١٢٢٩
٧٥٥	طه الكيلاني الهكاري	بعد ١٢٠٠
٧٥٦	طه شرف الدين بن أبي بكر الحلبي	بعد ١٢٠٠
٧٥٧	الطيب بن محمد المبارك الجزائري	١٣١٣
	حرف الظاء	
٧٥٩	ظبيان بن يوسف	١٢٨٨
٧٦٠	ظاهر باطن الدمشقي	بعد ١٢٩٠
٧٦٠	ظافر بن محمد حسن المدني الشاذلي	١٣١٥
	حرف العين	
٧٦٦	عباس الكردي الكوسنجقي (الملا)	بعد ١٢٤٠
٧٦٦	عارف بن محمد الجابي	١٣٠٤
٧٦٨	عاشق المصري الخالدي	بعد ١٢٨٠
٧٦٩	عبد الباسط السنديوني	١٢٠١
٧٦٩	عبد الباقي الفاروقي	١٢٧٩
٧٧٩	عبد الجليل بن عبد السلام المشهور ببرّادة	١٣٢٧
٧٨٥	عبد الجليل بن أحمد الحسيني	١٢٠١
٧٨٦	عبد الجليل بن مصطفى النابلسي	١٢٥٢
٧٨٦	عبد الجواد بن عبد اللطيف القاياتي	١٢٨٧
٧٩٠	عبد الحليم بن مصطفى العجلوني	١٢١٧
٧٩١	عبد الحميد بن شاكر الزهراوي	١٣٣٤
٧٩٧	عبد الحميد خان بن عبد المجيد (السلطان)	١٣٣٦
٨٢١	عبد الحميد بن عبد الغني الرافعي الطرابلسي	١٣٥٠
٨٢٢	عبد الحميد بن عبد الوهاب السباعي	١٢٢٠
٨٢٥	عبد الخالق المعروف بابن بنت الجيزي	١٢٠١
٨٢٦	عبد الخالق بن علي المزجاجي	بعد ١٢٠٠
٨٢٦	عبد الرحمن بن سليمان بن يحيى	١٢٥٠
٨٢٧	عبد الرحمن الروزبهاني	١٢٧٠
٨٢٨	عبد الرحمن البوصنه لي	١٢٩١
٨٢٩	عبد الرحمن العراقي	١٢١٢

الصفحة	اسم صاحب الترجمة	تاريخ الوفاة
٨٣١	عبدالرحمن بن طالب الرفاعي	١٢٩١
٨٣١	عبد الرحمن بن حسن الزيمي الدماري	بعد ١٢٧٠
٨٣٢	عبد الرحمن المعروف بالهلواتي	١٢٠٥
٨٣٢	عبد الرحمن الجمل	١٢٢٩
٨٣٣	عبد الرحمن بن محمد الحفار	١٢٧٨
٨٣٣	عبد الرحمن بن محمد الكزبري	١٢٦٢
٨٣٦	عبد الرحمن بن علي البشبيشي	١٢٠٧
٨٣٧	عبد الرحمن بن بكار الصفاقسي	١٢٠٩
٨٣٨	عبد الرحمن الأجهوري النحراوي	١٢١٠
٨٣٩	عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب	١٢٧٤
٨٣٩	عبد الرحمن الكردي النقشبندي	بعد ١٢٥٠
٨٤٠	عبد الرحمن بن سعدي الكناني التاجي	١٢٣٨
٨٤٠	عبد الرحمن بن علي العمادي	١٢٢٣
٨٤١	عبدالرحمن بن علي الشهير بالطيبي	١٢٦٤
٨٤٢	عبد الرحيم البرزنجي	١٢١٢
٨٤٤	عبد الرحيم الزياري المعروف بملا زاده	١٢١٢
٨٤٥	عبدالرسول البخاري النقشبندي	١٢٩٧
٨٤٦	عبد الستار بن ابراهيم الأقاسي	١٢٤٥
٨٤٨	عبدالسلام بن عبدالرحمن الشطي	١٢٩٥
٨٥٠	عبد الصمد بن محمد الأرمنازي	بعد ١٢٠٥
٨٥١	عبد الصمد بن عبد الرحمن السجاوي	بعد ١٢٠٠
٨٥٢	عبد العزيز بن محمود الثاني (السلطان)	١٢٩٣
٨٥٥	عبد العليم بن محمد الأزهري الضرير	١٢١٤
٨٥٦	عبد الغفار بن عبد الواحد الأخرس	١٢٩٠
٨٦١	عبد الغفور الكردي الكركوكي	بعد ١٢٤٠
٨٦١	عبد الغفور الخالدي البغدادي	بعد ١٢٣٠
٨٦٢	عبد الغني بن محمد هلال	١٢١٢
٨٦٢	عبدالغني بن عبدالقادر السقطي	١٢٤٦
٨٦٣	عبدالغني بن محمد شريف الغزي	١٢١٦
٨٦٤	عبد الغني السادات	١٢٦٥
٨٦٧	عبد الغني بن طالب الميداني	١٢٩٨
٨٧٢	عبد الغني بن علي الحلبي الحسيني	بعد ١٢٠٥

الصفحة	اسم صاحب الترجمة	تاريخ الوفاة
٨٧٣	عبد الغني بن حسن البيطار	١٣١٥
٨٨١	عبد الغني البقاعي	١٢٤٣
٨٨١	عبد الفتاح بن عبد الله الكردي	١٢٥٥
٨٨٢	عبد الفتاح بن أحمد الجوهري	١٣١٥
٨٨٢	عبد الفتاح العقري النقشبندي	بعد ١٢٥٠
٨٨٣	عبد القادر بن محي الدين الجزائري	١٣٠٠
٩١٦	عبد القادر بن أحمد الحلبي المقري	حول ١٢٢٥
٩١٦	عبد القادر بن عبد الرحمن السقطي	١٢٠٥
٩١٧	عبد القادر بن يحيى الكزبري	١٢٢٩
٩١٨	عبد القادر بن صالح الجيلاني	١٢٨٨
٩١٨	عبد القادر بن أحمد الكوكباني	١٢٠٧
٩٢٠	عبد القادر بن درويش الحسيني	١٢٧٩
٩٢٠	عبد القادر بن عبيد الله الكردي	بعد ١٢٣٥
٩٢١	عبد القادر بن أحمد الصهادي	١٢٢٨
٩٢٢	عبد القادر بن ابراهيم الخلاصي	بعد ١٢٠٠
٩٢٢	عبد القادر الديملاني	بعد ١٢٤٠
٩٢٣	عبد القادر البرزنجي	حول ١٢٤٥
٩٢٣	عبد القادر الرضوي	....
٩٢٣	عبد القادر بن تقي الدين القدسي	١٣٠٩
٩٢٥	عبد القادر البرزنجي	١٢١٢
٩٢٦	عبد الكريم بن محمد الحلبي الماتريدي	بعد ١٢٠٥
٩٢٧	عبد الله الدهلوي	١٢٤٠
٩٣٨	عبد الله بن عطا الله الحلبي الكتبي	بعد ١٢٠٥
٩٤٥	عبد الله بن مصطفى الجابري	بعد ١٢١٦
٩٤٧	عبد الله بن محمد العقاد	بعد ١٢٠٥
٩٤٨	عبد الله باشا والي عكا	بعد ١٢٥٠
٩٦٣	عبد الله باشا بن محمد (الشريف)	....
٩٦٨	عبد الله بن محمد فكري (الأمير)	١٣٠٧
١٠٠٢	عبد الله بن محمد الصنعاني	١٢٤٤
١٠٠٣	عبد الله بن عبد الرحمن الكزبري	١٢٦٥
١٠٠٤	عبد الله بن مصطفى العبدلاني الكردي	١٢٧٨
١٠٠٥	عبد الله بن عابدين الماتريدي	١٢٥٩
١٠٠٥	عبد الله بن عبد العزيز الحنفي	١٢٦٠
١٠٠٥	عبد الله بن حجازي الشرقاوي	١٢٢٧
١٠٠٧	عبد الله بن محمد الصالحي الكناني	١٢٩٢

الصفحة	اسم صاحب الترجمة	تاريخ الوفاة
١٠٠٧	عبد الله بن طاهر المرادي	١٢١٢
١٠٠٨	عبد الله بن سعيد الحلبي	١٢٨٦
١٠١٠	عبد الله بن صالح الكردي الاشكتي	١٢٤٠
١٠١١	عبد الله بن ابراهيم الميرغني	١٢٠٧
١٠١٣	عبدالله بن محمد الحلبي الفرضي	١٢٠٥
١٠١٣	عبد الله الكيلاني	بعد ١٢٥٠
١٠١٤	عبد الله الأرزنجاني	بعد ١٢٤٠
١٠١٥	عبد الله بن عبد الرحمن الكردي	بعد ١٢٤٠
١٠١٥	عبد الله بن محمد الكردي البتوشي	١٢٢٠
١٠١٦	عبد الله بن عيسى الكردي الحيدري	بعد ١٢٣٣
١٠١٦	عبد الله الهراتي النقشبندي	بعد ١٢٤٠
١٠١٨	عبد الله بن محمد	....
١٠١٩	عبد الله البري	....
١٠٢٠	عبد الله بن عبد الكريم الخليتي	....
١٠٢١	عبيد الله كدك المدني	....
١٠٢٤	عبيد الله بن صبغة الله الحيدري	بعد ١٢٤٠
١٠٢٦	عبيد الله بن عبيد الله الحيدري	بعد ١٢٤٠
١٠٢٦	عبداللطيف بن مصطفى الحلبي	١٢١٠
١٠٢٧	عبد اللطيف بن عبد السلام الحلبي	١٢٠٥
١٠٢٨	عبد اللطيف بن حسن القاياتي	١٢٥٨
١٠٣٠	عبد المجيد بن محمود خان (السلطان)	١٢٧٧
١٠٣٦	عبد المجيد بن محمد صلاح الدين أبوشعر	١٢٦٨
١٠٣٧	عبد المجيد بن محمد الخاني	١٣١٥
١٠٤١	عبد العزيز بن أحمد الدهلوي	بعد ١٢٠٠
١٠٤٢	عبد المحسن بن حمزة الشهير بابن عجلان	١٢٦٣
١٠٤٤	عبد الملك بن عبد المنعم القلعي	١٢٢٩
١٠٤٥	عبد المنعم بن أحمد العماوي	١٢٢٣
١٠٤٦	عبد الهادي بن سليم العمري	١٢٨٢
١٠٤٦	عبدالوهاب البوسنوي المعروف ببشناق	١٢٠٥
١٠٤٨	عبد الوهاب الشبراوي	١٢١٤
١٠٤٩	عبد الوهاب بن أحمد الحلبي السعدي	....

الصفحة	اسم صاحب الترجمة	تاريخ الوفاة
١٠٤٩	عثمان بن ابراهيم الشامي	١٢١٩
١٠٤٩	عثمان بن أحمد الصفائي	١٢٠٤
١٠٥١	عثمان بن محمد الحنفي الشامي	بعد ١٢٠٩
١٠٥٢	عثمان الكردي الطويلي	بعد ١٢٣٠
١٠٥٢	عثمان بن عبد الله الطحان	بعد ١٣٠٦
١٠٥٩	علي خان (قاضي القضاة سراج الدين)	بعد ١٢٣٠
١٠٦٠	علي بن محمد العنسي اليمني	١١٣٩
١٠٦٥	علي بن أحمد المغربي	١٣١٦
١٠٦٨	علي بن محمد القناوي	بعد ١٢٠٠
١٠٧١	علي بن محمد الشوكاني	قبل ١٢٥٠
١٠٧١	علي بن محمد الشوكاني الجد	١٢١١
١٠٧٢	علي بن قاسم الوزير	١٢١٩
١٠٧٣	علي بن عبد الله الصنعاني	١٢٤٠
١٠٧٤	علي بن الإمام المهدي العباس (أمير المؤمنين)	حول ١٢٣٠
١٠٧٦	علي بن حسين السقطي	١٢٨٩
١٠٧٦	علي بن محمد سعيد الدوري السويدي	١٢٣٧
١٠٧٧	علي بن عبد الرحمن الطيبي	١٢٥٥
١٠٧٨	علي بن عثمان الطولقي	١٣١٦
١٠٧٩	علي بن عمر العوني البهي	١٢٠٤
١٠٧٩	علي بن عبد الله الرومي (الأمير)	١٢٠٥
١٠٨٤	علي البكري المصرى	١٢٠٧
١٠٨٥	علي بن محمد الاشيولي	١٢١١
١٠٨٦	علي الخياط	١٢١٨
١٠٨٦	علي البخاري المعروف بالقباني	١٢٢١
١٠٨٨	علي الحصاوي الأزهري	١٢٣١
١٠٨٨	علي البولاقي (أبو زكريا)	١٢٣٢
١٠٨٩	علي بن علي العمري الفاروقي	١٢٤٤
١٠٩٠	علي الخزام بن حسين الصيادي	١٢٤٧
١٠٩٠	علي بن ابراهيم الإمام	١٢٠٧
١٠٩١	علي بن ابراهيم	١٢١٣
١٠٩١	علي بن أحمد الذماري	١٢٥٢
١٠٩١	علي بن اسماعيل فهمي	١٢٢٣
١٠٩٢	علي بن اسماعيل	١٢٢٩
١٠٩٢	علي خضري الدمشقي	١٢٦٠
١٠٩٣	علي الحسيبي	١٢٤٢
١٠٩٣	علي الطحان الأزهري	١٢٠٧
١٠٩٤	علي الحصاوي الأزهري	١٢٢٥
١٠٩٤	علي بن محمد الديركوشي	حول ١٢١٠
١٠٩٥	علي بن محمد سعيد السويدي	١٢٣٧
١٠٩٦	علي خزام بن خزام الصيادي	١٢٤٧
١٠٩٧	علي بن خير الله الصيادي	١٢٨٩

الصفحة	اسم صاحب الترجمة	تاريخ الوفاة
١٠٩٩	علي الخانمي الادلبي	٠٠٠٠
١١٠٧	عمر لطفي بن محمد شيخ الإسلام	١٣١٤
١١١٥	عمر بن عبد السلام الداغستاني	بعد ١٢٠١
١١٢٩	عمر بن طه الحمصي العطار	١٣٠٨
١١٣١	عمر بن أحمد المجتهد	١٢٥٤
١١٣٢	عمر الديار باكرلي	١٢٦٣
١١٣٢	عمر بن السبيعي الأشعري	١٣٠٤
١١٣٣	عمر بن عبد الغني العامري الغزي	١٢٧٧
١١٣٥	عمر بن عبد القادر التغلبي	١٢١٥
١١٣٦	عمر بن عمر التغلبي	١٢٧٩
١١٣٦	عمر بن محمد الدمياطي	١٢٣٣
١١٤٠	عمر بن عبد الله السفرجلاني	١٢٠١
١١٤١	عمر البابلي الأزهري	١٢٠٥
١١٤١	عمر بن مصطفى الحلبي	بعد ١٢٠٥
١١٤٢	عمر بن حسن الحريري	١٢٨٠

****

مطبعة الترقي

DUE DATE

MAY 29 1992

MAY 27 RECD

SEP 30 1992

SEP 29 RECD

FEB 15 1993

Printed
in USA

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0022438572

893.791
B165

v. 2

07651635
893.791
B165 V2 C1

